جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الحياة الاجتماعيّة والفكريّة والاقتصاديّة في دمشق في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين (محمّد بن عيسى بن كنان الدّمشقي الصّالحي ، ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) مصدرا .

The Social , Intellectual And Economic life In Damascus During The 11th And 12th H.D / 17th And 18th A.D (Mohammad Ibn Isa Ibn Kinnan AL- Dimashqi AL – Salhi , Died in 1153 H.D / 1740 A. D) As A Resource .

إعداد

محمّد عودة الله أحمد الخزاعله

الرقم الجامعي

١٢٢٠٣٠٣٠٠٢

إشراف

أ . د . هند غسّان أبو الشّعر

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

عمادة الدّراسات العليا

جامعة آل البيت

الفصل الدّراسي الثاني ٢٠١٥ م

قرار لجنة المناقشة

جامعة آل البيت

عمادة الدراسات العليا

رسالة ماجستير بعنوان :

الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية في دمشق في القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين (محمّد بن عيسى بن كنّان الدمشقي الصالحي ، ت ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م) مصدرا .

The Social , Intellectual And Economic life In Damascus During The 11th And 12th H.D / 17th And 18th A.D (Mohammad Ibn Isa Ibn Kinnan AL- Dimashqi AL – Salhi , Died in 1153 H.D / 1740 A. D) As A Resource .

إعداد

محمّد عودة الله أحمد الخزاعله

الرقم الجامعي

١٢٢٠٣٠٣٠٠٢

إشراف

أ . د . هند غسّان أبو الشّعر

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الأستاذة الدكتورة : هند غسّان أبو الشعر	(مشرفاً ورئيساً)	....
الأستاذ الدكتور: محمّد عبد القادر خريسات	عضواً	....
الأستاذ الدكتور: نوفان رجا السوارية	عضواً	....
الدكتور: عليّان عبد الفتاح الجالودي	عضواً	....

نوقشت هذه الرسالة وأوصِي بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ....../......../ .... م

إهداء ...

إلى والديّ الحبيبيْن وزوجتي المصون ...

إلى القلوب الكبيرة

إلى من تجرّعوا كأساً فارغاً ليسقونني قطرات الحبّ ...

إلى من حصدوا الأشواك عن دربي ليمهّدوا لِيَ الطريق ...

إلى من أوقدوا أصابعهم شموعاً لينيروا لِيَ الدّرب ...

إلى من صبروا حتّى عجز الصّبر عن صبرهم ...

إلى رياحين حياتي أهدي عملي هذا .

شكر وعرفان

بكل فخر واعتزاز واعتراف بفضل الله ثم فضلهم ...

أدِينُ برسالتي هذه إلى الكثيرين ، معرباً عن شكري ومحبّتي وتقديري إلى أعضاء الهيئة التدريسيّة في قسم التّاريخ في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة آل البيت ، ولا أنسَ الشكر لكلّ مؤرّخ ومدرّس استندتُ في عملي إلى رواياته ، وأخصّ بالشكر والامتنان الأستاذة الفاضلة الدكتورة هند غسّان أبو الشّعر التي أشرفت على رسالتي هذه .

ولكلّ من تقدّم أهدي عملي .

البّاحث

محمّد عودة الله الخزاعله

قائمةالمحتويات

الموضوع | **رقم الصفحة**

* قائمة الجداول الواردة في هذه الدراسة :

*قائمة الملاحق في هذه الدراسة :

الملخّص

تناولت هذه الدّراسة الحياة الاجتماعيّة و الاقتصادية والفكرية في دمشق في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين من خلال مؤلّفات محمّد بن كنّان الدّمشقي ، وتمّ تقسيم الدّراسة إلى المقدّمة وخمسة فصول وخاتمة .

أمّا المؤلّف فهو محمّد بن عيسى بن محمود بن كنّان الصّالحي الدّمشقي والمتوفى في سنة ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م ، وترجع شهرته إلى أبيه الصوفي الخلوتي الطريقة ، ومع أنّ معظم المصادر أشارت إلى أنّ مذهب محمّد بن كنّان هو المذهب الحنبلي المُتّبع كثيراً في حارته "الصّالحيّة" ، ولكن نتيجة للبحث والتنقيب في مؤلّفاته تبيّن لنا أنّه تحوّل عن مذهب أسرته الحنبليّة إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وهو مذهب الدولة العثمانية الحاكمة ، والتي كانت تقلّد الوظائف العالية لأتباع هذا المذهب ، وقد ظهرت ثقافته من خلال المجموعة الكبيرة من المصادر التي استفاد منها في تأريخه للأحوال الشّامية عامة وذكرها في مؤلفاته ، والتي تكشف عن شخصيّته الشغوفة بالمطالعة ومناقشتها مع شيوخه وتلامذته في حلقات العلم ، وإيراد أشعاره عند تناوله لجوانب بعينها ومما زاد في غنى ثقافته أيضا حضوره الدائم للندوات التي كانت تُقام في المدارس أو في الزوايا وغيرها ومناقشة مسائل في التفسير والفقه والحديث والنحو ، ممّا ساهم في صقل شخصيّته كأحد مدرّسي المدرسة المرشديّة والماردانيّة بدمشق .

شكّلت مؤلّفات ابن كنّان مصدراً مهمّاً وغنيّاً بالمعلومات التي أفادت الباحث ووثّقت لفترة مفصليّة من الوجود العثماني ببلاد الشّام ، خاصة إذا ما علمنا بأنّ القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي يمثّل بداية الضعف والانحدار للسلطنة ، فإنّه على صعيد الحياة الاجتماعيّة أعطتنا تلك المؤلفات تركيبة المجتمع الدمشقي ومظاهره ، وطبيعة العلاقات المجتمعية القائمة على مناسبات دينية كالاحتفال بشهر رمضان والعيدين وإحياء ذكرى المولد النبوي وليلة النصف من شعبان ، أو مناسبات أخرى كالزواج والختان والطهور وختم حفظ القرآن من قبل أبنائهم ، فضلا عن مشاركتهم مع كل ما يطرأ على السلطنة العثمانية ، سواء الأخبار التي تأتي من العاصمة اسطنبول والتي ترتبط بانتصاراتها على الأوروبيين والفرس ، واحتلالها لبعض القلاع هناك ، أو ما ارتبط منها بتنصيب السلاطين أو زواجهم ، بالإضافة إلى وصف مواكب الولاة والقُضاة عند قدومهم إلى دمشق ومزاولة واجباتهم بعد لبسهم للخلع السلطانية ، وحَرِص الباحث على تسجيل أسماء الحارات والقرى وما كان يعتري ساكنيها من

المشاكل والظواهر السلبية الناجمة عن سوء الأخلاق ومظاهر الانحراف والشذوذ ، أو التعرّف إلى الأماكن التي كان الدمشقيون يخرجون إليها للتنزه ، أو رصد للظواهر الصحيّة والأمراض ، زِدْ على ذلك تسجيل الباحث للظواهر الطبيعية والفلكية كالزلازل والفيضانات ، وحركة النجوم والمذنبات ، وخسوف للقمر أو كسوف للشمس ، كما استفاد الباحث من مؤلفات ابن كنان في معرفة العلاقة القائمة بين الدولة والجهاز العسكري وأعيان دمشق كالعلماء والأغوات والأشراف بصفتها قوى محليّة لعبت دوراً كبيراً في حياة الأهالي .

أمّا على صعيد الحياة الاقتصاديّة في دمشق فقد تتبّع الباحث أحوال الطقس والمُناخ وأثرهما في النشاطات الاقتصادية للإنسان كالزراعة والصناعة وتوافر المياه وحجم الأنهار ، وخصوبة التربة وقدرتها على الإنتاج الزراعي ، وأثر ذلك في الأوضاع المعيشية للأهالي من حيث التذبذب في الأسعار ، سواء ارتفاعها أو انخفاضها أو ثبوتها ، وتمّ رصد أشكال الهطول المختلفة وغزارتها أو ندرتها ، وما رافقها من شدة الرياح ، وما نتج عنها من أهوال ومخاطر تسبّبت بوفيات الفلاحين ، ونفوق حيواناتهم الدّاجنة ، وهدم مزارعهم وبساتينهم وممتلكاتهم ، وتلف المحاصيل الزراعية ، أو الأوبئة والآفات مثل زحف الجراد ، وظهور وباء طاعون البقر بين فترة وأخرى ، إضافة إلى آثارها التي خلفتها على قوافل الحجيج وغرق كثيرين منهم في البرك والسيول التي داهمت طريقهم إبّان رحلتهم إلى الدّيار المقدسة ذهابا وإيابا ، كما عكست تلك المؤلفات حجم المعاناة التي ضاق منها الدّمشقيون ذرعاً نتيجة للضرائب الباهظة الواجب عليهم تسديدها للدولة ، فضلاً عن الخسائر التي يتعرّض لها التجّار والبّاعة عند حدوث أعمال الشغب والفِتن التي يقودها الزعر والعسكر ، حيث تغلق المحال التجاريّة أبوابها ، وتتوقف حركتي البّيع والشراء ، وما قد يرافق تلك الأحداث من التعدّي على الأسواق بالنّهب والسّرق والحرق ، عدا عن الطمع الذي يظهر عند أرباب الصنائع وبعض ذوي المناصب كاللجوء إلى احتكار السّلع بقصد رفع سعرها والتضييق على أحوال الناس الماديّة ، كما استفاد الباحث من مؤلفات ابن كنان في تسجيل عدد من النباتات والأزهار والأشجار التي لها منافع اقتصادية وطبية على حدّ سواء .

أمّا على صعيد الحياة الفكريّة ؛ فقد تبيّن للباحث من خلال مؤلّفات ابن كنّان بأنّ السلطنة العثمانيّة لم تكُن تهتم كثيراً بإنشاء المرافق التعليمية كالمدارس والزوايا والتكايا والخوانق والتي كانت أماكن يستخدمها المتصوّفة لممارسة طقوسهم وعاداتهم المرتبطة بترك شهوات الدنيا والتوجّه إلى طلب الآخِرة بالعبادات والتهاليل والأذكار ، ونوع العلاقة التي كانت تقوم على التقدير والاحترام بين السلطة والمتصوّفين ، والكشف عن بعض طرقهم ولا سيّما

الطريقة الخلوتيّة ، وتسجيل أسماء شيوخهم ، كما استفاد الباحث في معرفة أنواع العلوم والكتب التي كانت تُدرّس بمدارس دمشق ، فضلاً عن الاختلاف فيما بينها من حيث أوقافها وأجور العاملين بها ، وأهميتها الاقتصادية ، وخصوصا تلك الدروس التي كانت تنعقد في جامع بني أميّة وأحوال المكتبات التي ألحِقت بعدد منها ، وما ارتبط بالحياة الفكريّة من مواضيع معيّنة مثل مسألة النذور للأولياء بعد الموت ، أو التوسّل بالأنبياء والرسل وأولياء الله الصالحين ، ورأي الفقهاء فيها ، كما أمكن النظر إلى أصحاب الكرامات والمجاذيب وما اتّصل ببعضهم من الأحوال والسلوكيّات والخوارق التي ميّزتهم عن غيرهم مثل قدرتهم على الشفاء من الأمراض ، أو استعادة الأمتعة والأموال التي كان أصحابها يفتقدونها ، كما اتّضحت أهميّة تلك المؤلّفات بتناولها للأفكار الشيعيّة وأثرها على المجتمع الدمشقي وما اقترن بالشيعة الروافض من المزارات التي دلّت على انتشارهم في مدينة دمشق .

وأخيراً ؛ فإنّ مصداقيّة محمّد بن كنّان كمؤرّخ ، ظهرت في مؤلّفاته التي وثّقت لتاريخ دمشق الاجتماعي والاقتصادي والفكري في هذه الفترة ، ودعَمَت المصادر اللاحقة أهميّته كمصدر تاريخي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة أحوال دمشق في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، فقد أكّدت يوميات البُديري الحلاق عند مقارنتها مع مؤلّفات ابن كنّان على صدق الأخبار والمعلومات التي وردت عند ابن كنّان .

المقدّمة

يتوافر لدارس تاريخ بلاد الشّام في العهد العثماني مجموعةٌ ممتازةٌ مِن كُتب اليوميّات والتراجم وكُتب التّاريخ العّام التي تُعطي الدّارسَ فرصةَ البحث والتنقيب في مكوّنات المجتمع الدّمشقيّ، ومنها مؤلّفات محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي (ت ١١٥٣هـ /١٧٤٠م)فقد أعطتنا أعمالُه صورةً واقعيّةً عن دمشقَ مِن كافة مجالاتها وأحوالها ، وشكّلت وثائقَ غنيّة بالمعلومات التّاريخيّة ، والتي تعتبر مفصلاً له أهميّته ينبغي التوقف عندها ودراستها دراسةً تحقّق للقارئ ثقافةً لها مدلولها وأبعادها عن دمشقَ مِن النّواحي الاجتماعيّة مِن مبانٍ وقُرىً، وحارات وتُرَب ، وعادات وتقاليد ، وعلاقات النّاس مَعَ بعضهم بعضاً ، وعلاقتهم بالدّولة والسّلطة القائمة ، والفئات السكّانيّة وطبقاتهم وأصولهم ، ونَواحٍ اقتصاديّة تتمثّل بتوافر الأسواق وتعدد الحِرف وأنواع البضائع والسّلع والأسباب التي أدّت إلى ارتفاع أثمانها وتذبذبها من وقت لآخر ، وتذبذب في قيمة النّقد ، وازدحام تلك الأسواق بالتجّار المحليين والتجّار الوافدين إلى المدينة في مواسمَ محدودةٍ من السّنة مثل شهر رمضان وموسم الحجّ الشّامي ، وتتبّع لأحوال الطّقس والمُناخ ، ودورها في توفير الأزهار النّادرة والنباتات والأشجار والتي استفاد منها الأهالي في الصّباغة والعطور واستخدموها في التجارة مع الأقاليم الأخرى بالبيع والشراء، إضافةً إلى ما تحقّقه مؤلّفات ابن كنّان للدّارس من نظرة تكاد تكون شاملة للنواحي العلميّة والفكريّة ، وإبراز دور الجوامع والمدارس والزوايا والتّكايا والمكتبات الوقفيّة ، والاطّلاع على احدى الطُرُق الصوفيّة كالخلوتيّة والتعرّف على أسرارها وأورادها وطقوسها الدّينيّة ، وما ارتبط ببعض أتباعها من الشيوخ مِن أحوال الكرامات التي اختصّت بالأولياء الصّالحين ، وعلاقة السلطة القائمة بها .

وعلى ذلك ؛ فإنّ كُتب محمّد بن كنّان المتعدّدة وخاصةً يوميّاته المُسمّاة (الحوادث اليوميّة من عام ألف وأحَدَ عشَر وميّه) جاءت تسجيلاً حيّاً للحياة الدّمشقيّة ، ليُعدّ صاحبها من أبرز مؤرخي النصف الأوّل من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ،وهذه الدّراسة ستقتصر على أحوال دمشق الاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكرية – العلميّة – من خلال مؤلّفاته .

- مبرّرات الدّراسة :

ارتكزت مبرّرات اختيارنا لهذه الدّراسة على ضرورة إيجاد صورة دقيقة وواضحة عن بلاد الشّام عامة ودمشق خاصة ، من خلال المصادر المتنوّعة ،فمحمّد بن كنّان يمثّل شاهِدَ عِيَان للأحداث التي مرّت بها بلاد الشّام في القرن الثاني عشر الهجري / الثّامن عشر الميلادي ، لتفرّد بعض مؤلفاته عمّن سبقه وحفظِه لمؤلّفات مفقودة ً، فقد اشتمل كتابُه " المروج السندسية الفيحيّة في تلخيص تاريخ الصّالحيّة " على بعض الفصول والأبواب التي كانت ناقصة من كتاب القلائد الجوهريّة من تاريخ الصالحيّة لمؤلّفه يوسف بن عبد الهّادي المتوفى سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م ، والتي تناولت حمّاماتها ومزارعها وحاراتها وأسواقها وجنائنها وقهواتها ، فيُمكن وصف كتابه بأنّه ذيْل لكتاب ابن عبد الهّادي ، و لكتاب القلائد الجوهريّة في تلخيص تاريخ الصالحيّة لابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م ، كما نجد في مؤلفاته أيضاً ً بعضاً من الإشارات عن المدارس والجوامع والمساجد والحمّامات والأسواق والتُرب والزوايا التي كانت مزدهرة ً قبل انحلال دولة المماليك ، وتعرّضت للخراب والدّمار بعدها زمن دولة بني عثمان ، وابن كنان لم يغِب عنه تسجيلها ، فهو متابع لواقع الحّال في زمنه .

رصدت مؤلّفات ابن كنّان الصالحي مظاهر عصرِه من عوامل ضعف وفساد إداري وعسكري وديني وتعليمي وبيْع المناصب وشرائها ، وأثرها على حياة النّاس الاجتماعيّة والاقتصاديّة ، ورصده لمشاركة الأهالي بالاحتفالات عند انتصار السلطنة على بلاد العجم ، أو عند تولّي السلطان لعرش السّلطنة ، أو زواجه ، أو ما أنعمه اللهُ عليه من نعمة الخلَف والوَلَد .

وتميّز ابن كنّان بتناوله للخلوتيّة طريقة ً وشيوخا ً ، في كتابه (الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف وميّه) ، وهو من أتباع ومن شيوخ هذه الطريقة الصوفيّة التي انتقلت إليه من والده الشّيخ عيسى بن محمود بن كنان ، ويذكر فيه تقاليدها وأسرارها ، وبعض الأوراد التي يتعامل بها مُريدوها ، فضلا ً عن المَكان الذي يحرص المريدون بالاجتماع به في جامع بردبك ، وعلى ذلك فيكون محمّد بن كنان مِن بين المؤرّخين القلائل الذين توسّعوا بالحديث عن هذه الطريقة ، ويُمكن تصنيف كتابه السّابق بأنّه أوسع وأفضل مصدر تاريخي عن دمشق في النصف الأوّل من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، لأن ابن كنان كان معاصرا ً للأحداث التي حَرِصَ على تدوينها ، عدا عن حرصه الشديد على ذكر المدارس والحمّامات والقصور ، بذكر مَن قام ببنائها وتشييدها مثل مدرسة إسماعيل باشا العظم

ومدرسة سليمان باشا العظم ، وحمّام الخيّاطين ، وحمّام المُرادنيّة ، والمِيزةُ الأخرى للكتاب زيادةً على كونه كتاباً لليوميّات وللتاريخ ؛ فإنّه وبنفس الوقت يُشكّل كتاباً للتراجم لفئات مِن عِلْية القوم .

وعلى ذلك ؛ فقد أرّخ محمّد بن كنّان في كتُبه لواقع دمشق وبلاد الشام لمرحلة القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين من النواحي الآتية :

أ-اهتمامه بالمرافق من مدارس وحمّامات وحارات وأسواق ، فمن أراد أن يدرس الحياة الاقتصادية والاجتماعية لا بد من العودة إليه .

ب- اهتمامه بالتصوّف وتحديداً بالطريقة الخلوتية .

ج- رصده لمظاهر الحياة الدمشقية وعلاقات الأهالي بالسلطة (الدولة العثمانية) .

منهجيّة الدراسة :

قامت منهجيّة الدّراسة على جمع المّادة مِن المؤلفات المطبوعة لابن كنّان الصالحي وهي (المواكب الإسلاميّة في الممالك والمحاسن الشّاميّة ، و الحوادث اليومية مِن عام إحدى عشر وألف ومِيّه ، والمروج السندسيّة الفيحيّة في تلخيص تاريخ الصّالحيّة ، و حدائق الياسمين في مصطلح قوانين الخلفاء والسّلاطين) ، ودراستها ومقارنتها بالمصادر التاريخيّة المعاصرة ، بالإضافة إلى المراجع والدّراسات الحديثة .

وقد قُسّمت هذه الدّراسة إلى المقدّمة وخمسة فصول وخاتمة وملاحق والجداول والرسومات البيانيّة حسَب موضعها وأهميتها في سِياق هذه الدّراسة .

والفصل الأوّل هو تمهيدي لأحوال بلاد الشامّ عامّة ، السياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة ، وهو مدخل أساسي يجب أن تُبنى عليه دراسة المرحلة اللاحقة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .

أمّا الفصل الثّاني فتناولتُ فيه محمّد بن كنّان الصّالحي ، بدايةً بذكر والده الشيخ عيسى بن محمود من حيث ثقافته وشيوخه وتلاميذه ، ثمّ عن محمّد نفسه ، سواء نشأته وحياته وأسرته ، أو شيوخه وتلامذته ، ومؤلّفاته ، وعلاقاته الاجتماعيّة ، وشغفه بالرحلات إلى متنزّهات دمشق المتعدّدة ، ومن ثمّ وفاته ، ومنهجيّته في التأريخ .

في حين اشتمل الفصل الثالث على دراسة الحياة الإدارية والاجتماعية في دمشقَ، فالأوضاع الإدارية للمنطقة تمثل الأرضية الصلبة التي تقوم عليها الفعاليات المختلفة ، ويتمثّل الجانب الإداري بدراسة العلاقة بين الإدارة العثمانية والأهالي والقوى الاجتماعية المتعددة بما فيها العسكرية التي يمثلها الانكشارية والسكبان ، كما تناول الفصل الحياة الاجتماعية مِن خلال علاقات الأهالي معَ بعضهم بعضاً ، ومشاركاتهم في مُناسبات الأفراح كالزّواج والخِتان والطّهور ، عدَا عن احتفالاتهم بالمُناسبات الدينيّة في شهر رمضان ، وعيدَيْ الفطر والأضحى ، أو طقوسهم في ذكرى المولد النبوي الشّريف ، وإحياء ليلة النّصف مِن شعبان ، أو احتفالاتهم عند قدوم الأخبار من العّاصمة اسطنبول بتولِية سلطان جديد ، أو زواجه ، أو عندما يُرزق بمولود ، كما اشتمل هذا الفصلُ أيضاً على التركيبة المجتمعيّة لدمشقَ ، مِن حيث أصولهم ومَنابتهم ، والتي ظهرت ملاصقةً معَ أسمائهم ، سواء كانوا مِن العلماء أو الشيوخ أو مِن العسكر أو التجّار ، كما أنّ هذا الفصلَ اشتمل على الحديث عن الحّارات

والقُرى والمشاكل والخِلافات فيما بينها ، والناجمة عن تمرّد الزّعر وتعدّيهم على حُرُمات النّاس بالسّرقة والقتل أو ارتكاب الفواحش والمعاصي على اختلافها ، والطريقة التي كانت تتعامل بها الدّولةُ معَ ظاهرة شرب القهوة والتدخين ، عدا عن التعرّف على بعض الأطعمة والمشروبات المشهورة في المدينة آنذاك ، وأيضاً محاولة رصْد الظواهر الطبيعيّة والفلكيّة والصحيّة ، مِن زلازل وفيضانات وثلوج وأمطار ، أو خسوف للشّمس وكسوفها ، أو أمراض شكّلت هاجساً في نفوس الأهالي كالطاعون وغيره .

وتناول الفصل الرّابع الأحوال الاقتصاديّة في مدينة دمشق ، وأثر عوامل الطقس والمُناخ بالأحوال الزّراعيّة وأحوال الحجيج ، وأثرها على الأسعار ، والتي كانت مُتذبذبةً مِن وقت لآخر ما بين الشدّة والرّخاء ، وقد لجأتُ كثيراً في هذا الفصل إلى الاستعانة بالأخبار التي ورَدَت مِن قِبَل البُديري الحلاق في كتابه حوادث دمشق اليوميّة ، لأنّه يُعتبر مُكمّلاً لتلك الأخبار التي جاء بها محمّد بن كنّان ، والإشارة إلى ما كان يهدّد المواسم الزّراعيّة مِن مخاطر ، كالجراد أو وباء موت البقر .

أمّا الفصل الخامس والأخير ؛ فيكشف عن الحياة العلميّة والفكريّة في دمشقَ مِن مدارسَ ومساجد وجوامع وزوايا وتكايا ، ومعرفة الكُتُب التي كان الدّمشقيّون يتداولونها بالدراسة في مدارسهم ، وما ألحِق بها من المكتبات وأحوالها ، كما أنّ هذا الفصل يشتمل على بعض الطرق الصوفيّة التي ذكَرَها ابن كنّان ولا سيّما الطريقة الخلوتيّة ، والكشف عن أحوال أصحاب الكرامات والمجاذيب ونظرة الدّولة إلى هذه الفئة ، وكيفيّة تعاملها معها .

أوّلاً: دراسة المصادر :

تُشكّل المصادر الأوليّة الأساس لأي دراسة تاريخيّة ، وهي متنوّعة ومتعددة ، ومنها كتب التراجم والحوليّات وكتب اليوميّات ، وكتب التّاريخ العّام وجغرافيّة المدن والبلدان والأقاليم .

وأفادت الدراسة من عدد ليس بالقليل من تلك المصادر وبعضها يعود للفترة المملوكية لأهميتها الإدارية والعلمية والفكرية والاقتصادية ، ولا سيما أن ابن كنان قد اعتمدها في أعماله وبالذات في كتاب حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، على اعتبار أن أي دراسة تاريخية لزمن ما ترتبط مباشرة بالزمن الذي قبله ، أمّا المصادر الرئيسية التي أفادت زمن الدراسة ؛ فإنني سأتناول كيفية استفادتي منها وهي مرتّبة حسب تاريخ وفاة المؤلّف :

أوّلاً : التراجم والحوليّات واليوميّات :

أ) تراجم الأعيان مِن أبناء الزّمان : للحسن بن محمّد بن محمّد البوريني (ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م) ، وهو كتاب ناقص غير مكتمل ، وتكملته توجد في ليدن في هولندا ، ويحتوي على تراجم لأعيان من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حتى سنة وفاته في الثلث الأوّل من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ، وبالتحديد يبدأ من سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م ، ويمتاز كتاب البوريني بتناوله للعلاقات بين أهالي الشام والإداريين والحكّام من العثمانيين ، كما أنّه أعطى للقوى المحلية أهمية خاصة ، ولم يغفل علاقتها بالدولة.

ب) الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة : لنجم الدّين محمّد بن محمّد الغَزّي (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م) وهو كتاب مرتّب حسب حروف المعجم الهجائيّة باستثناء مَن كان اسمه (محمّد) والذي جاءت تراجمهم مقدّمة على غيرهم ، وبدأ مؤلّفه هذا بطبقات ثلاث من سنة ٩٠١هـ إلى سنة ١٠٠٠هـ/من القرن السادس عشر الميلادي ، ولم يكتفِ بذكر الاسم ؛ وإنما كان يذكر الكُنية إن استطاع ، وكان جامعا وناقلا لمن سبقه ، ولا بد لمن يدرس بلاد الشام من العودة إلى تراجم الغزّي ، والتي تُساهم في تقديم صورة شاملة للمرحلة السابقة على ابن كنّان .

ج) لطف السّمَر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر : وهو أيضاً لنجم الدّين الغزّي ، وهو ذَيل لكتابه السّالف ذكرُه ، ويُترجم فيه لأشخاص وأحداث عاصرها بنفسه ، واعتمد فيها على مشاهداته الخاصّة وخبراته وسماعه ، على عكس كتابه السابق .

د) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : ومؤلّفه محمّد الأمين بن فضل الله المُحبّي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) ، ويعتبر هذا الكتاب من الأصول النّادرة والتي تُعطي صورةً شاملة لتاريخ المنطقة بصفة عامّة وبلاد الشّام بصفة خاصّة ، ويشتمل على معلومات غزيرة حَرِص المُحبي على ذكرها ، ومعظم الأعلام التي ترجَمَ لها كانوا ممّن عاصرهم ، معتمداً على الروايات الشفويّة والمصادر الكتابيّة ، ومتابعة الأخبار والاستقصاء حول صحّتها ، ونظراً لأنّه سابق على ابن كنّان ، فإنّه يعتبر المصدر المباشر لنا في الدراسة .

هـ) الحوادث اليوميّة من تاريخ أحَدَ عشَر وألف وميّه : لصاحبه محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي (ت ١١٥٣هـ/١٧٤٠م) ، وهو مُصنّف تاريخي تراجمي على حدّ سواء ، ويعتبر مصنّفاً لاحقاً ومباشراً لخلاصة الأثر للمُحبي ، ويجمع الحوادث التاريخيّة التي مرّت على بلاد الشّام عامة ودمشق خاصّة ، سواء كانت سياسيّة ترتبط بأوضاع السّلطنة العثمانية داخليّاً على مستوى ولاياتها ومركزها بالعاصمة اسطنبول ، أو خارجيّة ترتبط بالعلاقة العسكريّة وتجهيز الجنود لقتال الأوروبيين ، خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، أو اجتماعيّة تتعلق بأوضاع الأهالي الصحّية وما اعتراهم من آفات وأمراض ، وعاداتهم في الزواج واحتفالاتهم الدينيّة ، أو اقتصاديّة تتضمّن الضرائب والأسواق وأثر غارات العربان على قوافل الحجّ ، كما يشتمل المصنّف أيضاً على تراجم لأعلام صوفيين وعلماء وولاة ، وحَرص ابن كنّان على تدوين تلك الأخبار باليوم والشهر والسّنة ، دون أن يغب عنه تدوين الأحوال الطبيعيّة من أمطار وثلوج ورياح ، وأحوال فلكيّة كالخسوف والكسوف .

و) حوادث دمشق اليوميّة ١١٥٤- ١١٧٥هـ/ ١٧٤١- ١٧٦٢ م : للشيخ أحمد البديري الحلاق (ت ١١٧٥هـ/١٧٦٢م) ، وتأتي أهميّة هذا الكتاب بأنّه موازياً ليوميّات ابن كنّان ، ويصوّر الحياة بدمشق لإحدى وعشرين سنةً من أواسط القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، وهو كتاب يجمع بين التاريخ والتراجم وخاصةً من باشوات دمشق وأصحاب المناصب ، وآلية عزلهم ومصادرة أموالهم ، وفيه أخبار عن أحوال الحجيج ، والفتن التي ارتكبها العسكر ، وأحوال الأسعار ، بالإضافة إلى معلومات تشير إلى وجود

الفساد الإداري والأخلاقي من الأعيان أو من الأفراد العوام ، ويحرص الحلاق أيضا على ذكر الأحوال الطبيعية كالرياح والخسوف والكسوف ، وهذا المصدر أعطانا فرصة جيّدة للمقارنة مع ما جاء عند ابن كنّان لتأكيد مصداقيّته أو التشكيك بأخباره .

ز) سلك الدّرر في أعيان القرن الثاني عشَر : لصاحبه محمّد خليل أفندي المُرادي (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)، وهو يختصّ بذكر تراجم أعلام القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي منذ بدايتها في سنة ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م ، ويتميّز بعدد تراجمه التي لا تقلّ عن سبعمائة وخمسين ترجمةً وما فيه مِن أشعارهم وآثارهم وقصصهم ، وكان المُرادي يستقي معلوماته من المشافهة والمراسلات وكتب السّابقين ورحلات معاصريه ، ويعتبر المرادي من المعاصرين لابن كنّان ، وإنْ كان قد توفي بعده ، لكنّهما عاشا في مرحلة زمنية متقاربة ، وهو من مصادرنا الضرورية لاستكمال قراءة ابن كنّان مؤرّخا .

ح) عَرْف البَشَام فيمن وَليَ فتوى دمشق الشّام : ويُنسب أيضاً للمُرادي ، وهو كتاب يتناول الآداب التي تتعلق بالفتاوى ، ومذهب المفتين ، وشروطها ، وهو كذلك يتناول تراجم المُفتين وأحوالهم وبلغت سبعاً وثلاثين ترجمةً من سنة ٩٢٢هـ /١٥١٦م حتى آخر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، ومن ضمنهم المُرادي نفسه على اعتباره من مُفتي المدينة من سنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م.

ثانياً : كُتب التّاريخ العّام والأدب :

أ) المروج السندسيّة الفيحيّة في تلخيص تاريخ الصّالحيّة : لابن كنّان محمّد بن عيسى الصّالحي (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) ، وهو كتاب مختصر لتاريخ الصالحيّة لصاحبه يوسف بن عبد الهادي المتوفى ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣ م ، كما يعتبر هذا الكتاب ذيلاً للقلائد الجوهرية لابن طولون ، وفيه معلومات عن أحوال المدارس والجوامع وأحياء الصالحية وحمّاماتها ومزارعها وأسواقها وقصورها وحدائقها ، وأحوالها العمرانيّة وما اعترى بعضها من الخَراب في زمنه ، ويؤكد هذا الكتاب لابن كنّان الذي اعتمد فيه على ابن عبد الهادي وابن طولون أهميّة العودة إلى هذه المصادر السابقة على زمن ابن كنّان ، لأنه هو نفسه اعتمدها ونقلها وحفظها .

ب) حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسّلاطين : وهو لابن كنّان الصّالحي ، وهو كتاب عام يختص بالجوانب الإداريّة والدّيوانيّة زمن الدولة المملوكيّة والوظائف والمسميات

في تلك الفترة ، ويشتمل أيضاً على الجوانب التعليمية من المدارس سواء بدمشق أو في مصر ، وفيه ذكر للخوانق والتكايا والزوايا ، وقد حاول ابن كنان التوفيق ما بينها زمن دولة المماليك وما بقي منها في زمنه على عهد السلطنة العثمانيّة ، وما تعرّض منها للتعديل والتغيير ، أو ما أصاب بعضها من عوامل الخراب والهدم .

ج) المواكب الإسلاميّة في الممالك والمحاسن الشّاميّة : لابن كنّان الصّالحي ، وهو مصنّف يتناول بلاد الشّام فقط كوحدة جغرافية واحدة بأقسامها الإداريّة التي كانت سائدة منذ الدولة المملوكيّة ، وأوْلى دمشق على اعتبار أهميتها عناية خاصة ، فذكر تاريخها القديم ومدنها وقراها وحاراتها ومؤسساتها العمرانيّة ومتنزهاتها وحمّاماتها وأنهارها ، وأماكن العبادة بها ، ودُور العلم والمدارس والجوامع ، ومواكب الحج الشامي وبدايتها منذ دخولها الشّام إلى دمشق وخروجها إلى الديار المقدّسة ومرحلة الإياب ، وموكب دخول الولاة والقضاة إلى دمشق وتقاليدهم من حيث الصلاة بالجامع الأموي وزيارة الأضرحة ، كما لم يغفل بالحديث في الجزء الثاني من مؤلّفه عن ممالك حلب وحماة وطرابلس وصفد ، كما أسهب بالحديث عن أزهار دمشق ونباتاتها وأشجارها المتنوّعة .

د)هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين : لإسماعيل بن محمّد البابانيّ (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) ، وهو كتاب يضم مجموعة كبيرة من المؤلفات منسوبة لأصحابها ، وقد أفاد في معرفة كتب ابن كنّان وغيرها من الكتب التي كانت تدرّس في مدارس دمشق على زمن ابن كنّان وتوثيقها .

ثالثاً : كُتب الجغرافيا والبلدان :

وهي من المصادر البديهيّة التي لا يمكن الاستغناء عنها في معرفة الأقاليم والولايات الإداريّة وحدودها ، ومن هذه المصادر التي أفادت الدراسة : كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد لأبي عبد الله القزويني (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .

ثانياً :الدراسات والمراجع الحديثة :

لا توجد بحدود علم الباحث دراسات حديثة تفصيلية تناولت بالدراسة شخصيّة محمّد بن كنّان الصالحي ، ولكن تمّ الرجوع إلى مصادره ، وممّن نقل عنه (عماد عبد الغني) في كتابه " السلطة في بلاد الشام " ، و (منير كيال) في كتابه " الحمّامات الدمشقية وتقاليدها "، وقد أفادت عدد من الكتب والمجلات العلمية موضوع هذه الدراسة ، ومنها :

أ) الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوّف : لآنا شيمل ، وتأتي أهمية هذا الكتاب من خلال ارتباطه بمواضيع التديّن والتصوّف عبر التاريخ ، وتناوله للطرق الصوفية وشيوخها ، فضلاً عن تناوله لأخبار الأولياء وأصحاب الكرامات ، وهو مرتبط ارتباطا وثيقاً للأحوال الفكرية التي جاءت عند ابن كنّان باعتباره من بين شيوخ الصوفية الخلوتية بدمشق .

ب) العرب والعثمانيون : لعبد الكريم رافق ، ويغطي الفترة الزمنية للدولة العثمانية من سنة ١٥١٦ حتى ١٩١٦ ، وهو كتاب شامل للأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمناطق التي كانت خاضعة لحكم الدولة العثمانية ، وكان من الكتب المهمة التي ساعدت في الدراسة .

ج) العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين : لنوفان الحمود ، واشتمل الكتاب على الأحوال العسكرية في منطقة الشام ، ويوضح أقسام العسكر المختلفة كالانكشارية والسكبان والقابي قول ، وعلاقتهم بالدولة بصفتها من القوى المحلية التي كان لها تأثيرها في مجتمع دمشق .

د) مجتمع مدينة دمشق أواخر أيّام الدولة المملوكية : لهند أبو الشعر ، وهو كتاب يتناول مدينة دمشق في الجزء الأخير من الدولة المملوكية الثانية ، ويشتمل على قراءة متخصصة للأحوال الاقتصادية والاجتماعية قبيل دخول العثمانيين بلاد الشام ، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يتناول مرحلة سابقة على زمن ابن كنان ، إلاّ أنّه شكّل مادة رئيسية لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة تلك الأحوال في زمن محمّد بن كنّان .

هـ) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي : لمحمّد دهمان ، وهو من المراجع المهمة التي خدمت الدراسة بالرغم من اشتمالها على الألفاظ المملوكية المستخدمة على غير زمن ابن كنّان ، لكن بعض منها استمر في الدولة العثمانية ، وأعطانا مقارنة في تطور الألفاظ من عصر الدولة المملوكية حتى زمن الدولة العثمانية .

و) المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري : لفالترهنتس ، وساعد الدراسة في تقدير وحدات الكيل والموازين وارتباطها بالسّلع والحبوب في بلاد الشام زمن الدولة العثمانية ، وخدمت الدراسة في الأحوال الاقتصادية التي تناولها ابن كنّان .

وتمّ الاستفادة من عدد من المجلات العلمية والتي أعطتنا صورة لبلاد الشام في فترة دراستنا ومنها : مواضيع : مظاهر من الحياة الاقتصادية في دمشق وجوارها خلال القرن الثامن عشر ، لمهند مبيضين ، وهي دراسة منشورة في مجلة المنارة ، ومظاهر التنظيم الحِرفي في بلاد الشام في العهد العثماني ، لعبد الكريم رافق ، وهي منشورة ضمن مجلة دراسات تاريخية .

كما تمّ الاستفادة من معجم بلدان فلسطين ، لمحمّد شراب ، وذلك للتعريف ببعض المناطق الشاميّة التي وردت في مؤلفات محمّد بن كنّان .

الفصل الأوّل ...

مقدمة تاريخيّة لبلاد الشام أثناء حكم العثمانيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .

- الأحوال السياسيّة والإداريّة ...
- الأحوال الاقتصاديّة ...
- الأحوال الاجتماعيّة ...

الفصل الأوّل

مقدمة تاريخيّة لبلاد الشام أثناء حُكم العثمانيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .

أوّلاً : الأحوال الإداريّة والسياسيّة في بلاد الشام :

وصل طول حدود ولاية الشام من نهر الفرات (١) حتى منطقة العريش (٢) ، وكذلك وصل عرضها من جبل طيء (٣) ، حتى البحر المتوسط – بحر الروم – (٤) ، واشتملت على عدة نيابات : (غزة (٥) ، القدس ، حمص) (٦) .

أما ولاية حلب فيذكر ابن كنّان أنها كانت في المرتبة الثانية من الأهمية بعد دمشق ، وقد

---

(١) نهر الفرات : من أعظم الأنهار في آسيا وينبع من تركيا من جبال أرمينية ويتصل بنهر دجلة وبصب عند الخليج العربي وطوله ٢٨٦٠كم ، وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، ١٠ج ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، د . ت ، ج ٧، ص ١٤٥ ، وسيشار إليه لاحقا : وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين .

(٢) العريش : من أعمال مصر على بحر الروم ، الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٤١٠ ، وسيشار إليه لاحقا : الحميري ، الروض المعطار .

(٣) طيء : يقع على مقربة من الطائف ونسبته إلى أحد العمالقة وهو أجا بن عبد الحي ، الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، ٧ ج ، دار صادر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥م ، ج ١ ، ص ٩٤ ، وسيشار إليه لاحقا : الحموي ، معجم البلدان .

(٤) القزويني ، أبو عبد الله بن زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، ص ٢٠٥ ،وسيشار إليه لاحقا : القزويني ، آثار البلاد ، ابن كنان ، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) ، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ٢ ج ، تحقيق حكمت إسماعيل ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، د . ط ، ١٩٩٢م ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن كنان ، المواكب الإسلامية .

(٥) غزة هي بلدة كنعانية قديمة وتعني القوة ، وسماها العرب غزة هاشم نسبة إلى هاشم بن عبد مناف جد الرسول محمد – عليه السلام – الذي مات فيها ، شراب ، محمد محمد حسن ، معجم بلدان فلسطين ، المطبعة الأهلية ، الأردن ، ط ٢ ، ١٩٩٦م ، ص ٥٦٧ ، وسيشار إليه لاحقا : شراب ، معجم بلدان فلسطين .

(٦) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤ .

اشتملت على سبعة وعشرين عملاً [١] ، ومنها : (عزاز [٢] ، عمل بهنسي وهي الثغور المتاخمة للروم وهي قلعة حصينة [٣] ، عمل قلعة المسلمين [٤] ، عمل عينتاب [٥] ، عمل الراوندان [٦] ، عمل كختا [٧] ، عمل كَركَر [٨]) .

في حين ذكر ابن كنان بأن ولاية طرابلس اشتملت على ثمانية عشر عملاً [٩] ، ومنها : (عمل حصن الأكراد [١٠] ، عمل حصن عكّار [١١] ، عمل قلعة بلاطنس [١٢] ، عمل

---

(١)للمزيد عن هذه الأعمال في حلب انظر ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢، ص ٧٢-١٠٢.

(٢) شمال حلب بالقرب من تركيا ، ابن شداد ، عزالدين محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ٣ ج ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، د . ط ، ١٩٥٦م ، ج ٣ ، ص ٨١٠ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة .

(٣) الحموي ، معجم البلدان ،ج ١ ، ص ٥١٦ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٤) وكانت تسمى قلعة الروم وسميت بقلعة المسلمين عندما احتلها الأشرف خليل بن المنصور بن قلاوون من الأرمن (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م) ، الحموي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٩٠ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٥) تقع إلى الشمال من حلب ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٦ ، ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج٢ ، ص ٧٣ .

(٦) وهي قلعة تقع إلى الجهة الشمالية الغربية من حلب ، القلقشندي ،أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٥ج، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، د . ط، ١٩١٨م ، ج ٤ ، ص ١٢١ ، وسيشار إليه لاحقا : القلقشندي ، صبح الأعشى .ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٧) وهي قلعة شمال شرق حلب ، وهي من الثغور الإسلامية التي قاومت المغول ، ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، ص ٨٢٤ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٨) قلعة شمال حلب ، ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٨٢٥ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٧٥.

(٩) للمزيد عن أسماء جميع هذه الأعمال في ولاية طرابلس ، انظر ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٦ – ١٢١ .

(١٠) وهي قلعة حصينة تعرف باسم قلعة الحصن في جبل العلويين ، وهي من أعظم الآثار التي تدل على جمال وفن البناء العسكري في القرون الوسطى ، القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٤ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(١١) قلعة وسط جبل لبنان إلى الشرق من طرابلس ، القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(١٢) وهي قلعة تقع إلى جهة الشمال من طرابلس ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .

قلعة صهيون [١]) .

بينما اشتملت ولاية صفد [٢] على ثلاثة عشر عملاً [٣]، ومنها : (الناصرة [٤]، طبريا [٥] ، وعمل عكّا [٦]) .

وترأس كل ولاية من الولايات السابقة (الكافل[٧] ثم الوالي) ، وكانت الدولة العثمانية تحرص على أن يتسلّم هذا المنصب ولاة من الأتراك [٨] ، ويُعيّنون مباشرة من العاصمة اسطنبول [٩] ، ويتم التمييز بينه وبين غيره من أصحاب المناصب العليا في الدولة بعدد الأعلام أو الألوية المنسوجة من شعر ذيل الأحصنة وهي ما تُعرف باسم (الأطواغ) والتي

---

(١) شرق اللاذقية وأمطارها كثيرة ، القلقشندي ، صبح الأعشى،ج٤ ،ص ١٤٥، ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١١٧.

(٢) صفد هي مركز قضاء في لواء الجليل وهو اسم آرامي يعني الشدة والربط ، شراب ، معجم بلدان فلسطين ، ص ١٥٦ .

(٣) للمزيد من أسماء جميع هذه الأعمال في ولاية صفد ، انظر ابن كنان ، المصدر السابق ،ص١٢٥ – ١٣٥ . وللمزيد عن التقسيمات الإدارية في الشام انظر : بيات ، فاضل ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٥٢ – ٢٣٥،وسيشار إليه لاحقا : بيات ، الدولة العثمانية .

(٤) وهي على مقربة من طبريا ، وهي مولد السيد المسيح – عليه السلام – واشتقاق اسمها من لفظ النصارى ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ،ص ٢٥١ ، ابن كنان ، المصدر السابق ،ص ١٢٥ .

(٥) وهي من أعمال الأردن على مقربة من دمشق وبيت المقدس وفيها البحيرة ، الحموي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٧ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٦) بلدة على ساحل البحر المتوسط من سواحل الشام وبناها عبد الملك بن مروان ، الحموي ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢٢٣ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٧) الكافل : لفظة مملوكية تطلق على الحاكم الأعلى لمنطقة ما وتختص بنواب السلطنة ، وقد استخدمت منذ صدر الإسلام وهم من ينوبون عن الخلفاء في الأقاليم ، وتطور مدلولها في الدولة العثمانية حيث استخدم بدلا منها لقب الوالي أو الوزير أو الباشا ، الباشا ، حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ٣ ج ، الدار الفنية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، ج ٣ ، ص ١٣٠٩ ،وسيشار إليه : الباشا، الألقاب الإسلامية ، انظر : دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٢٨ ، وسيشار إليه لاحقا : دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية .

(٨) رافق ، عبد الكريم ، العرب والعثمانيون ١٥١٦- ١٩١٦م ، مكتبة أطلس ، دمشق ، ط ٢، ١٩٩٣م، ص ١٠٥ ، وسيشار إليه لاحقا : رافق ، العرب والعثمانيون .

(٩) إسلام بول هي عاصمة الدولة العثمانية ، وتعني مدينة السلام والإسلام ، وظهر هذا المصطلح لأول مرة على النقود المسكوكة في عهد السلطان أحمد الثالث ١٧٠٣- ١٧٣٠م ، جب وبون ، هاملتون وهارولد ، المجتمع الإسلامي والغرب وأثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي ،٢ ج ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، مصر ، ط ١، ١٩٨٩م ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، وسيشار إليه لاحقا : جب وبون ، المجتمع الإسلامي والغرب .

كانت تُرفع وتتقدّم موكبه ، فقد كان يتقدّم موكبه ثلاثة أطواغ ، في حين كان يتقدّم موكب السلطان تسعة أطواغ [١] ، كما أن الدولة كانت حريصة على اختيار ولاة أكْفياء قادرون على تسيير شؤون الولاية ماليا وسياسيا وإداريّا وأمنيّا ، فكانت شروط تعداد السكان ، وحجم الأنشطة الاقتصادية ، ومساحة الولاية ، شروطاً ضرورية في اختيار باشواتها ، فشكّلت كل من ولايتي دمشق ومصر ركائز أساسيّة في تدعيم قوة السلطنة ورفد خزينتها بالأموال المتحصّلة على وحداتها الإداريّة الخاضعة لها [٢] ، أمّا ما يختصّ بالمدّة الزمنية التي يستمر فيها نائب السلطان والياً ؛ فإنها لم تكن في البداية محددة بفترة معينة ، وربما يبقى في منصبه سنوات طويلة تنتهي بوفاته ، أو رغبته بالتخلي عنها طلباً للراحة ، إلاّ أن هذا الأمر طاله التعديل والتغيير ، فقد صارت المدّة مقيّدة بثلاث سنوات [٣] قبل أن تختزل إلى سنة واحدة ، وربما تتجدد توليته لسنة قادمة أو أكثر في حالات محددة تقدرها الدولة ، قد تزيد أو تنقص تبعاً لسيرة الوالي وقدرته على حفظ الأمن في ولايته ، وخصوصاً حفظ أمن وسلامة قوافل الحجيج من الأخطار التي تتعرض لها نتيجة هجمات البدو عليها وتعرضهم للحجيج بسوء [٤]، وقد أُسنِدت إلى والي الشام بدايةً من الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وظيفة إمارة الحجّ ، وحملَ لقب (أمير الحجّ [٥]) .

---

(١)جب و بون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، ج ١، ص ١٩٨

(٢) مانتران ، روبير ، تاريخ الدولة العثمانية ، ٢ ج، ترجمة بشير السباعي ، دار الفكر للدراسات والنشر ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٨٩م ، ج ١ ، ص ٥٣٠ ، وسيشار إليه لاحقا : مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية .

(٣) عماد ، عبد الغني ، السلطة في بلاد الشام ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ٥٩، وسيشار إليه : عماد ، السلطة في بلاد الشام .

(٤) ابن كنان ، محمد بن عيسى الصالحي (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) ، الحوادث اليومية من عام احدى عشر وألف وميه ، ٢ج، تحقيق أكرم حسن العلبي ، د . ن ، د . م ، د . ط، د . ت ، ، ج ١ ، ص ١٣٥ ، ٥٩ ، ١٥١ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن كنان ، الحوادث اليومية .

(٥) وهو لقب وظيفي وأول من تولى هذه المهمة هو الخليفة أبو بكر الصديق بتفويض من الرسول محمد - عليه السلام - في السنة التاسعة للهجرة ، وهي بذلك تعتبر واجب على كل من يتولى أمور المسلمين ، بركات ، مصطفى ، الألقاب والوظائف العثمانية ، دار غريب ، القاهرة ، د . ط ، ٢٠٠٠ م ، ص ١١٢ ، وسيشار إليه لاحقا : بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية . رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٠ .

وقد ارتبط بالوالي عدد من الموظفين الذين يساعدونه في تدبير أمور الولاية ، ومن هؤلاء (المتسلّم) ويعيّن من طرف الوالي ، وينوب عنه في فترة غيابه ، أو عند عزله ، أو أثناء خروجه لجمع الأموال الأميرية [١] التابعة للدولة من المناطق الخاضعة لحكمه عند بدء ما يسمى (الدورة [٢]) ، وقد يأتي مرسوم سلطاني بتثبيت المتسلّم وذلك في حالات محددة تقدّرها سيرة المتسلم مثل (موسى باشا [٣]) والذي كان خادماً عند سليمان باشا العظم قبل أن يصبح (كتخدا [٤]) عند أسعد باشا العظم ، وأيضا (حسين باشا ابن محمد المكي [٥]) ، ولم يكن ابن كنان مهتما كثيرا بذكر أسماء من ينوب عن ولاة دمشق من هؤلاء المتسلمين ، فهو يكتفي برصد تاريخ تسلمهم لمهامهم فقط [٦] .

---

(١) والأموال الأميريّة تأتي بمعنى الأمير بالعربية وهي اختصار للتعبير المالي المال الميري أي الضريبة ، وهو المفروض على الأرزاق والأعناق لحساب خزينة الدولة العثمانية وتقوم على العشر ، الصباغ ، ميخائيل نقولا ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد ، نشر وتعليق قسطنطين الباشا ، مطبعة القديس يوسف ، لبنان ، د . ط ، ١٩٣٥م ، ص ٥ .

(٢) دورة الحج : هي قيام الوالي بجولة في كل سنة على السناجق لجمع الأموال من الملتزمين التابعين لولايته ، وتسبق الحج بفترة ثلاث أشهر من شهر رجب حتى شهر شعبان ، والهدف منها تمويل قوافل الحج ، رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٢٠٢ .

(٣) انظر سيرة المتسلم موسى باشا عند الحلاق ، أحمد البديري (ت ١١٧٥هـ/١٧٦٢م) حوادث دمشق اليومية ١١٥٤- ١١٧٥هـ/١٧٤١- ١٧٦٢م ، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة، د . ط، د . ت ، ص١٧٤، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٩٤، وسيشار إليه لاحقا : الحلاق ، حوادث دمشق اليومية .

(٤) كلمة فارسية وتطلق على مَن ينوب عن الوالي ويقوم مقامه في تصريف أعمال الولاية ، صابان ، سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، د . ط ، ٢٠٠٠،ص ١٨٨، وسيشار إليه : صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية / دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٢٩.

(٥) انظر ترجمته عند المرادي ، محمد خليل بن علي (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ٤ج ، د . ن ، د . م ، د . ط ، د . ت ، ، ج ٢ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، وسيشار إليه لاحقا : المرادي ، سلك الدرر .

(٦)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١١٢ ، ١٢١، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٩٤ ، ٢٢٠، ٢٧٩.

كما ارتبط بولاية الشام موظفون آخرون حملوا اسم (الدفتردار) ويعتبر من كبار الموظفين المختصين بالشؤون والمعاملات المالية ، وكانت ولاية الشام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي تخضع من الناحية المالية لدفتردار الأناضول قبل أن تصبح في القرنيين التاليين وظيفة واحدة في كل ولاية من ولايات الامبراطورية باسم (دفتردار العرب والعجم) وذلك بعد دخول السلطان سليم الأول (١) بلاد الشام وإرساله للدفتردار بالاجتماع بالمحصلين فيها وتدقيق الحسابات المالية (٢) .

ووضعت الدولة للوالي معاونين يساعدونه بالقيام بوظيفته مثل (المحاسبجي) ويعني رئيس المحاسبات وهو على غرار الروزنامجي المسؤول عن الحسابات اليومية للولايات ، وقد ظهر اسم المحاسبجي بمعنى " مرامى محاسبه جي " ، وكان ممّن تسلّم هذه الوظيفة بدمشق (محمد الفلاقنسي ، و عبد المعطي الفلاقنسي) (٣) .

ولاعتماد السلطنة العثمانية في تدبير شؤون ولاياتها لولاة أو قضاة من أصل رومي لا يعرفون العربية ؛ فقد ظهرت الحاجة لإيجاد موظفين يتولون نقل الأخبار لهم ومساعدتهم في التواصل مع الناس ، وردم الهوّة بين الحكّام والمحكومين ، وكما يتولون ترجمة دعاوى وشكاوى الأهالي وقراءتها على أولي الأمر من أركان الدولة بالشام ، وهؤلاء هم (المترجمون) والذين يخضعون لسلطة من هو أعلى منهم مرتبة ويُطلق عليه اسم (باش ترجمان (٤)) .

---

(١)سليم بن أبي يزيد بن محمد بن مراد (ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م) ولقبه ياوز ، وأنهى دولة الجراكسة ، الغزي ، نجم الدين محمد (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م) ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، ٣ ج، نشر محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٧م ، ج ١ ، ص ٢٠٩ – ٢١٥ ، وسيشار إليه لاحقا : الغزي ، الكواكب السائرة .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ٣٨ ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ١٢٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ١٥ ج ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، ج ٩ ، ص ٢٥٠ ، وسيشار إليه لاحقا : دائرة المعارف الإسلامية .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ ، ١٧٢ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١، ص ١٦٤ ، دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٧٦ . انظر عبد الرحمن ، عبد الوهاب أحمد ، تاريخ العرب الحديث ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢، ٢٠٠١ ،ص ١٥ .

(٤) الغزي ، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٥ ، ابن كنان ،المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، صابان ، المرجع السابق ، ص٥٤ .

وتمثّل الولاية نظاما إداريّا قائما بذاته يرتبط بالسلطة المركزية في اسطنبول ، وتواجه حركات اصلاح وتعمير في مختلف جوانب الحياة من اقتصاد وسياسة وتعليم ، ممّا يتطلب من الوالي متابعتها ، فيجتمع الوالي مع كبار الموظفين كالمفتين والقضاة وقادة العسكر في مكان يُقال له (الدّيوان) ، وهو بمثابة مجلس استشاري يتباحثون فيه الأوضاع العامة التي تهمّ الولاية ، وقد لوحظ أن الدّيوان لا ينعقد بأوقات منظمة إلاّ عند الضرورة فقط ، فقد عمل أسعد باشا العظم ديواناً وجمع فيه الأكابر والأعيان من أجل تسعير الحنطة والخبز ، كما عمل ديواناً آخر وسّع فيه من صلاحيات القبجي من تعذيب وقتل وحبس لكل من يحاول إثارة الفتن وتعطيل الأسواق ، والتضييق على الناس بالغش والتلاعب بالأسعار ، ولا يحق لأحد معارضته (١) .

ومن أجل تسهيل مهمة القضاة فقد ارتبط عملهم بالمحاكم المزوّدة بموظفين يقوم القاضي بتعيينهم ، وهم مسؤولون أمامه عن أي تقصير قد يحدث ، ومن هؤلاء : (الكُتّاب ويترأسهم الباش كاتب (٢) ، والمترجمون لأن القضاة من العنصر التركي الذين لا يعرفون العربية ، والمحضر (٣) ، والنشانجي (٤) ، والقابجي (٥) ، والأولاق – البريد – وهم سُعاة الأخبار المُرسَلون مِن طرف الجهة الرسمية إلى جهة أخرى (٦) ، والموقّعون ويُشترط بهم أن يكون لديهم إلمام بآراء أصحاب المذاهب الأربعة (٧) .

أما سياسيّاً ؛ فقد ظهرت بالشام خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي حركات تمرّد قادها أمراء محليّون مثل فخر الدين المعني الثاني (ت ١٠٤٣هـ /

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٥٢ ، ٥٩، ٧٤ ، ١١٠ ، ١١١، ١٢٧ . ابن الصديق ، حسن (توفي بعد ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م) ، غرائب البدائع وعجائب الوقائع في ما وقع بين الثائرين وعثمان باشا والي الشام ، تحقيق يوسف نعيسة ، دار المعرفة ، دمشق ط١ ، ١٩٨٨م ، ص ٩٠، ٩١، ٩٢ ، رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٩٩ ، والقابجي هو البوّاب الذي يحرس باب الديوان ويستقبل القادمين إليه ، دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٢٠ .
(٢) وظيفة رسمية يحمل صاحبها اسم الناسخ وكبير الكتبة يسمى شيخ الكُتّاب ، الغزي ، الكواكب السائرة ،ج١، ص ٧١ ، ١٤٩ .
(٣) ويقصد به الذي يحضر المُشتكى عليه ، الغزي ، المصدر السابق ، ص ٢٠ ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ٢٠٤ .
(٤) هو الموقع الذي يضع ختم الحاكم على ما يصدر عنه من فرامانات ومنشورات ، وهم من أصحاب الأقلام من العلماء ، دهمان ، المرجع السابق ، ص ١٥١ .
(٥) وهو من يتولى مسؤولية متابعة السجون ، الغزي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٥ .
(٦) ن . م ، ج ١ ، ص ٢٠ ، صابان ، المرجع السابق ، ص ٤٤ .
(٧) ابن الحنبلي ، رضي الدين محمد (ت ٩٧١هـ/١٥٦٣م)،در الحبب في تاريخ أعيان حلب،٢ج، تحقيق محمود الفاخوري،وزارة الثقافة، دمشق ، د . ط ،١٩٧٢م،ج١،ص٣٨٥،وسيشارإليه :ابن الحنبلي، در الحبب

١٦٣٣م) [١] ، والذي أسّس جيشا يضم السكبان [٢] المرتزقة وأتباعه الدروز ، وكوّن إمارة مستقلة لا ترتبط بالدولة العثمانية غير الاسم فقط وذلك بالتعاون مع صديقه كيوان بن عبد الله الطاغية [٣] ، فوصل نفوذه بلاد البقاع بعد مقتل الأمير منصور بن فريخ [٤] ، ومن الأمراء الآخرين الذين شقوا عصا الطاعة للدولة العثمانية الأمير علي جنبلاط (ت ١٠٢٠هـ/١٦١١م) والذي ثار على الدولة انتقاما لمقتل عمّه حسين باشا والي حلب لتأخره باللحاق بالجيش العثماني عند قتالهم الدولة الصفوية وخسارتها بها ، ونتيجة للعصيان الذي أظهره الأمراء السابقون للدولة عمدت إلى تجهيز جيوشها لقتالهم فهربوا إلى خارج الشام فقد توجه الأمير فخر الدين إلى ايطاليا واستقر فيها سبع سنوات قبل أن يرجع إلى مركز السلطنة طالبا العفو من السلطان العثماني وهو ما كان قد سبقه إليه علي جنبلاط ، إلا أنهما قُتلا [٥] .
وقد استمرت الاصطدامات العسكرية مع الدروز وغيرهم من الأمراء والذين كانوا من وقت

---

(١) فخر الدين بن قرقماس بن معن الثاني وهو من أسرة عريقة ،تولى إمارة الشوف في لبنان خلفا لوالده ، المحبي ، محمد بن فضل الله (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م) ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٤ج ، تحقيق ليلى الصباغ ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ ، وسيشار إليه لاحقا : المحبي ، خلاصة الأثر .

(٢) السكبان : معناها (سك الكلب) وصاحبه الكلابي وهو الخادم للكلب وقت الصيد ، وهم من العسكر ووصفوا بالبطالة وفعل المنكرات ، وسلاحهم التفنك (البندقية) ، انظر البوريني ، الحسن بن محمد (ت ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م) ، تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، ٢ ج ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، د . ط ، ١٩٥٩ ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، وسيشار إليه لاحقا : البوريني ، تراجم الأعيان .

(٣) كيوان بن عبد الله البلوكباشي ، وكان ظالما يسلب الحقول والبساتين من أصحابها دون حق ، والدروز هي طائفة تنتمي إلى رجل من الأتراك يعرف بالدرزي ظهر زمن الحاكم بأمر الله العبيدي ، وقد أشار بعض شيوخ المذاهب الأربعة إلى تكفيرهم ، الغزي ، نجم الدين محمد (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م) ، لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ، ٢ ج ، تحقيق محمود الشيخ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، د . ط ، د . ت ، ج ٢، ص ٦٧١ ، ٦١٢- ٦١٨ ، وسيشار إليه لاحقا : الغزي ، لطف السمر ، المحبي ، المصدر السابق ، ج ٣ ،ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .وللمزيد عن سيرة كيوان بن عبد الله والأمير فخر الدين انظر البوريني ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ – ٢٧٩ .

(٤) منصور بن الفريخ البدوي (ت ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م) ، أمير البقاع بعد آل الحنش وتظاهر بقتل المناحيس والزعر وشن غارات كثيرة على الدروز ، الغزي ، المصدر السابق ، ص ٦٦٩ .

(٥) البوريني ، المصدر السابق ، ص ٢٨٨ – ٢٩٢ ، الغزي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١٥ ، ٤١٦ ، المحبي ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ – ١٣٩ ، الصفدي ، أحمد الخالدي (ت١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م) ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني ، نشره أسد رستم وفؤاد البستاني ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦٩م ، ص ٥ ، ١٤٩ ، وسيشار إليه لاحقا : الصفدي ، تاريخ الأمير فخر الدين ، وانظر أيضا : رافق ، العرب والعثمانيون ، ١٦١ ، ١٦٢ ، مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ، رافق، بلاد الشام ومصر ، د . ن ، د . م ، د . ط ، ١٩٦٨م ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وسيشار إليه لاحقا : رافق ، بلاد الشام ومصر .

لآخر يمتنعون عن دفع أموال الجزية لصالح الدولة العثمانية إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي [١] ، بالرغم من ميلها للهدوء بعدما حلت الأسرة الشهابية من أنسباء الأسرة المعنية وتشكيل الإمارة الشهابية في لبنان بعد سنة ١١١٨هـ/١٧٠٦م ، واستعانة الدولة العثمانية بهم لفرض هيبتها وبسط نفوذها على مناطق البقاع وجبل لبنان [٢]، ومع ذلك فإنه لم يأتِ أمير استطاع توسيع نفوذه على غرار فخر الدين المعني الثاني سوى شخص واحد وهو الأمير ظاهر بن عمر الزيداني (ت ١١٩٠هـ/١٧٧٦م) وكانت إمارته تشمل عكّا وطبريا كنوع من الالتزام يؤدي الأموال الأميرية للدولة متى طلبت ذلك ، إلاّ أنه بدأ يخرج عن طاعتها ويوسّع حدود نفوذه باستخدامه لأساليب القتل بحق مشايخ الفلاحين والتنكيل بالعرب الداعمين لسلطة الدولة أمثال : عرب الصقر [٣] ، ويبدو أن السلطنة باتت تعترف بقوته حيث اعترفت له بولاية صيدا، خاصة إذا ما علمنا طبيعة العلاقة التي كانت ترتبط بينه وبين الفرنسيين أصدقاء العثمانيين ، فقد كانت عكا غنية بالقطن وغلال القمح والحبوب الأخرى التي يتم تصدير جزء منها إلى فرنسا [٤] .

---

(١) انظر الأحداث عند ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٧٧ ، ١٨١، ١٨٢ ، ١٩٤، ٢١٠ ، ٣٣٥ ، انظر أيضا : الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٨ ، ٩٤، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) وتنسب الأسرة الشهابية إلى مالك الملقب بالشهاب من سلالة مرة بن كعب بن فهر الملقب قريشا ، وكان الأمير حسين بن بشير الشهابي الأول أميرا على الدروز من سنة ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م حتى وفاته سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦ م متأثرا بالسم الذي دبره له الأمير حيدر بن موسى الشهابي وهو الذي يرجع له الفضل في ترسيخ دعائم الإمارة ، الشهابي ، حيدر أحمد ، الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان ، ٣ ج ، نشر أسد رستم وفؤاد بستاني ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦٩م ، ج ١،ص ٣ ، وسيشار إليه لاحقا : الشهابي ، الغرر الحسان ، انظر ابن كنان ، المصدر السابق ،ص ١١٤ ، ١١٩ ، وانظر : ابن شدياق ، طنوس(ت ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م) ، أخبار الأعيان في جبل لبنان ، ٢ج ، نشر فؤاد أفرام البستاني ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ،د . ط ، ١٩٦٩م ، ج ١ ، ص ٤٧ ، ٣٥ ، ٣٧ ، وانظر أيضا : غانم ، رياض ، المقاطعات اللبنانية في ظل الأمير بشير الشهابي الثاني ونظام القائمقاميين ، بيسان للنشر ، بيروت ،ط١، ١٩٩٨م ، ص ١٧ ، ١٨.

(٣) عشيرة عرب الصقر يعود أصلها إلى السردية من عشائر حوران من أعقاب الصحابي المقداد ابن الأسود وهم أكبر القبائل البدوية في الجليل ، برهوم ، محمود ، خروب ، محمد ، قاموس القرى الفلسطينية ، ١٩ ج ، دار الكرمل للنشر ، عمّان ، د . ط ، ١٩٨٩م ، ج ٤ ، ص ١٣١ .

(٤) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ٢١ – ٢٦ ، ٤٢ – ٤٩ ، ٦٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠، ١٥٠ ،١٦٧ ، الصباغ ، عبود ، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر ، تحقيق محمد محافظة و عصام هزايمة ، دار الكندي للنشر ، الأردن ، إربد ، ط ١ ، ١٩٩٩، ص ٣٥ ،٣٧،٣٠ ، وسيشار إليه لاحقا : الصباغ ، الروض الزاهر .

وحاولت الدولة في أكثر من مرّة اللجوء إلى التصالح مع الأمير الزيداني [١] شريطة إعادة الأموال الأميرية المستحقة عليه ، وعندما فشلت في ذلك أرسلت حسن باشا قابودان أمير البحر التركي لحصار عكا وبالتنسيق مع أحد أتباع الأمير ظاهر واسمه أحمد أغا الدّنكزلي ، وبعد حصار طويل استسلم ظاهر العمر ، وخرج من حصاره راكباً جواده ، فسقط مغشيّاً عليه ثم قُطِع رأسه في سنة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م [٢] .

ثانيا : الأحوال الاقتصادية :

ترتبط الأحوال الاقتصادية بالشام بالزراعة والصناعة والتجارة ، بالإضافة إلى عناصر أخرى مثل : الأمطار ، وغنى التربة وخصوبتها ، وتوافر المواد الخام ، إضافة إلى جودة هوائها وتوافر المياه ، عدا عن الأسواق لتصريف البضائع ، فكان ذلك مدعاة لاهتمام السلطة بالشام [٣] ، وهو ما تحدده أحوال الناس المعيشية وسياسة الدولة المالية من سدّ النقص الذي قد يطال بعضا من المواد والسلع ، ودور الدولة في تسعير المنتجات من الحبوب والخضراوات واللحوم وغيرها ، وفي مراقبة الأسواق والتفتيش على الحوانيت والأفران ، وشكّلت الشام بيئة مناسبة لنمو النباتات والأشجار مثل القطن في حلب وعكّا واللاذقية ونابلس بالإضافة للحبوب كالقمح والشعير في البقاع [٤] وحوران [٥] ، وأشجار الزيتون والصنوبر والتين في جبال الكرك وعجلون ، عدا أيضا عن توافر الأزهار النادرة في غوطة دمشق والتي كانت من كثرة أشجارها وجمال أزهارها " كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على

---

(١) تنتمي الزيدانية إلى الشيخ صالح بن زيدان (ت١١٠٩هـ/١٦٩٨م) وهو من الفلاحين الذين سكنوا طبريا وكان ملتزما عليها من طرف أمير الدروز بشير الأول الشهابي ، الصباغ، الروض الزاهر ،ص٢٢،٢٣.

(٢) المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ١٦١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، الصباغ ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ – ١١١ .

(٣) كرد علي ، محمد ، خطط الشام ، ٦ج ، مكتبة النوري، دمشق ، ط٣، ١٩٨٣م ، ج٤، ص ١٨٩، وسيشار إليه لاحقا : كرد علي ، خطط الشام .

(٤) هي أرض واسعة بين بعلبك وحِمص ودمشق ومياهها غزيرة ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٧٠ .

(٥) كورة واسعة من أعمال دمشق وقصبتها بصرى وتشتمل على قرى ومزارع كثيرة ، ن م ، ج ٢، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

الأرض " [١] ، وتعتبر الغوطة من محاسن الشام ، فقد وصفها أبو بكر الخوارزمي [٢] بأنها جنة من جنان الدنيا [٣] .

وقد اتصل بالأرض وحراثتها حيوانات النقل والجر والحراثة والتي يُستفاد منها بالعمل الزراعي ومن لحومها ، ومنها (البقر) حيث كان يتعرّض لوباء يؤدي إلى نفوقه وبالتالي قلة أعدادها وانخفاض سعر لحومها ، مع قلة الطلب على شرائها خوفا من انتقال العدوى إليهم [٤] كما تأثرت المزروعات بآفات الجراد وفئران الحقل ، فكانت تلحق بالمزارعين خسائر طائلة لما ينتج عنها من تلف للمحاصيل ، فكانت السلطة القائمة بالشام تتبع طرقا معينة للتخفيف من تلك الآفات كالاستعانة بماء السمرمر ، وهو يُنسب للطائر الذي يرتوي من عيْن ماء في بلاد فارس وله قدرة على قتل الجراد [٥] .

واستعان ولاة دمشق لسد عجز المدينة من الحبوب على المناطق الشامية الأخرى ومنها سهول حوران وحماة ، حيث فرض أسعد العظم على الزعماء والتجار بأن يأتوا له من حماة بقمح ، وأن تكون أجرتهم منهم ، فساعد ذلك على التخفيف من غلاء سعره بدمشق[٦] .

---

(١)ابن إياس ، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٥ ج ، المطبعة الكبرى ببولاق ، مصر ، ط ١، ١٨٩٣م، ج ١، ص ٣٢ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن إياس ، بدائع الزهور.

(٢) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م) وكان كاتبا وشاعرا وله معرفة بالعلم والأنساب وسكن بالشام مدة من الزمن ، ابن خلكان ، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٦ ج ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٤٨م ، ج ٤، ص ٣٣ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن خلكان ، وفيات الأعيان / الصفدي ، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، ٢٩ ج ، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د .ط ، ٢٠٠٠م ، ج ٣ ، ص ١٩١، وسيشار إليه لاحقا : الصفدي ، الوافي بالوفيات .

(٣) القزويني ، آثار البلاد ، ص ١٨٩ . ، ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣٩٤ .

(٤) ابن الحمصي ، أحمد بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٤هـ/١٥٢٧م) ، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ، ٣ ج، تحقيق عبد العزيز حرفوش ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١، ٢٠٠٠م ، ج٣،ص ٤٧٧، وسيشار إليه لاحقا : ابن الحمصي ، حوادث الزمان ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ١٦٤.

(٥) ابن إياس ، المصدر السابق، ج ١، ص ٥ ، ٦ ، المحبي ، خلاصة الأثر ، ج١ ، ص ٢٣٢ ، الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٧٣ ، ٨١ .

(٦) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

وكانت أراضي الدولة العثمانية واستثمارها قد ارتبطت بنوعين من الاقطاعات : الأول ؛ يشتمل على الأراضي التي تُعطى للملتزم شريطة دفع مبلغ معلوم من المال ولمدة لا تزيد عن سنة واحدة ، والثاني ؛ يشمل اقطاعات الخاص [١] ، والزعامت [٢] ، والتيمار [٣] ، وكان للولاة حريّة التصرّف بالاقطاعات الكبيرة حتى عهد السلطان سليمان القانوني (٩٧٣هـ/١٥٦٦م) ، الذي جعلها حِكراً للسلطنة باستثناء الاقطاعات الصغيرة التي بقيت تحت تصرّف الولاة ، وكان من بين الأراضي ما تسمى (الأراضي العشريّة) والتي يدفع أصحابها للدولة عشُر وارداتها ، وفي حال وفاة صاحبها من غير وارث فإنها تتحوّل إلى أراضٍ أميريّة تابعة للدولة ، وتستثمرها في الأعمال العسكريّة ، فقد اقترنت بالجنود السباهية وعُرفت باسم (الأراضي التيمارية) وتوزّع عليهم شريطة استغلالها بالزراعة ، فيُصرف جزء من إيراداتها عليهم ، وجزء آخر على مَن يشتركون بالأعمال الحربيّة بعد تكليفهم من طرف الدولة ، ونتيجة لضعف السلطنة بعد القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ؛ صار التيماري السّباهيّ مالكاً للأرض الأميريّة ويحقّ له توريثها إلى أولاده من غير حاجة إلى العمل العسكري ، فأظهَرَ تمسّكه بالأرض أكثر من اهتمامه بالحرب ، ودَفَعَ مال البدل عِوضاً عن تلك المهمّة ، ويتمّ جمْع الضرائب المقدّرة على تلك الاقطاعات مِن قِبل الملتزمين ، وقد أنيطت مسؤوليّة جمعها من الملتزم إلى (المحصّل) وارتبطت هذه الوظيفة بولاة الشام منذ سنة ١١١٩هـ/١٧٠٨م ، وبعضهم حمَلَ اسمها مثل (عثمان باشا المحصّل [٤]) ، ويبدو أنّ نظام التيمار في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي أصابه الضعف ، فلم يعُد للسباهيّة دور كبير في الولايات العثمانية ، فلم تُشِر مصادر القرن شيئاً كثيراً عن أحوالهم ، خاصةً بعد أن زادت (الانكشاريّة والقابي قوُل) ، إلاَ أنّ هذا الاقطاع العسكري بقِيَ معمولاً به على قلّته حتى سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م عندما تمّ إزالة قوات الانكشارية والقابي قول ، وأُلغِيَ التيمار والزعامت نهائيّاً سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م فيما

---

(١) الاقطاعات الخاصة : وهي التي تتجاوز وارداتها عن مئة ألف أقجة ، وتكون تحت إشراف الطبقة العليا بالدولة ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ٧٥ .

(٢) الزعامت : الاقطاعات التي يقل وارداتها عن مئة ألف أقجة ، صابان ، المرجع السابق ، ص ٧٤.

(٣) التيمار : الاقطاعات التي لا تزيد وارداتها عن عشرين ألف أقجة ، صابان ،المرجع السابق،ص٧٥.

(٤) تولّى ولاية دمشق سنة ١١٥٢هـ/١٧٤٠م ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ،ج٢، ص٥٠٤، ٥٠٥،٥١٦ .

عُرف باسم " الواقعة الخيريّة " [١] .

وقد نشطت الحركة التجارية بين الشام وغيرها من المناطق ساعدها في ذلك توافر المواد الخام كالحرير في مدن صور [٢] وبيروت [٣] ، ومن أشهر المدن الشامية بالتجارة حلب ودمشق ، أما دمشق فهي كما نقله (كرد علي) عن أحد المستشرقين (ريسون) بأنها " مدينة الصناعة الجميلة ومركز تجارة شبه جزيرة العرب ومصر والشام ، وأن العرب رقّوا الصناعة البحرية ، ووضعوا قوانين لحقوف الملاحة واستعاروا بيت الإبرة من الصينيين ، وضبطوا التجارة بفنّ مسك الدفاتر وأنشأوا المصارف للفقراء ... وأصلحوا وأنشأوا الفنادق والرباطات ، ورتبوا سير القوافل الاقتصادية ، ولم تكن المدن الكبرى غير أوساط تجارية كبرى " [٤] ، حتى غدت دمشق بمثابة القوة التجارية التي لا يمكن للسلطة القائمة أن تستغني عن وارداتها [٥] .

وشُيّدت بالشام عددٌ من ودمشق الخانات والقيساريّات ذات البناء والطراز المعماري الجيّد ، الأمر الذي يعكس الواقع التجاري للشام عامة خاصة ، فبناؤها كان دليلاً على وجود تجار من خارج بلاد الشام كالإفرنج وغيرهم من الغرباء ، فقد تستخدم كمبانٍ تُحفظُ بها بضائعهم التي جلبوها معهم بقصد تصريفها في البلاد، بالرغم من المخاطر التي كانت تهدّد السلع كالتعدي عليها بالسرقة في بعض الأحيان ، إلاّ أن دمشق وكما وَسَمَتْها هند أبو الشعر بقيت عامرةً تستقطب التجار الإقليميين والأجانب ، ومؤهلةً لتأمين أماكن السكن والضيافات لهم ولغيرهم كالحُجّاج الذين يفِدون إليها بقصد تأدية المناسك للديار المقدسة و للتجارة

---

(١) الدوري، عبد العزيز،مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي،دار الطليعة، بيروت، ط١٩٧٨،٢م ،ص١١٥،١١٤، أبو الشعر ، هند غسان ، إربد وجوارها (ناحية بني عبيد) ١٨٥٠- ١٩٢٨م ، دائر المكتبة الوطنية ، عمّان ، د . ط، ١٩٩٥م ، ص ٢٧١- ٢٧٥ ، وللمزيد انظر : بيات ، الدولة العثمانية ، ص ٧٢- ٨٠ ، رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٤٢، ٩٩ ، ١٠٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ .

(٢) مدينة مشهورة على طرف بحر الشام ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢١٧ .

(٣) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ١، ص ٥٢٥ . وهي عاصمة دولة لبنان .

(٤) كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ .

(٥) السرحان ، خضر عيد ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في دمشق من خلال كتب الرحلات ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ، المفرق ، ٢٠٠٩م ، ص ١٢٢ .

في آنٍ واحد [١] ، فشكّلت الخانات والقيساريات أمكنة يلتقي بها التجار ويمارسون فيها مختلف فعالياتهم وأنشطتهم من البيع والشراء [٢] .

وخضعت الحركة التجارية داخل ولايات الشام لأسعار العملات ، والتي تغيّرت قيمة شرائها من وقت لآخر ، ممّا كان له أثره على أثمان السلع ، فضلا عن التغيير في المكاييل والأوزان [٣] ، وقد ارتبط بالأسعار كل من العملات التالية : (الدّرهم [٤] ، الأقجة [٥]

---

(١)أبو الشعر ، هند غسان ، مجتمع دمشق أواخر أيام الدولة المملوكية ، جامعة آل البيت ، المفرق ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٢م ، ص ٤٥ ، وسيشار إليه لاحقا : أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، انظر العلبي ، أكرم ، خطط دمشق لدور القرآن والحديث والمدارس ، دار الطباع ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، ص ٤٤٦ ، وسيشار إليه لاحقا : العلبي ، خطط دمشق .

(٢) مبيضين ، مهند ، مظاهر من الحياة الاقتصادية في دمشق وجوارها خلال القرن الثامن عشر ، مجلة المنار ، مجلد ١٤ ، العدد الثاني ، ٢٠٠٨م ، ص ٥٤ .

(٣) زيادة ، نقولا ، دمشق في عصر المماليك ، المكتبة الأهلية للنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص ١٦٧ .

(٤) وبلغ وزن الدرهم الدمشقي ٣،٠٨٦ غم ، بينما وصل درهم الكيل الحلبي في القرن التاسع عشر ٣،١٦٧غم ، هنتس ، فالتر ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ط ٢ ، ٢٠٠١م ، ص ١٣ ، وسيشار إليه : هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية .

(٥) وتعني النقد الأبيض ، وقد تنطق أقّة ، وهي قطعة صغيرة من الفضة واستخدمت لأول مرة سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م ، وتزن أربعة غرامات و٦١٨ ملغم ويبلغ عيارها ٩٠% ، ويوجد على وجهها الأول جملة الشهادة ، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان ، وتسمى أسبر ، الكرملي ، أنستاس ماري ، رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٠٦،٢٠٧، هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ١٩ .

و الأشرفية [١] ، الفلس [٢] ، القرش [٣] ، المصريّة [٤] ، الدينار [٥]) ، وقد لاحظنا في بعض المصادر التاريخية لفظة الكّيس ويبدو أنّه كان اصطلاحاً رمزيّاً يشير إلى الكيس ويحتوي على ٥٠٠ قرش ، وهي ما تُسمّى بالكيس الروميّة على عكس الكيس المصرية التي كانت تحتوي على ستمائة قرش ، والكيسة الديوانية التي تحتوي على أربعمائة وستة عشر قرشاً [٦] .

وارتبطت عمليات البيع والشراء في بلاد الشام بوحدات الوزن والمكاييل والتي اختلفت من زمن إلى آخر ، وظهر من تلك الوحدات كل من : (الرطل [٧] ، الأوقية [٨] ، والقنطار [٩]) .

---

(١) من النقود الفضية وتساوي خمسين أقجة واستخدمت في مصر سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م بعد ضمها للدولة العثمانية زمن السلطان سليم الأول ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ٣١ .

(٢) قطعة نحاسية كانت تُسكّ في مصر ، صابان ، المرجع السابق ، ص ١٦٧.

(٣) هي وحدة نقدية أخذها العثمانيون عن الأوروبيين ، واستخدمت في الدولة العثمانية في نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، وتعادل ثمانين أقجة ، ثم ارتفعت لتصل إلى مئة وعشرين أقجة في القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي ، وكانت مصنوعة من الذهب قبل أن تتحول إلى الفضة سنة ١١٤٧هـ /١٧٣٤م ، وتناقصت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لتعادل أقلّ من نصف درهم ، وكانت تساوي ٢٤ فلساً ، هريدي ، محمد عبد اللطيف ، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية ، دار الزهراء للنشر ،الرياض ، د. ط ، ١٩٨٩م ،ص ١٥٦ ، وسيشار إليه : هريدي ، شؤون الحرمين الشريفين . العلبي ، مقدّمة تحقيقه لكتاب الحوادث اليومية، ص ١٧ .

(٤) عملة أو نقود من النحاس ضربت بمصر ، وجمعها مصاري ، وكانت تُعرف بدمشق باسم دراهم ومنها البارة ، والقرش يساوي أربعين بارة ، دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٤٠ .

(٥) لفظة معربة عن اليونانية "ديناريوس" وهي ذهبية صكت في عهد الملك ابن مروان ٨٦هـ/٧٠٥م ، الخطيب ، مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د .ط ، ١٩٩٦م ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٦) هريدي ، المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، وسترد هذه العملات في سياق هذه الدراسة في الفصل الرابع.

(٧) وهو من أكثر وحدات الوزن شيوعا ويساوي بدمشق ١،٨٥ كغم ، هنتس ، المرجع السابق، ص ٣٠-٣٥ .

(٨) وتساوي ١ /١٢ من الرطل ، وتعادل بدمشق خمسين درهما ، المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٩) وهو أكبر وحدة للوزن ويساوي مئة رطل ، ويزن بدمشق ١٨٥ كغم ثم زاد في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي إلى ١٩٢،٤ كغم ، هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ٤٢ .

أمّا ووحدات الكّيل فأشهرها : (المُدّ ، وتُكال فيه الحبوب (١) ، الصّاع (٢)، الغِرارة (٣) ، الإردبّ (٤)) .

ثالثاً : الأحوال الاجتماعيّة (٥) :

كان لبعض الفئات السكانية التي سكنت دمشق حاراتها التي أصبحوا يُعرفون بها والتي استمرت إلى عصر الدولة العثمانية ، فقد كان للنصارى في دمشق حارة خاصة بهم وهي " باب توما " ، وكذلك بالنسبة لليهود ولهم حارتهم المسمّاة بحارة اليهود (٦) ، ومن الأمثلة على تلك الحارات (القصر (٧) ، شويكة (٨) ، السليماني (٩) ، حارة القط وأهلها من اليهود(١٠)) .

وقد سجّلت أعمال ابن كنّان اعتناق أفراد من النصارى للإسلام ، وكانت السلطة تعمل لأجلهم الأفراح ، ويُلبسون عليهم الخِلع ويُكرمونهم ، وعادةً ما يتم مراسم الحفل بالبلدات التي ينتمون إليها (١١) ، كما ظهرت في الشام على غِرار الأقاليم الإسلامية الأخرى الاحتفالات الدينيّة والاجتماعيّة ، وكان يُعمل لكلّ منها طقوس خاصة بها .

أمّا ما يختصّ بنظرة النّاس إلى العلماء فقد كانت تقوم على الاحترام والتقدير والطاعة ، وعلى وجه الخصوص مَن كان متولياً على الأوقاف ، مثل العلامة الشيخ حسن السكري الحلبي مدرس المدرسة البرهمية المتوفى سنة ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م (١٢) .

---

(١) ويبلغ في سوريا حوالي ٢،٨٤ كغم من القمح وهو ما يعادل باللتر ٦٧٣ ،٣ لترا ، هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ،ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) و يساوي بدمشق ٢٤٥، ٣ كغم من القمح ، المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٣) وتساوي الغِرارة بدمشق حوالي ٢٠٥كغم وهي ما تعادل ٢٦٥ لترا ، المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٤) ويزن بدمشق ٦، ٦٩ كغم من القمح و ٥٦ كغم من الشعير ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٥) وسيرد فصل كامل عن الأحوال الاجتماعية في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٦) أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٣٦ ، ٣٥ ، ١٤٩ .

(٧) ابن طوق ، شهاب الدين أحمد (ت ٩١٥هـ/١٥٠٩م) ، التعليق، ٤ج ، تحقيق جعفر المهاجر، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، د .ط ، ٢٠٠٠م ، ج١، ص ٣٦ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن طوق ، التعليق . ابن طولون ، شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٩٩٨م، ص ٣١ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن طولون، مفاكهة الخلان .

(٨) ابن طوق ، المصدر السابق ، ص ٤٨ ، ابن طولون ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٩) ابن طوق ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(١٠) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج٢ ، ص ٧٠ . وللمزيد عن هذه الحارات انظر الجدول رقم (٣) في هذه الدراسة صفحة ١٤١ .

(١١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(١٢) ن . م ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

ومن خلال دراسة كتب المصادر ؛ فإنّه يتبيّن أنّ جلّ العلماء الذين تولّوا المناصب العليا والمهمة في الولايات كالإفتاء أو نيابة القضاء أو العمل بالمدارس الشاميّة كمدرسين ، كانوا من الذين رحلوا إلى عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول ، وتميّزوا بإقامة علاقات وثيقة مع كبار رجالات الإمبراطورية هناك (١) ، أمثال : (الشيخ أبو المواهب العرضي ، والذي حاز على مناصب عديدة في العاصمة ، ودرّس في مدارسها الكبيرة (٢) ، والشيخ عمر بن عبد الحي الطرابلسي ، الذي نال ما أراد وتمنّى ، وسلك طريق الموالي بها ، وتقلد قضاء بلدته طرابلس (٣) .

- وسائل التسلية :

وفي أوقات الفراغ يلجأ الشاميّون إلى وسائل التسلية برفقة الأهالي أو الأقارب والأصدقاء ، ومنها الغناء والشعر ، وممارسة الألعاب كالفروسية والرمي بالرمح ولعب الشطرنج (٤) والنرد ، والدفّ ، وصيد الأسماك من الأنهار الكثيرة بالشام والتي أُستُخدمت فيها عصيّ البندق ، فضلاً عن اصطياد الحَمَام والإوَزّ (٥) ، ووجدت أماكن معينة يرتادها الناس لممارسة أنشطتهم ؛ مثل بيوت القهوة التي يحرص على التواجد فيها الشباب الذكور دون الإناث ، وقد تكون أماكن يلتقي بها كافة فئات المجتمع من الموصل وبغداد ومن الأكراد والأفغان والأتراك ، إلاّ أنّه في بعض الأوقات لا تخلو من وجود الزعر الذين قد يتسببون بوقوع المشاكل والخلافات بين الموجودين فيها ، أو بالتعدي على المارّة بجانب تلك الأماكن ، إلى درجة أنْ صارت القهاوي من الشبهات التي يحرص الخواصّ من الأهالي على عدم الجلوس فيها ، خوفاً على سمعتهم ومكانتهم ، فنجد بأنّه " لا يدخل تلك القهاوي مَن كان به أيّ شهامةٍ أو عقلٍ أو دين ، حيثُ إنّها مَجْمَع الأسافل والأرزال (٦) " ، فقد روى البديري الحلاق عن الشيخ إبراهيم الجباوي بأنه " بلغ جاهاً عظيماً مع تواضع كلّي بحيث يجلس

---

(١) عماد ، السلطة في بلاد الشام ، ص ١٧٦ .
(٢) المرادي ، سلك الدرر ، ج ١ ، ص ٦٩ .
(٣) ن م ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .
(٤) انظر معنى الشطرنج في الملحق رقم (٢) .

(٥) الغزي ،الكواكب السائرة ج ١ ، ص ٦٠ ، ٢٤٤ ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٦) القاسمي ، محمد سعيد (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) ، قاموس الصناعات الشاميّة ، ٢ ج ، تحقيق ظافر القاسمي ، دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ ، وسيشار إليه : القاسمي ، قاموس الصناعات الشاميّة .

بالقهاوي [1] ".

ومن آلات التسلية التي ظهرت بالشام ما يُسمّى " صندوق العجائب أو صندوق الدنيا "، وقد وصفه القاسمي في قاموسه بأنّه عبارة عن صندوق مستطيل الشكل مزخرف ، وبأحد وجوهه ثلاثة أو أربعة أثقاب مستديرة على حجم العَيْن ، وبطرفي الصندوق من الدّاخل لولبان ، وبكل طرف لولب ، تخرج رؤوسهما من أعلى الصندوق ، وملصوق بهما طرفاً من الورق القوي المليء بالصور المشكّلة ، وطولها عشرة أذرع بعرض الصندوق وتلتفّ على أحد اللولبين ، فإذا أدار اللولب الثاني يدور الأوّلُ ومن ثمّ تلتفّ تلك الصور على الثاني ، ومعظم مَن يستخدم هذه الوسيلة هم من الأطفال وقليل من الكبار مقابل أجر يُدفع لصاحبها [2] ، ويبدو أنّ هذا الصندوق دخل إلى دمشق منذ العقد الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، وهو ما ذكره محمّد بن كنان في سنة ١١١٧هـ/ ١٧٠٥ ، وفيه يقول : " جاء من بلاد حلب صندوق فيه صُوَرُ البلدان مثل أدرنة [3] وإسلام بول ودمشق وحلب وغير ذلك ، وفي وجه الصندوق مرآةٌ تُنظرُ فيها تلك الأشكال ؛ فَتُرى مثل الحقيقة ، وإنما هي نقوش ، والمرآة تقوّي البصر في المرئيّ ، وفيه صُوَر بلاد النصارى والكنائس والأنهار والبحور والجبال " [4] .

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٩٣ .

(٢) القاسمي ، قاموس الصناعات الشامية ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٣) أدرنه من مدن تركيا بينها وبين القسطنطينية ثماني مراحل وهي ذات أسوار وبها قلعة حصينة وهي مشتى للسلاطين العثمانيين ، فتحها السلطان مراد خان ابن أورخان (٧٦١هـ/١٣٦١م)وجعلها دارا للسلطنة ، القرماني ،أحمد بن يوسف الدمشقي (ت١٠١٩هـ/١٦٧٧م)، أخبار الدول وآثار الأوَل، ٣ ج ، تحقيق فهمي سعد و أحمد حطيط ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

(٤) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٩٧ .

الفصل الثّاني

(محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي الدّمشقي الحنبلي)

* والده الشّيخ عيسى بن محمود بن كنّان (شيوخه ، تلامذته ، وفاته)...

* محمّد بن عيسى بن محمود بن كنّان ....

- ولادته ، اسمه ، نسبه ...

- نشأته وحياته ...

- ثقافته ...

- شيوخه...

- تلامذته ...

- حياته الاجتماعيّة ...

- مؤلّفاته ...

- وفاته ...

- منهجيّة محمّد بن كنّان في كتابة التاريخ ...

• الفصل الثاني :

(محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي الدّمشقي) :

عاش محمّد بن كنان تسعة وسبعين عاماً ، من سنة ١٠٧٤ هـ - ١١٥٣ هـ / ١٦٦٣م – ١٧٤٠ م ، في ظل حُكم الدولة العثمانية ،فشكّلت مؤلفاته مرآةً واضحةً للحياة الدمشقية بمختلف مراحلها ،وأعطتنا هذه الآثارُ وغيرها ، فكرة جيّدة عن طبيعة الحياة السياسية للسلطنة العثمانية ، بالإضافة للأحوال الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية والدينية التي انعكست على طبيعة الظروف في الولايات العربية التي حكمتها ، لا سيّما الشام عامةً ودمشق على وجه الخصوص في الربع الأخير مِن القرن الحّادي عشر الهجري / السّابع عشر الميلادي ، والثلث الأوّل من القرن الثّاني عشر الهجري / الثّامن عشر الميلادي ، والتي سأتناول دراستها بالتفصيل في سياق هذا البحث .[١]

***أسرته :**

- عيسى بن كنان الصّالحي(ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م) :

عيسى بن محمود بن محمد بن محمد بن كنان الحنبلي الصالحي الدمشقي الخلوتي [٢]، وهو من مواليد الصالحية في غوطة دمشق سنة ١٠٤٢هـ / ١٦٣٢م ، وقد كان من نعمة الله تعالى عليه أن حَفِظ له في ذاكرته وعقله ، حيث تمكّن من حفظ كلام الله تعالى وهو في العقد الأول من عُمُره ، وقيل في سنّ السّابعة ، ولما بلغ سن العاشرة صَحِب والده الشيخ محمود بن محمد في أكثر من مناسبة إلى مصر ، وتتلمذ هناك على مشايخ وعلماء وصلحاء [٣] ، وحجّ إلى بيت الله الحرام مرات عديدة ، وقد صحبته في احدى زياراته للحجاز وتأدية مناسك الحج زوجته (حليمة بنت محمّد بن قرندس) وذلك في سنة ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م ، ويبدو أنها لم تكن والدة محمّد بن كنان ، بدليل عند ترجمته لها قال عنها : " زوجة الوالد " والتي توفيت يوم السبت في اليوم الثامن من شهر رمضان المبارك من سنة ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م[٤] .

---

(١)عصر محمّد بن كنّان ستشير إليه هذه الدّراسة من الفصل الثاني حتى الخامس والأخير .

(٢) وللمزيد عن الطريقة الخلوتيّة بدمشق انظر صفحة ٢٧٦ من الدراسة .

(٣) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٤)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

وكان مُفرد زمانه وناسك وقته وأوانه [١] ، وزاهداً في الدنيا ، وقنوعاً بما قسَمه الله له ، وكان حَسَن القراءة ، فصيحَ اللسان ، جميلَ السّيرة ، لطيفاً ، ولقي إعجاباً واستحساناً من مشايخه [٢] ، وكان كثير الذّكر والتعبّد ويُداوم على الصّيام وقيام الليل، ويحاول أن يغرس تلك الفضائل في نفوس تلامذته ، ويلقيها عليهم [٣] ، وكان يستعين ببعض الخَدَم من أجل راحته ومن هؤلاء " حسين بن شعبان " الذي توفي نتيجة مرض القولنج والذي لم يمهله لأكثر من عدة ساعات ، وكانت وفاته عصر السبت في اليوم الأول من رمضان المبارك من سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠م [٤] .

***شيوخه :**

نهَل الشيخُ عيسى الخلوتي عن عدد من الشيوخ والعلماء سواء في الشام أو في مصر ، ومن هؤلاء العلماء :

أولاً : محمد العباسي الخلوتي : وهو محمد بن عمر العباسي الخلوتي الدمشقي الصالحي الحنبلي ،ويُنسب إلى العباس بن عبد الطلب عم النبي محمد عليه الصلاة والسلام ،ومما قيل فيه ومن كراماته أنه خرج مع أهل دمشق في صلاة الاستسقاء عندما حُبس الغيثُ فترة من الزمن ، بعد أن أمَره نائب الشام بالخروج معهم ، فكان المطرُ مدة ثلاثة أيام متتالية ، وذلك في سنة ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م ، وتوفي سنة ١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م ، ودُفن في مقبرة باب الفراديس ، وقبرُه من المَزارات التي يتبرّك بها الناس [٥] ، وقد ورَدَ ذكرَه كثيراً في يوميات ابن كنان وأطلق عليه لقب " غوث زمانه " [٦] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .

(٢) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٦ .

(٤) ن م ، ص ١٦٥ .

(٥)المحبي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

(٦) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ .

ثانياً : الشيخ محمد القطان : وهو شافعيّ المذهب ، خلوتيّ الطريقة ، له علمٌ بالفقه والنحو ، وأخذ عن الشيخ الشمس بن بلبان ، وتوفي بالصالحية في اليوم الثالث من شهر جمادى الثانية من سنة ١١١٣هـ / ١٧٠١م (١) ، ويُعتقد أنه نفسه الذي قصَده المحبي ّصاحبُ الخلاصة عندما سمّاه باسم " محمد الخلوتي " عند ترجمته للشيخ عيسى بن كنان (٢) .

ثالثاً: نور الدين الشبراملسي : وهو علي بن علي أبو الضياء نورالدين الشبراملسي الشافعي القاهري ، وُلد في قرية بمصر تسمى" شبراملس " من سنة ٩٩٧هـ / ١٥٨٨م ، كثير الدوام على قراءة القرآن الكريم والصلاة والعبادة ، ويعتبر جبلا من جبال العلم ، وله من التصانيف الكتب العديدة مثل : حاشية على المواهب اللدنيّة للقسطلاني وهي من خمسة مجلدات ، وحاشية على الشمائل وهي باسم " حواش على متن الشمائل وشرحها لابن حجر المكي " ، وحاشية على نهاية المحتاج في فقه الشافعية ، حاشية على شرح الورقات الصغير لابن قاسم ، وحاشية على شرح الجزرية للقاضي زكريا ، وقد مرض بالجدري والذي بسببه فقد بصرَه وهو في سن الثلاث والستين ، وقد توفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس في الثامن عشر من شهر شوال من سنة ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م ، وصُلي عليه بجامع الأزهر ، (٣) وكان ممّن أخذ من علمه الشيخُ " أبو المواهب الحنبلي " المتوفى سنة ١١٢٦ هـ / ١٧١٤م (٤) .

رابعاً: الشمس ابن بلبان الصالحي الحنبلي (٥) :

محمد بن بدر الدين بن بلبان البعلي الدمشقي الصالحي الحنبلي ، له معرفةٌ بالفقه والحديث والمذاهب الأربعة ، أخذ عن : الشّهاب العيثاوي ، الشمس الميداني " ، وآلت إليه رئاسة العلم بالصالحية ، تولّى الخطابة في الجامع المظفري " جامع الحنابلة " (٦)، وكانت وفاته في

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢)المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٣)ن م ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .

(٦) انظر معنى الجامع المظفري في الجدول رقم (١٩) صفحة ١٧٨ .

الصالحية في سنة ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢م ، ودُفن بسفح جبل قاسيون .(١)

خامساً: عبد الباقي الحنبلي (٢) :

عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن إبراهيم بن عمر البعلي ، وُلد في بعلبك ليلة السبت في الثامن عشر من شهر ربيع الثاني من سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٧م ، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنوات ، وقد حصل على إجازة في التدريس والإفتاء في دمشق سنة ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م ، وكان فقيهاً ومُقرئاً بارعاً ، وله من المؤلفات " شرح على الجامع الصحيح للبخاري ، اقتطاف الثمر في موافقات عمر ، عقد الفرائد في نظم من الفوائد ، فيض الرزاق في تهذيب الأخلاق " وتوفي ليلة الثلاثاء في السابع عشر من شهر ذي الحجة من سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م ، (٣) ودُفن في دمشق (٤) .

سادساً: مرعي البهوتي الغزّي (٥).

سابعاً : أحمد الشوبري :

وهو أحمد بن أحمد الخطيب الشوبري المصري ، وهو فقيه من أتباع المذهب الحنفي ، عالماً بالفقه والحديث والنحو ، مُعتقداً للصوفيّة ، كثيرَ الخِشية والبكاء من الله تعالى ، مِن أصحاب الأحوال والكرامات ، وكانت وفاتُه سنة ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥م ، وكانت جنازته عظيمة ، حضرها العلماءُ والحكّام والأمراء ، ودُفن في قريته ومسقط رأسه " الشوبرى " في مصر.(٦)

---

(١) المحبي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٠١ ، و جبل قاسيون : جبل مقدّس يشرف على دمشق وفيه كهوف ومغر وآثار للأنبياء والصالحين ، وتوجد به مغارة " الدم " وفيها يقال أن قابيل قتل أخيه هابيل هناك - وفي الجبل أيضا مغارة " الجوع " ، الحموي ،معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦، وللمزيد عن جبل قاسيون انظر ابن كنان ،محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ/١٧٤٠م) ، المروج السندسية الفيحية في تلخيص تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد دهمان ، مطبعة مديرية الآثار القديمة ، دمشق ، د.ط،١٩٤٧،ص١٨-٢٦. وسيشار إليه لاحقا : ابن كنان ، المروج السندسية .

(٢) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٥٠١ .

(٣)تقي الدين ، عبد الباقي بن عبد الباقي البعلي الدمشقي (ت ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م) ، العين والأثر في عقائد أهل الأثر ، تحقيق : عصام رواس قلعجي ، دار المأمون للتراث ، د م ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص ١٤،١٦، ٢٢

(٤)الزركلي ،خير الدين بن محمود ، الأعلام ،٨ ج ، دار العلم للملايين ،دمشق ،ط١٥، ٢٠٠٢،ج ٣ ، ص ٢٧٢. وسيشار إليه لاحقا : الزركلي ، الأعلام .

(٥)المحبي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ ، وقد ذكره المحبي اسماً فقط في ترجمته لعيسى بن كنان.

(٦)ن م ، ج٢ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

ثامناً : الشيخ سلطان [1] :

فقد ذكرَه محمد بن كنان في يوميّاته دون الإشارة إلى بقية اسمه أو حتى كنيته ، وكذلك فعل المُحبي في ترجمته لـ عيسى بن كنان [2] ، ولكن على الأرجح أن يكون سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المصري الأزهري الشافعي ، المولود في سنة ٩٨٥ هـ/ ١٥٧٥م ، وهو عابدٌ وزاهدٌ وناسكٌ كثيرُ الصّوم ، يقوم الليل من أوّله حتى طلوع الفجر ، من علماء الأزهر ، اشتغل بالعلوم العقلية وتعلّمها على ما لا يقل عن ثلاثين شيخا ، وحصل على إجازة بالإفتاء والتدريس سنة ١٠٠٨ هـ / ١٦٠٠م ، وتوفي في سنة ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤م [3]

تاسعاً : الشيخ منصور المحلى [4] :

وقد يكون نفسه الذي وردت ترجمتُه عند صاحب خلاصة الأثر [5] وهو منصور بن علي المحلى نزيل مصر ثم القدس ثم دمشق وهو شافعي المذهب ، زاهداً عابداً ، وقد أحبّه الناسُ في دمشق وحضروا دروسَه في جامع الصّابونيّة [6] ، وكثرَ زوّاره ، وبلغ ممّن حَفِظ كلام الله على يديْه ما لا يقلّ عن أربعمائة حافظ ، وكثيراً ما كان يأتيه الحكامُ ومعهم الأطعمة النفيسة لطلب الدعاء ، وحجّ إلى بيت الله الحرام سنة ١٠٦٥هـ / ١٦٥٤م ، وسكن المدينة المنورة مُدة سنة كاملة ، حتى وافته المنيةُ في اليوم الحادي عشر من رمضان من سنة ١٠٦٦هـ / ١٦٥٥م .

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ،ج ٢ ، ص ٥٠١ .

(٢)المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٣)ن م ، ج ٢ ، ٢١٠ .

(٤) ن م ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٥)ن م ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(٦)وهي من انشاء أحمد الشهابي القضائي ابن علم الدين بن محمد البكري الدمشقي الصابوني ، وكان تأسيسها سنة ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م ، وهي دار قرآن وجامع ، النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي(ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م) ، الدارس في تاريخ المدارس ،٢ ج ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، د . م ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ج ١ ، ص ١١ ،وسيشار إليه لاحقا : النعيمي ، الدارس . كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٧١ .

* تلاميذ الشيخ عيسى بن كنان الخلوتي :

حرص كثير من الناس على الاستفادة من علم الشيخ عيسى بن كنان نظرا لتنوع شيوخه وتعدد مذاهبهم ، وتوسع معارفه وثقافته ، واتخاذه للطريقة الصوفية الخلوتية ، ومنهم :

أولاً : أبو بكر الطعّام [١] : وقد اشتغل بالتعبد والأوراد ، يقوم الليل ، ويكثر من التهجد ، حجّ إلى بيت الله الحرام ثلاث مرات ، وكان مدّرساً بالمدرسة الحاجبية [٢] ، وتوفي في شهر شعبان من سنة ١١١١ هـ / ١٦٩٩م ، وكانت جنازته من الجامع المظفري ، ودُفن في سفح قاسيون .

ثانياً : يوسف أفندي الحنفي الدمشقي : أخذ الطريقةَ الخلوتيةَ عن عيسى بن كنان بعد وفاة الشيخ محمد العباسي الخلوتي المتوفى سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م ، أقام في بلاد الروم مدّة من الزمن وقد تولّى قضاء بير الأغراض " بلغراد " ، وقضاء قبرص [٣] ، وقد كانت وفاته يوم الاثنين في اليوم العشرين من شهر صفر من سنة ١١١٢هـ / ١٧٠٠م [٤] .

ثالثاً: عبد المحسن أفندي الخلوتي : وقد كان مواظباً على قيام الليل ، أخذ من شيخه عيسى بن كنان التهاليلَ والأذكار والأورادَ ، وتوفي يوم الأربعاء في الثالث عشر من شهر جمادى الثانية من سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧م ، وكانت جنازته من الجامع الأموي في دمشق [٥] .

رابعاً: الشيخ عبد الوهاب القباني : وهو الشيخ عبد الوهاب ابن العلامة أبو السعود ابن تاج الدين القباني أصابه مرضٌ ولازمه مُدة ثمانية أشهر إلى أن مات في شعبان من سنة ١١٢١ هـ / ١٧٠٩م ، ودفن في مقبرة الدحداح عند والده ، دون أن يكون له عقب [٦] .

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٢)وهي مدرسة مقابل المدرسة العمرية بالصالحية ، على مقربة من مرقد الشيخ عبد الغني النابلسي ، أنشأها الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك الإينالي سنة ٨٦٥هـ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٨٩ ،٩٠ .

(٣)المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٤)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) ن م ، ص ١٣٠ .

(٦) ن م ، ص ١٥٥ .

خامساً: حسن بن مرجان البقاعي الدمشقي الطباخ الخلوتي ، وكان رجلاً صالحاً، ورعاً، زاهداً [١] ،وأخذ الطريقة الخلوتية عن الحسيني الخلوتي ، وتوفي عصرَ الخميس في اليوم الثامن من شهر ربيع الثاني من سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م [٢] .

سادساً: محمد بن حجيج الشافعي الدمشقي الخلوتي : عابداً، صالحاً ، ناسكاً، أخذ الطريقة بدايةً عن والده ، وله أخٌ يتبع الطريقة الخلوتية اسمه " عبد الرحيم " [٣] ، ثم أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ أحمد البرزالي الخلوتي ، ودرّس في زاوية عمر جلبي السفرجلاني ، وجعل عليها أوقافا ومبرّات ، وتوفي يوم الخميس في الثالث عشر من شهر ربيع الثاني من سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢م [٤].

سابعاً : الحاج بكري بن الشيخ محمد كباتيله الخواجا [٥] : عابداً ، ديّناً، محباً للعلم ، صاحب ثروة ومال ، وكثيراً ما كان يقدّر العلماءَ ويُوصي لهم بالمبرّات والخيرات ، ومما قيل عنه أنه كان ميّالا لاستفكاك حبس من وقع في السجن ويخصص لذلك مبالغ من المال تصِل إلى ثلاثمائة قرش ، وكانت وفاته آخر أيام التشريق من سنة ١١٢٦ هـ / ١٧١٤م .

ثامناً: الشيخ عبد الرحيم السمّان : عبد الرحيم بن حسن السمان الصالحي ، متعبداً وناسكاً كثيرَ الصّيام والذكر والعبادة ويحبّ الاستماع للحديث ، توفي السبت في اليوم السادس من جمادى الثانية من سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥م [٦] .

تاسعاً : عبد الكريم بن رجب الميداني الخلوتي [٧] : وكان له تعلّق كبير بالأولياء والصالحين ، ويحب زيارتهم سواء كانوا أحياء أو أموات ، وله رحلات إلى العراق وحلب ، وحجّ في أكثر من مرّة إلى بيت الله الحرام ، وتوفي في شهر محرم الحرام من سنة ١١٢٨هـ / ١٧١٥م ، وقد دُفن في " العلا " .

---

(١)المرادي ، سلك الدّرر ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٢)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٣)المرادي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩ .

(٤)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٥) ن م ، ص ٢٢٨ ، انظر معنى لفظ (الخواجا) في الملحق رقم (٢) .

(٦) ن م ، ص ٢٣٦ .

(٧) ن م ، ص ٢٤٨ .

عاشراً : الخواجا عبد الوهاب بن محمد الحموي (١) :كان شيخاً باحثا وعاقلا وحليما وفقيها ، له ثروة طائلة ، صاحب تجارة ، وتوفي قبل أن تكتمل داره التي شرع ببنائها إلى الغرب من حمّام الركاب بدمشق ، وكانت وفاته الجمعة في اليوم الثاني عشر من شعبان من سنة ١١٣١ هـ / ١٧١٨ م .

الحادي عشر : الشيخ عبد الوهاب بن المهوّش :حافظا للقرآن الكريم ، أخذ عن الشيخ بلبان الصالحي ، ثم عن الشيخ عيسى ابن كنان ، وذهب لبلاد الروم لأكثر من مرّة ، وتوفي في الخامس عشر من شهر شعبان من سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٨م (٢) .

الثاني عشر : صادق آغا ابن أحمد آغا ابن محمد باشا الناشفي (٣) : كثيرُ التهجد والقيام ، يصوم يومين في الأسبوع الاثنين والخميس ، له هيبة ومهابة ووجاهة ، حليماً أديبا ، وكان في بلاد الروم عند حدوث غزوة البيتش (٤) ، وحجّ في مناسبات عديدة ، وهو حنفي المذهب ، ومن أعيان الجُند في دمشق ، وكان جدّه محمد باشا من الصدور الكبار والرؤساء المشاهير، وقد تولى الجزية بدمشق وغيرها ، وكان منزله قريبا من المدرسة القجماسية (٥) ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الثانية من سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م ، ودفن بتربة جدّه محمد باشا بدمشق (٦) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٣) ن م ، ص ٤٢٨ .

(٤)هي معركة جرت أحداثها سنة ١١٠٣هـ /١٦٩١م بين العثمانين بقيادة الصدر الأعظم مصطفى باشا ضد دول الشمال مثل ألمانيا وأستريا في بلغراد ، واستشهد فيها الصدر الأعظم ، حليم ،ابراهيم بك ، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليّة ، مطبعة ديزان عموم الأوقاف ،د . م ، ط ١، ١٩٠٥م ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٥) هي مدرسة حنفية أنشأها نائب الشام قجماس الإسحاقي الجركسي المتوفى سنة ٨٩٢ هـ ، وكان أول من درّس بها شمس الدين أبو تراب محمد الإمامي ، النعيمي ، الدارس ، ج١ ،ص٤٣٢ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص٩٣ / بدران ، عبدالقادر احمد (ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥م، ص ١٩٢ ، وسيشار إليه : بدران ، منادمة الأطلال .

(٦) المرادي ، سلك الدرر ، ج٢ ، ص ١٩٩، ٢٠٠ .

الثالث عشر : أحمد بن نصري الحسيني الخلوتي [1] صاحب الثروة والمال ، وتوفي في شهر شعبان من سنة ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤م .

الرّابع عشر: مصطفى بن عمر الخلوتي [2] : وكان صالحاً زاهدا ، وتوفي الخميس في السادس عشر من شهر ذي القعدة من سنة ١١٤٨ هـ / ١٧٣٥م ، ودفن في سفح قاسيون بالصالحية ، وكانت جنازته من الجامع الأموي .

الخامس عشر : فيض الله أفندي ، مفتي طرابلس الشام [3].

السّادس عشر : أحمد النخلي [4] : أبو محمد شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن علي الصوفي النقشبندي الشافعي ، ولد سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م في مكة المكرمة ، ونشأ بها ، ومن مشايخه منصور الطوخي ، والشهاب أحمد البشبيشي ، وعيسى بن محمد الثعالبي ، وأخذ الطريقة النقشبندية ، وتوفي في مكة أوائل سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٧م [5] .

السّابع عشر : أبو القّاسم المغربي [6] .

الثامن عشر : الشّيخ صالح المدني [7] .

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ .

(٢) ن م ، ص ٤٧٥ .

(٣) ن م ، ص ٥٠٢ .

(٤) ن م ، ص ٥٠٢ .

(٥) المرادي ، سلك الدرر، ج ٢ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٦)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ .

(٧) ن م ، ص ٥٠٢ .

***وفاة الشّيخ عيسى بن محمود بن كنّان :**

تُوفِيَ بالصّالحيّة ، وكان قد أوْصَى أنْ يُدفَنَ إلى جانب شيخِهِ محمّد بن عمر العبّاسي الخلوتي بمقبرة الفراديس ، وكانت جنازتُه حافلةً ، وتأسّف النّاسُ وحَزنوا على فِراقه (١)، وكانت وفاته يوم الأحد مِن شهر ذي القعدة سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م (٢) .

وقد تبيّن لنا من دراسة سيرة عيسى بن محمود بن كنّان الصالحي ما يأتي :

أولاً : التزامه بالطريقة الخلوتية التي تقوم على التعبد والصيام وقيام الليل ، وغلبت عليه القناعة بما هو قليل في أمور الدنيا ، حتى وصف بالناسك .

ثانيا : أخذ العلم عن شيوخ ينتمي بعضهم إلى الطريقة الصوفية ، واختلفت مذاهبهم ما بين الحنبلية والحنفية والشافعية ، وجلهم كانوا من مصر الذين جاؤوا إلى الشام للتدريس بمدارسها وجوامعها ، الأمر الذي يدلل على أهمية دمشق .

ثالثا : عند قراءتنا لأسماء تلاميذه ؛ نجد بعضهم ليسوا دمشقيين ، وهم خليط بين الأروام (الأتراك) ومن بلاد فارس ، واقترنت بألقاب : الأفندي ، والخواجا ، والنقشبندي ، بالإضافة إلى تعدد مذاهبهم ، رغم أن عيسى بن كنان حنبليا .

رابعا : أنّ هذه البيئة الفكرية في دمشق سيكون لها تأثير كبير على شخصية محمّد بن عيسى الذي ورث الخلوتية عن والده ، وصار له تلاميذ ، فكان نتيجة لذلك من الأعلام البارزين .

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ .

*محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي(١١٥٣هـ/١٧٤٠م)ولادته،اسمُه ونسبه:

هو محمّد بن عيسى بن محمود بن محمّد بن محمّد بن كنّان الحنبلي الصالحي الدمشقي الخلوتي [١] ، وُلد في حيّ الصالحية بدمشق سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م .

أما سبب تسميته بـ الحنبلي فيعود ذلك إلى أبيه من أتباع مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -[٢] ،وعلى الرغم من أن محمّد بن كنان من (الحنابلة) ، والذين كان يُعرف عنهم الشدّة والتعصّب لمذهبهم [٣] ، إلاّ أنه وردت عبارةٌ لابن كنان في عنوان كتابه "المواكب الإسلاميّة" تُشير إلى أنه اتّبع المذهب الحنفي ، وهي عند قوله في نسبة كتابه هذا إليه :" لفقير عفوه ورضوانه محمّد بن زين البقاء عيسى بن كنان الصالحي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وأجراه على عوائد برّه الحفيّ آمين " ، وقد يكون السبب أيضاً هو رغبته في التدريس بالمدرسة الخديجية المرشدية الحنفية ، وقد يكون السبب الأرجحُ في اتّباعه للمذهب الحنفي التقرّب من الدولة العثمانية الحنفية المذهب ، طمعاً بتولّي المناصب الدينيّة الكبيرة ، وخاصةً إذا ما علمنا أنّ موضوع التحوّل والانتقال مِن مذْهبٍ إلى آخر ؛ كان دارجاً إبّان عصر الدّولة العثمانيّة ، وهناك أمثلة كثيرة على مشايخ تنقّلوا إلى أكثر من مذهب واحد مِثل : محمّد بن أحمد الأسطواني (ت١٠٧٢هـ/١٦٦١م) ، حيث كان في بادئ أمرِهِ حنبليّاً ثم انتقل إلى الشافعيّة قبل أنْ يتحنّف ، ويتقلّد منصب الإمامة في جامع السلطان أحمد في العاصمة

---

(١) المرادي ، سلك الدرر ، ج٤ ، ص ٨٥ .

(٢)أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م ،وطلب العلم وهو ابن ست عشرة سنة ، وتوفي في بغداد سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م ، الأزدي ، يحيى بن إبراهيم بن أحمد (ت ٥٥٠هـ/١١٥٥م) ، منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، تحقيق : محمود بن عبد الرحمن قدح ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٤،٢٣٥ .

(٣)شيمل ، آنا ماري ، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، منشورات الجمل ، كولونيا (ألمانيا) – بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، ص ١٠٣ ، ١٠٤، وسيشار إليه لاحقا : شيمل ، الأبعاد الصوفية ./ الحفني ، عبد المنعم ، الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، دار الرشد ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ١٩٥ .

اسطنبول ثم الخطابة بالجامع الأموي ، وتحسّنت أحوالُه المعيشيّة بفضل ما اجتمع لديه مِن المناصب (١) ، وكذلك الحّال بالنسبة إلى الشّيخ محمّد بن عبد الملك البغدادي نزيل دمشق ، والذي انتقلَ من المذهب الشّافعي إلى المذهب الحنفي أمَلاً بالحصول على مَشْيَخة الجّامع الأموي (٢) ، ويبدو أنّ هذه الأمثلة تؤكّد على سبب انتقال ابن كنّان مِن مذهب آبائه الحنابلة إلى مذهب الإمام أبي حنيفة .

أما كنيته بـ "الصالحي " فيعود ذلك إلى ولادته في الصّالحية في جبل قاسيون من غوطة دمشق ، هذه المحلة التي يسكنها عددٌ ليس بالقليل من الأولياء والصالحين على مذهب الشيخ ابن حنبل رحمه الله (٣) ، وفيها العديد من الأسواق والجوامع وصوامع للمتعبدين الزاهدين الدراويش ، وعرفت الصالحية بكثرة المتنزهات والأماكن التي تخلق راحة للنفس ، وهواؤها لطيف ، ومياهها عذبة (٤)، وقد وردت أكثر من مرة في مؤلفاته (٥) ، كما أنه جعل لها مؤلفا خاصا بها سمّاه " المروج السندسية الفيحية في تلخيص تاريخ الصالحية " الأمر الذي يعكس المكانة السامية للصالحية في نفس ابن كنان ، وفي كتابه هذا نجده حفظ فيه مصنف ابن طولون .

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٣٨٦، ٣٨٧ .

(٢) ن م ، ج ٤ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٨٩ ، وقد تأسست أيّام الحروب الصليبية سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ، وأكثر أهلها مهاجرون من نواحي بيت المقدس ويعتقدون المذهب الحنبلي ، وكان جبل قاسيون يعرف بجبل الصالحين ، ابن طولون ،شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)،القلائد الجوهرية في تلخيص تاريخ الصالحية،٢ج، تحقيق محمد دهمان،مجمع اللغة العربية،دمشق ،ط٢، ١٩٨٠م ،ج١ ،ص٢٤، ٣١ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن طولون ، القلائد الجوهرية ، الزيّات ، حبيب ، ضرب الحوطة في جميع قرى الغوطة ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، م ٢١ ، العدد الثاني ، ١٩٢١م ص ١٥٨ .

(٤) دارفيو ، وصف دمشق في القرن السابع عشر ١٦٦٠ -١٧٠١م ، تعليق أحمد إيبش ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص ٥٢،٥٣ .

(٥) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٩١،١٥١،١٢٨، ٢٠٤، ج ٢ ، ٣٥٩، ٣٦٧ ، ٣٧٧، ٣٨٥ ، ٤٠٦، ٥٠٥، ٥٠٩ .

وتعود نِسبته إلى" الخلوتي " وهي إحدى الطرق الصوفيّة التي تقوم على التعبد والتنسك والزهد والترفع عن الصغائر والتهاليل والترانيم الدينية التي ورثها عن أبيه الشيخ عيسى الخلوتي والتي تحظى بطقوس وتقاليد خاصة ، وهو من أطلق على نفسه تلك التسمية [١].

* نشأته وأسرته وحياته :

ولِد محمّد بن عيسى في الصالحية في حارة تسمى حارة المقدّم [٢] ، وهو من أسرة اشتغلت بالتجارة [٣] ، ميسورة الحّال ، مكّنه وضعه المعيشي من التنقل والترحال في تحصيل العلم عن شيوخ وعلماء عصره ، والدليل على أن أسرته ميسورة ما جاء على لسانه في وصف قاعة داره في حارة المقدم التي أنهى بنائها في شهر ذي القعدة من سنة ١١٣٠هـ /١٧١٧م واصفاً إياها : بأنها غاية في الحُسن والنضارة ومن أجود الدهانات والكتابات المزخرفة على جدران القاعة ، واحتوائها على الملاط [٤] المزخرف والملوّن ، والبحرات المثمّنة في سقف القاعة واشتمالها على فوّارة للماء [٥] ، وصفها بالجوهرة [٦] ، وقد نشأ في حياة والده وهو " المتصوّف وصاحب الخلوتية " كما أسماه ابنه محمّد [٧] ، وتعلّم ونهَلَ من علمه الشيء الكثير وهو ينتمي لأسرة لها مركزها العلمي والثقافي والاجتماعي ، وقد خالط العديدَ من أصحاب العلم من المشايخ والصالحين .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .

(٢) نسبة للأمير يونس بن يوسف ابن المقدم ، واقف المدرسة المقدمية بالصالحية سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) ، ابن طولون ، القلائد الجوهرية، ج ١ ، ص ٢١٦ ، ابن كنان ، المصدر السابق، ج ١ ، ص ٢٨٢ ، ٢٩١ ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ .

(٣)ابن كنان ، المروج السندسية ، ص٦٤ .

(٤)وهو الطين الذي يجعل بين سافي البناء ويملط به الحائط ، ابن منظور ، جمال الدين محمد (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب ،١٥ج ، دار صادر ، بيروت، ط١ ، ١٩٩٠م،ج ٧ ، ص ٤٠٦، وسيشار إليه لاحقا : ابن منظور ، لسان العرب .

(٥)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ٢٩١ .

(٦) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ .

(٧) ن م ، ج ١، ص ٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ .

ذكر محمّد بن كنان في مؤلفاته اسمَ زوجته و عدداً من أولاده وهم ثمانية من الذكور ، وبنتاً واحدة فقط وترجَم لهم ، وهم :

- زوجته فاطمة بنت عبد الله : ولا ندري إن كانت الزوجة الوحيدة له ، أم أنه تزوّج مِن غيرها ، على الرغم من وفاتها في حياته ، إلاّ أنه من المؤكّد أن محمّد بن كنان كان يكنّ لها كل الوفاء والمحبة ، فهي لا تعرف الصّياح ولا تراددد في الجواب ، كما أنها تكثر من الصّوم ، وكان لها رقة في الكلام ومودة ، وصبورة وتتحمل الأذى وقنوعة ، وهي من مسقط رأسه من محلة الصالحية في دمشق ، وكانت وفاتها يوم الاثنين في الرابع عشر من شهر ذي القعدة من سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م ، وكانت جنازتها من جامع السليمية[١] ، ودفنت بالروضة في صالحية دمشق[٢] .

- وأولاده هم :

أوّلاً : محمّد سعيد : ولد يوم الخميس في اليوم الأول من شهر ذي الحجة من سنة ١١١٧هـ / ١٧٠٥م .[٣]

ثانياً: أحمد : والذي غاب عن الشام مدة لا تقلّ عن سنة وكان في بلاد الروم[٤] ولعله كان في زيارته تلك يلتقي بذوي العلم ويأخذ منهم ويتحصّل على غَيْض من فيْض ، يستفيد منه ويفيد غيره ، وقد توفي في حياة والده يوم السبت في الحادي عشر من جمادى الأولى من سنة ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤م ، وكان كأبيه في الفضل والفهم وفي حبه للعلم ، وقد تعلّم الفقه والنحو والهندسة والمساحة وقد كانت جنازته من جامع السليمية ودفن بالروضة[٥] .

ثالثاً: إبراهيم : وقد ظهرت عليه في ريعان شبابه ملامح الوقار والفضل والتبجيل ، ولقي محبّة وإعجاباً من مشايخ والده لا سيّما الشيخ جار الله أفندي نائب المحكمة الدهيناتية[٦] .

---

(١) انظر الجدول رقم (١٩) صفحة ١٧٨ .

(٢)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٤) ن م ، ص ١٣٢ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ .

(٦) ن م ، ج١،ص ٣١٦ ، انظر المحكمة الدهيناتية وغيرها من المحاكم صفحة ٨٨ من الدراسة .

وذكرَ الشيخ محمد بن عيسى تاريخَ زواج ولده إبراهيم دون الإشارة إلى اسم زوجته أو ما يتعلق بها من حيث درجة القرابة أو نوع المعرفة بها أو مكان إقامة أهلها ، وكان زواجه يوم الأحد في اليوم التاسع من شهر جمادى الأولى من سنة ١١٤٦ هـ / ١٧٣٣م (١) ، ويبدو أن إبراهيم كانت لديه معرفةٌ وعلم لا سيّما في النّحو والنثر ، وقد بَدا ذلك واضحاً من خلال المراسلات والمكاتبات التي كانت تتم بين الوالدِ وولده (٢) .

رابعاً: محمّد أمين : وكان شاباً ولم يتزوج ، وقد اجتمعت فيه المروءةُ والفهمُ والذكاء والفطنة والفصاحة ، وتوفي نتيجة مرض ألمّ به وهو مرض الإسهال والدّم ، وقد منَعه مرضُه من القيام والحركة والجلوس طوال أربعة أشهر ، إلاّ أن مرضَه ذلك وبحسب كلام والده عنه ، لم يغيّر في شيء من لون وجهه أو عجزه عن الكلام ، وتوفّي وهو في سنّ العشرين من عمره ، وذلك ليلة السبت في الخامس والعشرين من رجب من سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م ، وقد كانت جنازته من جامع السليمية ، ودُفِن بالرّوضة في الصالحية ، وقد عمل له والده تهليلةً وختماً لبعض أجزاء من القرآن الكريم وذلك عن روحِه رحِمَه الله ، وبحضور عدد من العلماء والصلحاء (٣) .

خامساً: عيسى : وقد سمّاه على اسم والده عيسى بن محمود ، وكان زاهداً، وحافظاً للقرآن الكريم ، وكان في زيارة للقدس الشريف زارَ فيها كثيراً من الأماكن الدينيّة مثل : الصّخرة الشريفة والمسجد الأقصى وقبّة المعراج ومِحراب الأنبياء ، بالإضافة لزيارته لبعض المقامات للأنبياء و الصالحين ، مثل : مقام سيدنا داود ومقام النبي إلياس وقبر يوسف وزاوية ابن زقاعة وقبر الشيخ أحمد الثوري وقبر الشيخ موسى العلمي ، ورجع من سفره ذلك في شهر ذي الحجّة من سنة ١١٣٤ هـ / ١٧٢١م (٤) ، وكانت وفاته يوم الاثنين في السابع عشر من شهر ذي الحجة من سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣١م ، وكانت جنازته من جامع السليمية ، ودُفن إلى جانب أشقائه بالرّوضة في صالحية دمشق في جبل قاسيون (١).

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ .

(٢) ن م ، ص ٤٣٢ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ١٨١ ،١٨٢ .

(٤) ن م ، ص ٣٤٢ .

(٥) ن م ، ص ٣٩٦ ، ٤٢٦ .

سادساً : سعيد : ولم يذكر لنا والدُه أي معلومة عن ابنه هذا سِوى عن اصطحابه له في زيارة أحد أصحاب والده وهو الحاج مصطفى النحلاوي ، وذلك لتهنئته بعيد الأضحى المُبارك ومكوثهم عنده في منطقة (دُمّر) مدة ثلاث ليالٍ ويومين (١) ، ثم ذكَرَ زواجَه ليلة الاثنين في اليوم العاشر من شهر جمادى الأولى من سنة ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م (٢) ، دون الإشارة إلى اسم زوجته أو أي معلومة عنها .

سابعا : مصطفى: ولم يؤرخ له والده شيئاً إلاّ ما كان قد ذكرَه عن أخيه السابق " سعيد " (٣).

ثامناً : صادق : ولم يؤرخ له أبيه شيئاً إلاّ ما كان قد ذكرَهُ عن أخويه السّابقين " مصطفى " و "سعيد " ، حيث كان هؤلاء الأشقاء الثلاثة بصُحبة والدهم الشيخ محمد بن عيسى عند زيارتهم إلى دُمّر ، ولكن ما تم التأكيد عليه أن صادق كان متزوجاً بدليل أن له ولدٌ لم يسمّه جدّه وكان مع أبيه وأعمامه وجدّه في تلك الزيارة (٤) .

تاسعاً : مروى خاتون : وهي ابنته وقد تكون الوحيدة له على ثمانية أشقاء من الذكور ، وقد تزوّجت مرتين ، وزوجها الأول يسمى " سليمان جلبي " وقد انفصلت عنه ، ولها منه ولدٌ اسمه (حسن) ، وتزوجت في المرّة الثانية من الشيخ " عبد الخالق " – وباقي اسمه مجهول لم يذكره محمّد بن كنان ، ويبدو أن حالته كانت ميسورةً بدليل شرائه مسكناً هائلاً وواسعاً في حلب وانتقاله إليه (٥) .

ذكر ابن كنان من عائلته خالته شقيقة والدته واسمُها صالحة التي وصفها بالصّالحة وتوفيت في اليوم العشرين من شعبان من سنة ١١٢٤هـ / ١٧١٢م، وقد صُلّي عليها في جامع

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٩ ، ج ٢، ص ٣٩٦ ، ٤٦٨ .

(٢) ن م ، ج ٢، ص ٤٨٠ .

(٣) ن م ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٤) ن م ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٥) ن م ، ص ٣٦٥ .

الخاتونية ودُفنت بالرّوضة [١] بالقرب من ضريح الموفق [٢] .

وبذلك يكون الشيخ محمّد بن عيسى قد ابتُلِي بوفاة أبنائه الثلاث في حياته على التوالي (محمّد أمين ، أحمد ، عيسى) كما ابتلي بوفاة زوجته فاطمة ووفاة خالته صالحة ، ويُلاحظ أن أولاده المتوفّين وزوجته كانت جنازتهم من جامع السليمية ، وكان دفنهم بالروضة في الصالحية رحمهم الله تعالى ، وقبل ذلك كله كان الشيخ محمد بن كنان قد ابتلي بوفاة أبيه " عيسى بن محمود بحدود سنة ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م [٣] .

* ثقافة محمّد بن كنّان الصّالحي :

إن عصر ابن كنان هو عصر سادت فيه العلوم التقليديّة والتي سَبَق لها وأنْ تطوّرت في حِقَبٍ سالفة ، وتعددت فيها فروعُ العلم وأحواله ، كالعلوم الدينيّة وعلم الحديث والتفسير والفقه ، بالإضافة للنحو والعربية والمنطق والأصول ، وعلم الفرائض والحساب والفلك ، وظهر من خلالها عدد من العلماء الذين كان لهم الأثر في مجتمعاتهم ، والنهوض بأهل بلدانهم وورّثوا علومهم وآدابهم لمن أتى بعدهم ، وقد أطلق عليها " الفنون " [٤] ، وكانت ثقافة ابن كنان واسعة وغنية ، تعرّفنا عليها من خلال آثاره الأدبية التي وصلت إلينا ، والتي استطعنا من خلال قراءتها المتأنيّة أن نستنتج عِظم تلك الثقافة ، فنجده قد تعلّم الفقه بمذاهبه المختلفة ومنها :

أ - المذهب الحنفي بدليل أنه كان يدرّس في المدرسة المرشدية [٥] والتي كانت تُعنى بتدريس الفقه الحنفي [٦] ، وأول تدريسه فيها كان لكتاب " كشف الأسرار ، شرح المصنف على

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ،ج١ ، ص ١٩٥ .

(٢)موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجمّاعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي ،صاحب " المغني " ولد في قرية جمّاعين من عمل نابلس، حافظا للقرآن ، وكان من بحور العلم ، وهوعالم أهل الشام في زمانه ، وتوفي يوم الفطر في دمشق سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م ، الذهبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) ، سير أعلام النبلاء ، ٢٥ ج ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥م ،ج ٢٢ ، ص ١٦٥ ،١٧٣ ،وسيشار إليه : الذهبي، سير أعلام النبلاء .

(٣)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٥) على نهر يزيد بالصالحية ، أنشأتها خديجة خاتون بنت الملك المعظم بن العادل في حدود سنة ٦٥٦هـ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٤ / بدران ، منادمة الأطلال ، ص ٢٠٠ .

(٦)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥١ ، ج ٢ ٣٩٤ ، ٥٠٥ .

المنار " (١) ، وهو من كتب الحنفية ، وأخذه عن الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي .

ب - المذهب الحنبلي مذهب والده الشيخ عيسى الخلوتي (٢) ، وهو المذهب الذي أخذه عنه وإليه كان يُنسب (٣) .

ج- وكان له علم وحسن اطلاع على المذهب الشافعي بواسطة شيخه شعبان الفقيه الشافعي وغيره (٤) .

كما أنّ محمد بن كنان كان له ما يميّزه في الشعر وبحوره (٥) ، وكان ذلك واضحاً في مؤلفاته مثل المواكب الإسلاميّة ، والحوادث اليوميّة ، وهو شغوف بسماعه ، خاصة تلك الأشعار التي لا تخلو من الحِكَم (٦) ، فلا يكاد يخرج في نزهة أو في سفر أو وقت سَمَر ؛ إلاّ وكانت له أبيات من الشعر ينظمها ، وتجد استحساناً من سامعيها ، وفي بعض منها يكون على شاكلة الألغاز التي وصفت الفانوس (٧) ، أو الفيل (٨) ، أو ما كان يتعلق بالمسائل الفقهية مثل الديّــة (٩) .

---

(١)ينسب الكتاب إلى حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الفقيه الحنفي ، له تصانيف أخرى في الفقه والأصول مثل " المنافع " و " الكافي في شرح الوافي " و " كنز الدقائق " ، توفي ببلدة إيذج ما وراء النهر سنة ٧١٠ هـ ، العسقلاني، ابو الفضل أحمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، ٦ ج ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، د . م ، ط ٢ ، د . ت ، ج ٣ ، ص ١٧،وسيشار إليه لاحقا : العسقلاني ، الدرر الكامنة .

(٢)المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٣)المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٨٥.

(٤)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ١٥٢ .

(٥) ن م ، ج ١ ، ص ١٢ ، ١٠٧ ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ، ٤٢٥ ، ٤٧٠ .

(٦)ن . م ، ج ١ ، ص ١٩ ، ٢٦ .

(٧) ن . م ،ج ١ ، ص ٣٣٤ .

(٨) ن . م ، ص ٣٣٦ .

(٩) ن م ،ج ٢ ، ص ٤٧١

وكان ابن كنان كثيرَ المطالعة للكتب ويَكثُر من استعارتها ، ونجد ذلك من خلال كتابه الحوادث اليومية ، ويقول : " وفي يوم الاثنين ، ثاني عشر الشهر ، فتح متولّي العُمرية(١) بالصالحية السيد إبراهيم أفندي ابن حمزة النقيب خزانتي الكتب الكائنتين بالمدرسة المذكورة ، بنظارته عليها ، لأجل نفض الكتب ، وكان الشيخ مراد اليزبكي (٢) والشيخ إسماعيل أفندي ابن الحايك وغيرهما من العلماء والطلبة ، وكتَبَ عليّ من تلك الكتب على وجه العارية – أي الإعارة -كتابين : الأوّل : (لغة الأطباء) لجامعه الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي الصالحي الحنبلي (٣)،وكتاب آخر فيه مختصر التلخيص في المعاني والبيان) (٤) ،و جمع الجوامع (٥) في الأصول للشافعي ، و(مختصر الروضة) في الأصول للحنبلي . الأول للسبكي الشافعي ، والثاني للطوفي البغدادي الحنبلي ، وهم عندي إلى الآن (٦) " .

ومما زاد في غِنى ثقافة ابن كنان حضوره المستمر والدؤوب لحلقات العلم التي كانت تُقام في المدارس أو في الزوايا والخوانق ، أو حتى في داره الكائنة بحارة الأمير المقدّم ، أو في دُور

---

(١)مدرسة حنبلية بجبل قاسيون ، بناها أبو عمر الكبير الحنبلي المعروف بابن قدامة سنة ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م ، النعيمي ،الدارس ،ج٢،ص٧٨، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٧، ٩٨ .

(٢)مراد بن علي بن داود الحنفي البخاري النقشبندي ،بارعا في العلوم العقلية والنقلية خصوصا في التفسير والحديث والفقه ، يتقن اللغات العربية والفارسية والتركية ، حافظا لأكثر من عشرة آلاف حديث مع سندها ، ولد في سمرقند سنة ١٠٥٠ هـ/ ١٦٤٠م ، ونزل دمشق بعد سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م، وتوفي في اسطنبول سنة ١١٣٢هـ / ١٧١٩م ، انظر : الحوادث اليومية لابن كنان ص ٣١٥ ، سلك الدرر للمرادي ،ج ٤ ،ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، الأعلام للزركلي ، ج ٧ ، ص ١٩٩ .

(٣)يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي المعروف بابن المبرد ، من فقهاء الحنابلة ، له عدة كتب منها : الإتقان لأدوية اليرقان ، الإتقان في أدوية اللثة والأسنان ، وغيرها ، وتوفي سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣م ، الزركلي ، الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ .

(٤)وهو كتاب " تلخيص المفتاح في المعاني والبيان " وينسب إلى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (توفي سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م) ، وهو كتاب يشتمل على مقدمة وثلاثة فنون هي : علم المعاني ، علم البيان ، علم البديع ، حاجي خليفة ،مصطفى بن عبدالله القسطنطيني(ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢ج ، مكتبة المثنى، بغداد، د . ط ، د. ت ، ج ١ ، ص ٤٧٣، وسيشار إليه لاحقا :حاجي خليفة ، كشف الظنون .

(٥)جمع الجوامع في أصول الفقه ، وينسب إلى تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) ، حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٩٦ .

(٦)ابن كنان ، الحوادث اليومية ،ج ١، ص ١٦ .

غيره (١) ، واستغلال تلك الجلسات في المذاكرات والاستماع للشيوخ الذين يتطرّقون لعلوم شتى سواء في التفسير أو الفقه أو في الحديث أو في النحو أو ما كان يتعلق ببعض الآيات القرآنية ، مثال ذلك قوله : (كنا في درس السليمية للشيخ عبد الغني وكان الدرس في آية من قوله تعالى : " إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها " (٢) ، وأنه ورد في وصفه سبحانه بالحياء في قوله - عليه السلام - : " إن الله حيي يستحي إذا رفع العبدُ يديه أن يردهما صفرا ، حتى يضع فيهما خيرا ") ، وتلك الجلسات كان يحضرها كبارُ العلماء والأعيان في الدولة ، ولا يتخلف عن حضورها أحدٌ (٣) ، فهي تشكل مُلتقى لأصحاب العلم ، فكان ابن كنان قد حضر درساً في الفقه بالجامع الأموي بإمامة الشيخ أبو المواهب الحنبلي المفتي الذي شرع بتدريسه صحيح البخاري (٤) ، وكذلك حضوره لدروس شيخه عبد الغني النابلسي في السليمية (٥) ،ولم يكتفِ ابن كنان بحضور جلسات مَن هم أكبر مِنه سنّا ، وانما كان يحضر لجلسات العلم التي يوكل التدريس بها للشباب ، فكان يقول : " ابتدأ الشاب الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الكريم الغزي ، مفتي الشافعية بدمشق ، بالبخاري ، مقابل محراب الشافعية ، وكان درسا حافلا ، ودعا إليه العلماء والموالي ..." (٦) ، وكان يتخلل تلك الجلسات بعضا من الوقت للاستراحة وتناول العصائر والمعمول أو تقديم الوجبات على اختلافها (٧) .

وقد اشتغل ابن كنان بالتدريس ، وكان أول اشتغاله بالمدرسة المرشدية الحنفية ، وشرع بالتدريس فيها بناءً على طلب من قاضي الشام (٨) ، وذلك من يوم الخميس الثالث عشر من

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ١٦ .

(٢)سورة البقرة ، آية رقم ٢٦ .

(٣)ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٧٤ ، ١٠٩ ، ١٣٢ ، ٢٤١ ، ٣٠١ .

(٤)ن . م ، ص ٧٤ .

(٥) ن . م ، ص ٨٧ ، ١٤٣ ، ٢٢٠ .

(٦)ن . م ، ص ١٠٩ .

(٧) ن . م ، ص ١٣٢ .

(٨) قاضي الشام هو قرا مراد أفندي ، ومن خلال كتاب الحوادث اليومية لابن كنان نجد أن فترة توليه قضاء الشام لم تتجاوز السنة ، فلم نجد له ذكر عند ابن كنان إلاّ من خلال أحداث سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ١٥١ .

شهر ربيع الآخر من سنة ١١٢١ هـ / ١٧٠٩م ، وحضرها جمعٌ من الأفاضل والعلماء [١] ، فكان يدرّس الفقه ، فيقول : " شرعنا في تدريس المدرسة الخديجية [٢] بالصالحية ، وكان الدرس في طلاق الغير [٣] المدخول بها ، وحضر فضلاء وطلبة ولله الحمد " [٤] ، كما نجده قد تعرّض للمسائل الطبية والمنطقية حيث قال : " ... شرعنا في الدّرس بالمدرسة الخديجية ، وكنا وقفنا على باب صلاة المريض في كتاب (كنز الدقائق [٥]) ، وتعرّضنا لأبحاثٍ في الطب لطيفة ، وذكرنا الأمراض المركبة ... " [٦] .

و لم يكتفِ ابن كنان بالتدريس في المدرسة المرشدية الخديجية فحسب ؛ وإنما درّس بالمدرسة الماردانية [٧]، والتي عرضها عليه قاضي الشام قرا مراد أفندي [٨] ، ولم يذكر ابن كنان السنة التي درّس بها في هذه المدرسة ، لكن على الأرجح أن تكون في سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م ، خاصةً إذا ما علمنا أن قاضي الشام (قرا مراد) ، لم يكن قاضيا للشام سوى في هذه السنة حسب كتاب اليوميات ، وذلك أنه في سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م ، كان قاضي الشام هو رحيقي ، وفي سنة ١١٢٢هـ/ ١٧٠١٠م ، كان قاضي الشام مصطفى أفندي خجا زاده ، كما أنه كثيراً ما كان يعطي دروسه في داره وهو بذلك إذ يقول : " أما أنا ، فعكفت على

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢)هي نفسها المدرسة المرشدية الحنفية وسميت بذلك نسبة إلى خديجة خاتون ، وسترد صفحة ٢٤٨ من الدراسة في الهامش رقم ٣ .

(٣)استخدم ابن كنان هنا ألـ التعريف (الغّير) والصواب أن تكون بدونها ، وهي من الأخطاء الشائعة التي يقع بها الناس ، الشّاهين ، شامل ، معجم المنتقى مِن الخطأ والصواب في اللغة العربية ، دار غار حراء ، د . م ، د . ط ، د . ت ، ص ٢٨٦ .

(٤)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٥) ينسب لأبي البركات عبد الله النسفي (ت ٧١٠ هـ/ ١٣١٠م) ،حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ١٥١٦ .

(٦)ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٧)مدرسة على حافة نهر تورا لصيق الجسر الأبيض بالصالحية ، أنشأتها عزيزة الدين أحشا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين ، بنتها سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م ، النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ٤٥٥ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥١ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦، ص ٩٤ .

(٨)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥١ .

التدريس بدارنا الكاينة بمحلة الأمير المقدم ، ولم أخرج إلى المدرسة أصلا " [١] .

وحرص ابن كنان على أن توكّل إليه مهمة التدريس في أكثر من مدرسة من مدارس دمشق ، وكان يطلب ذلك من مُفتي دمشق أمثال حامد أفندي العمادي ، عندما طلب منه ابن كنان التدريسَ في المدرسة المقدمية [٢] ، وذلك بالنيابة عن مدرّسيها الأربعة في سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢م ، وهؤلاء المدرّسون هم [٣] : عبد الرحمن أفندي الأسطواني ، بني الأكرم ، إبراهيم أفندي الأسطواني ، سعيد أفندي الأسطواني ،وكان يلحّ في طلبها باستخدام قصائد المدح لمفتي دمشق أو بواسطة المُراسلات كما كانت في سنة ١١٤٦ هـ / ١٧٣٣م ، [٤] ويبدو أن ابن كنان كان يرغب بجني " العلوفة ، الراتب "، خاصة إذا ما علمنا أن هذه المدرسة كانت تأتيها مداخيلُ كثيرةٌ، فأظهَر في ذلك حبَه للدنيا ، بالرغم من تصوّفه وزهْده ، وأظهَر في ذلك طمَعه في المال ، ولكن يبدو أن هذه الرغبة لم تتحقق بدليل أنه كان يراها في منامه ويحلم بها ، وذلك إلى سنة ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧م ، ولطالما تمنّى من الله تعالى أن يحقق له في ذلك ، حيث كان آخر كلامه عن رؤياه تلك " ... والله يفسّرها ، آمين " [٥].

ولم تقتصر دروس ابن كنان على الفقه والمسائل الطبية والمنطقية فحسب ؛ وإنما كانت له معرفةٌ وعلمٌ وحُسن اطلاع على علم النّحو والإعراب كالدّرس الذي شرَحه في داره من خلال كتاب المغني في شهر ذي القعدة من سنة ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤م [٦] ، إذ يقول : " وفيه ، يوم الثلاثاء المذكور ، كان درسنا بالنحو في (المغني) بدارنا ، بحكر الأمير المقدم الظاهري ، في الباء الزائدة ، وهي واجبة في الفاعل ، نحو أحسن بزيد ، وغالبة في نحو : كفى بالله

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٢)وهي قسمين : المقدمية الجوانية وهي مدرسة حنفية بناها الأمير شمس الدين محمد بن المقدم سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، والمقدمية البرانية وبناها الأمير فخر الدين ابن الأمير شمس الدين محمد بن المقدم ، وهاتين المدرستين في سفح قاسيون ، النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ٤٥٦ ، ٤٦٠ / انظر كتاب : خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٤، ٩٥ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٧ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٨٧.

(٦) ن م ، ص ٤٤٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٨ .

شهيدا ، وضرورية كقول الشاعر :

(ألم يأتيك والأنباء تنمي   بما لاقت لبون بني زياد) (١)

ووقفنا على الثاني ، وهو الذي يزاد فيه المفعول ، لأنها تزاد في ستة مواضع ، وإليه كل أمر"

وكان لابن كنان معرفة بعلم الطب ، لكن دون أن يستعين بأحد من علماء ذلك الحقل ، ويبدو أنه قد درَسَها وحدَه من خلال اطلاعه على كُتب الطب والأدوية مثل مطالعاته على كتب : شرح الأنموذج في الطب (٢)، تذكرة الإمام السويدي في الطب (٣)،هذا وقد استفاد ابن كنان من تلك الكتب في تحديد بعض الأمراض ، ومحاولته لإيجاد بعض الوصفات لعلاجها ، ومن بين تلك الأمراض التي ذكرها : الإسهال (٤) ، الحمّى (٥)، الصداع (٦) .

ومن بين الكتب الأخرى التي تدلل على سِعة ثقافة محمد بن كنان والتي أفادته كثيراً في تدوينه لآثاره هي كتب في التاريخ والتفسير ، مثل : التفسير للقاضي البيضاوي (٧)، التفسير للواحدي (٨)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٩) .

---

(١)هذا البيت من البحر الوافر وهو لقيس بن زهير العبسي ، العثيمين ، محمد بن صالح ، مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب ، مكتبة الرشد ، د . م ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٦ .

(٢) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٣)ن م ، ص ١٩٠ .

(٤) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ١٨١ .

(٥) ن م ، ص ٣١٠ ، ٢٤٥ .

(٦) ن م ، ص ١٩٦ .

(٧) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ،ج ١ ، ص ١٩٣ / عنوان الكتاب : أنوار التنزيل وأسرار التأويل وينسب إلى أبي سعيد عبد الله البيضاوي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) ، حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج١،ص ١٨٦ .

(٨) ن م ، ص ١٩٣ ، / اسم الكتاب : البسيط في التفسير وينسب إلى أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥م) وهو في خمس وعشرين مجلدا حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٩)ابن كنان ، المواكب الإسلامية ج ١ ، ص ١٨٨ ، وقد أسماه ابن كنان تاريخ الأم أو ديوان الإسلام .

* شيوخ محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي :

تمكّن محمد بن كنّان من خلال مركزه الاجتماعي الذي ورَثه عن أبيه ، ومن خلال وضعه المعيشي ، ورغبته الجادة في تحصيل العلم والسعي إليه ، مكّنته تلك العوامل من التنقل والترحال من بلد إلى بلد ، خاصة رحلته مع أبيه إلى مصر ، ثم رحلته إلى الدّيار المقدسة حاجّاً ، فالتقى مع عدد من أصحاب العلم الأزهريين والمدنيين " المدينة المنورة " ، إضافة لعلماء الشّام الدمشقيين من أحناف وشافعيين وحنابلة ،وقد أظهَر إجلاله وتبجيله لمشايخه بأن قال عن الواحد منهم (مولانا ، شيخنا) ، ومن هؤلاء العلماء والأفاضل الذين نهلَ من علمهم ما يلي :

أوّلاً : عبد الرحمن بن محيي الدين السلمي الحنفي المجلد الدمشقي والذي كانت ولادته بعد سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠م ، ودرّس بالجامع الأموي ، محافظا على الطاعات وقراءة القرآن الكريم وناسكاً خلوتياً ، عالماً بالنحو ، شاعراً ، محبّاً للناس ويشاطرونه تلك المحبّة ، حصل على الإجازة العلمية من كبار المحدّثين والفقهاء ، أمثال : " الشيخ محمد بن سليمان ، والشيخ محمد العناني " ، وتوفي ليلة الجمعة في الرابع والعشرين من جمادى الثانية من سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٨م [١] ، ولم يترجم ابن كنان لحياة أو وفاة شيخه السلمي على عكس باقي مشايخه الآخرين ،الذين كان لهم نصيبٌ من كتاباته عنهم .

ثانياً : عثمان بن محمود بن حسن الكفرسوسي القطان الشافعي [٢] ، علاّمة ومحقق ومدقق ، أخذ عنه محمد بن كنان العلومَ العقلية والنقلية ، ونُفِي إلى طرابلس في عهد السلطان مصطفى [٣] ،وكانت وفاته يوم الأحد في الحادي عشر من شوال من سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣م ، وصُلي عليه في الجامع الأموي [٤] .

ثالثاً : أسعد أفندي [٥] .

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٢ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٢) المرادي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٣) السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع ، وتولى السلطنة من سنة ١١٠٦هـ - ١١١٥هـ / ١٦٩٤ - ١٧٠٣م ، ابن كنان ، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، تحقيق عباس صباغ ،دار النفائس ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص ١٣/ وسيشار إليه : ابن كنان ، حدائق الياسمين .

(٤)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(٥) ن م ، ص ٤٢ ، ولم يترجم له ابن كنان ، وإنما ذكره بالاسم فقط .

رابعا : عبد الرحمن بن أحمد بن محمد القاري الحنفي الدمشقي ولد سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦١م ، من أعيان دمشق ورؤسائها (١) ، ودرّس بالظاهرية (٢) ، وتولى فتوى الحنفية في سنة ١١٣١هـ / ١٧١٨م ،وتولى نيابة محكمة الباب أكثر من مرّة ، وتوفي سنة ١١٣٢ هـ / ١٧١٩م (٣) .

خامساً : عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشقي النقشبندي القادري(٤) ، كانت ولادته بدمشق في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة من سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠م ،العلامة والحجّة والفهّامة ، البحر الكبير ، الحَبر الشهير ، صاحب الكرامات الظاهرة ، الفقيه والمفسّر والنحوي ، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ منها :(التحرير الحاوي بشرح تفسير البيضاوي ، بواطن القرآن ومواطن العرفان ، ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث ، كشف السرّ الغامض ، شرح ديوان ابن الفارض ، زهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة ،...) ، تولّى الإفتاء في دمشق سنة ١١١٣هـ / ١٧٠١م (٥) ، ثم تولّى التدريس في الجامع الأموي ، وكانت له دروس في المدرسة السليمية بالصالحية ، وكان أول دروسه فيها يوم الثلاثاء في اليوم الأول من شهر محرم الحرام من سنة ١١١٦ هـ / ١٧٠٤م ، يشارك العلماء والأعيان في حضور الخلوات البردبكية التي تقام في دمشق ، وكانت له دار حسنة أنشأها شرقي الحاجبية (٦) ، وأصل هذه الدار أنها كانت خِربةً، وتسمّى دار ابن العجمي البلكباشي (٧)من جُند دمشق ، فاحتكرها وعمّرها، وقد توفي الشيخ النابلسي يوم الأحد في

---

(١) المرادي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

(٢) مدرسة حنفية شافعية ، وأول من درس بها الصدر سليمان وابن النحاس والسمرقندي ، النعيمي ، الدارس ،ج ١ ، ص ٤١٨ ، وانظر كتاب : خطط الشام ، كرد علي ، ج ٦، ص ٩٤ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ٣١٩ ، وقد أورد محقق الكتاب ترجمته تحت اسم " عبد الرحيم القاري " ، ولكن يبدو أن الصواب هو " عبد الرحمن القاري " لذكره في الكتاب أكثر من مرة ، وتوافق ذلك مع كتاب سللك الدرر ، نظرا لتوافق الترجمتين في سنة الميلاد والتدريس في الظاهرية والفتوى الحنفية ، مع الاختلاف في سنة الوفاة (عند ابن كنان السبت١١٣٢هـ/ ١٧١٩م) (وعند المرادي الجمعة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م) / المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٤) المرادي ، سلك الدرر، ج ٣ ، ص ٣٠ ،٣١ ، ٣٢ .

(٥)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(٦) مدرسة حنفية دمشقية بالصالحية أنشأها الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير مبارك الإينالي (ت ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) ،حاجب دمشق ، أنشأها سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م ، النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ٣٨٣ ، انظر كتاب : خطط الشام ، كرد علي ، ج ٦ ، ص ٨٩ .

(٧) وكانت تعني رئيس فرقة الانكشارية ،صابان ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ،ص٦٥ .

الخامس والعشرين من شعبان من سنة ١١٤٣ هـ /١٧٣٠م ، وكانت له دواوين في الأدب والشعر والتصوّف [١] .

سادساً : إسماعيل بن علي بن رجب بن إبراهيم الحايك الحنفي ، وكانت ولادته في سنة ١٠٤٦ هـ / ١٦٣٦م ، مفتي وخطيب دمشق ، علّامة في العلوم ،وفقيهٌ من أجلّ العلماء الفقهاء ، له معرفة باللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ، درّس بالجامع الأموي وبالمدرسة الشبلية بالصالحية [٢] ،وتوفي بمرض الاستسقاء ، وكانت وفاته يوم الاثنين في الثالث عشر من جمادى الأولى من سنة ١١١٣ هـ / ١٧٠١م [٣]

سابعاً : خليل بن عبد الرحمن بن أبي الفضل بن بركات الموصلي الشافعي الصوفي ، وكان من العلماء الأجلاء ، واشتغلَ في فنون كثيرة من الفقه والأصول والنحو والصرف والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وعلم الفلك والهيئة والهندسة والمساحة ، وأخذ عنه جماعةٌ مثل : الشيخ محمد الحبّال ، والشيخ عثمان الشمعة ، وتوفي في اليوم العاشر من شهر ربيع الثاني من سنة ١١١٤ هـ / ١٧٠٢ م[٤] .

ثامناً : إبراهيم بن أيوب بن أحمد الخلوتي الشافعي الدمشقي ، وكانت ولادته بدمشق سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م ، صاحب الطريقة الخلوتية ، وشيخ السلطنة العثمانية ، أخذ الخلوتية عن الشيخ محمد غازي الحلبي ، حَسَن الصوت ، درّس بالمدرسة الحافظية [٥] ، وتُوفي في اليوم الحادي عشر من شهر محرم من سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م ، وصلي عليه بالجامع الأموي ، ودفن بتربة الفراديس الشرقية إلى جنب والده [٦] .

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٦٦ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ج ٢ ، ص ٣٧١ ، ٤١٥ ، ٤١٦.

(٢)هي المدرسة الشبلية الحسامية الحنفية بسفح جبل قاسيون ، بناها الطواشي شبل الدولة الحسامي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٤) ن م ، ص ٥٧ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٥)مدرسة وتربة بالصالحية وكانت بستانا للنجيب ياقوت خادم تاج الدين الكندي واشترته أرغوان الحافظية سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م ، وفيها كانت وفاتها وسميت باسمها ، النعيمي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩.

(٦) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٦٤ ، المرادي ،المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥ .

تاسعاً : محمّد أفندي ابن الأسطواني ، وكانت وفاته الأحد في اليوم الأول من شهر ربيع الأول من سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م ، الباش كاتب بمحكمة الباب .(١)

عاشراً : الشّيخ أحمد البكري الصدّيقي : تولَّى قضاءَ العسكر بدمشق ، وكذلك نيابة محكمة البّاب فيها مرات عديدة ، وزار الرومَ أكثر من مرّة ، وكان له بها دارٌ عظيمة ، وقد تولّى قضاء دمشق سنة ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣م ، وتولّى مكة ، توفي سنة ١١١٧هـ / ١٧٠٥م .(٢)

الحادي عشر : عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الموصلي الشافعي الميداني الدمشقي الصوفي ، ولد سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣م ، شيخ الطريقة الكواكبية بدمشق التي أسّسها الشيخ حسن بن محمد الموصلي المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤م ، وله من الأولاد : (أحمد ، حسن ، إبراهيم ، خليل) ، وتوفي سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٦م .(٣)

الثاني عشر : إبراهيم بن حسن الكوراني الشهراني الشافعي الصوفي النقشبندي : وُلد في شهر شوال من سنة ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦م ، وطلب العلمَ بنفسه ، ورحل إلى المدينة المنورة وسكن بها ، وأخذ على مشايخها ، مثل : (ملّا محمد شريف بن يوسف الكوراني ، عبد الكريم بن أبي بكر الحسيني الكوراني ، وأخذ بدمشق عن الحافظ النجم محمد بن محمد العامري الغزي ، وبمصر عن أبي العزايم سلطان بن أحمد المزاحي) ، وله مؤلفات عدة ، منها : (تكميل التعريف لكتاب في التصريف ، حاشية شرح الأندلسية للقصيري ، شرح العوامل الجرجانية ، النبراس لكشف الالتباس ، وغيرها) ، وقد أخذ عنه محمد بن كنان علم الحديث ولازمه ، وتوفي سنة ١١٠١ هـ/ ١٦٨٩م ، ودفن بالبقيع .(٤)

الثالث عشر : محمّد بن عبد الباقي الحنبلي الدّمشقي : وُلد بدمشق في شهر رجب من سنة ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤م ، عالم بالفقه والفرائض والقراءات والحساب ، تولّى الفتوى للحنابلة بدمشق ، وهو بذلك يعتبر مفتي الحنابلة فيها ، وأخذ الفقه عن والده ، وعن الشمس بن بلبان

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٦٥ .

(٢) ن . م ، ص ٩٦ .

(٣) ن . م ، ص ١٠٤ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٤)المرادي ، المصدر السابق ، ج ١، ص ٥ ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

البعلي ، وأخذ عن البدر المحسن الأسطواني ، وأخذ بمصر عن الشيخين سلطان المزاحي و الشبراملسي وغيرهما ، وأخذ عن علماء دمشق مثل : محمد بن بركات الكوافي الحمصي ، وحجّ مرات عديدة ، وكان صاحب ثروة باذخة ، وقد تولّى الخطابة في جامع الشامية (١) ، ثم التدريس بالجامع الأموي ، وتُوفي سنة ١١٢٦ هـ / ١٧١٤ م(٢) .

الرّابع عشر : عبد الرحيم بن محمد بن أحمد الحنفي الكابلي الهندي نزيل دمشق ، عالماً بالعلوم العقلية والرياضية وعلوم النحو والمعاني والبيان والأصول والمنطق ، وُلد بالهند ونشأ بها ، ثم رحل إلى سمرقند ، دخل دمشق بعد سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩م ، ثم حجّ مرتين في سنتي ١٠٩١هـ و ١٠٩٣هـ / ١٦٨٠ م و ١٦٨٢م ، درّس في جامع تنكز (٣) ، ثم تولى التدريس بالمدرسة العذراوية (٤) لمدة سنة واحدة بعد وفاة مدرّسها أبي الصفا ابن أيوب المفتي ، وافتتح الدّرس بها سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م ، وكثيراً ما كان يحضر دروس الشيخ عبد الغني النابلسي ، وانتفع خلقٌ كثير من علمه ، وقد أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ مراد اليزبكي وتُوفيَ سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢م (٥) .

الخامس عشر : علاء الدّين الأقبردي الشافعي : وقال فيه ابن كنان : " قال شيخنا المرحوم علاء الدين الأقبردي الشافعي : إذا سَمعتَ أدباً فاكتُبه ولو على الحّائط " ، وأنه قال مراراً : " كنّا نكتب على بلاط الجامع بالسليمية لعزّة الورق ، مما يمليه الشيخ العلّامة البرهان إبراهيم بن أحمد بن الأحدب الصالحي الحنبلي " . (٦)

---

(١) وهي الشامية البرانية والجوانية ، أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي ،أخت صلاح الدين الأيوبي ، وتعرف هذه المدرسة بالحسامية لأن ابنها حسام الدين دفن بها ، وهي من مدارس الشافعية ، وهي اليوم مدرسة ابتدائية للأيتام ، ابن طوق ،التعليق، ج١، ص٥٣ ،٥٧، ١٥٥ النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٧٩ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٣٩ ، ٤١ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، المرادي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٩ ، الزركلي ، الأعلام ، ج ٦ ، ص ١٨٤ .

(٣)بناه نائب الشام الأمير سيف الدين طشتمر تنكز (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، ودفن بالإسكندرية ، ويقع الجامع ظاهر باب النصر تجاه حكر السماق على نهر بانياس ولا يزال ، ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية ، ١٥ج، ، دار الفكر ، دمشق ،د .ط ،١٩٨٦م،ج ١٤ ، ص ١٨٧،١٨٨ ، وسيشار إليه لاحقا: ابن كثير ، البداية والنهاية . ابن طوق ، التعليق ، ج ١ ، ص ٤٣٢ ، النعيمي ، الدارس ، ج٢ ، ص ٣٢٧،٣٢٨ ، ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٤)هي مدرسة وقف على الشافعية والحنفية أنشأتها الست عذراء أخت صلاح الدين الأيوبي(توفيت سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٧م) وأنشئت سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م ، النعيمي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٥)ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٣٥١ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ٩ .

(٦)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٤ ، ولم نعثر له ترجمة عند المرادي صاحب سلك الدرر.

السادس عشر : عبد القادر بن عمر بن عبد القادر بن أبي تغلب الحنبلي الصوفي الدمشقي ، ولد سنة ١٠٥٢ هـ / ١٦٤٢م ، عالماً بالفقه وماهراً بالفقه الحنبلي ، وله علم بالفرائض والحساب ، درّس بالجامع الأموي نحو ستين سنة ، أخذ عن التقي الحنبلي المفتي ، وعن الشمس بن بلبان الحنبلي الصالحي ، وأخذ الحديث عن أبي المواهب الحنبلي ، واجتمع بالشيخ إبراهيم الكوراني سنة ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢م ، وقرأ على الشيخ عثمان القطان ، وأخذ عنه خلقٌ كثير ويتبرّكون به ، ويكتب التمائم للمرضى فينفعهم الله بذلك ، وكانت وفاته سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢م [١] .

السّابع عشر : إلياس بن إبراهيم بن داود بن خضر الكردي الشافعي الصوفي ، نزل دمشق بعد سنة ١٠٧٠ هـ/ ١٦٥٩م ، أخذ على عدد من العلماء مثل : الملاّ علي الكردي والشيخ إبراهيم الكوراني والشيخ مصطفى البغدادي والشيخ طاهر بن مدلج مفتي بغداد والشيخ محمد البلباني والشيخ عثمان القطان ، وانتفع منه خلق كثير من دمشق وغيرها ، وله تآليف عديدة منها : (حاشية الجامي ، حاشية على عصام ، حاشية علي القيرواني شرح السنوسية) ، وكانت وفاته سنة ١١٣٨ هـ/ ١٧٢٥م ، وقد أجاز محمد بن كنان في رسالته المُسمّاه (الشمعة المضيئة) . [٢]

* تلامذة محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي :

وكما استفاد ابن كنان من عدد من العلماء والصلحاء والأفاضل ، فإنه توجّب عليه أيضاً أن يورّث العلم الذي استقاه إلى غيره ، ويفيد به من يأتي بعده ،وقد أشار ابن كنان إلى أسمائهم في كتابه الحوادث اليوميّة ، وآخرين من هؤلاء ذكرهم المؤرخ المرادي صاحب سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، وكان من بين أولئك الطلبة الذين ساروا على دَرب معلمهم وشيخهم كل من :

أوّلاً : معتوق جلبي بن عبد الجليل الأكرمي الصالحي ، ولم يُذكر عنه شيء ، سوى زواجه من ابنة عمّه الشيخ محمد الأكرمي الصالحي ، وكان قد حضر عقد زواجه عدد من الأكابر وأعيان الشام منهم شيخه محمد بن كنان في سنة ١١٢٩ هـ / ١٧١٦م . [٣]

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ٥٨ .

(٢)ابن كنان، ن .م ،ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، ٤٥٦ ، المرادي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٢، ٢٧٣ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

ثانياً : يوسف السّقباني ، أخذ الطريقة الخلوتية عن محمد بن كنان ، وكان ملازماً لشيخه ، وهو من قرية (سقبا) ، ويبدو أن هذه القرية كانت تشكل متنزها للعَوام والخواص كالأكابر والعلماء ، ودليل ذلك أن ابن كنان لم يكن يقرِن اسمَ تلميذه يوسف إلاّ عند التنزّه ، وكان ابن كنان يبيتُ عنده في سقبا ومعه أصحابه ، وكان مجموع الأيام والليالي التي بات بها ابن كنان عند يوسف السقباني حوالي تسعة عشر يوما واحدى عشرة ليلة ، إذ يقول في أول زيارة له إلى بيت تلميذه والتي كانت في شهر ذي الحجة من سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢م : " وفي يوم الجمعة ليلة السبت ذهبنا في سابع عشر الشهر إلى سقبا ، إلى عند صاحبنا يوسف السقباني ، ومكثنا ثلاث ليال ويومين ، وزُرنا عبد الله ابن سلام الصحابي (١)- رضي الله عنه- ، وكان يوسف قد أخذ عنّا الطريقة وصَحبَنا ، وكان له محبة أكيدة وهو إلى الآن ، ونزلنا يوم الاثنين بكرة النهار " . (٢)

والزيارة الثانية إلى سقبا كانت في سنة ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤م ، فيقول : " وفي ليلة السبت يوم الجمعة مساء ، ثاني عشر ربيع الآخر ، وأوله الأربعاء أو الثلاثاء ، كنّا في قرية سقبا عند صاحبنا أبو علي يوسف ، ومكثنا السبت والأحد ، يومين وثلاث ليال ، ورجعنا يوم الاثنين بكرة النّهار " . (٣)

وكانت الزيارة الثالثة في سنة ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م ، وقال عنها ابن كنان : " وفي ليلة السبت الثامن من محرم الحرام ، ذهبنا إلى سقبا إلى عند صاحبنا أبي علي يوسف السقباني ومكثنا أربعة أيام وخمس ليال ، وكان أيام الورد " .(٤)

وكانت الزيارة الرابعة إلى سقبا في شهر محرم من سنة ١١٥١ هـ/ ١٧٣٨م ، وفي هذه المناسبة قال ابن كنان : " وفي يوم السبت ، كنّا بسقبا وزُرنا عبد الله بن سلام ، وقرأنا له الفاتحة - رضي الله عنه - ودعونا الله تعالى ، ومكثنا ثلاثة أيام : السبت والأحد والاثنين ، وذلك عند تلميذنا في الطريقة الخلوتية يوسف السقباني ، وكان معنا جماعةٌ من الإخوان في

---

(١) من صحابة الرسول محمّد -عليه السلام- المشهود لهم بالجنة وأسلم قبل وفاة الرسول محمد بسنتين، وقد كانت وفاته (٤٣هـ/٦٦٣م)، الذهبي ، سير أعلام النبلاء،ج٤،ص٥٩-٦٢.

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٣) ن م ، ص ٤٥٢ .

(٤) ن م ، ص ٤٧٨ .

طريقنا ، ونزلنا يوم الثلاثاء بكرة النهار ثالث محرم أو ثاني محرم ، وإليه التوفيق والهداية لأقوم طريق ، وأخذنا للمطالعة تاريخ (شذرات الذهب (١)) ، وكتاب (مدح الشيء وذمّه للثعالبي (٢) ، وكان يوسف المذكور أرسل دعانا مع الشيخ الفاضل المقرئ المفيد عبدالرحمن بن الحاج أحمد الشافعي ، من تلاميذ مؤرخ هذا الكتاب " . (٣)

أما الزيارة الخامسة إلى سقبا ، فكانت في شهر جمادى الأولى من سنة ١١٥١ هـ / ١٧٣٨م ، إذ يقول : " وفي سادسه ، يوم السبت ، كنّا ببستان الباسطي بغوطة دمشق ، ومكثنا ثلاثة أيام عند أخينا يوسف " . (٤)

أما الزيارة السادسة والأخيرة فكانت في شهر محرم من سنة ١١٥٢ هـ / ١٧٣٩ م ، ويقول في ذلك محمد بن كنان : " وفي ليلة الجمعة ، يوم الثاني والعشرين ، ذهبنا إلى قرية سقبا عند صاحبنا وتلميذنا يوسف ، ومكثنا إلى يوم الأربعاء ، ونزلنا بكرة النهار ، فيكون يوم السابع والعشرين " . (٥)

ثالثاً : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الحلبي الأصل البعلي الدمشقي الحنبلي ، وُلد في شهر رمضان من سنة ١١٠٨ هـ / ١٦٩٦م ، وقرأ على جماعة منهم : ابو المواهب الحنبلي ، عبد القادر التغلبي ، أحمد الغزي العامري الدمشقي ،وكان عالماً بالفقه والفرائض والحساب والحديث ، وله مؤلفات عدة ، منها : منية الرائض لشرح عمدة كل فارض ، الرّوض الندي ، شرح مختصر التحرير في الأصول ، درّس فترة بالجامع الأموي ، واستفاد من علمه كثيرٌ من الناس ، وكانت وفاته في سنة ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥م . (٦)

رابعاً : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد الحنبلي البعلي الدمشقي ، نزيل حلب ،

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب وينسب إلى عبد الحي بن أحمد المعروف بابن العماد المتوفى سنة١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م ، المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .

(٢)وينسب إلى عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ،(ت ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٩م) ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ١٩ ، ص ١٣٠ .

(٣)ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٤٩٧ .

(٤)ن م ، ص ٥٠٣ .

(٥)ن م ، ص ٥٠٧ .

(٦)ن م ، ص ٤٥٨ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

فقيهاً ، بارعاً بالعلوم ، وخاصةً بالقراءات ، له علمٌ بالنحو والفرائض والحساب ، خَتَمَ القرآنَ على والده خلال فترة قصيرة ، بدأ بطلب العلم وله من العُمر عشرين سنة ، وأخذ عن الشيوخ : عواد الحنبلي النابلسي ، محمد أبو المواهب الحنبلي ، عبد القادر التغلبي ، عبد الغني النابلسي ، وقد لازم محمد بن عيسى بن كنان مدة خمس عشرة سنة ، وكانت وفاته في حلب سنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م . (١)

خامساً : علي بن محمد بن علي بن سليم الشافعي الدمشقي الصالحي ، ولد في سنة ١١١٣ هـ / ١٧٠١م ، أخذ عن جماعةٍ من العلماء ، مثل : عبد الغني النابلسي ، إسماعيل بن عبد الغني النابلسي ، محمد بن خليل العجلوني ، الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري ، درّس بالجامع الأموي ، والجامع الجديد بالصالحية ، والمدرسة العمرية ، وله مؤلفات وتصانيف عديدة ، منها : (تكملة شرح تفسير البيضاوي للشيخ عمر الرومي ، الزبدة الطرية على منظومة الأجر وميه) ، وكانت وفاته سنة ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥ م . (٢)

سادساً : سعيد أفندي خطيب دمشق ، وقال محمد بن كنان في سنة ١١٥٢ هـ / ١٧٣٩م : " وفي آخر جمادى الثاني ، دعانا سعيد أفندي خطيب دمشق لضيافتنا عنده ، وطلب إجازة الحديث عنّا ، وكتبنا له ، وطلب طريق الخلوتي ، فأذنّا له بورود المَشْيخة في كل يوم ، وقرأنا الفاتحة على ذلك " .(٣)

سابعاً : إبراهيم الحافظ ابن عباس بن علي الشافعي الدمشقي ، ولد في سنة ١١١٠ هـ / ١٦٩٨م ، له علم بالفرائض والقراءات والفلك ، أخذ عن : ، محمد بن محمود الحبّال ، وانتفع بعلمه كثيرٌ من الناس ، وأخذ الخلوتية عن محمد بن كنان ، وتُوفي سنة ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م (٤) ، ومما قال عنه ابن كنان : " وفي آخره ؛ أي : جمادى الثاني(٥) ؛ كنّا

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٤٩٧ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٢)المرادي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٣)ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٥١٤ .

(٤)المرادي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨ ، ٩ .

(٥) وردت هذه اللفظة عند ابن كنان (جمادى الثانية) ولكن استخدمتها في هذه الدراسة بلفظتها الصحيحة وهي (جمادى الآخرة)

وبعض أصحاب بحديقة ابن القاري ، وجعل تلميذنا إبراهيم الحافظ لنا ضيافة " .[١]

ثامناً : عبد الرحيم ابن مصطفى بن حسن بن صالح الحنفي المعروف بابن شقيشقة ، ولد بدمشق سنة ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢م ، رحل إلى مصر والحجاز ، والتقى بالعلماء هناك ، وقد أخذ العلم عن الشيوخ عبد الرحيم ابن القاتول ، المحب محمد ابن محمود الحبّال ، والطريقة الخلوتية عن محمد بن كنان ، عبد الله بن سالم البصري ، محمد بن عبد الرسول البرزنجي ، وهو من كبار الصالحين والعلماء الزاهدين ، وتوفي بالطاعون سنة ١١٧٣هـ/٩١٧٥م .[٢]

تاسعاً : محمد بن عبد المحسن الحنفي الصالحي الدمشقي ، له معرفة باللغتين التركية والفارسية ، وكان من كُتّاب وشهود المحكمة العونية [٣]، أخذ علمَه عن محمد بن عيسى بن كنان و أحمد بن عبد الكريم الغزي العامري ، وتوفي بمرض الطاعون سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م [٤].

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢، ص ٥١٤ .

(٢)المرادي ، سلك الدّرر ، ج ٣ ، ص ١٠ ، ١١ / تربة الشيخ أرسلان تنسب إلى الشيخ العابد والزاهد رسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن الجعبري الدمشقي ويوجد ضريحه في باب توما في قبته ، وتوفي في حدود سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٣٣٠ .

(٣) سترد هذه المحكمة صفحة ٨٨ من الدراسة .

(٤) المرادي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

*** حياة محمد بن عيسى بن كنان الاجتماعية :**

يظهر من خلال المؤلفات والآثار الأدبية والشعرية التي خلّفها ابن كنان خاصة في كتابه (الحوادث اليوميّة) تظهر علاقاته الواسعة والحَسنة مع الناس ومع أصحاب العلم ، فضلاً عن العلاقة الطيبة التي كانت تجمَعه مع أرباب الدولة العليّة كولاة وقضاة دمشق ومُفتيها ، وكان لا يدعُ مناسبة اجتماعية من أفراح أو أتراح أو حفلاتِ خِتان وطهور ، أو توديع واستقبال قوافل الحجّ ،إلاّ وكان من المُجيبين لها ، ولا يتأخر أو يتردّد عن حضورها ، وهذه الصّفة تعكس الشخصية الطيبة الودودة في نفس ابن كنان ، فهو يُحبّ الناسَ ويحبونه ، فضلاً على أنه من المشايخ المحسوبين على دمشق خاصة ، وبلاد الشام عامة ، فزاد ذلك من تودّد الناس إليه ، وتقديرهم واحترامهم له ، ومما يُلاحظ على نهج ابن كنان أنه يصِف المناسبات التي يشارك فيها ، من حيث البذخ أو يعطي أسماء من حَضر ، والمدّة الزمنية التي استغرقتها كل مناسبة ، وقد يُعطي أبياتاً من الشعر يتغزل من خلاله بتلك المناسبة .

وقد تمكنّا من تسجيل سبع عشرة مناسبة للزواج بواسطة كتاب اليوميات ، والتي شارك بها ابن كنان [1]، واعتبر أن تلبية دعوة العُرس واجبةً[2] ، وفي هذه المناسبات التي يكون صاحبها من الأغوات ، فإن الحضور بها يكون على مستويات مختلفة ، وغالباً ما تستمر لمدة أسبوع ، يحضرها الباشوات والقضاة والكتّاب ، ثم العلماء وسادات الصوفيّة وأصحاب الطرق ، ثم الأغوات ، ثم عامة الناس ، ويتخلل تلك الأيام من الحفل تقديم الوجبات كالعشاء مثلاً ، وتُوقد الأنوار ، ويصحبُها النشيدُ ، ويتكلّف صاحب تلك المناسبة كلفة باذخة .[3]

أما المدة الزمنية التي يستغرقها حفل الزواج فهي تحددها الظروف المعيشية لصاحب الحفل ،

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ،ج ١ ، ص ٢٢ ،١٦٣، ٩٨، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٥٥، ٢٦٧ ، ٤٣٤ ، ٢٧٠، ٢٩٠ ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ ، ٤٠٠ ، ٤٦٨ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ٢٢ ، انظر معنى لفظ (الأغا) في الملحق رقم (٢) .

فقد تستمر أسبوعا كاملا ، أو ثلاثة أيام [١] ، أو يوما واحدا فقط [٢] ، وكذلك فإن المتفق عليه في تلك المناسبة والتي كانت على ما يبدو أنها عادة ، تقديم الحضور لمبالغ نقدية(النقوط أو النقطة) تُعطى لصاحب الحفل (العريس) ، فهو إما أن يأخذها مثل : (يحيى آغا ابن طالو زوج بنت محمد آغا ابن سليمان آغا الترجمان) [٣] ، أو لا يأخذ بها مثل : (حامد جلبي ابن أخ مفتي دمشق محمد العمادي) [٤] ، وبعد تقديم الضيافة في الليلة الأخيرة والتي عادة ما تكون ليلة الجمعة ، فإنه يقدّم البخور والماورد إيذانا بانتهاء الحفل . [٥]

عدا عن اهتمام ابن كنان بمشاركة " الواجب " في الزفاف ، فإنه يحرصُ على تلبية الدعوة للحضور والمشاركة في حَفلات الختان ، أسوةً بمن يحضر من الأكابر والتجار والأعيان ، والعلماء والفضلاء والصلحاء ، ويتخلل الحفلَ ضيافة ، وقد تكون كلفة الحفل عالية . [٦]

كما أنه يحرصُ على تلبية الدعوات التي توجّه إليه ، بُغيةً للسّمر والسّهر ، والتي تكون في بيوت أصحابه من المشايخ وتلاميذه ، مثال ذلك قوله : " ليلة الخميس ، مساء يوم الأربعاء ثاني ربيع الثاني ، دعانا الأخ الشيخ محمد الحنبلي إلى داره بالشاغور ، نحن وجماعة من الأفاضل ، وصار أنس كلّـي وانشراح ، وإخوان صدق ذوي تُقى وفلاح " [٧] ، وأيضاً قوله : " وفي آخر جمادى الثاني ، دعانا سعيد أفندي خطيب دمشق لضيافتنا عنده ، وطلب إجازة الحديث عنّا ، وكتبنا له ، وطلب طريق الخلوتي ، فأذنّا له بورود المشيخة في كل يوم ، وقرأنا الفاتحة على ذلك " [٨]

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

(٣) ن م ، ص ٢٢ .

(٤) ن م ، ص ٢٢٣ .

(٥) ن م ، ص ٢٩٠ .

(٦) ن م ، ص ٢٣٨ ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

(٧) ن م ، ج ٢ ، ص ٥١٠ .

(٨) ن م ، ص ٥١٤ .

وتستغرق تلك السهرات فترة ليست بالقصيرة تقدّر بالساعات ، قد يصلُ بعض منها إلى ما يقرب من الثماني ساعات ، أو تستمر حتى طلوع الشمس ، مثل : سهرته في دار الشيخ محمد بن بلبان الصالحي الحنبلي في محلة حارة الأمير المقدّم ، أو سهرته عند (السيد رجب) ، ويبدأ السّمر الذي يحضره الأكابر والأعيان بالتعرض لأمور معينة ومناقشتها كمواضيع الصداقة الظاهرة والباطنة ، والمحبة الصادقة والمودة الخالصة، أو في ذكر الأولياء والصالحين ، وعند الفراغ من الذكر ، ومناقشة المواضيع المُختارة ، يعقب ذلك قول الشعر والغناء والسّماع ولعب المِنقلة (١) والشطرنج ، ويتم تقديم الضّيافات ، والتي يكون بعضاً منها باذخاً. (٢)

- علاقاته الخاصة مع الحجاج ومع السلطة بدمشق :

أما موسم الحجّ فكان يعتريه الكثير من التحديات والأخطار ، طبيعية كانت كالسيول والفيضانات أو الحرارة العالية والأمطار ، أو أخطار بشرية تتعلق بمهاجمة العُربان ، إضافة إلى طول السّفر والتعب والمشقة التي يعانيها الحاج ذهاباً وإياباً، وعلى ذلك فإن الناس يعاودون الحجاج قبل سفرهم ، ويهنؤونهم بالسلامة عند رجوعهم ، وابن كنان الشيخ العالم الخلوتي من بين هؤلاء الناس الذين يَرون أن التسليمَ على الحاجّ ومباركته لهم بالحجة مِنَ الأمور المسلّم بها ، وهو محسوبٌ على أهل دمشق والصالحية ، حيث يقول ابن كنان : " وفي يوم التاسع والعشرين ، سلّمنا على بعض أصحابنا الحجاج ، منهم مولانا الشيخ أحمد الغزي ، المفتي الشافعي بدمشق ، بخلوته الكاينة بالجامع الكبير ، قرب داره " . (٣)" يوم الأربعاء الرابع ، سلّمنا على بعض اخواننا الحجّاج ، وفي الخميس يوم الخامس منه سلّمنا على البقيّة ، وهم ولله الحمد في غاية من الصّحة وحُسن الحال في الذهاب والإياب " (٤) " سابعه سلّمنا على بعض أصحابنا الحجّاج " (٥).

---

(١) المنقلة : رقعة كرقعة الشطرنج يُلعب عليها بنقل الحجارة، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ،٢ج ، دار الدعوة ، القاهرة ، د . ط، د . ت ، ج ٢، ص ٩٤٩، وسيشار إليه لاحقا : المعجم الوسيط .

(٢)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ .

(٣)ويقصد ابن كنان في اليوم التاسع والعشرين من شهر محرم من سنة ١٢٢٩ هـ / ١٧١٦ م ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

(٤)ويقصد ابن كنان في اليومين الرابع والخامس من شهر صفر من سنة ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٧٩ .

(٥)ويقصد ابن كنان في اليوم السابع من شهر صفر من سنة ١١٥٢ هـ / ١٧٣٩م ، المصدر السابق، ص ٥٠٨ .

وكان لابن كنان علاقات صداقة تربطه مع ممثلي السّلطنة العثمانية في الشام ، مثل والي دمشق سليمان العظم (١) ، ومُفتي دمشق حامد أفندي العمادي (٢)، أو صداقته لبعض قضاة الروم .

وكان أول لقاء جمعه مع سليمان باشا العظم في شهر ربيع الثاني من سنة ١١٥٠ هـ/ ١٧٣٧م ، بعد أن نظّم ابن كنان قصيدةً مَدحَ فيها الوالي ، ومَدحَ الدولة ، فما كان مِن والي دمشق إلاّ أن بعث له بهدية كمكافأة له على مدحه له .

ومطلع القصيدة تلك :

الملح أنتم والملاحة فيكم لولاكمو هلك الأنام وبادوا

والعدل فيكم ظاهر متكامل والفضل فيكم في القديم معادُ (٣)

وكان ممن استقبل في داره بمحلة الأمير المقدّم قاضِ الرّوم محمد أفندي قراباغي زاده الرومي نائب الحكم بالمحكمة العربية ، وذلك في سنة ١١٣٠ هـ / ١٧١٧م (٤) ، وقال ابن كنان في تلك الزيارة :

" وفي يوم الواحد والعشرين ، ضاف إلى عندنا وشرّفنا المولى الهُمام ، سليل الموالي الفخام محمد أفندي قراباغي زاده الرومي ، نائب الحكم العزيز بالمحكمة العربية ، وهو شاب رقيق الطبع ، ولا رقة الصبا ، ...."

---

(١) سليمان بن إبراهيم العظم توفي في اليوم السابع من رجب من سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ، وهو من معرة النعمان ، صاحب علم ، تولى كفالة طرابلس ، ثم ولاية دمشق ١١٤١هـ/ ١٧٢٨م ، كفالة مصر سنة ١١٥١هـ / ١٧٣٨م ، وزوجته بنت الشيخ ياسين القادري ، وله من الأبناء أحمد و ابراهيم ، ودفن في الباب الصغير عند ضريح بلال الحبشي وقبر ابنه إبراهيم بيك كما أوصى . ابن كنان ، الحوادث اليومية،ج ٢ ، ص ٤٨٤، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٤٠ ، الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٩ ، انظر : كرد علي ، خطط الشام ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٢) حامد بن علي بن إبراهيم الحنفي الدمشقي العمادي ، تولّى إفتاء دمشق مدة أربع وثلاثين سنة ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ١١ ، ١٨ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .

وكذلك زاره في داره قاضي الشام مصطفى أفندي بن محمد أفندي البابي [(١)] ، فقال : " وفيه شرّفنا إلى دارنا بالصالحية ، الكاينة بمحلة الأمير المقدّم الظاهري ، المولى الهمام عمدة الفخام ، السيد مصطفى أفندي بن محمد أفندي البابي ، قاضي الشام حالا ، وهو شاب تحلّى بحلا الفضايل وفاق بحسن شمائله أزهار الخمايل .... ، تولى نيابة العربية ، يعرف بالعربية والتركية " [(٢)] .

ولمكانة ابن كنان التي حَظِي بها في الشام ، كان يحرص على العدل ورفع الظلم عن الناس ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، ويستغل صداقاته مع ممثلي الدولة في حل مشاكل الأفراد المظلومين ، حيث كان واسطة خير عند صادق آغا بن علي الناشف [(٣)] متولي الجوالي [(٤)] بدمشق لإلغاء الحجز عن أملاك أحمد بن السبحان البعلي الحنبلي ، بعد المشاجرة التي وقعت بين ابنه محمد و رجل شريف من بعلبك ، فقرر نائب طرابلس " أصلان [(٥)] باشا اللاذقي الحجز على ممتلكات أحمد البعلي ، وذهب صادق آغا ويصحبه أحمد السبحان بالسفر إلى طرابلس ، لتحصيل الدراهم التي أخذت منه ظلماً ، وتحقق له ذلك ، وحصّل جميع دراهمه [(٦)]

- أوقات فراغه ووسائل التسلية :

يُلاحظ على ابن كنان حبّه الشديد للخروج للمتنزهات ، وولوعه بها ، واستئناسه بها ، فيجد فيها راحته ، وصفو تفكيره ، وتحقق في نفسه السكينة والطمأنينة ، ويكُن لها الأثرَ الأكبرَ في فتح قريحته الأدبية والشعرية ، وهي عنده متعة للنفس ، تنشّط الذهن ، وتمعن التفكير وتجدده ، و يوميات ابن كنان الشامية غنية بأسماء المتنزهات والبساتين والحدائق والحواكير

---

(١)ابن كنان : الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ .

(٢) أي : شهر صفر من سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢م ، ن م ، ص ٣٤٨ .

(٣) سبق التعريف به في هذه الدراسة صفحة ٢٨ .

(٤)الذي يتولى جمع الجزية من أهل الذمة وهو الذي يثمّر المال ويقرّر السداد ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٣١١ .

(٥)وهو أرسلان ويعني بالتركية الأسد ، صابان ، معجم المصطلحات العثمانية ، ص ١٤ .

(٦)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨ ، ١٢ ، ١٩ .

التي زخرت بها دمشق وضواحيها ، ويذكر فيها أصناف الفواكه كالمشمش والتوت والورد والتفاح والمياه الغزيرة [١] ، وقد أمكن رصد تلك الرحلات التي قام بها ابن كنان منذ تدوينه لكتابه الحوادث اليومية سنة ١١١١ هـ / ١٦٩٩م ، والتي بدأت أولى رحلاتُه المدوّنة بمؤلفه السابق في شهر ربيع الأول من سنة ١١٢٠ هـ/ ١٧٠٨م ، إلى بستان ابن القرندس [٢] ، ولكن ذلك لا يجزم أن ابن كنان لم يكن يخرج للتنزه طوال الفترة التي سبقت تأليفه ليومياته ، وهي ست وثلاثون سنة ، منذ ولادته حتى سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م ، أو طوال تسع سنوات بعد بدايته للتأليف ، وكان يذهب إلى نزهاته تلك برفقة عدد من أصحابه أو برفقة أولاده ، أو تلبية لدعوة من الأصحاب ، وقلما هي المرّات التي يسير فيها ابن كنان للتنزه دون أن يصحبه إليها أحد من العلماء أو الأفاضل أو حتى من أولاده ، ولم تكن سوى رحلة واحدة قام بها ابن كنان دون اصطحابه لأحد ، وكانت إلى الحديقة العدوية ، وقال عن رحلته تلك : " لم أصحب أحداً وأحببت الانفراد ، وكنّ الفؤادُ من الموارد الظاهرة والباطنة ، والشواغل من أكثر الرفقاء الخارجة والكامنة " . [٣]

وهذه الرَحلات لا تكاد تخلو من المُطالعة للكتب وعمل الدروس والمذاكرات في علوم الإعراب والموسيقى والعَروض [٤] ، وهي تشكّل مجالسَ للأنس والتسلية .

وكان ابن كنان يستغل أوقات التنزه لزيارة أصحاب المقامات من صحابة الرسول محمد -عليه السلام - ، مثل : عبد الله ابن سلام - رضي الله عنه -[٥] ، وزيارة مقامات الأولياء والصالحين ، مثل : الشيخ أبو عمرو ، وقد تطول مدة الزيارة أو تقصر ، حسب رغبة ابن كنان ، وحسب طول المسافة ، وجمال الموقع .[٦]

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٣٩٩ ، ٣٩٦، ٣٩٤ ، ٣٨٤، ٢٦٩ ، ٤٣٣ ، ج ٢ ، ٢٦٧ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٣)وذلك في الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة من سنة ١١٥١ هـ /١٧٣٨م ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ ، ٤٦٨ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ ، ٤٧٨ .

(٦) ن م ، ص ٤٧٩ .

ونجد أن أكثر رحلات ابن كنان وخروجه لسيران ما ، هي ما بعد سنة ١١٣٥هـ /١٧٢٢م ، وهي في الجزء الثاني من كتاب اليوميات ، ووصلت إلى ست وأربعين نزهةً، بدأت منذ شهر ربيع الأول من سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢م ، وآخرها كانت في يوم الثلاثاء في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول من سنة ١١٥٢ هـ / ١٧٣٩م (١) .

وكانت نزهات ابن كنان التي دوّنها في جزء الكتاب الأول فقد بلغت خمس عشرة نزهة فقط ، وأولها في شهر ربيع الأول من سنة ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨م في بستان ابن القرندس ، وآخر تلك النزهات كانت يوم السبت في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة من سنة ١١٣٤ هـ/ ١٧٢١م . (٢)

* مؤلفات محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي :

يتوافر للشيخ محمّد بن عيسى بن كنان الصالحي مجموعة من المؤلفات والآثار الأدبية التي بقيت محفوظة في دُور العلم (المكتبات) ، إلاّ أن بعضاً منها قد فُقِد ، وبعضها الآخر لم يخضع للتحقيق بعد ، وهي في مُجملها تشكل كتباً في التاريخ والتصوف والحديث والبلاغة ، ومن هذه الكتب :

أولاً : الحوادث اليومية من تاريخ احدى عشر ومية (٣) :

بدأ بخطبة كتابه هذا في أوائل شهر ربيع الأول من سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢م ، وتحدّث فيها عن فوائد التاريخ (علم الوقائع) كما أسماه ، وهذا العلم من شأنه أن يرفع من علوّ ومكانة صاحبه ، وأن كتب التاريخ خير جليس ، لا يمكن أن تؤدي إلى الشعور بالملل ، لأن التاريخ يتجدد باستمرار ،فقال ابن كنان : " وفي أوائل الشهر المذكور – ربيع الأول – ظفرت بخطبة أول كتابي هذا ، المسمّى (بالحوادث اليومية) ، وكنت لمّا شرعت فيه ، شرعت فيه

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ٢٢٢ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤٠ .

(٣) ن م ، ص ١٩٢ ، المرادي ، سلك الدرر ج ٤ ، ص ٨٥ .

بخطبة وترجمة أذكر فيها فوائد التاريخ وشرفه وما فيه من الإطلاع ، وأما الخطبة فهي كانت على ذهني وهي لها الآن أول الكتاب ، وأما الترجمة فأنشأت غيرها ، فلما ظفرت بها كتبتها هنا ، وصورتها :

" أما بعد . فلمّا كان علمُ الوقائع والتاريخ مِن أسلم العلوم في هذه الأيّام ، وأجلى للهموم على الوجه التمام ، رافعا ذوي الأفكار ، ولا يسأم منه المتأمل لتجدد علم الأخبار ، فالأخبار لا تحصل للمطالع إيقاف الفكرة كسائر العلوم ، وهو مطلع لك على حوادث الزمان فيما مضى ولا يدوم ، وأقل شيوعاً للذهن في زوايا علوم فرت عناكب النسيان ، وأسلم من فن مذاكرته في هذا الزمان ، يورق فيها عقد من الجنان ، وكان علم التاريخ وكتبه ، جليس لا يملّ حديثه ولا يزال على الجردّة تليده وحديثه ، تورق للمتأمل اعتباراً ، يحترز عنها اللبيبُ سرّاً و إجهارا ، ولا يخلو كتابنا من فوائد تضيء في أفق عالم الرواية ، وواقعات حال تورثها أعيان اهل الدراية ، من منظوم بيوته بحسن البلاغة عامرة ، وفوائد وقعت بين أهل المسايرة والمسامرة ، وبعض أحاديث ترفعه من حديقة عالم القدس ، ونكات لطيفة تستزيد الأنس على الأنس ، وبعده الدعاء والدخول في المقصود " . (١)

ويلاحظ عليه أنه يحب مطالعة كتبه مع بعض من المشايخ ، مثل الشيخ " مصطفى جلبي ابن أبي الصفا " وكانت مطالعة هذا الكتاب يوم الجمعة في السادس عشر من شهر ذي القعدة من سنة ١١٣٤ هـ/ ١٧٢١م . (٢)

أرّخ ابن كنان في هذا الكتاب لكثير من الأحداث التي جرت طوال أيام فترة التدوين له من سنة ١١١١ هـ / ١٦٩٩ إلى سنة ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م ، وصوّر فيه بعضاً من الأحداث التي مرّت على الدولة العثمانية ، مثل : حربها مع المجر سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م ،والحملة على روسيا و انتصار الإسلام باحتلال السلطنة على بعض أجزاء من الدول الأوروبيّة .(٣)

و اشتمل هذا المؤلّف على طبيعة الحياة الدمشقية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والعلمية والإدارية .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٢) ن م ، ص ٣٤٠ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ١١٠ ، ١٧١ ، ج ٢ ، ص ٥١١.

واستفاد من هذا الكتاب مؤرخين أمثال : المُرادي ، فيقول صاحب سلك الدّرر: " وألّف التاريخ الذي جمَعه بالحوادث اليومية ، وقد طالعتهُ واستفدتُ منه وفيات وبعض أشياء لزمتني لتاريخي هذا " [١] .

انتهى ابن كنان من تأليف كتابه في شهر ربيع الآخر من سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م ، وقام ابنه " محمد سعيد " بعد وفاة والده بأربع وثلاثين سنة أي في سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٤م، بجمْع ورقات المخطوط بعد أن كانت مبعثرة[٢]، وعَمِل على تحقيق هذا المخطوط أكرم حسن العلبي .

ثانياً: حدائق الياسمين في مصطلح قوانين الخلفاء والسلاطين [٣] :

ذكره ابن كنان في كتابه المواكب الإسلامية [٤] ، وهو من تحقيق الدكتور : عباس صباغ ،و اشتمل الكتاب على مقدمة ، وستة أبواب وخاتمة، وبيّن ابن كنان هدفه من تأليف رسالته بقوله : " فهذه رسالة تشتمل على إيضاح ألفاظ موضوعة في محالها من تواريخ الأعلام الأماثل ، لكنه لا ينجلي معناها لمتأملها فلا يزال في سكرة الأغلال تائه ، بما يقال حاجب الحجاب [٥] والخاصكي [٦]، ومقدم ألف [٧] ، وأمير عشرات [٨] ، وناظر الأيتام

---

(١) المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٥٢١ ، وهو على لسان ابنه محمد سعيد بن محمد بن كنان .

(٣) البابانى ، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي (ت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨م) ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ٢ ج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ط ، ١٩٥١م ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ، سيشار له : البابانى ، هدية العارفين .

(٤) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

(٥) ويشار إليه من الباب الشريف ويحل محلّ النائب في كثير من الأمور ، واستخدم اللقب في خلافة عبد الملك بن مروان وتقوم على حجب السلطان عن العامة فيغلق بابه أو يفتحه لهم حسب وقته ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠ ، ٦٣ .

(٦) الذي يلازم السلطان في خلواته ويسوق المحمل الشريف وتوكل إليهم المهمات الشريفة ، الظاهري ، غرس الدين خليل(٨٧٣هـ/١٤٦٨م)،زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تدقيق بولس راويس ،المطبعة الجمهورية، باريس، د . ط ، ١٨٩٤م ، ص ١١٥ ،١١٦ ،١١٧ .

(٧) ويعني مقدّم على ألف جندي وكان عددهم أربعة وعشرون أميرا ، المصدر السابق ، ص ١١٣

(٨) وهو من يرأس عشرة من فرسان المماليك وكان عددهم خمسون أميرا ، المصدر السابق ،ص١١٣ .

والجوالي [١] ، فبيّنتها مع ذكر المراد منها ، وما يناسب ذلك من ذكر الوظائف والقوانين التي كانوا عليها " . [٢]

وانتهى ابن كنان من تأليف رسالته المُسمّاة حدائق الياسمين في شهر ربيع الآخر من سنة ١١٢٢ هـ / ١٧١٠م ، " وإلى هنا أنتهي من رسالة الحدائق " [٣] .

ثالثا : المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية [٤] :

عَنِي بتحقيق هذه الرسالة ودراستها حكمت إسماعيل ، وهي من منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، و يتألف الكتاب من قسمين ، وذكر فيهما ابن كنان محاسن دمشق من المدارس والخوانق وأماكن للإجابة والزوايا [٥]، فضلاً عن بعض رموز الشام من أصحاب المناصب العليا في السلطنة العليّة كأرباب السيوف والأقلام والمناصب الدينية ، كما ذكرَ فيه عدداً من الجوامع والمساجد ، عدا عن محاسن الشام من الأشجار والأزهار ، وقد اعتمد ابن كنان في تأليفه لهذا الكتاب ، على عدد كبير من المصادر تجمع علوم التاريخ والطب والتفسير والنباتات ، وذكرها " التي اقتضبت منها هذه الرسالة " [٦] .

رابعا : الرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسملة [٧] :

يذكر ابن كنان أنها رسالة يصل حجمها بحجم الكرّاس ، وبدأ بتدوينها عندما عُرض عليه التدريس بالمدرسة الماردانية الواقعة بالجسر الأبيض بالصالحية من قبل قاضي الشام قرا مراد أفندي ، لتكون له مُعيناً في التدريس ، ولم يكُن يكتفِ ابن كنان بتأليف دواوينه وحسب ؛

---

(١) الجوالي هي الجزية والأموال التي تجبى من أهل الذمّة ، اليهود والنصارى، دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٥٦ .

(٢) ابن كنان ، حدائق الياسمين ، في المقدّمة ، ص ٢ .

(٣) ن م ، ص ٢٣٨ .

(٤) الباباني ، هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٥) انظر هذه الدراسة في الفصل الخامس .

(٦) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، المقدّمة ، ويذكر فيها أغلب مصادره .

(٧) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٧١ ،ج ٢ ، ص ٣٥٠ ، ٣٨٧ ، ٤٥٦ ، ٥١٨ / الباباني ،هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

وإنما يعرضها على العلماء والمشايخ ، لتدقيقها وإجازتها ، وهذه الرسالة عرَضها على كل من : الشيخ الحافظ محمد الخليلي [(١)] ، و حقي أفندي البرصوي الرومي ، اللذين قرءَا الرسالة وكتبَا عليها تقريظا [(٢)] ، فاستحسنوها ، ومدحوه على حُسن كتابتها وأجازوه بتدريسها ، وأخذ يُعيرُ نُسخا منها إلى أصحابه ، مثل : محمد جلبي أفندي الأيوبي[(٣)] ، ويبدو أن انشغاله بالتأليف والتدريس بالمدارس أو في داره ، أفقده نسخته الأصل من هذه الرسالة ، فطلب النسخة التي أهداها إلى محمد جلبي ، ليعيد كتابتها من جديد ، وهي موشحةٌ ومقرّظة من علماء أفاضل بالحديث والفقه والنحو ، فقال : " راسلت الأخ الأمجد محمد جلبي ، ابن رحمة الله أفندي الأيوبي ، وكنت طلبتُ مِنه رسالتي المشتملة على أنواع البديع في البسملة ، وطلبتها من أجل تقريض شيخنا الحافظ الخليلي ، وأبي الفداء إسماعيل أفندي الرومي البرصلي ، ومخلصه حقي أفندي حين نزلا إلى دمشق ، وكانت نُسختي المقرّض عليها ضاعت ، وكان في نُسختها من نُسختي ، صورتا (سورتا) النّصر ، وتبّت [(٤)] ، فطلبت النسخة من عنده لأكتبها " [(٥)] .

خامساً : شرح الشمعة المضيئة للسيوطي :

وهي رسالة في النحو ، عرضها ابن كنان على الشيخ الحافظ الخليلي والشيخ الملا إلياس الكردي وأجازوها له ، ولقيت استحساناً ومديحاً [(٦)] .

---

(١) محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي الصوفي ،حافظا للحديث والفقه والنحو والتصوف والمنطق ودرّس بالجامع الأموي وأجاز لكثير من الطلبة في الحديث ، توفي سنة ١١٤٧ هـ/ ١٧٣٤م ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٧١ ، ج٢ ،ص ٤٥٦ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٩٥،٩٦،٩٧ .

(٢) التقريظ : مدح الحيّ ووصفه والإثناء عليه ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص ٤٥٥ .

(٣) محمد بن رحمة الله بن عبد المحسن الأيوبي الحنفي الدمشقي ، نشأ في دمشق ،وأخذ عن عبد الغني النابلسي و الشيخ إسماعيل الحايك وغيرهم ، توفي بالقسطنطينية آخر ربيع الآخر من سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م ، ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٤٨٤ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٤٨.

(٤) القرآن الكريم ، ٣٠ ج ، سورة المسد ، ج ٣٠ ، رقمها ١١١ .

(٥) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٦) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ ، الباباني ، هدية العارفين ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

سادساً : المروج السندسية الفيحية في تلخيص تاريخ الصالحية :

وهو تلخيص لكتاب تاريخ الصالحية الذي يُنسب إلى يوسف بن عبد الهادي المتوفى سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م (١) ، كما استفاد أيضاً مِن كتاب القلائد الجوهرية في تلخيص تاريخ الصالحية لابن طولون(٢) ، فابن كنان حرص على النقل منهما (٣) ، ويشتمل على كل ما يخصّ هذه الحّارة الدّمشقية من مؤسسات تعليمية كالجوامع والمدارس والزوايا ، وقد عَنِيَ بتحقيقه محمّد أحمد دهمان سنة ١٩٤٧م ،وهو كتاب مطبوع في مديرية الآثار القديمة بدمشق.

سابعاً : الإلمام فيما يتعلق بالحيوان من الأحكام (٤) .

ثامناً : الأنوار المبتهجة على منظومة المنفرجة (٥) .

تاسعاً : البيان والصراحة بتلخيص الملاحة في علم الفلاحة (٦) .

عاشراً : التنبيه على غلط الجاهل والنبيه (٧) .

الحادي عشرة : رسالة الأشباه برفع الاشتباه (٨) .

---

(١)يوسف ابن القاضي بدر الدين أبي عبدالله الحسن والملقب بابن المبرد ، وينتهي نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب ومن مؤلفاته غراس الآثار وثمار الأخبار ومات عن عمر سبعين عاما ، ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١١ج، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير ،دمشق، ط١، ١٩٨٦م ، ج ٨ ، ص ٤١- ٤٤، وسيشار إليه لاحقا : ابن العماد، شذرات الذهب.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقي الصالحي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٨م) ، ولقب بالمحدث والعالم بالتراجم واللغة والنحوي والمؤرّخ ، وتولى عددا من الوظائف في دمشق كالتدريس والنظر على الزوايا والافتاء ، وله كثير من المؤلفات مثل الفلك المشحون وغيرها ، الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ٢ ،ص ٥٢ ، ابن العماد ، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٩٨ ، الزركلي ، الأعلام ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٣) ابن كنان ، المروج السندسية ، ص ٣٣، ٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٧١ .

(٤) الباباني ، هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٥) ن م ، ص ٣٢٥ .

(٦) ن م ، ص ٣٢٥ .

(٧) ن م ، ص ٣٢٥ .

(٨) ن م ، ص ٣٢٥ .

الثاني عشر : زهر البان في نعوت الحيوان [١] .

الثالث عشر : الزهور البهية في شرح الرسالة الأصول الفقهية [٢] :

الرّابع عشر : زين البساتين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين [٣] .

الخامس عشر : زين الربيع في علم المعاني والبيان والبديع شرح قصيدة بانت سعاد [٤] .

السّادس عشر : لسان النظام في شرح منظومة ابن الشحنة الإمام [٥] .

السّابع عشر : المحاسن المرتبة في الأدوية المجرية [٦] .

الثامن عشر : نزهة النفوس ودفتر العلم وروضة العروس [٧] .

العشرون : مكارم الخلاق لأهل مكارم الأخلاق [٨] .

الحادي والعشرون : كتاب المدارس : وقد ذكره ابن كنان من خلال كتابه حدائق الياسمين بقوله " والمدارس لنا " ، وقد ذكر الدكتور عباس الصباغ أنه من الكتب المفقودة [٩] .

---

(١) البابانى ، هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٢) ن م ، ص ٣٢٥ / انظر قائمة مصادر كتاب حدائق الياسمين للمحقق عباس صباغ ، ص٢٤٩

(٣)ن م ، ص ٣٢٥ .

(٤)ن م ، ص ٣٢٥ .

(٥)ن م ، ص ٣٢٥ .

(٦)ن م ، ص ٣٢٥ .

(٧)ن م ، ص ٣٢٥ .

(٨) ن م ، ص ٣٢٥ .

(٩)ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ١٥١/ انظر أيضا استنتاجات المحقق ص ٢٤٢ .

الثاني والعشرون : شرح المنفرجة :

ويذكر ابن كنان أنه كان مع جماعة من أصحابه في نزهة في الباسطية ، وقد كانت مطالعتهم في كتابه هذا ، فيقول : " ..... وكانت المُطالعة في (شرح المنفرجة) لمنشئ هذا التاريخ – ويقصد كتاب الحوادث اليومية " . (١)

* وفاة محمّد بن عيسى بن كنّان :

أصيب ابن كنان في فترة تدوينه لكتابه الحوادث اليومية بنوعين من المرض وكانا مما يؤدي بصاحبهما إلى الهلاك ، أحدهما مرض (الحمّى) ، وقد استمر مرضه هذا قرابة الشهرين ، بداية من شهر صفر وبالتحديد يوم الجمعة في الخامس عشر منه حتى شهر ربيع الثاني من سنة ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩م ، لكنه برئ وشُفي منه (٢) .

أما مرضه الآخر لم يُسمّه ابن كنان ، ولكن يبدو أنه كان أكثرَ خطراً من مرضه السابق ، وأصابه المرض في شهر ربيع الثاني من سنة ١١٥٣ هـ/ ١٧٤٠م ، وفيه رأى ابن كنان رؤيا أن أحداً يقول له : " رُح لبيتك ، وأنا أجيء إليك بالنّصر " ، وكان مرضه يزداد شدة ، فاعتبر ذلك بشارة بانتهاء أجله واقتراب مَنيّته ، فلم يمهله ذلك المرضُ طويلاً ، وتوفي الشيخ محمّد بن عيسى بن كنان في سنة ١١٥٣ هـ/ ١٧٤٠م ، وله من العُمر تسعة وسبعون عاما، ودُفن بسفح قاسيون بالصالحية ، إلى جنب زوجته (فاطمة بنت عبد الله) وأولاده الثلاث (محمد أمين ، عيسى ، أحمد) ، وتولى المشيخة بعده ابنه محمّد سعيد (٣) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

(٢) ن م ، ص ٣٩٨ .

(٣) ن م ، ص ٥٢٠

* منهجيّة محمد بن كنان في كتابة التاريخ :

يتميّز المؤرّخون والكُتّاب بمنهجيّة معيّنة يسيرون عليها إبّان تدوينهم للأحداث وسردهم للأخبار ، وهذه المنهجيّة تختلف حسب بيئة المؤلّف وعصره ، وغزارة علمه وثقافته واطلاعه على مختلف العلوم والمعارف التي تصقل شخصيته ، فيجد نفسه منقاداً لأسلوب واحد أثناء قيامه بالتدوين والتأليف .

والقارئ لأعمال محمّد بن كنّان الصالحي يستطيع أن يستنتج الأسلوب الذي سار عليه واتبعه في جلّ ما كَتَب ، وهذا يظهر من خلال النقاط التالية :

أوّلاً : يُلاحظ على طريقته بأنّه كان ناقلاً بامتياز من كُتُب السّابقين له ، وربما يكون قد اقتبسها كما هي ، وهي طريقة ظهرت عند معظم المؤرّخين الدمشقيين قبله مثل : شمس الدّين ابن طولون الذي لخّص تاريخ الصّالحية عن يوسف ابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م) ، وأيضاً نجم الدّين الغزّي ثم المحبّي اللذين جمَعَا معظم ما ترجموا لهم من مصادر غيرهم ، ولكن ما يُحسب لابن كنّان بأنّه كان يذكر مصادره التي اعتمد عليها سواء في مقدّمته أو في المتن ، فقد سمّى ما يقرب من أربعةٍ وأربعين مصدراً في مقدّمة كتابه المواكب الإسلاميّة ، وهي متنوّعة بشمل كتب التّاريخ والطب والجغرافيا والفقه والتفسير وعلم النبات والفلك والأرصاد ، أمّا في المتن فقد استخدم عبارات دلّت على طريقته في النقل مثل الفعل الماضي (قال [١]) أو المصدر منه(قوْل[٢]) أو الفعل (ذَكَرَ[٣]) في إشارةٍ منه إلى صاحب الخبَر ، مما يؤكّد على أمانته في نقل خبره ، وفي بعض الأحيان ينهي اقتباسه ذلك باستخدام اللفظ (انتهى كلامه [٤]) .

ثانياً : نجده لا يكتفي بنقل الخبر كما هو ؛ وإنما يعبّر عن رأيه ، خاصةً إذا ما علمنا أنّ جلّ

---

(١)ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٢٦، ٢٢٩ ، ٢٤٧ ، ٢٩٥، ج ٢ ، ص ٥، ٦، ٧، ٥٥. ، حدائق الياسمين ، ص ٥٧، ٧٤، ٨١، ٥٩ .، المروج السندسيّة ، ص ٣، ٤، ٧، ٢٧، ٥٩ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ، ٣٩٨ .

(٣) ن م ، ج ١، ص ٢٥٧ ، ٣٧٩ ، ٣٩٩ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ، ١٥٤ ، حدائق الياسمين ، ص ٧٨ ، ٨٩ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، ٢٤٦، ٢٧١، ٤٠٤، ٤١٠ ، ج ٢ ، ص ١١، ١٦٧، ٢٨٩، ٢٩٥.، ن م ، ص ٩٣، ١٧٥ . ، المروج السندسيّة ، ص ١١، ١٧ ، ٢٢، ٣٩، ٧٩ .

مصادره تعود للعصر المملوكي الذي سبق عصره بقرنين من الزّمان ، ليعطي أوجه الشبه أو الاختلاف بين الفترتين المملوكيّة والعثمانيّة ، وهو ما يضفي على مؤلفاته أهميّة كبيرة مكّنت الدّارسين اللاحقين المُحدثين من التعرّف على الألفاظ والألقاب وبعض العّادات التي لحقها التعديل والتغيير ، فكان يعبّر عن واقع الحال في عصره باستخدامه لفظتي : (قُلت [١]) فقد كان نائب قلعة دمشق زمن المماليك من أمراء الطبلخاناه [٢] ، لكن تغيّر ذلك زمن العثمانيين ، وهو ما أشار إليه ابن كنّان " قلت : وفي قوانين بني عثمان الآن لا يكون طبلخاناه [٣] "، كما استخدم لفظة (الآن [٤]) للتعبير عن زمانه هو أي زمن بني عثمان .

ثالثاً : كثيراً ما كان يشكّك في صدق الخبر ، ويذكر الصواب ، ويستخدم الألفاظ (لعلّ [٥] ،الله أعلم [٦] ،في كلامه نَظَر [٧])، فقد كان في زمن المماليك جنود للسلطان يعرفون باسم " جنود الحلقة " والذين تعتمد عليهم السلطنة في الأحداث المهمّة فقط عند الضرورة ، وهؤلاء استقرّ عملهم زمن العثمانيين باختلاف التسمية بحسب رأي ابن كنّان فيقول عنهم : " ولعلّ الآن موضعهم الزعماء بدمشق أو الينكجريّة ، ولهم رؤساء [٨] " .

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١، ص ٢٣٩، ٢٤٧ ، ٢٨٩ ، ٣٧١، ج ٢ ، ص ٤٧ ، ٧١ . /المروج السندسيّة ، ص ١٨ ، ٢٩ .

(٢) أمير الطبلخاناة من الدرجة الثانية من الأمراء ، وقد ترقّى بالمناصب حتى استحقّ أن تُضرب له الموسيقى على بابه ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨ ، ١٥ ، ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ٢٩ .

(٣) ابن كنان ، المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ١٠، ١١ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ج ٢ ، ص ١٨، ٢١ ، ٣٧ .، المروج السندسيّة،ص ١٩،٣٠.

(٥) ن م ، ج ١، ص ٢٧٢، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ج ٢، ١٣، ١٥، ٧٨ ، ١١٩ .

(٦) ن م ، ج ١، ص ٣٥٧ ، ٣٧٠ ، ج ٢ ، ص ١٢، ٢٠ ، ٧١، ١١٢، ١٢٥، ٢٥٣، ٢٧١، ٢٩٦./ حدائق الياسمين ، ص ٦٩. ، المروج السندسيّة ، ص ١٨، ٢٦ ، ٤٨ ، ٧٧ ، ١٠٠ .

(٧) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٨) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ١٢ ، ١٣ .

رابعاً : يبدو أنّ أوضاع السلطنة العثمانية لم تكن ترتقي للمستوى الذي يتمنى أن تكون عليه عند محمّد بن كنّان ، خاصةّ بأنّ الفترة التي عاشها في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي هي فترة شابتها عوامل الضعف سياسياً واقتصاديّاً وعسكريّاً وعلميّاً ، فنجده يميل للأوضاع التي كانت عليه زمن المماليك أو الأيوبيين ، وكان عندما يذكر اسم أحد السلاطين المماليك ممّن عُرف بتقواه وصلاحه وحُسن تعامله مع النّاس ، أو أحد القّادة العسكريين العظام زمَن الأيوبيين مثل صلاح الدّين الأيوبي [١] ، فإنّه يترحّم على عَهْده بعبارة (سقى الله عهدَه [٢]) .

خامساً : يُلاحظ على ابن كنّان الإسراف كثيراً بذكر الجوامع والمتنزهات والمدارس والزوايا بدمشق وحاراتها ، ويكرّرها في أكثر من كتاب له ، وتشكّل قسماً ليس بالقليل من حجم مؤلفاته ، ولكن من المفيد عنده أنّه يذكر ما استمرّ بزمانه أو ما أصاب بعضها من الخراب أو الدّمار والهّدم ، ويُفهم مبتغاهُ من ذلك من خلال استعماله ألفاظ (بَطُلَ [٣] ، خَرِبت[٤] ، بَطلت مِن زَمَان [٥] ،ويتأسّف على بطلانها بقوله : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله [٦]، وهذه المنهجيّة تنطبق أيضاً على القوانين والعّادات والألبسة والقلاع ببلاد الشّام زمن المماليك ، وما تعطّل منها في عصره ، فقد كان القادة والآغاوات وغيرهم بدمشق يحرصون على لبس الرّيش بالمواكب وهو على طراز الرّومان ، وبطل ذلك فيما بعد [٧] ، فتكون مؤلّفاته قد أعطتنا صورة واقعيّة ً عمّا آلت إليه المؤسسات العلميّة وبعض المظاهر الاجتماعية

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣١ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٣١ ، ٨٨ ، ١٠٥، ١٣٦ ، حدائق الياسمين ، ص ٥٤، ٥٥، ٦٠، ٧٤ ، ٩٦ ، ١١٣، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٤٦ ، ١٦٣ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ٣٧٨ ، ٢٩٠ ، ج ٢ ، ص ١٤ ، ٦١ ، ٧١ ، المروج السندسيّة ،ص ٤٣، ٥٢، ٤٩.

(٤) ن م ، ج١ ، ص ٣٠١ ، ٣٠٨ ، ٣٧٧ ، ٤٢٠ ، ج ٢ ، ص ٨٠ ، ٨١ ، ٩٢ ، المروج السندسية،ص٤٣، ١٣، ٤٦.

(٥)ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣٧٠ ، ٤٢٠ .

(٦)ابن كنان ، المروج السندسية ، ص ٤٢ ، ٤٩ ، ١١٠ .

(٧) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٧١ .

في عهد العثمانيين من الإهمال على عكس ما كانت عليه في عهد المماليك قبلهم .

سادساً : يُلاحظ على أسلوب ابن كنّان في الصّياغة مَيْله إلى السّجع ، وهو من الفنون الأدبيّة التي شاع استخدامها زمَن المماليك وفي العصر العثماني ، وهذا الأسلوب بدَا واضحاً في مقدّماته لكتُبه وفي المتن أيضاً ، وفي معظم الأحيان يُطيل بها فتأخذ مساحةً كبيرةً لا تقلّ عن صفحتين ، ويلجأ أحياناً للاستعانة بالآيات القرآنيّة التي تتماشى وطريقته تلك ، وربما يكون مردّ ذلك كثرة مطالعته لمؤلّفات ترجع للعصر المملوكي ، فتأثّر بها إلى درجة أن أصبحت منهجاً متّبعاً عنده ومثال ذلك حديثه عن هيئة السلطان عند خروجه للتسلية وما يصحبه من الموكب كالجنود والخيول ، فيقول فيها : (... وتسير في زَهو مواكبه كالبدر في كواكبه ، يحفّ به من الله تأييده ، ومن البشر جنوده ، فتحفّ كما تحفّ الأهداب بالمُقل ، والغطاس بالمنهل ، ثم يرجع الأمراء راكبون ، بين يديه على جِياد خيلٍ تطرد وتسبق ، وتجلف وتنعق ، من ولايته ولا تفترق ،تركض على تلك الجِياد التي تسبق البّرق لَوْ راكَضَها ، وتصدّ الجبل لو عارَضَها ، مِن كل حمراء كأنها جَبَلت من الشّفق ، ودهماء كسويداء الحدق ، أو " كالليل وما وسق ، والقمر إذا اتّسق [١] ") [٢] .

سابعاً : يُسرف بالحديث عن موكب البشوات عند توليهم ولاية دمشق ، وكذلك الحّال مع موكب القضاة القادمين من عاصمة السلطنة العثمانيّة اسطنبول ، وبدورة الحج ويكرّرها أيضاً في أكثر مِن كتاب له ، وهذه المواضيع كانت قاسماً مشتركاً في كتابَيْه (المواكب الإسلاميّة) و (الحوادث اليومية) [٣] ، وقد يكرّر أيضاً بعض المفردات فيما تتعلّق بالوظائف أو الألقاب ، فيتفطّن إليها ولا يُسهب بشرحها ، وإنما يكتفي باستخدامه

(١) سورة الانشقاق ، آية رقم ١٧ ، ١٨ .

(٢) ابن كنّان ، حدائق الياسمين ، ص ٨٤ .

(٣) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ – ٣٥٢ ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ١٥٥-١٥٧.

عبارات (وقد تقدّم ذكرُهُ [١]) أو (تقدّم الكلامُ فيه [٢]) ، كما نجد ابن كنّان يُحيل القارئ إلى المصادر التي استقى منها مؤلفاته ، وذلك عندما تتكرّر معه المعلومات ، وكأنه بذلك يعجز عن شرحها كما شرح غيرها وخصوصاً في معرض حديثه عن المدارس الشّافعيّة الدّمشقيّة أو الخوانق والتي غطّت جزءاً كبيراً من مجموع مؤلفاته ، فيكتفي بالقول مثلاً : " وقد تركت تراجمتها لأن ذلك منقولٌ في كُتُب المؤرّخين مثل كتاب الدّارس للنعيمي ... وغير ذلك مِن الكتب المُدوّنة في ذلك [٣] " ، أو يقول : " ومَن أراد الاطلاع على المدارس فعليه بالدّارس لمحيي الدّين عبد القادر النعيمي فإنّ فيه كفاية " [٢] ، ونجده كذلك عند ذكره لبعض الخوانق ؛ فيقول فيها : " وأمّا الخوانق فكثيرةٌ جدّاً ومَن أراد استيعابها فلْيُطالع كتاب النعيمي في المدارس وغيره [٤]) ، وكان حريصاً على ذكر أسماء مَن أشرَفَ على بنائها وواقفها .

ثامناً : يستعين بالأدلة القرآنيّة والأحاديث النبوية الشّريفة حسب موضعها من السّياق ، وهي السّمة البّارزة في منهجيّته [٥] ، ويلجأ إليها أحياناً عند حديثه عن فوائد النباتات [٦] ، والسّمة الأخرى التي حَظِيت بنصيبٍ وافرٍ من طريقته المنهجيّة ؛ اعتماده على الأشعار سواء كان مِن شِعْرِه الخّاص أو ينقلها من الآخرين ، ولا نبالغ إذْ نقول : أنّ أكثر من ثلث كتابه المواكب الإسلاميّة كانت بهذا الزخم من القصائد ، ويقلّ عنه في كتابه الآخر الحوادث اليومية .

تاسعاً : يحرص على ذكر أسماء بعض مؤلفاته بالمتن ، حيث ذَكَر اسم كتابه " حدائق الياسمين " خلال المتن من كتاب المواكب الإسلاميّة [٧] ، ونفس الشيء يُقال عن رسالته

---

(١) ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٧٧ .

(٢) ن م ، ص ١٣٣ ، المروج السندسيّة ، ص ٢٠ .

(٣) ابن كنّان ، حدائق الياسمين ، ص ١٥١ .

(٤) ن م ، ص ١٥٥ .

(٥) ن م ، ص ٥٦ ، ٥٧، ١٣٤ ، ١٧٠ ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .

(٦) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٢ .

(٧) ن م ، ص ٢٠ ، ٦١ .

المُسمّاة بالرّسالة المشتملة على أنواع البديع في البسملة ، فذكرها في كتابه الحوادث اليومية [١] ، ولم يغِب عنه في خاتمة مؤلفاته بأن يُشير إلى اليوم والشهر والسّنة التي أتمّ فيها كتابه بعد نسبته إليه ، فقد أنهى كتابَه حدائق الياسمين " في يوم الخميس ١٨ ذي القعدة سنة ١١٢٢هـ [٢] " ، كما أتمّ كتابه المواكب الإسلامية " يوم الثلاثاء سلخ ذي القعدة الحرام الذي هو من شهور سنة ١١٢٧هـ [٣] "

عاشراً : عندما تستوقفه قدرة الله تعالى في خلقه للنبات أو غيره من حُسن صنيعته -عزّوجلّ - ، فإنّه يحرص على تنزيهه وتعظيمه ، فيستخدم عبارات " سبحانه مَن لا يغيّره شيء " [٤] ، وعبارة " فسبحانه تعالى " [٥] ، أو عبارة " فتأمّل " [٦] ، وهي للإعجاب والاندهاش وللتفكّر بعظمة الخالق ، وعندما تحدّث عن الطريقة التي يُزرَع فيها شجر النخيل ، بحيث تكون القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة متجهةً نحو الأعلى وليس للأسفل ؛ فلا يتوانَ عن تنزيه الخالق بقوله : " فسبحانه لا إله إلاّ هو جلّت عظمتُه " [٧] .

الحادية عشرة : لا يكتفي بنقل الأخبار من بطون المصادر ومشاهداته الخّاصة فحسب ؛ وإنما يثريها من خلال سمَاعه من شيوخه أو من النّاس ، وهو ما يدلّ عليه استخدامه للألفاظ مثل (أخبرَني أو سمعتُ) [٨] .

الثانية عشرة : يُلاحظ على أسلوب ابن كنّان في كتابه الحوادث اليومية ، وهو مِن كتب اليوميّات والتاريخ والتراجم بأنّه لا يدع سنة إلاّ ويذكر في بدايتها اسم السلطان العثماني بالاسم ، وكذلك اسم ولاة الشّام والمفتي بها وقُضاتها ، وأمّا بالنسبة لتراجمه مِن

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٢٧١ ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٢) وهي توافق سنة ١٧١٠ م ، ابن كنّان ، حدائق الياسمين ، ص ٢٣٩ .

(٣) وهي توافق سنة ١٧١٥ م ، ابن كنّان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٨١ .

(٤) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٥) ن م ، ص ٢٧٣ ، ٣٧٠ ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٦) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٧) ن م ، ص ٣٠٤ .

(٨) ابن كنان ، المروج السندسيّة ، ص ١٣ ، ٣٢ ، ١٨ ، ٦٥ ، ٦٧، ٨٣، ٨٩ ، ١١٣ .

الأعلام فقد ترجَمَ لمئتين وسبعٍ وستين عَلَماً ، ومنها لخمس نساء [١] ، وجلّ أولئك كانوا مِن العلماء والشيوخ والقُضاة بالإضافة للمجاذيب وأصحاب الكرامات ، ومن بينهم على سبيل المثال : محمّد أمين بن فضل الله المحبّي ، وهنا لا بدّ أن أقتبس ما ذكَرَه عنه بوفاته في جمادى الأولى من سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م : " في أوائله ، يوم الخميس ، تُوفِيَ إلى رحمة الله أمين جلبي صاحب النفحة ، والتّاريخ المشهور ، والمُضاف والمنسوب ، وصُلي عليه بالجامع ، ودُفن بتربة باب الفراديس الشرقية ، وكان عالماً أديباً مُتفنّناً مُنشئاً ، قرأ النحو والمنطق والأصول وأتقنَ فنون الأدب والنُظُم ، ، وشِعره في غاية الرّقة والجودة والحُسن ، وكان لطيف الهيئة جداً ونحيفاً ، كامل الخلقة ، أدركتُه أبيضَ الرأس واللحية ، مُعظّم الملبس والهيئة ، حَسَن النضارة مُتواضعاً ، حليماً ، ظريفاً في شكله وهيئته ، لم يُرَ مثله ، وتأسّف النّاس عليه ، ورثاهُ كثيرٌ مِن أفاضل دمشق بقصائدَ طنّانة ، وكان انتهى إليه فنّ الأدب والشّعر والتّاريخ ، ألّف كُتُباً حِساناً وأتقنَ بها كلّ الإتقان ..... رحمه الله وعفا عنه ، آمين . " [٢]

وسعى ابن كنّان عند كل ترجمة بذكر السّيرة الذاتيّة كالكُنية والوظيفة و التحصيل العلمي والشيوخ الذين أخذ عنهم ، هذا بالإضافة لحرصِه على تسمية المسجد الذي صُليَ عليه فيه ، وفي معظم الأحيان يُسمّي الإمام الذي أمّ المصلّين في صلاة الجنازة ، ثم يذكر اسم التربة التي دُفِنَ بها ، وأحياناً لا يتوانَ ابن كنّان من نقل الأشعار من نوع الرّثاء التي قيلت بحق العَلَم المُترجَم له .

الثالثة عشرة : بِما أنّ كتاب الحوادث اليوميّة مِن كُتُب اليوميّات فإنّ ذلك لا يخلو مِن الألفاظ والتراكيب العاميّة التي تجري كثيراً على ألسنة النّاس ويتداولونها فيما بينهم ، لذا كان محمّد بن كنّان يستخدم تلك الألفاظ ، ولعلّ ذلك يعود إلى غلبة العاميّة على ألسِنة

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٤٧ ، ج ٢ ، ص ٣٨١ ، ٤٣٠ ، ٤٧٥ ، ٥١٠ .

(٢) ومؤلفات المحبي التي قصدها ابن كنان : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ونفحة الرّيحانة ورشحة طلاء الحانه ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨ ، وذكره أيضا المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٨٦ .

الناس ، أو قد يكون نابعاً مِن حرصِه على نقلها كما هي ممّن سَمِعَ عنهم وأخذ منهم ، ومن بينها ألفاظ (على راسي ، قُدّامه ، طايح ، كلّه راح ، ودّاه ، سَيَران بمعنى الخروج للتنزّه وهي لهجة شاميّة، رَمْيَة حَجَر ، بعد كم يوم) [١] ، ولا تخلو كتاباته مِن الأمثال الشعبيّة والتي تحمل دلالات معيّنة عند استخدامها وتأتي لتناسب السّياق ، فنجد ابن كنّان عندما يتحدّث عن مظلمةٍ مَا فإنّه يستعمل المَثَل (البغي مصرع مُبتغيه وخيم) [٢] ، ومن تلك الأمثال نقتبس (خَيّرهُ تُحَيَره [٣] ، ألسِنةُ الخّلق أقلام الحقّ [٤] ، غضَب الأحمق جنون [٥]) .

الرابعة عشرة : بالرغم مِن أنّ محمّد بن كنّان دوّن جزءاً كبيراً من الأحداث التي عاصرَها والتي مرّت على بلاد الشّام عامّةً ودمشق خاصّة في كتابه الحوادث اليومية لمدّة اثنتين وأربعين سنةً من الزّمان ، ابتداءً من سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م إلى وفاته سنة ١١١٥٣هـ / ١٧٤٠م ؛ إلاّ أنّها لا تخلو مِنَ النّقص في بعض الأشهُر التي لم يؤرّخ لها ! وهي تتوزّع على مختلف السنوات ،وتغطّي بما يُعادل سنتين وثمانية أشهُر ، بمعنى أنّه لم يؤرّخ لاثنين وثلاثين شهراً ، ولعلّ ذلك يرجع إلى عدم وجود ما يستوجب الحديث عنه .

---

(١) ابن كنّان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٤ ، ٥٠، ٣٤ ، ١٢٧ ، ٢١ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٦٦ .

(٢) ن م ، ص ٦٠ ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٤) ن م ، ص ٢٤٤ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

الفصل الثالث ...

الأحوال الإدارية والاجتماعية بدمشق

أولا: الأحوال الإدارية:

- ولاة دمشق ...
- الجهاز القضائي والافتاء في دمشق (الإداري)...
- الجهاز العسكري وعلاقته بالدولة العثمانية (قوى محلية) ...
- علاقة الدولة بأعيان دمشق (قوى محلية) ...

ثانيا: الأحوال الاجتماعية:

- المجتمع الدمشقي (تركيبة المجتمع الدمشقي، العلاقات الاجتماعية، الحارات والقرى وظاهرة الزعر فيها، الانحراف في دمشق، المقاهي والتدخين، الأطعمة والمشروبات، الظواهر الطبيعية والفلكية، متنزهات دمشق، الأوضاع الصحية، الأحوال العمرانية)...

الفصل الثالث :

الأحوال الإداريّة والاجتماعيّة بدمشق :

أوّلاً : الأحوال الإداريّة :

- الولاة في دمشق :

إنّ دخول الولاة والباشوات دمشق واستلامهم منصبهم الجديد ؛ فمناسبة لها ما يميّزها عن غيرها ، إذ يُعتبر منصب الباشا أو الوزير من المناصب المهمّة ، وعلى الباشا الجديد أن يظهر شخصيّته وحزمه وهيبته فورَ دخوله دمشق ، وتظهر قوّة شخصيّته وعظمته من خلال الموكب الذي يكون بانتظاره ، وبعض هؤلاء الباشوات يدخلون بصورة وهيئة غريبة ومهيبة ، مثل : يوم دخول (ناصف / نصوح باشا [1]) دمشق سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م ، حيث ظهر عليه السلاح الكثير ، ومغرّقا بآلة الحرب ، وكان موكبه يشتمل على نحو ألفي خيّال ، وأربعون حملا من المال ، بالإضافة للجمال والبغال والخيول ، المحمّلة بالأمتعة [٢] .

وصف ابن كنان موكب الباشا منذ دخوله الشام وحتى صلاته في أول جمعة له بالجامع الأموي (الذي أسماه بالجامع الكبير) ، وعن الحفاوة والترحيب التي حظِي بها ، بقوله : " فتدبير موكب الباشا في هذا العهد ، أنه يوم دخوله إن أراد وتخرج لملاقاته إلى قرب حمص غالبا من أركان السرايا ، الكيخية [٣] ، والخوايجية ، والترجمان في السرايا ، وديوان أفندي العربي [٤] ، ومع كبارهم الهدايا من محاسن المأكول والشرابات السكّرية ، مما يليق بخدمة الباشا ، ثم يجعل مخيّمه في قرية حرستا ، كذا العادة ، ويقام له ضيافة بقدر جماعته ، من سائر الألوان والعليق للخيل ، ويضاف قبلها في قلعة ضيافة ، ثم إذا وصل حرستا لاقى

---

(١) التسمية بالأصل نصوح ، ولكن الشهرة هو ناصف ، لأن من عادة الأتراك التلاعب بالحروف فيقولون بدلاً من نصوح ناصف ، المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٤٤٨ .

(٢)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٣) كلمة فارسية وتعني صاحب البيت وأصبح يستخدم لمن يكون نائبا أو قائما بالأعمال عن الباشا ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ١٨٨ .

(٤) يقول عنها الدكتور حكمت إسماعيل محقق كتاب المواكب الاسلامية : أن المقصود بها ديوان المحاكم الشرعية التي تعتمد اللغة العربية وليس التركية ، ج٢ ، ص ٣٣٩ .

دولة الشام من الينكجرية ، والزعماء ، والقابي قول ، دولة قلعة دمشق ، وآغة القلعة ، ومن شرطه أن يكون بعمامة ، وكذا الباش دفتار [١] ، من المتعممين والجربجية [٢] ، وهم على عدد معلوم ، والأدباشية [٣] ، والإيباشية [٤] ، ثم قاضي الشام ، والمفتي ، والمدرسون أرباب الرقع والمدارس الكبار ، فيدخل (أي : الباشا) ، فأول ما يمرّ به من العسكر وآلته الباشا والسكبان من عسكره ثم الينكجرية ، ثم آغة الينكجرية ، ثم تمرّ الجربجية والإيباشية بالريش العظام ، وبطل الريش سنة حين ناصيف باشا لما أبطل الدورة (وهنا يقصد ابن كنان أن ناصيف باشا أبطل دورة المحمل والتي كان يقودها أمير الحج سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م ، وأصبحت من اختصاص الباشا نفسه [٥]) ، ثم تمرّ الزعماء ، وتارة تسبق الجربجية ، والريش يتأخر ، ثم دولة القلعة ، وآغة القلعة بعمامة ، وكذا باش دفتار ، ثم العلماء ، ثم اليدكات [٦] ، ويتقدّمها مدرسّو الشّام ، ثم القاضي على يمين الباشا ، ثم أولاد خزنة الباشا ، ثم يتوزع العسكر من مصطبة باب السرايا ، ومنهم يدخل السرايا بالمراتب ، والعلماء تقف مقابل السرايا ، وتأخذ السلام من غير دخول للسرايا ، ثم يتفرق العسكر كل إلى مكانه ، ثم في أول جمعة تجمع الجربجية والجاويشية ، والأباشية والتراجمين والكتاب بالسرايا فتركب ، ويمشي غالب الجند الشامي معه ، وأرباب الريش بالريش على الخيول ، ثم ينزلون عند باب الجامع الكبير ، أعني باب البريد ، فيدخل الكل ّ وقدّامه الريش لصقا ، ثم يصلّي عند رأس نبيّ الله يحيى - عليه السلام - ، فيصلّي الجمعة (أوّل جمعة له بدمشق) ، ويسمع العشر [٧] الذي مقابل النبيّ - عليه السلام -، ثم يعود للسرايا بالموكب الذي طلع فيه " [٨]

---

(١)رئيس تشكيلات المالية العثمانية وكان يطلق عليها باب الدفتري ، صابان، المعجم الموسوعي ، ص ٥٥.

(٢)الجربجية : المسؤولون عن تقديم الطعام والشراب ، بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية ، ص ١٩٠ .

(٣)أوضة باشي ، كلمة تركية تعني رئيس الأوضة أو رئيس الخيمة ، رافق ، بلاد الشام ومصر ، ص ٧٤ .

(٤)وتعني رئيس الجند من المشاة ، الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٩٥ .

(٥)ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٦) قال عنها محقق كتاب المواكب الاسلامية ،ج ٢، ص ٣٤٢ : كلمة تركية تعني سائس الخيل الذي يحضرها ويسرجها ويعدها للسفر .

(٧) ويعني ذلك قراءة شيء مما تيسّر من القرآن الكريم ، عشر آيات أو عشر من السور القصار .

(٨) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

وأثناء ذلك تُقام الاحتفالات وتُضرب المدافع من على قلعة دمشق [١]، ولا تقتصر أفراح الناس الدمشقيون على استقبال الولاة فحسب ؛ وإنما يشاركونه أفراحَه عند زواجه مثلا ، ومنها : زواج محمد باشا ابن بيرم على بنت حسن باشا الكردي [٢]، وزواج حسن باشا من أخت السلطان مصطفى بن محمد [٣] .

أما ما يحلّ على الولاة من المصائب والمآسي كفقدان زوجاتهم أو أبنائهم أو أحد أقربائهم ، فلم يكن الناس يتأخرون في مشاركته أحزانه ، والتخفيف عليه ، حيث أبتُليَ كافل دمشق وباشتها سليمان باشا بوفاة ابنه ، وكان طفلا لا يتجاوز الثمانية أشهر ، ويبدو من كلام ابن كنان أن العزاء الذي يختصّ بالباشوات ، له أيضا ما يميزه عن غيره ، وذلك بوصفه مأساة فقدان الباشا لابنه : " ومشى الباشا من السرايا إلى التربة ، ولقيه قاضي الشام ، والمباخرُ العود مشعولةً قدّامه ، وأظنه كان مؤخرا عن الجنازة كما هو السنّة (أي : العادة) وقيل حمل فيه إلى السرايا وهو شديد البكاء ، ومشى قدّامه العلماء والقضاة وأكابر الدولة ، وقدّامهم المباخر بالعنبر ، وعلى السحلية [٤] مخمل مزركش ، ودفن بالباب الصغير في حضرة بلال - رضِي الله عنه - ، وفي الرجعة عاد للسّرايا راكبا " [٥] .

أما فيما يتعلق بالفترة الزمنية التي يقضيها الباشا في منصبه ، فهي تعتمد إلى حدّ بعيد على هيبته ونفوذه ، وتعتمد على رضى العوام عليه وعلى سياسته ، وأما المحك الحقيقي الذي كان يواجه الباشا ، فترتبط بمقدرته على توفير سبل الأمن والحماية والاستقرار لقوافل الحج منذ دخولها دمشق في شهر رمضان ، حتى وصولها إلى بلاد الحجاز ، ومن ثم عودة تلك القوافل بسلامة وأمن ورخاء ، فالدولة العثمانيّة الإسلاميّة هي حامية للحرمين الشريفين ، ومن الضروري الحفاظ على سلامة حجّاجها ، وكانت إمارة الحجّ من اختصاص الباشا نفسه

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢، ص ٣٩٢ .

(٢) ن . م ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٣) ن . م ، ص ٣٦ ، ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ٩٨ .

(٤) كلمة عامية وتعني الصندوق الخشبي الذي يوضع فيه الميت (النعش) ، دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٨٩ .

(٥) ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ١٢٧ .

وكثير من هؤلاء الباشوات كانوا قد فقدوا مناصبهم ، بسبب المصائب والمعضلات التي أصابت قوافل الحجيج من السّلب والنهب والقتل من العربان وقطّاع الطرق ، وكان من بين هؤلاء الباشوات الذين خسروا مركزهم بدمشق : حسن باشا ، الذي غادر دمشق سنة ١١١٣هـ / ١٧٠١م خُفية من غير طبلٍ ولا زمر ودون موكب (١) ، كما جرت العادة عندما يأتي الفرمان السلطاني بعزله أو تسليمه لمدينة أخرى يخرج بنفس الحفاوة التي كان يتلقّاها عند تسلّمه ، بينما نجد أن ولاة آخرين استطاعوا البقاء في مناصبهم تلك فترة طويلة ، وذلك نتيجة حزمه وحسن سياسته وتدبيره مع العرب الذين كانت تمتد أيديهم على الحجّاج وقوافلهم ، ومن بين أولئك الولاة الذين قويت شوكتهم بدمشق ، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، أسعد باشا العظم (ت١١٧١هـ / ١٧٥٧م) ، حيث بلغت ولايته على مدينة دمشق أربعة عشر عاما ، وذلك منذ سنة ١١٥٦هـ - ١١٧٩ هـ / ١٧٤٥م – ١٧٥٩م (٢) .

وفيما يلي جدولين يوضحان أسماء السلاطين العثمانيين، وولاة دمشق في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي :

*** جدول رقم (١) سلاطين الدولة العثمانية في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي :**

الرقم	اسم السلطان	سنة توليته من - إلى	ترتيبه بين سلاطين الدولة العثمانية	المصدر/ الصفحة
١	السلطان مصطفى الثاني	١١٠٧-١١١٥هـ/١٦٩٥-١٧٠٣م	٢٢	ابن كنان، الحوادث اليومية ، ج١، ص٧ ،٧٢ ، ٨٠
٢	السلطان أحمد الثالث	١١١٥-١١٤٢هـ/١٧٠٣-١٧٣٠ م	٢٣	ن . م ، ص٧٢، ٧٦ ، ٢٨٨ .
٣	السلطان محمود الأول	١١٤٢- ١١٦٧هـ/١٧٠٣-١٧٥٤ م	٢٤	ن . م ، ج٢ ، ص ٤١٠، ٤٢٧،٥١٥.

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٤٧ ، ٥٠ .

(٢) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٧١،٧٢، ٧٣ ، الزركلي ، الأعلام ، ج ١، ص ٣٠٠ .

٤	السلطان عثمان الثالث	١١٦٧- ١١٧٠هـ/١٧٥٤-١٧٥٧ م	٢٥	الحلاق، حوادث دمشق اليومية ،ص ١٨٤،١٩٣، ٢١٠
٥	السلطان مصطفى الثالث	١١٧٠- ١١٨٦هـ/١٧٥٧-١٧٧٤م	٢٦	ن . م ، ص ٢١٠،
٦	السلطان عبد الحميد الأول	١١٨٦- ١٢٠٣هـ/١٧٧٤-١٧٨٩ م	٢٧	فريد بك ، تاريخ الدولة العلية،٣٤١.

*** جدول رقم (٢) ولاة دمشق في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي من خلال ابن كنان والبديري الحلاق :**				
الرقم	**اسم الوالي**	**عدد مرّات توليته**	**من - إلى**	**المصدر/ الصفحة**
١	حسن باشا السلحدار	واحدة فقط .	١١١١-١١١٣هـ/ ١٦٩٩-١٧٠١م	ابن كنان،الحوادث اليومية ،ج١، ص ٧ ، ١٣، ٣٦ .
٢	أصلان باشا اللاذقي	واحدة فقط .	١١١٣-١١١٤هـ/ ١٧٠١-١٧٠٢م	ن . م ، ص ٥٠ ، ٥٢، ٥٦،٥٣ .
٣	محمد باشا ابن بيرم	الأولى .	١١١٤- ١١١٥هـ/ ١٧٠٢- ١٧٠٣م	ن . م، ص ٥٩، ٦٣، ٧٢، ٧٩.
٤	مصطفى باشا العشّي	واحدة فقط .	من شهر جمادى الآخرة ١١١٥هـ - شهر شعبان ١١١٥ هـ/١٧٠٣ م .	ن . م ، ص ٨٠.
٥	أصلان باشا اللاذقي	المرّة الثانية	من ٣٠ شعبان ١١١٥هـ - ١٨ رمضان ١١١٥هـ/ ١٧٠٣ (وفاته)	ن . م ،ص٨٢،٨٣
٦	مصطفى باشا الرومي	واحدة فقط .	١١١٦هـ - ربيع الآخر ١١٦هـ/ ١٧٠٤ م	ن . م ، ص ٨٦، ٨٧ .
٧	حسين باشا الأشقر	واحدة فقط .	رجب ١١١٦- ١١١٧هـ /١٧٠٤ – ١٧٠٥ م	ن . م ، ص ٨٨ .

٨	محمد باشا ابن بيرم	المرّة الثانية .	١١١٧- ١١١٨هـ/ ١٧٠٥- ١٧٠٦ م	ن . م ، ص ٩٠، ٩٤، ٩٨، ١٠٤.
٩	سليمان باشا	واحدة فقط .	١١١٨-١١١٩هـ/ ١٧٠٦ – ١٧٠٧م	ن . م ، ص ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧.
١٠	يوسف باشا قبطان	واحدة فقط .	١١١٩- ١١٢٠هـ/ ١٧٠٧ – ١٧٠٨م	ن . م ،ص١٢٩، ١٣٠، ١٣٦ .
١١	نصوح باشا	واحدة فقط .	١١٢٠- ١١٢٦هـ/ ١٧٠٨-١٧١٤م	ن . م ، ص ١٤١، ١٤٤، ١٦١،١٤٨، ١٧٦، ١٩٨،١٨٨.
١٢	يوسف باشا طبل	واحدة فقط .	١١٢٦-١١٢٨هـ/ ١٧١٤- ١٧١٦م	ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١، ص ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤ ، ٢٣٠، ٢٤٧.
١٣	إبراهيم باشا	واحدة فقط .	١١٢٨- ١١٢٩هـ/ ١٧١٦- ١٧١٧م	ن . م ، ص ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٣ .
١٤	عبد الله باشا الكبرلي	واحدة فقط .	١١٢٩- ١١٣٠هـ/ ١٧١٧- ١٧١٨م	ن . م ، ص ٢٦٤، ٢٦٥ ، ٢٧٩.
١٥	رجب باشا	واحدة فقط	١١٣٠- ١١٣١هـ/ ١٧١٨- ١٧١٩م	ن . م ، ص ٢٨٠، ٢٩٣، ٢٩٨ .
١٦	عثمان باشا أبو طوق	الأولى .	١١٣١- ١١٣٢هـ/ ١٧١٩- ١٧٢٠ م	ن . م ، ص ٢٩٨، ٣١٤ .
١٧	عثمان باشا	واحدة فقط .	١١٣٢- ١١٣٤هـ/ ١٧٢٠- ١٧٢٢م	ن . م ، ص٣٠٦، ٣١٠ .
١٨	علي باشا ابن المقتول	واحدة فقط .	١١٣٤- ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢- ١٧٢٣م	ن . م ، ص ٣٣٥، ٣٣٧ ، ٣٣٤.
١٩	عثمان باشا أبو طوق	المرّة الثانية .	١١٣٥- ١١٣٧هـ/ ١٧٢٣- ١٧٢٥م	ن . م ، ج٢، ص ٣٤٨، ٣٥٠ .
٢٠	إسماعيل باشا العظم	واحدة فقط .	١١٣٧- ١١٤٣هـ/ ١٧٢٥- ١٧٣١م	ن . م ، ص ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٨٩.
٢١	عثمان باشا الأيدنيلي	واحدة فقط .	١١٤٣- ١١٤٦هـ/ ١٧٣١- ١٧٣٤م	ن . م ، ص٤٢٧.

٢٢	سليمان باشا العظم	الأولى	١١٤٦- ١١٥١هـ/ ١٧٣٤- ١٧٣٩م	ن . م، ص ٤٩٩.
٢٣	حسين باشا البستنجي	واحدة فقط .	١١٥١- ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩- ١٧٤٠م	ن . م ، ص ٤٩٩.
٢٤	عثمان باشا المحصّل	واحدة فقط .	١١٥٢- ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠- ١٧٤١م	ن . م ، ص ٥٠٤، ٥٠٥، ٥١٦.
٢٥	عبدالله باشا علي باشا	واحدة فقط .	١١٥٣- ١١٥٤هـ/ ١٧٤١- ١٧٤٢م	الحلاق ، حوادث دمشق اليومية،ص ٧، ٨.
٢٦	سليمان باشا العظم	المرّة الثانية .	١١٥٤- ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢- ١٧٤٤م	ن . م ، ص ٥٩،٨
٢٧	أسعد باشا العظم	واحدة فقط .	١١٥٦- ١١٧٠هـ/ ١٧٤٤- ١٧٥٨م	الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٤٧، ١٩٤،٦٠،٥١
٢٨	حسين باشا ابن مكّي	واحدة فقط .	١١٧٠- ١١٧١هـ/ ١٧٥٨- ١٧٥٩م	ن . م ،ص ١٩٥ ،١٩٦ ،٢١٢،١٩٩.
٢٩	عبد الله باشا الجيته جي (الغازي) .	واحدة فقط .	١١٧١- ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩- ١٧٦١م	ن . م ، ص ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٥،٢٢١.
٣٠	محمّد باشا الشالك	واحدة فقط .	١١٧٣- ١١٧٤هـ/ ١٧٦١- ١٧٦٢م	ن . م ،ص ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣١،٢٢٨.
٣١	عثمان باشا الكرجي	واحدة فقط .	١١٧٤- ١١٨٤هـ/ ١٧٦٢- ١٧٧٢م	ن . م ، ص ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥ .

ومما سبق يتضح أن الدولة العثمانية اعتمدت على وزراء من الأروام الترك ، وكانت تختار ممّن يوصفون بالشدة ؛ نظراً لأهمية دمشق التجارية والاقتصادية ، فضلاً على أنها مدينة تتجمّع فيها قوافل الحجيج عند رحلتها إلى الحجاز ، وبعض الولاة من سنحت له فرصة التولية لأكثر من مرّة واحدة ، وتمكّنت أسرة آل العظم من الاستحواذ على المنصب ما يقرب من سبعِ وعشرين سنة ، ابتداءً من إسماعيل باشا العظم سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥ م ، ويبدو بأن هذه الأسرة حازت على تقدير السلطنة ممّا جعلها تمنحهم كل تلك السنوات في منصب الوزارة بدمشق وغيرها من الولايات الأخرى ، بالرغم من القتل والأذى الذي صدر بحقّهم وبحقّ

عائلاتهم في آخر حكمهم ، وأطول فترة وزارة من هذه الأسرة كانت إلى أسعد باشا العظم ووصلت إلى أربعَ عشرة سنة ، استطاع من خلالها تثبيت أركان الدولة بالشام ، وضبط الأمن في الولاية ، والحدّ من تعدّي العُربان على طرق الحجّ .

- الجهاز القضائي والافتاء في دمشق :

يرتبط هذا الجهاز ارتباطا مباشرا بحياة الناس ، وللقضاة والمفتين أدوارهم التي يقومون بها، كالفّصل بين الناس في المنازعات ، وإقامة الحدود على الفاسدين والأشقياء ، والتصديق على حالات الزواج في العقود ، أو الوصايا ، أو في تقسيم المواريث بين الورثة ، وكان في الولايات التابعة للدولة العثمانية قضاة من المذاهب الأربعة ، أمّا أسباب تعدّد هؤلاء القضاة فربما كان لتعدد مذاهب الوافدين إلى دمشق ، فالقضاة والمفتون في زمن سلطنة المماليك كانوا يعيّنون من أتباع المذهب الشافعي وهو مذهب السلطنة الرسمي ، وكان يُخلع عليهم من قبل السلطان نفسه ، فكان للشوافع الحظوة الكبرى في تولية المناصب العليا والمهمة في دولة المماليك ، رغم ممارسات بعضهم المنافية للمنصب [١] ، وكان القاضي الشافعي يجمع النظر على الأيتام ، ومتابعة الأوقاف والإشراف عليها ، ومراقبة بيت المال ، والنظر في نواب البلاد [٢] ، الأمر الذي يعكس طبيعة النظرة والتحيّز للمذهب الشافعي دون غيره من المذاهب الأخرى ، بينما اختلف الحّال عند وصول العثمانيين للحكم ، فالدولة العثمانية انحازت للحنفية ، دون إجحاف لذوي المذاهب الأخرى وخاصة للشافعية ، فقد أبقت على وجود بعض من القضاة الشوافع في دمشق ، لكن كان للقاضي الحنفي أهميته ودوره الرئيس في دمشق وغيرها من الولايات التي تخضع لحكم آل عثمان ، أما الفرق بين نظرة الدولتين المملوكية والعثمانية لقضاتها ؛ نجده من خلال الخِلعة التي كانت تعني بمثابة " الفرمان

---

(١) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ٢، ص ١٠ ، وكانوا يستخدمون البرش مثلا وهي مادة يؤتى بها من الهند تستخدم كعطر وعلاج وهي مادة مخدرة ، أنظر : الغزي ، لطف السمر ، ج ١، ص ٧٦، الحنبلي ، در الحبب،ج١،ص٣٥٦ ، وبخصوص انتشار الحشيش في المجتمع الدمشقي ، انظر : أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ١٦٦ .

(٢)ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ١٤٣ .

السلطاني" لاستلام القاضي أو المفتي لمنصبه ، ففي الحكم المملوكي كان السلطان بصفة شخصية يخلع على القاضي الشافعي بلباس من السمّور[١] والصوف قبل دخوله الولاية واستلام مهامه ، لكن في زمن بني عثمان ، كان الوالي أو الكافل هو من يقدّم الخِلعة للقاضي أو المفتي المتعيّن ، وكانت خلعته عبارة عن فروة من السمّور ، وذكر المُحبّي في خلاصته : أن هذه العادة في لبس الفروة من قبل الكافل تعود إلى (محمّد باشا) سبط الوزير (رستم باشا) في عهد السلطان إبراهيم بن أحمد الأول ، الذي حكم من سنة ١٠٤٩- ١٠٥٨هـ / ١٦٤٠ - ١٦٤٨م ، حيث تولّى محمد باشا نيابة الشام في سنة ١٠٥٢هـ / ١١٦١م ، وأكرم قاضي القضاة بدمشق الرومي داود بن بايزيد وألبسه فروة من السّمور ، وبقيت هذه العادة مستمرة في زمن دولة بني عثمان [٢] فالخِلعة تكون للحنفيّة فقط ، بجوخ مفري بسمّور ، فلا يكون من السلطان ، ولكنها تكون على نائب الشام وكافلها فقط [٣] ، وكان أوّل من تولى منصب القضاء من الأحناف في حلب بعد انقضاء الحكم المملوكي هو كمال الرومي الحنفي [٤] .

وكان استقبال قاضي الشام لا يختلف عن تلك الحفاوة التي يحظى بها الباشا عند قدومه إلى دمشق لممارسة عمله المنُوط به ، فيخرج للقائه أكابر الدولة في الشام ،وعلمائها ،وقادة الجند ، ونواب الضواحي والمحاكم إلى حرستا ، وغالبا فإنه عندما يتغيّر قاضي الشام ، فإنّه يتغير معه أركان القضاء من مفتين وكتّاب ، وغيرهم من موظفي المحاكم ، وفيه نوع من التجديد ، وقلّما يحتفظ نوّاب القضاة أو الكتّاب بمناصبهم عند تغيير قاضي الشام الحنفي الجديد فيدخل القاضي الجديد إلى دمشق بصحبة عدد من أعوانه ونوّابه ، ثم يذهب إلى دار

---

(١) السمّور : هي جلد الدواب التي يصنع من منها فراء غالية الثمن تتميز بالليونة، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤، ص ٣٨٠ ، إبراهيم ، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص من الجاهلية حتى العصر الحديث ، دار الآفاق العربية ، د م ، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٢٤١ .

(٢) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٩١، ج٢،ص ٣٧٨، ٣٨٦

(٣) ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ١٤٣ .

(٤) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ٣٠١ ، ابن الحنبلي ، در الحبب ، ج ٢ ، ص ٦٧ ، زاهر ، إيهاب ، الحياة الاجتماعية والفكرية في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي من خلال تراجم نجم الدين الغزي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، المفرق ، ٢٠١٤م ، ص ١٢٥ ، وسيشار إليه لاحقا : زاهر ، الحياة الاجتماعية والفكرية في بلاد الشام .

العدل [١] والتي تعتبر مكانا لتنفيذ الأحكام ، وقد جعلها العثمانيون مكانا لباشا الشام ، فيقوم بالتسليم على الباشا الذي ينعم عليه بلباس الفرو المصنوعة من جلد الحَيَوانات الّلاحمة باهظة الثمن ، وفي ذلك تكريم للقاضي الرومي ، عندها يخرج بصحبة من رافقه في سفره من علماء الأتراك الموالي ، لمباشرة أعمالهم الجديدة في الشام ، ولكن قبل ذلك ، فإنه يتوجّب عليهم الصلاة في الجامع الأموي ، ثم زيارة ضريح ابن عربي [٢] ، ويبدو من زيارة الضريح فيه نوع من التودّد والتقرّب من الناس ، لِما عُرف به محيي الدين بن عربي من التقدير والتبجيل عند عامة الأهالي ، وهؤلاء القضاة كان أغلبهم من بلاد الروم الذين لا يعرفون العربية ، وبالتالي فهم يحتاجون لترجمان يساعدهم في تدبير أمورهم ، وهذا ما يؤخذ على السلطنة العثمانية ، فبالرغم من وجود علماء وفقهاء من العرب في الشام ، إلاّ أن السلطنة لم تكن تعتمد إلاّ على أبنائها من ذوي جلدتهم ، فعندما تنتهي مدة القاضي والتي كما أخبرنا بها ابن كنان لا تزيد عن سنة واحدة ، وإن زادت ؛ فهي لا تستمر أكثر من ستة أشهر [٣] ، فإنه يحلّ مكانه قاضٍ آخر من الأروام وهم من جاؤوا معه إلى الشام ، مثل القاضي سيف الدين إبراهيم أفندي الرومي ، الذي حلّ قاضيا بدلا عن القاضي عطاالله أفندي جوي زاده في آخر سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م [٤] وبعض من هؤلاء القضاة قد لا يحالفهم الحظ بالمكوث لسنة كاملة إما بسبب انتهاء أجلهم بالموت ، أو يقعون ضحيّة لسياسات ظالمة تقوم بها الدولة ضد الأهالي كالتضييق عليهم في معيشتهم من خلال رفع الضرائب ، أو إصدار الفرمانات السلطانية التي تلزمهم بدفع الفروقات الجديدة عند ارتفاع الأسعار ، مما يدفع الأهالي للهجوم على دار القاضي ومحكمته (محكمة الباب) ، عندها يلجأ القاضي إلى الهرب ، والنجاة بنفسه من ملاحقة الناس له ، ومثال ذلك قاضي الشام مصطفى أفندي الرومي الذي لم يمهله قدر الموت

---

(١) بنيت من قبل نور الدين الشهيد زمن الدولة الأيوبية ، وعرفت باسم دار السعادة في العهد المملوكي ، وأصبحت مركزا للحكومة يجلس فيها النائب وأركان الدولة لبحث عدد من الأمور التي تهم الدولة ، ويتم فيها محاسبة كبار موظفي الدولة ، البدري ، أبو البقاء عبد الله بن محمد (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م) ، نزهة الأنام في محاسن الشام ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٢٢م ، ص ٢٨ . ، الحصني ، محمد أديب (ت ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) ، منتخبات التواريخ لدمشق ، ٣ ج ، المطبعة الحديثة ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٢٧م ، ج ٢، ص ١٠٧٨ .

(٢) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٤١ / أنظر : الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٤٠ ، ٥٧، ١٠٢، ١٨٣ ، انظر التعريف بابن عربي في الملحق رقم (٢) .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٣٥، ١٩٩ .

(٤) ن م ، ص ٣٠ .

من تسليم منصبه لأكثر من عشرة أيام فقط [١]، فبقي منصب القضاء لصالح من كان قبله وهو إبراهيم أفندي ، حيث زادت مدة ولايته خمسة أشهر من شهر ذو القعدة ١١١٢هـ /١٧٠٠م حتى شهر جمادى الأولى من سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م[٢]، وقد بلغ عدد القضاة الأروام الذين تقلّدوا منصب قضاء الشام في القرن الثاني عشر ، وتوفّوا قبل انتهاء مدة تسلّمهم لمنصبهم حوالي تسعة قضاة ، مثل : القاضي محمد أفندي كمرك ، المتوفى سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م ، بعد شهرين من تعيينه [٣]، والقاضي حسين أفندي زاده ، المتوفى سنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م [٤]، والقاضي مصطفى أفندي زاده ، المتوفى سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م ، وتسلّم ابنه نائبا عنه [٥]، وهذا يعطينا مؤشرا إلى أن قضاة الشام المعيّنين من قبل السلطنة كانوا من كبار السن ، فمعظمهم كانوا قد قدموا إلى دمشق وبهم شيء من المرض ، أو من يصيبه التشويش (كما سماه ابن كنان) في فترة تسلّمه ، فيموت نتيجة لذلك المرض ، مثل حسين أفندي الذي مات بمرض الإسهال والدم .

وقد تنتهي مدّة القاضي عند انتهاء وعزل الوالي من منصبه ، فعند موت القاضي فإنه ينوب مكانه أحد نوابه من الموالي الأتراك الذين قدموا معه إلى الشام ، ومثال ذلك عزل نائب القاضي (عبد الرحمن أفندي ابن القاري) بعد شهر من إنابته ، وذلك عندما صدر الفرمان السلطاني بعزل باشا الشام ابن بيرم الرومي وحلّ بدلا من نائب القاضي عبد الرحمن أفندي قاضيا آخر وهو مصطفى أفندي تفسيري زاده [٦] .

وكان في دمشق عدد من المحاكم ، ولكل منها موظفين يقومون عليها ومن بينها : محكمة الباب ، وسُميت بذلك لأنها قريبة من باب القلعة وكانت تسمى بالمحكمة النوريّة ، ومن

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٥٧ ، ١٨٤ / أشار ابن كنان إلى أن العوام رجموا نائب قاضي الشام الذي لا يزال بالروم بعد انتهاء مدة القاضي عارف ابن اسرائيل ، وذلك لما صدر عن العسكر من تضييق على الناس ، ص ١٣٠ .

(٢) ن م ، ص ٧٧ .

(٣) ن م ، ص ١٨٣ ./ أنظر : دهمان ، محمد ، ولاة دمشق في عهد المماليك، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ،١٩٨٤م ، ص ٥٣ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥.

(٥) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٨٣ .

(٦)ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٩ .

موظفيها القاضي محمد أفندي ابن الكفرسوسي ، وكان واحداً من كتّابها ، وأبو الصفا أفندي ابن أيوب ، وكان نائبا بها (١) ، ومحكمة القسمة العربية ، وهي محكمة تتولى الإشراف على تقسيم التركات بين الناس ، وكان من موظفيها :محمد بن شاهين ، وهو ترجمان المحكمة (٢) ، والمحكمة العونية ، وكان عامة الناس يطلق عليها اسم (محكمة الكلاب) ويبدو أن مرد ذلك ، يعود لما عُرف به موظفوها عن قبولهم للرشاوي ، وظلمهم للأهالي ، ومن موظفيها : محمد بن الحاج عبد المحسن بن عويدات ، وكان من كتبة صكوكها (٣) ، وأيضا محكمة الصالحية ، وكان معظم موظفيها من المذهب الحنبلي ، وكانت تعرف باسم المحكمة الجركسية ، وقد ذكر ابن كنان : أن المحكمة تعرضت للخراب نتيجة ثورة جند " القابي قول " ضد قاضيها بسبب حكم الإعدام الذي صدر بحق أحد أتباعهم من شيوخ الصالحية ، وذلك لما عُرف عنه من الفسق والفجور وارتكابه للمعاصي التي حرّمها الإسلام ، ومن متولّيها : القاضي محمد بن حسن الصالحي ، وأيضا الشيخ مصطفى جلبي الباش كاتب فيها (٤) ، والمحكمة الجوزية ، ويقول عنها أكرم العلبي محقق كتاب الحوادث اليومية : أنها كانت تعرف بأسماء – المحكمة الكبرى أو المحكمة الدهيناتية – وهي أقدم محكمة لآل عثمان في دمشق ، ويبدو أنها كانت للقضاة الحنابلة بدليل اسم قاضيها : عبد الحي أفندي الرفاعي الحنبلي ، والذي قتل من قبل قطاّع الطرق في شهر شوال ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م (٥) ، وأيضا هناك المحكمة العسكرية ، والتي تختص بشؤون الجند ، وأغلب موظفيها من القضاة الأحناف ، ومنهم : القاضي محب الله بن الطباخ ، المتوفى سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م ، وهو من كتّاب هذه المحكمة (٦) ، ومحكمة الميدان ، ومعظم المسائل التي ترتبط بها تكون لها علاقة بالأراضي الزراعية الموجودة بميدان الحصى ، وقد اتّسم قضاتها مع بدايات القرن الحادي

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ١٣ ، ٢٤ ، ٧٧، ٨٤ ، ٣٠١ .

(٢) المحبي ، خلاصة الأثر، ج٤،ص ٤٦٢ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج١ ،ص ٦٣ ، ١٢٨ ، ٢٩٢ ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١، ص ، ٣١٥ ،٦٦ ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، ١٥٢، ٣٢٦ ، ٣٣٨، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، ٤١١، ، ٤٢٥، ٤١٢.

(٥) ن م ، ج ١ ، ص ٢١١، ٢٨٧ ، ٣١٥ .

(٦) ن م ، ص ٣٣٢ .

عشر الهجري / السابع عشر الميلادي بضعفهم وعدم أهليتهم وعدم اعتبارهم [١] ، وهناك المحكمة السنانية ، والتي توجد في حارة السنانية ، وكان معظم قضاة الشام الأروام المعروفون بصلاحهم وتقواهم ، وحُسن سيرتهم وتعاملهم مع الناس ، وعدم قبولهم بالرشى ، والحُكم بين الناس بالعدل ؛ كانوا يتعرضون لكثير من حسد المقربين منهم ،فكان هؤلاء يرمون القضاة الصلحاء ممن لا تتماشى سياسته مع نزواتهم بالأكاذيب ، ويلفقون عليهم التُهم ، بقصد تشويه صورته أمام السلطان ، عندها لا يجد السلطان بُدّا من أن يستبدله بقاض آخر ، ومن هؤلاء القضاة الذين وقعوا في شباك المندسّين حوله ، قاضي الشام محمد أفندي بشمقجي زاده ، والذي تولى القضاء سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٨م ، الذي جاء الفرمان السلطاني بنفيه إلى قبرص ، ومصادرة جميع ممتلكاته وأمواله [٢] .

وعند دراستنا لمؤلف ابن كنان الصالحي تبيّن أنّ كل قضاة الشام كانوا من الأروام ، والذين لا يعرفون العربية ، باستثناء قاض واحد يُدعى مصطفى أفندي ابن محمد أفندي البابي والذي كان نائبا بالمحكمة العونيّة ، وتولّى منصب قضاء الشام من شهر المحرّم لسنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م حتى شهر ذو القعدة من سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م [٣] ، وأكثر تولي مناصبهم يكون في أشهر ذو القعدة أو جمادى الآخرة من كل عام ، وفيما يلي جدولٌ بأسماء قضاة الشام الذين أشار لهم ابن كنّان في يوميّاته :

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج٢ ، ص ٣٦٦ ، رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٦ .

(٢) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٣١، ١٣٢.

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

* جدول رقم (٢١) قضاة الشام من بلاد الروم في كتاب : الحوادث اليومية :				
الرقم	**اسم القاضي الرومي**	**تاريخ توليه منصب قضاء الشام**	**وفاته إن ذكر**	**الجزء / الصفحة**
١	عطا الله أفندي جوي زاده	يعتقد أنه تولى القضاء في شهر ذو القعدة من سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م،وذلك لأن عزله كان في شهر ذو الحجة من السنة التالية.	لم ترد وفاته	ج ١ ، ص ٣٠.
٢	سيف الدين إبراهيم أفندي	شهر ذو الحجة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م	لم ترد وفاته	ج ١ ، ص٣٩،٣٠
٣	إبراهيم أفندي	ذو القعدة ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م	لم ترد وفاته	ج ١ ، ص ٤٠ .
٤	مصطفى أفندي الرومي	شهر صفر ١١١٤هـ/١٧٠٢م	توفي بعد احد عشر يوما فقط من توليه منصبه بدمشق ،يوم الاثنين ١٠/ربيع الأول /١١١٤هـ/١٧٠٢م ليتولى القاضي السابق مهامه التي كانت عليه .	ج ١ ، ص ٥٧
٥	إبراهيم أفندي (مرة أخرى عقب وفاة القاضي مصطفى) وعزل في شهر جمادى الأولى من سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م ، وناب عنه مؤقتا عبد الرحمن ابن القاري وهو النائب بمحكمة الباب	ربيع الآخر ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م		ج ١ ، ص ٦٣،٧٧
٦	مصطفى أفندي تفسيري زاده	شهر جمادى الآخرة ١١١٥هـ/١٧٠٣م		ج١ ، ص ٧٩
٧	مستقيم أفندي	شهر شوال ١١١٦هـ/١٧٠٤م		ج ١ ، ص ١٠٢
٨	عارف أفندي ابن إسرائيل زاده الكجك	شهر ذو القعدة١١١٧هـ/١٧٠٥م		ج ١ ، ص١٠٢

٩	عثمان أفندي	شهر محرم ١١١٩هـ/١٧٠٧م		ج ١، ص ١٢٥،١٣٥
١٠	رحيقي زاده	شهر محرم ١١٢٠هـ/١٧٠٨م		ج١،ص ١٣٦
١١	قرا مراد أفندي	جمادى الأولى ١١٢٠هـ/١٧٠٨م		ج١،ص١٤١،١٥٣
١٢	مصطفى أفندي خجي زاده	شهر رجب ١١٢١هـ/١٧٠٩م		ج١ ،ص١٥٥
١٣	زين العابدين أفندي	شهر رمضان ١١٢٢هـ/١٧١٠م		ج١،ص١٦٤،١٦٥
١٤	محمد أفندي كمرك /أو كمركجي زاده	رمضان ١١٢٣هـ/١٧١١م	وتوفي بعد شهرين فقط من تسلمه ،الثلاثاء ١٩/ذو القعدة من نفس العام	ج١،ص١٨٣،١٨٤/دهمان ،ولاة دمشق،ص٥٣.
١٥	شيخي زاده	ربيع الأول١١٢٤هـ/١٧١٢م		ج١،ص١٩٩،١٩١
١٦	حسين أفندي وزير زاده	ربيع الآخر١١٢٥هـ/١٧١٣م	توفي ١٥/ذو الحجة من نفس السنة	ج١،ص١٩٩،٢٠٠،٢٠٥
١٧	محمد أفندي كركجي زاده، وجلس مكانه نائبه : يحي أفندي السلامي.	ربيع الآخر ١١٢٦هـ/١٧١٤م		ج٢٢٠،١،٢٣٣.
١٨	إبراهيم أفندي بن كمال باشا	جمادى الأولى١١٢٧هـ/١٧١٥م		ج١،ص٢٣٦،٢٤٩.
١٩	محمد أمين أفندي ، الملقب بـ" دريا زاده تنكري" ، وناب مكانه : عبد الرحمن القاري ، مرة أخرى.	جمادى الأولى١١٢٨هـ/١٧١٥م	الجمعة ٢٧/شعبان، من نفس السنة	ج١،ص٢٥٢،٢٥٦
٢٠	أحمد سعيد الرومي	ذو الحجة ١١٢٨هـ/١٧١٥م		ج ١،ص٢٦٢
٢١	مصطفى أفندي الرومي ،وبعد أن عزل ناب عنه محمد أفندي قرابـاغي زاده	محرم ١١٣٠هـ/١٧١٧م		ج ١،ص ٢٧٩،٢٩٢

	الرومي			
٢٢	علـي أفنـدي " أوليا زاده"	صفر ١١٣١هـ/١٧١٨م		ج ١،ص ٢٩٤
٢٣	عبد الرحمن أفندي	ذوالحجة١١٣٢هـ/ ١٧١٩م		ج ١،ص٣٢١
٢٤	مصطفى أفندي مدحي	ذوالحجة١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م		ج١،ص٣٢٩،٣٣٠
٢٥	مصطفى أفندي بن محمد أفندي البابي	محرم ١١٣٤هـ/١٧٢١م		ج٢،ص٣٤٩،٣٤٦،٣٤٨
٢٦	إسماعيل أفندي معين زاده	ذو القعدة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م		ج ٢ ، ص ٣٥٨، ٣٦١ .
٢٧	محمد أفندي بيري زاده	محرم١١٣٧هـ/١٧٢٤م		ج٢، ص ٣٦٢،٣٦٦
٢٨	محمد افندي صلوحي الرومي	ذو الحجة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م		ج٢ ،ص٣٦٦،٣٧٣
٢٩	مصطفى أفندي منصوري زاده	جمادى الأولى ١١٣٩هـ/١٧٢٥م	١٢/شوال/١١٣٩هـ/١٧٢٥م	ج ٢،ص٣٧٨،٣٨٣.
٣٠	شكري أفندي	ربيع الآخر١١٤٠هـ/١٧٢٦م		ج ٢، ص٣٨٦،٣٩٢
٣١	محمد صدري باشا الباسطي (أو : خصام محمد أفندي)	جمادى الأولى ١١٤١هـ/١٧٢٧م		ج٢،ص٣٩٢،٣٩٩/ دهمان ، ولاة دمشق،ص٦٣.
٣٢	باقي زاده	شعبان ١١٤٢هـ/١٧٢٨م		ج ٢، ص ٣٩٩
٣٣	مصطفى أفندي مكتبجي زاده	ذوالحجة١١٤٣هـ/ ١٧٢٩م		ج ٢، ص ٤١٩.
٣٤	مصطفى أفندي ترخني زاده	جمادى الأولى١١٤٤هـ/١٧٣٠م		ج ٢،ص٤٢١
٣٥	إبراهيم أفندي صدري زاده الرومي	جمادى الأولى ١١٤٥هـ/١٧٣١م	١٤/ذوالحجة/١١٤٥هـ/١٧٣١م	ج ٢،ص٤٢٨،٤٣٣
٣٦	حسين أفندي صالح زاده	جمادى الآخرة١١٤٦هـ/١٧٣٢م		ج٢، ص ٤٣٩

٣٧	مصطفى أفندي علـــــي زاده الرومي	شعبان١١٤٧هـ/١٧٣٣م		ج٢، ص ٤٥٧،٤٧٠
٣٨	محمــد صــالح زاده الرومي	شعبان ١١٤٨هـ/١٧٣٤م		ج٢، ص٤٨١،٤٧٢
٣٩	محمــد ســعيد أفندي	شعبان١١٤٩هـ/١٧٣٥م		ج ٢،ص٤٨٨،٤٨١
٤٠	هاشــم أفنــدي الرومي	شوال١١٥٠هـ/١٧٣٦م	٢٨/رمضان/١١٥١هـ/١٧٣٧م	ج ٢،ص ٥٠٤،٤٨٨
٤١	مصطفى أفندي الرومي	ذو الحجة١١٥١هـ/١٧٣٧م		ج٢، ص ٥٠٦
٤٢	إسماعيل أفندي الرومي	محرم١١٥٣هـ/١٧٣٩م		ج ٢،ص ٥١٦

وقد أورد البُديري الحلاق في منتصف القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي عدداً من قضاة الشام ، والذي يتبيّن لنا أن الدولة العثمانية لا تزال تصرّ على تعيين قضاة أروام يمثلونها في الولايات التابعة لها ، وقد بنى الحلاق على منهج ابن كنان في التأليف ، وذكر لنا عن طبيعة الحياة الإدارية في الشام ، وقد وجدنا أنه من المناسب تفريغ أسماء قضاة الشام الذين وردت أسماؤهم في حوادثه الدمشقية اليومية ضمن جدول لاستكمال المادة ومقارنتها ، وهم كالآتي :

*** جدول رقم (٢٢) قضاة الشام عند الحلاق في كتابه : حوادث دمشق اليومية :**

الرقم	القاضي	تاريخ توليه منصب القضاء	تاريخ عزله عن منصبه	الجزء / الصفحة
١	محمد أفندي الملقب " فندق زاده"	جمــادى الأولــى ١١٥٥هـ/١٧٤١م	جمادى الأولى١١٥٦هـ/١٧٤٢م	ص ٢٠،٤١
٢	مصطفى أفندي زاده	محرم ١١٥٩هـ/١٧٤٥م	وتـــوفي ليلـــة الثلاثاء٢٩/رجب١١٥٩هـ،وتسلّم ابنه نائبا عنه	ص ٨٣،٦٥
٣	محمد أفندي بشمقجي زاده	جمــــادى الآخرة١١٦٢هـ/١٧٤٨م	وعــزل فــي شــهر شــوال ١١٦٢هـ/١٧٤٨م	ص١٣٢،١٣١،١٢٧
٤	عبد الله أفندي سعيد زاده	صفر١١٦٤هـ/١٧٥٠م	وعــزل فــي شــهر شــوال ١١٦٦هـ/١٧٥٢م	ص ١٥٢

٥	صالح ملا الرومي	محرم ١١٦٦هـ/١٧٥٢م	وعزل في محرم١١٦٧هـ/١٧٥٣م	ص ١٧٢،١٧٨
٦	عبدالله أفندي زاده	محرم١١٦٧ هـ/١٧٥٣م	وتوفي الأحد ١٨/شوال/١١٦٩هـ/١٧٥٥م	ص ١٩٠
٧	محمد أفندي الرومي	محرم١١٧٠ هـ/١٧٥٦م	وتوفي أوائل شهر ربيع الأول من نفس السنة	ص ١٩١،١٩٣.
٨	رضا أفندي	جمادى الأولى ١١٧٢هـ/١٧٥٨م		ص ٢٢٥ .

- أمّا المفتون في دمشق ؛ فقد حظيوا بنصيب وافر من التقدير ، وهم يشتركون مع القضاة بالتكريم الباشوي لهم بلبس القباء المصنوع من الجلد والفرو السمّور ، وقد يشاطرون القضاة في بعض مهامهم ، ويفصلون بين الخصومات التي غالبا ما كانت تحدث بين الناس[1]، ويشترك المفتي الحنفي في الشام مع قاضي الشام الحنفي من حيث وجود عدد من المفتين على المذاهب الأخرى يوزّعون على النواحي المتفرقة بالشام ، وينوبون عنه في حالة غيابه لسفر أو وفاة ، وكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة مفتيها من أهل العلم والدراية [2] وهذا التنظيم في الإفتاء الذي يوازي التنظيم في القضاء ، أحدثه السلطان سليمان القانوني(ت ٩٧٣هـ/١٥٦٦م) [3] ، ولم تكن للمفتي مدة زمنية محددة لانتهاء توليته ، وإنما يبقى في منصبه إلى أن يقوم هو بنفسه بتقديم ورقة فكاكه عن مهامه ، أو في حال عدم قدرته الصحيّة على متابعة ما أوكِل إليه ، أو بسبب وفاته ، عندئذ يحلّ مُفت ٍآخر ، وغالبا ما تظهر الوراثة في تولّي منصب الإفتاء ، والتي قد تكون محصورة في نفس البيت ، أي في نفس السلالة .

ويختلف الإفتاء عن القضاء من حيث عدم اقتصاره على الأروام ، وإنما ظهرت عديد من البيوت العربية الشاميّة التي توارثت هذا المنصب ،مثل : آل العمادي وآل الغزّي ، وهذه الأسَر كانت تعتبر من أصحاب العلم والكفاءة بالشام ، لا سيما آل الغزي في دمشق ، وهو ما

---

(١) الغزي ، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٧١.

(٢) المرادي ، عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ، تحقيق : محمد مطيع الحافظ، رياض مراد، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٨م ،ص ٣ ، وسيشار إليه لاحقاً : المرادي ، عرف البشام .

(٣) نقلا عن : ليلى الصبّاغ ،محققة كتاب خلاصة الأثر للمحبي ج١ ، ص ٣٣١ .

أثبته المُحبي عند ترجمته لمفتي دمشق (سعودي بن محمد الدمشقي مفتي الشافعية) بقوله عنه : " وابن مفتيها ، وابن ابن مفتيها ، رؤساء العلم وكبراؤه " [١] .

وقد تولّى منصب الإفتاء بدمشق حسب مصادر القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، حوالي أربعة عشر مفتيا ، من بينهم ثمانية من العرب الشاميين ، وقد ترجم لهم المُرادي في (عُرف البشام) وهم : شمس الدين محمد بن المنقار الحلبي (ت ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م)[٢] ، محب الدين محمد الحموي (ت١٠١٦هـ/١٦٠٧م)[٣]، عبد الرحمن بن محمد العمادي الدمشقي(ت١٠٥١هـ/ ١٦٤١م)[٤] ، عماد الدين بن عبد الرحمن العمادي الدمشقي (ت ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م)[٥] ، عبد الوهاب بن أحمد الفرفوري الدمشقي (ت١٠٧٣هـ/١٦٦٢م)[٦] ، خليل بن عبد الرحيم السّعسعاني الدمشقي (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٠ م)[٧] ، علاء الدين محمد الحصكفي الدمشقي (ت١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م) [٨] .

هذا وقد عاصر ابن كنان منذ ولادته في سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م ، حتى سنة وفاته ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م عشرة من المفتين في الشام ، ومن بينهم كان (محمد بن إبراهيم العمادي الدمشقي(ت ١١٣٥هـ/١٧٢٢م) والذي تولّى الفتيا مرّتين اثنتين ، الأولى من سنة١١٢١هـ/ ١٧٠٩م حتى سنة ١١٣٠هـ/١٧١٧م ، والثانية من سنة ١١٣٣هـ/١٧٢٠م حتى وفاته ، حيث آل المنصب بعده إلى عبد الرحمن القاري (ت ١١٣٢هـ/١٧١٩م) ، ومن هؤلاء العشرة الذين عاصرهم محمد بن كنان الصالحي هم مِن عند المُحبي بالترتيب : عبد الوهاب

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ٣٧٣، ٣٧٤ .

(٢) المرادي ، عرف البشام ، ص ٤٠ .

(٣) ن م ، ص ٥٧ .

(٤) ن م ، ص ٦٦ .

(٥) ن م ، ص ٧٤ .

(٦) ن م ، ص ٧٥ .

(٧) ن م ، ص ٨٠ .

(٨) ن م ، ص ٨١ .

بن أحمد بن محمد الفرفوري الدمشقي (ت١٠٧٣هـ/١٦٦٢م)(١) ، خليل بن عبد الرحيم السعسعاني (ت ١٠٨١هـ/١٦٧٠م)(٢) ، و علاء الدين محمد الحصكفي الدمشقي(ت ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م)(٣) ، أما السبعة الآخرون فقد ذكرهم ابن كنان في يومياته ، وهم على النحو التالي ، حسب الترتيب المبيّن في الجدول :

*** جدول رقم (٢٣) المفتون في دمشق من خلال" الحوادث اليومية" لابن كنان :**

الرقم	المفتي	من	إلى	وفاته	مدة الفتوى	ج / ص
١	إسماعيل بن علي الحايك	١٠٨٩هـ/١٦٧٨م	١١١٣هـ/١٧٠١م	الاثنين١٣/جمادى الأولى/١١١٣هـ /١٧٠١م	٢٤سنة	ج١،ص ٥٠
٢	أبو الصفا محمد بن أيوب	شعبان ١١١٣هـ/١٧٠١م	ذوالقعدة١١٢٠هـ/١٧٠٨م	ليلة الأربعاء آخر شهر ذو القعدة١١٢٠هـ/١٧٠٨م	٧ سنوات	ج١،ص ٥٣ ، ١٤٧
٣	محمد بن إبراهيم العمادي	صفر١١٢١هـ/١٧٠٩م	ذو القعدة ١١٣٠هـ/١٧١٨م	الاثنين٢٣/جمادى الأولى/١١٣٥هـ/١٧٢٣م	٩سنوات	ج١،ص ١٥٠ ،ج٢،ص ٣٥٢
٤	عبد الرحمن بن محمد القاري	١١٣١هـ/١٧١٩م	شعبان ١١٣٢هـ/١٧٢٠م	السبت٢٩/شعبان/١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م	سنة واحدة	ج١،ص ٢٩٣ ، ٣١٩
٥	محمد بن إبراهيم العمادي	الفتوى الثانية له : محرم ١١٣٣هـ/١٧٢١م	١١٣٥هـ/١٧٢٣م		المجموع : ١١ سنة	ج١،ص ٣٣٠

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ١٠٠ .

(٢) ن م ، ج ٢، ص ١٣٣ .

(٣) ن م ، ج ٤ ، ص ٦٣- ٦٥ .

٦	عبد الغني النابلسي	جمادى الأولى ١١٣٥هـ/١٧٢٣م	إلى شهر رجب من نفس السنة	الأحد ٢٥/شعبان/١١٤٣هـ/١٧٣٠م	شهران	ج٢،ص ٣٥٢،٤١٥
٧	خليل بن أسعد البكري، وهو من تلامذة الشيخ النابلسي	رجب ١١٣٥هـ/١٧٢٣م	ترك الفتوى في سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٥م وتوجه إلى بلاد الروم	جمادى الآخرة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م	ما يقرب من سنتين	ج٢، ص ٣٥٣
٨	حامد بن علي العمادي	رمضان١١٣٧هـ/١٧٢٥م	شوال ١١٥٥هـ/١٧٤٢م	الأحد ٦/شوال/١١٧١هـ/١٧٥٧م	انظر في الصفحة في الأسفل	ج٢،ص ٣٦٥/وانظر الحلاق، ص٢٩/وانظر:المرادي،ج٢، ص١١

وكان المفتي حامد بن علي العمادي هو صاحب أكبر تولية في منصب الإفتاء ، حيث تولّى الفتوى مرتين ، الأولى كانت من العام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥ هـ حتى عزل عنها في سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م ، وتسلّم بدلا عنه كما يقول الحلاق أبن عمّه محمد أفندي العمادي مدة سنة واحدة فقط ، قبل أن تعود مرة ثانية إلى حامد العمادي من سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م حتى وفاته في سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م ، فتكون بذلك فترة توليه منصب الإفتاء لمدة ثلاث وثلاثين سنة(١)، فيتضح من ذلك أن أسرة العمادي هي من الأسر العريقة صاحبة العلم والفقه ، وهي الأسرة الوحيدة في المجتمع الدمشقي التي تكاد تكون قد استحوذت على الفتيا لسنوات طويلة ، وبالذات في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، والفضل يرجع إلى حامد العمادي ، بالرغم من العتب الذي أبداه البديري الحلاق لابن العمادي عندما أصدر قرارا يقضي بتخزين القمح حتى يرتفع سعره ، ويبيعه بسعر أغلى ، فكان ذلك من المآخذ على حامد العمادي المفتي (٢) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٣٦٥/ انظر أيضا : الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٢٩ ،٤٩ .

(٢) الحلاق ، المصدر السابق ،ص ١٢٧ / أنظر : المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ١٤، ١٥. وللمزيد انظر المبيضين ، مهند أحمد ، أهل القلم ودورهم في الحياة الثقافية في مدينة دمشق خلال الفترة ١١٢١-١١٧٢هـ / ١٧٠٨ – ١٧٥٨م ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ، المفرق ، ١٩٩٩م .

وبناءً على ما سبق يتضح أن الدولة العثمانية ساندت المذهب الحنفي بشكل كبير ، وحرصت على تعيين قضاة من بلاد الروم ، وجعلت منصب القضاء حكراً لرعاياها دون غيرهم ، وكل من تقلّد هذا المنصب كانوا ممّن ينتمون لأسر رومية (تركية) دلّت عليها ألقابها مثل : (أفندي ، زاده) ، وهذا يؤكّد على أن الدولة العثمانية اتبعت أسلوب (تتريك) المناصب منذ وقت مبكر ولا سيما في الولايات المهمة ، رغم أن مصادر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي أشارت إلى تعيينها قضاة من أصول عربية شامية في ولايات أخرى قليلة الأهمية مثل طرابلس وعكا وصفد [١]، كما تبيّن أن المفتين تمتعوا بدور كبير في تشكيل الرأي العام الشعبي ، ودلّت القضية التي طرحها البديري الحلاق عن موقف (حامد العمادي) بخصوص تشجيعه تخزين القمح على علاقة المفتين مع الدولة ، والاستعانة بهم كغطاء ديني لإصدار فتاوى تخدم أهدافها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

- الجهاز العسكري وعلاقته بالدولة العثمانية كقوّة محليّة :

اعتمدت الدولة العثمانية في بادئ أمرها على الجنود المدربين والمؤهلين تأهيلا عسكريا بحتا ، خاصة عندما بدأت بتوسيع رقعة دولتها على حساب الدول الأوروبية المجاورة لها ، حيث عمدت إلى استغلال من وقع بأيديهم في الأسْر من الأولاد والغلمان ، وجعلتهم ينضمّون إلى الخِدمة العسكرية ، ويحصل هؤلاء الجنود على علايفهم من خلال التيمارات التي كانت توزّع معظم عوائدها عليهم كأرزاق وأجر لقاء خدمتهم العسكرية تلك ، وكانت الدولة تحصل على أولئك الفتيان من خلال حروبها الخارجية من الدول الأوروبية المسيحية ، فتأسر الأولاد ممّن لا تقل أعمارهم عن السبع سنوات ، ولا تزيد عن العشرين سنة ، ويُعفى من ذلك الجلب من كانوا متزوجين ، فكانت معظم الأسَرُ المسيحية ترى في خلاص أبنائها من خطر الأسْر، يكون في لجوئها إلى تزويج أبنائها الصغار من سن السابعة حتى العشرين سنة [٢]،فكانت الدولة تهتم بهم ، وتنشئهم تنشئة عسكرية دينية بعد اعتناقهم للإسلام ، وكان كثير من هؤلاء الجنود يُظهرون كفاءة عالية ، وحُسن سياسة وتدبير ، أثناء خدمتهم ، فعمدت الدولة إلى

---

(١) لمعرفة أسماء القضاة العرب في تلك الولايات انظر المرادي ، سلك الدرر ، ج٢،ص ١٠٤، ج٣، ص٢٤٦، ١٧٨ .

(٢) مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

ترقيتهم في الرُتب أو تسليمهم لمناصب عليا في الدولة كمنصب الصّدر الأعظم ، ويبدو أنّ هذا الإجراء الذي تعاملت به السلطنة مع عساكرها ، هو نوع من أنواع الإغراء الذي تحاول غرسه في نفوسهم ، حتى يصل هؤلاء إلى درجة نسيان أصولهم عند ئذ يظهرون الطاعة والولاء للسلطان العثماني ، ويتم توزيعهم إلى ما يسمى بالأوجاق (الوحدات) ، فظهر من هذه الأوجاق فئات الانكشارية (١) ، والقابي قول (٢) ، بالإضافة لقوات السكبان ، وتم توزيع معظم هؤلاء الجنود على المدن والولايات الخاضعة لحكم بني عثمان ، ومنها ولاية دمشق ، وقد شكلت هذه العناصر في فترات لاحقة ولاسيما بعد القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي عنصرَ ضعف للدولة العثمانية عامّة ، ولسلاطينها على وجه الخصوص ، فنتيجة لزيادة الأعباء الاقتصادية التي عانتها الدولة جرّاء حروبها الكثيرة مع الدول الأخرى ، كان أعداد هؤلاء الجنود كبيرا ، وبالتالي فإنه من المفروض عليها تأمينهم بالامتيازات لقاء خدمتهم العسكرية ، كما أن السلاطين السابقين للقرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ؛ كانوا يقدّمون الأعطيات والمِنح (البخشيش)لأولئك العسكر عند توليتهم للسلطنة ، فأصبحت هذه المِنحة بمثابة الفريضة ، فإلغاء الامتيازات يعني تشجيع هؤلاء على التمرّد وعدم الطاعة ، فوصل الأمر بهم أن زاد نفوذهم على السلطان نفسه ، فكانوا يعيّنون السلاطين ، أو يستبدلونهم ، أو يقتلونهم بسمل العيون ،كما حدث للسلطان محمد خان الرابع(ت ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) الذي جرى توليته من قبل الانكشارية ، والسلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع (ت ١١١٥هـ/١٧٠٣م)(٣) ، مما أعطى انطباعا على الحال الذي وصلت إليه الدولة العثمانية ، وتحوّلت من مرحلة القوة والتوسع في الممالك إلى مرحلة الانحطاط والضعف (٤) .

---

(١) جيش من قوات المشاة الأسرى من أولاد النصارى ، وأول من أدخلهم الخدمة العسكرية السلطان أورخان بن عثمان المتوفى سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م، وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ،ج ٢، ص ٥٥٤ .

(٢) لفظ مركب ويعني عبيد الباب وهم من الجنود المشاة والخيالة في الدولة العثمانية ، دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٢١ ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص ١٧٢ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٧٣،٧٤ .

(٤) مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٢٥٠ ، ٢٦١ ، وجدي ، المرجع السابق ،ج٢، ص ٦٠٧ ،٦٠٨ . وللمزيد عن أحوال العسكر في بلاد الشام انظر ، الحمود ، نوفان رجا ، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٠٥ ، وسيشار إليه لاحقا : الحمود ، العسكر في بلاد الشام .

وقد سجّل ابن كنان عددا من الفئات العسكرية التي كان لها أثرها على المجتمع الدمشقي ، ومن هذه الفئات :

أولا : الانكشارية :

وباللغة التركية تنطق – يني تيشري – (أي الجيش الجديد) ، وأطلق أصحاب التاريخ عليهم اسم (دولة الشام أو الينكجرية أو اليرلية[١]) ، وقال ابن كنان الصالحي : أن السلطان سليم هو من استعملهم في دمشق سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م [٢]، وقد امتزج هؤلاء لاحقا مع المجتمع الدمشقي وخصوصا مع تجارها ، وأصحاب الثروات فيها ، وفي ذلك مصلحة لهم ، فقويت شوكتهم في دمشق ، وابتزوا كثيرا من أهاليها ، وتحوّل دورهم من مدافع عن الناس وعن حقوقهم إلى كابوس يُخيف الناس ، ويُثير عندهم الرعب والفزع ، فكان يُعرف عنهم النهب والسلب ، وقد تمتّع هؤلاء بالهيبة وتجييش الجيوش ، وكلمتهم مسموعة ، وهؤلاء هم الانكشارية المحلية من أبناء الشام ، من أصحاب الحِرف والصنايع أو من الجهلة الذين استخفّ بعقولهم كبار رجال الدولة بالشام لإقحامهم بالخدمة العسكرية للدولة والاستفادة من ممتلكات وأموال أصحاب الحرف أو التجار ، ومنهم خدا وردي بن عبد الله أحد كبراء جند الشام ، ويقول المحبي فيه : إنّ نشأة فساد العسكر الشامي وطغيانهم ، يعود إليه هو وأحفاده [٣] ، وكان قول هؤلاء الينكجرية مُطاع ، ووصل صيتهم إلى البلدان جميعها [٤] .

وكان الينكجرية على خلاف دائم مع قوات " القابي قول" والذين كانوا ينافسونهم في الامتيازات والنفوذ ، ووصل حسد جماعة الانكشارية إلى قتلهم قائد وآغا القابي قول صالح آغا ابن صدقة سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م ، ونهبوا كل أملاكه ، ولم يبقوا لورثته من أولاده وأقربائه شيء [٥] ، ويبدو أن تصرفاتهم وسوء سيرتهم مع الناس ، جعلت الدولة تعمل على الحدّ من نفوذهم ، فقد ذكر ابن كنان أن والي دمشق محمد الكرجي والذي كان واليا على الشام

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج٤ ،ص ٣٣٢ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ،ج١ ،ص ١٩٦،٢٩، ١٤٣،١١٣.

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢،ص ٥١٦ .

(٣)المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٢، ص ١٢٩ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٥) ن م ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

في سنة ١١٠٣هـ/١٦٩١م ، جاءه الأمر السلطاني بالقضاء على المتمردين والأشقياء من الينكجرية ، وهذا الفرمان يحوي على أسمائهم وكبرائهم ، فقام الوالي بتنفيذ الفرمان السلطاني وقتل بعضهم بعد أن طمأنهم وهادنهم ، وأنه سيعفي عن فِعلتهم بقتلهم لصالح بن صدقة ، وكان ممّن قتل منهم : موسى آغا ، خليل آغا ابن طالو ، ومصطفى آغا ابن كيوان ، وسليمان آغا ترجمان ، وتمكن بعضهم من الهرب إلى بلاد الدروز ، مثل : إسماعيل آغا الكيواني ، ومحمد آغا ترجمان ، ويبدو أنّه قد عُفي عنهما ، وعادا إلى دمشق ، دون أن يكون لهما نفوذ ، بدليل أن ابن كنان ذكر في سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م ، أن أمير الحج في تلك السنة محمد باشا الرّومي لم يسمح لهما بالتدخّل بأمور الحج [١] ، وقد تسمّت سنة ١١٠٣هـ بسنة (قتل الأغوات) [٢] .

ويذكر ابن كنان أن قوات الينكجرية وقفت في أكثر من مناسبة مع الأهالي في دمشق ضد ممثلي الدولة من باشوات أو قضاة ، وذلك فيه مصلحة ذاتية لهم للدفاع عن حقوقهم وامتيازاتهم التي كانوا قد تحصّلوا عليها بالرّبا والظلم ، خاصة إذا ما تأخرت الدولة في تسديد علوفتهم [٣] وقد يجدوا في ثورة الناس ضد حكّامهم في دمشق فرصة للتخلص ممّن يمثل سلطة الدولة ، وبالتالي الحفاظ على ما هم فيه من النِعَم ، حيث قام عامّة الناس وبمساعدة من الزعماء والينكجرية على والي دمشق ابن بيرم بعد أن حَرَم كثيراً مِن الناس وأرباب الحِرف من حقوقهم ومصادرته لأراضيهم ، حتى أنه بعد عزله وخروجه من دمشق لحقه بعض مَن كان له حق عنده من أموال ، وتعصّب أهل الميدان جميعهم مع الينكجرية التركمان ضد الباشا ابن بيرم [٤] ، وقد كان للتركمان مهابة وقوة عظيمة في دمشق ، لدرجة أن بعض الباشوات كانوا يخشون تمردها ، ومما زاد من خِشية الباشوات منهم ؛ تعصّب الأهالي لهؤلاء التركمان الينكجرية ، فذكر ابن كنان : أن سليمان باشا عندما أراد السفر إلى نابلس من جهة البقاع ، قد سافر ليلا خوفا من التركمان الذين ضاقوا منه كثيرا

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٢) ن م ، ص ٢٣، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦.

(٣)ن م ، ص ١١٩

(٤) ن م ، ص ٧٩ ، ١١٣.

بسبب تشديده عليهم ومماطلته في تسديد علوفتهم وأرزاقهم (١) ، وقد وصل التشديد على الينكجرية للحدّ وللتخفيف من شوكتهم بدمشق ، ما حملته سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م ، وبالذات عندما تولى نصوح باشا دمشق ، فمنذ وصوله إلى لمدينة اتضحت سياسته تجاههم ، فبدأ حكمه باعتقال شيوخهم من الزرباوات الأشقياء وحبسهم بالقلعة ، وعزل أغاواتهم ، والقضاء على كل المتحالفين معهم من الأعراب ، فيذكر ابن كنان أنّ نصوح باشا حبس من شيوخ الينكجرية التركمان عمر شيخ التركماني ، ثم عزل آغة الينكجرية وحبسه ، وعيّن بدلا عنه عبد الله آغا الرومي (٢) ، وقتل من أحلافهم شيخ البلاد الحورانية (كليب) والذي كان يتعرّض لقوافل الحج كثيرا بالنهب والسلب ، وصدر بحقه الفرمانات المختلفة ، إحداها القتل ، والآخر العفو ،إلّا أنه قتل وأرسل رأسه إلى الروم (٣) ، ولم يكتفِ نصوح باشا بحبس شيوخهم وقتل المقرّبين لهم ، وإنما أحرق بيوتهم في الميدان ، وجعلها عرضة للسرقة والسطو ، وأَمَرَ برحيل الأشقياء منهم عن الميدان ، وقد بلغ عدد بيوت هؤلاء التركمان الينكجرية بدمشق في سنة ١١٢١هـ /١٧٠٩م حوالي ثمانية عشر ألفا (٤) ، واستمر بعد ذلك ملاحقة أشقيائهم وطردهم من دمشق كلها ، وبعض منهم من صدر بحقّهم فرمان بالنفي إلى حِمص (٥) .

وينسب إلى الينكجرية عدداً مِن الفتن التي كانت تتسبب بإغلاق الأسواق وتُعيق حركة الناس وممارسة أعمالهم الطبيعية ، حتى وصل الحدّ ببعض باشوات الشام إصدار أوامر بأن تُلغى وحدات الانكشارية و أوجاقهم ، وكانت هذه الفِتن التي يثيرها آغوات الانكشارية متقطّعة ، ولا تحدث بشكل متكرّر ، ومن هؤلاء الباشوات الذين نادوا برفع أوجاق الينكجرية إبراهيم باشا في سنة ١١٢٩هـ/١٧١٦م ، حيث قاموا بإجبار الأهالي على إغلاق محالهم التجارية ، وبعد أن هدأت الفتنة التي اصطنعها العسكر ، عمد الباشا إلى قتل من تسبّب بهذه الفتنة (٦) ، واستمرت ملاحقة كبرائهم واعتقالهم ، ففي سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م جرى اعتقال عدد من

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٢) ن م ، ص ١٤٥.

(٣) ن م، ص ١٤٩.

(٤) ن م ، ص ٢١٠،١٥٠،١٥٨،١٥٩.

(٥) ن م ، ص ٣١١ .

(٦) ن م ، ص ٢٦٨ .

آغواتهم وهم ثمانية ، فيقول ابن كنان : " أودِع في القلعة ثمان أغوات أعيان طائفة الينكجرية ، منهم علي آغا ابن الترجمان ، ويحيى آغا طالو ، والمقابلجي ، والخمسة الآخر أيباشية [١] " .

وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، يذكر البُديري الحلاق استمرار تعنت الينكجرية تجاه السلطة الحاكمة في دمشق لدرجة أنهم لم يهتموا أو يبالوا بما يصدره الباشا من قرارات ، ويظهرون عصيانهم بشكل علني لأوامره ، وعندما طلب سليمان باشا العظم من آغواتهم في حارة الميدان تسليم العُصاة والأشقياء منهم رفضوا طلبه بقولهم : " نحن لا نقدر على إلقاء القبض عليهم فدونك وإياهم " ، الأمر الذي أغضب الباشا وجعله يقدِم على حِرمان الأغوات من الامتيازات التي كانوا يتحصّلون عليها ، كما أنه أكّد على الأهالي بضرورة قتل كل العصاة من الينكجرية [٢] ، وهو ما يعني أن الباشا أهدر دماءهم ، لما ظهر منهم من الفساد ، ونجح العسكر باسترداد امتيازاتهم التي حرمهم منها سليمان باشا ، فقد وقفوا إلى جانب عامة الأهالي في دمشق إبان ثورتهم على قاضي الشام ، عندما اشتدّ الغلاء وارتفعت الأسعار في زمن ولاية أسعد باشا العظم في سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م ، فجمعوا مال القاضي ومتاعه وجعلوه من خزينة أوجاقهم تُصرف لهم [٣] ، ووصل الحدّ بهم أيضا إلى الطعن بكرامة وشخصية الباشا ، فكانوا يُطلقون عليه أسماء الإناث بوصف الباشا (اسعد العظم) بقولهم عنه بـ (الست سعدية ، أو سعدية قادين[٤]) ، فحمِل عليهم الباشا ، ونكّل بهم وأحرق دورهم وأخرجهم من الميدان ، وقتل منهم أناسا كثر ، وأمر الناس بإلقاء القبض على أشقيائهم ومن لم يفعل ذلك ، فإنه يتوجّب عليه العقوبة بدفع الغرامة ، حتى وصل الحال بشيوخ حارات دمشق بتتبّع الأشقياء واحدا بعد واحد ، وقد خلت دمشق من الينكجرية العُصاة وفَرِح الناس لمدة شهرين [٥]، وتعتبر هذه الواقعة التي تعرّض لها الينكجرية في سنة ١١٥٩هـ/١٧٤٦م من الضربات القاصمة التي

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢، ص ٤٧٢.

(٢) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) ن م ، ص ٦٣ .

(٤) ن م ، ص ٦٢ ، ٦٦ .

(٥) ن م ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

أطاحت بهيبتهم على مدار قرن كامل ، وأزالهم السلطان محمود الثاني بن عبد الحميد الأول سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م (١) .

ثانياً : القابي قول :

وتعني عبيد الباب وخدم الباب العالي أي خدم السلطان ، وقد تنطق: القابي قوللاري (٢) ، أمّا ابن كنان فقد ذكرها بعدة ألفاظ مثل : دولة القلعة ، القوُل ، أو قبول القلعة ، أو حتى قبقبول (٣) .

وذكر ابن كنان الصالحي بأن أوجاقهم دخلت إلى دمشق في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وبالذات في سنة ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م ، أما تصرفاتهم فلم تكن بأحسن حال من تصرفات وجاق الانكشارية ، فقد عرفوا بالنهب والسلب وممارسة المنكرات ، والتعدّي على الناس وظلمهم (٤) ، ويبدو أن السلطة الحاكمة في الشام بدأت تستعين بهم عند تزايد طغيان الانكشارية ، وسكنوا بالقلعة ،وبالتالي فإنها بدأت تحلّ محلّ الينكجرية في الحفاظ على قلعة دمشق ، وهي استخدمت كأداة لدعم نفوذ والي دمشق ، وهو ما جعل الصالحي ابن كنان يسمّيهم "دولة القلعة " وآغتهم بها يلقّب "بآغة القلعة " .

طلب باشا الشام سليمان مساعدة السلطنة بإيفاد جماعات من هذه القوّات للتصدي للينكجرية ، وقد لبّت السلطنة طلبه بأن أوفدت إليه ثمان وحدات في سنة ١١١٨هـ/١٧٠٦م ، وعند وصولهم دمشق أسكنهم الباشا في القلعة (٥) ، ويبدو أن اهتمام الدولة بهذا الوجاق الجديد في الشام ، كان له أكبر الأثر في زيادة حدة الفتن بين هذين الوجاقين، واتساع الهوّة بينهما طوال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ، فقد ذكر ابن كنان الكثير من الفتن وأعمال الشغب التي حدثت بينهما ، وكان أوّلها في سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م عندما قتل القابي قول أحد متقاعدي دمشق من الينكجرية صالح بن صدقة وصادروا أمواله وتركاته (٦) ،

---

(١) العبد ، حسن آغا (ت ١٢٤١هـ/١٨٢٦م)، حوادث بلاد الشام والامبراطورية العثمانية ، تحقيق يوسف نعيسة ، دار دمشق للطباعة والنشر ،دمشق ، ط ١، ١٩٨٦م ، ص ١٨٢ .

(١) مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج١، ص ٧٣ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٦٧ ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

(٣) ن . م ، ج ٢ ، ص ٥١٧ .

(٤) ن م ، ج ١، ص ١٢٣ .

(٥) ن م ، ص ٢٤ .

ويصاحب هذه الفتن إغلاق الأسواق التجارية ، وإثارة الخوف والفزع بين الأهالي والتي قد تستمر لأيام طويلة ، عدا عن القتلى بين الفريقين نتيجة لاستخدام الرصاص والبارود (١) ، ووصل الأمر بقوات القابي قول أن تمردوا على باشوات الشام ، مثلما تمردت الينكجرية من قبلهم ، فقد خرج هؤلاء على طاعة باشوات الشام : عثمان في سنة ١١٣٢هـ/ ١٧١٩م ، وحسين البستنجي في سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م ، وأطلقوا عليهما البارود والمدافع ، فكان ذلك بعزلهما عن الولاية (٢) ، ولم يقف طغيانهم وجبروتهم على ذلك فحسب ؛ وإنما هاجموا حارة الصالحية ، وخرّبوا البيوت والأسواق ، وتعدّوا على الأفران والدكاكين ، وكسّروا ما فيها من البضائع والسلع وعاثوا فيها الفساد ، وهاجموا محكمتها (محكمة الصالحية) ، وأطلقوا الرصاص على دار الشيخ عبد الغني النابلسي ، وشتموه بالألفاظ التي لا تليق بمكانته كعلم من أعلام الشام ، ومارسوا القتل فيها ، ويبدو أن السبب في هذه الفتنة التي جرت أحداثها في سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م ، هو إصدار الحكم الشرعي بقتل أحد الشيوخ في الصالحية واسمه (ابن فطم) لما عُرف عنه بالفجور والفسق والسكر (٣) ، ودفاع القابي قول عن هذا الشيخ يشير إلى وجود منفعة ومصلحة متبادلة ما بين أهل الفجور والفسق من شيوخ دمشق مع قوات القابي قول ، مما يعني وجود الفساد بين هذه القوات ، وهو ما جعل علماء الشام وأعيانها ومفتيها ومنهم الشيخ النابلسي يتدخّلون لدى مقرّ السلطنة العثمانية في اسطنبول للتصدي للظلم والأذى والتعسّف الذي مارسته جماعة القابي قول ضد الأهالي في الشام (٤) ، ويبدو أن هذه الشكايات قد أتت أكلها عندما تولّى عثمان باشا المحصّل ولاية الشام ، وقلّص من نفوذهم ، وأضعف شوكتهم ، وأخرج عُصاتهم من دمشق سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م ، حتى صارت دمشق كما وصفها ابن كنان بقوله : " وفضيت الشام من الأسافل والجبابرة ، وقليلين الدين والإيمان والأمانة ، كثيرون العنترة ، كلّ واحد كالنمرود ، لا يحلّلون

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣، ٢٩٤، ج ٢ ، ص ٣٧٥ ، ٤٦٩ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ٣١٤ ، ج ٢ ، ص ٥٠٩ ، ٥١٢ .

(٣) ن م ، ج ٢ ، ص ٤١١ ، ٤١٢ .

(٤) ن م ، ص ٤١٣ .

ولا يحرّمون " (١) فجاء الفرمان السلطاني بإبطالهم من الشام وأنّ " من استخدمهم أو ردّهم ملعون بن ملعون " (٢) .

ويذكر البديري الحلاق أن الباشا أسعد العظم عندما شتّت شمل قوات الينكجرية ١١٥٩هـ/١٧٤٦م ، طلب من السلطنة العثمانية إمداده بقوات من القابي قول ، ولم تبخل عليه من الامتيازات التي كانت تمنحه الدولة لهم ، فما كان ردّ الباشا على ذلك إلاّ وأن خاطب آغة القابيقول الجديدة بقوله : " كل من أدخله من أولاد الشام من غير جنسك لا يرجع اللوم إلا على نفسك " (٣) ، عندئذ انتظم حال القابي قول في دمشق ، ورجعت دولتهم أحسن ممّا كانت عليه سابقا في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري ، ويبدو أن هدف الباشا أسعد العظم هو عدم تكرار تجربة دخول أهل الحرف والمصالح من أبناء دمشق عندما انخرطوا مع الينكجرية ، فظهر الفساد وحبّ الذات عند الينكجرية ، ليتحوّلوا عن المهام التي أوكلوا بها ، وبالتالي فإنه لا يريد تلك المساوئ أن تعود مجددا إلى أوجاق القابي قول الجديدة.

ثالثا : السكبان :

وهي تعبير فارسي الأصل وتعني : حرّاس أو مدرّبي الكلاب ، وهم يشكّلون فرق من المتطوعين الذين تلجأ إليهم الدولة في أوقات الشدة والحرب ، وقد وجدت هذه الفرق منذ عهد السلطان مراد الأول ابن أورخان (ت ٧٦٢ هـ/١٣٦١م) ، وكانوا يصحبون السلطان عند ذهابه للصّيد ، وفي فترة لاحقة من حكم السلطان محمد الثاني (ت ٨٨٥هـ/١٤٨١م) ألحق هؤلاء مع قوات الانكشارية (٤) ، وقد عرف عنهم سوء الأخلاق ، يقترفون الفواحش كعادة قوم لوط ، وبالتالي فإنهم لا يجدون أي نوع من القبول والاحترام بين الناس .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٥١٩ ، ٥٢٩ .

(٢) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١١٠ .

(٣) ن م ، ص ٧٢ .

(٤) البوريني ، تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٨٠ ، لويس ، برنارد ، إستنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تعريب : سيد رضوان علي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٩٨٢م ، ص ١٤٨ ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ١٣٤ .

وقد أشار ابن كنان إشارات بسيطة وقليلة عن دورهم في المجتمع الدمشقي ، وكان يسمّيهم السكمان (١) ، فقد كانوا يقفون في وجه القابي قول عندما يتعدّون على أهل البلاد ، ويقتلون الآمنين منهم ، حيث استطاع هؤلاء طرد قوات القابي قول إلى حصنهم بالقلعة عندما قتلوا رجلا بدمشق ، عندئذ هرع السكبان وهم محمّلون بالسيوف فأرغموهم إلى العودة إلى القلعة (٢) ، وأقدمت السلطة في سنوات ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م و ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م على اعتقال جماعة منهم بدمشق ونفيهم إلى قبرص ، حتى صدر الأمر بالعفو عن بعضهم في سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م (٣) .

- علاقة الدولة بأعيان دمشق كقوّة محليّة :

العيْن هو السيّد لغة (٤) ، ولفئة الأعيان أهميتها لدى ممثلي الدولة والتي كانت تسعى دائما إلى إيجاد علاقات جيّدة معهم ، ومن خلال يوميات ابن كنان الصالحي ، تمكنّا من التعرف إليها، ونتناولهم فيما يأتي :

- طبقة العلماء :

تمتع هؤلاء بعدد من المناصب الدينية التي كان يطمح للوصول لها كل صاحب علم ، نظرا لما لها من الامتيازات والحوافز ، عدا عن المكانة الاجتماعية العالية ، وتضم : القضاة ، والمفتين ، والمدرسون لا سيما في الجامع الأموي ، وخطباء المساجد ، ويُعامل هؤلاء معاملة حسنة تليق بمكانة ما يحملونه من العلم ، وهذا التقدير للعلماء ظهر عند الشيخ يونس المصري مدرّس قبة النسر بالجامع الأموي ، فقد تعرّض للأسْر من قبل السفن الفرنجية على ساحل البحر المتوسط عند توجهه إلى بلاد الروم ، وعندما علم جنود السفينة به ، قام أحدهم وهو من الشباب المُرد (٥) بتقبيل يده ، ثم أخرجوه إلى ظاهر المركب ، ونال منهم من الحفاوة

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٢) ن م ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٣) ن م ، ص ١٢٩ ، ج ٢، ص ٣٥٨ ، ٣٨٠ .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٦١ .

(٥) الأمرد :هو الشاب نقي الخدين الذي لا شعر له ، ابن منظور ،لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٤٠١ .

والتكريم لمدة ثلاثة أيام متتالية ، ثم أطلقوا سراحه هو ومن كان معه ، وأكملوا سفرهم للروم [١] ، وكان العلماء المرجع والوسيط ما بين عامة الناس والولاة ، وعندما يلحق الأهالي أي أذى أو ظلم من قبل الدولة ، نجد أن هذه الطبقة تتدخل لدى الدولة لرفع الظلم عنهم ، فقد تعرّض أهالي دمشق من التجار زمن ولاية الباشا محمد ابن بيرم سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م للظلم ، عندما قرّرت الدولة أن تفرض عليهم مبلغا كبيرا من المال يوازي ثمن ثلاثة قناطير من الحرير من جهة بعلبك ، وذلك بقصد قبض المال وإرساله للسلطنة في بلاد الروم ، فقام الشيخ أبو المواهب الحنبلي بالتدخّل لرفع المال عنهم ، وهدّد الباشا بضرورة رفع تلك المظلمة عن تجار دمشق ، مخاطبا إيّاه بقوله : " إنّ الرعيّة لا تحمّل لهم ، فإمّا أن ترفَعَ هذه الظلامة ، وإمّا أن نهاجر من هذه البلدة ، والجمعة ما نقعد عندكم ، وأيضا الحرير للسلطان لا لك ، فأبعه على كيس السلطان "[٢] ، وعندما رأى الباشا هذا الموقف من الشيخ العالم أبي المواهب ، رفع المال الذي سبق وأن فرضه على التجار ، وهذه الحال نجدها أيضا عندما تدخّل قاضي الشام (مُعين زاده) في سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م ، عندما جاء المتسلّم من السلطنة بقصد أخذ الضرائب الباهظة من أهالي الصالحية ، فطلب من المتسلّم أن يرفعها عن الناس ، وذلك لمَا كان فيها من ظلم [٣] .

لعب العلماء دوراً في تخفيف حدّة النزاع الذي كان ينشب بين الفينة والأخرى ما بين قوات الينكجرية وقوات القابي قول ، أو عندما يصل أذى هؤلاء إلى الناس ، فتتعطّل أمور الناس المعيشية و الحياتية المعتادة ، عندها يجد العلماء أنهم أوْلى من غيرهم في الدفاع عن مصالح الناس ، والعمل على إعادة الهدوء إلى المدينة ، ففي سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م أقدمت أوجاق القابي قوُل على التنكيل بالأهالي في الصالحية ، وخرّبوا البيوت والأسواق ، وذلك ثأرا لمقتل (ابن فطم) أحد الشيوخ الأشرار والخاضعين لحماية هذه الأوجاق ، ونتيجة لذلك أقدم علماء دمشق على الشكاية بهم إلى السلطنة في بلاد الروم ، وكان من بين هؤلاء العلماء الشيخ عبد الغني النابلسي ،فكان ذلك إيذانا بالحدّ من سطوة (القابي قول) بعد بضعة سنوات من هذه الواقعة[٤].

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٢) ن . م ، ص ٧٩ .

(٣) ن . م ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٤) ن م ، ٤١٢ ، ٤١٣ .

وفي حال وجد الوالي أيّة معارضة من قبل أعيان الدولة من علماء ونقباء ، فإنه لا يتردّد باتهامهم بالخِيانة والافتراء عليهم أو الوشاية بهم ، ومن ثم يكون عقابهم النفي خارج دمشق ، وهذا ما كان مع كل من : الشيخ عثمان القطان ، والسيد عبد الكريم بن حمزة النقيب في فترة حكم السلطان مصطفى الثاني (١١٠٨- ١١١٦هـ/١٦٩٥- ١٧٠٣م) ، وفي زمن ولاية عثمان السلحدار لدمشق ، حيث أراد الباشا جمع المال من الأهالي من غير وجه حق ، وإرسال قسم منه إلى مقرّ السلطنة في إسلام بول ، ويكون الجزء المتبقي لصالحه ، فعارضه الشيخ القطان والنقيب عبد الكريم ، فأمر الباشا بنفيهم إلى طرابلس ، وبقي هؤلاء في منفاهم حتى عزل الباشا وغادر دمشق إلى بلاد الروم (١) .

وكذلك الحال عندما نفى سليمان باشا في سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م عدداً من وجهاء دمشق إلى طرابلس ، والسبب أن الباشا ، أراد أن يجمع من الأهالي مبلغا من المال وذلك لحاجته له قُبيل خروجه مع دورة المحمل في الحجّ ، ومن هؤلاء الوجهاء الذين ذكرهم ابن كنان : أسعد أفندي البكري ، عبد الرحمن أفندي القاري ، سليمان جلبي الخطيب المحاسني (٢) .

وعلى ذلك فإن هذه الطبقة تجد أنه لزاما عليها الوقوف إلى جانب عامّة الناس ، والدفاع عن حقوقهم ، ورفع المظالم عنهم ، وفي حال وقفوا موقف المتفرّج إزاء ما يتعرّض له الأهالي من القسوة والظلم من قبَل السلطة وأركانها في المدينة من الجنود الانكشارية والقابي قوُل ؛ فإنّ الأهالي لا يتردّدون بالخروج عليهم ، ورجمهم وضربهم بالحجارة ، تعبيراً منهم عن غضبهم لموقفهم الحيادي ، فقد رجم أهالي دمشق قاضيها عندما اشتدّ أذى الجنود لأصحاب المحال والحِرف و أخذوا حوانيتهم ، على مرأى ومسمع من القاضي الذي لم يحرّك ساكنا في سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م (٣) ، بالرغم من أن بعض أفراد هذه الطبقة يخشون غضب السلطنة ويخشون غضب الولاة ، وبالتالي فإننا نجدهم بمثابة اليدّ العاملة في تنفيذ الأوامر السلطانية في فرض ما هو خارج عن طاقة الأهالي من دفع للضرائب ، فقد وردَ إلى دمشق فرمانٌ من قِبل السلطان أحمد الثالث سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٨م ، بضرورة جبي الضرائب من الأهالي ،ويبدو أن حاجة السلطنة لها تتعلق بأمور الحرب وما يلزم لها من عتاد ، وإن لم يُنفّذ

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ١١٦ .

(٢) ن م ، ص ١٢٢ .

(٣) ن م ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

أمر السلطان ؛ فيجب على الوالي القيام بإغلاق المَحال في الأسواق ، ونتيجة لقسوة هذه الضرائب على الرعيّة ، فإن العوام ذهبوا إلى عند المفتي عبد الرحمن بن القاري لرفع الفرمان عنهم ، ولكن يبدو أن هذا المفتي الذي كان متعاطفا معهم وجد صعوبة في وقف سريان الأمر السلطاني رغم تعاطفه معهم ، حتى أنه تعرّض للإحراج من قبل المفتي السابق له محمّد العمادي والذي تحفَظ عليه وتطاولَ لأنه أهمل في تنفيذ الفرمان (١) .

- رؤساء الجند و الأغوات :

وقد تبلورت مكانتهم نتيجة لصلاتهم القويّة مع السلطنة العثمانية في إسطنبول ، ولمناصبهم التي توارثوها ، وأيضاً للامتيازات التي حظيوا بها ، ولفظ (الآغا) فارسي ، استخدمه الأتراك العثمانيون كلقب يُطلق على قادة وزعماء الجنود من أوجاق الانكشارية والقابي قول، كما يستخدم هذا اللفظ بمعنى السيّد ، وهو صاحب المنصب الكبير ، ويُعتبر استخدام هذا اللقب دلالة على قوة الدولة وزيادة هيبتها ، وعادة ما يطلق ليدلّ على الإنسان الكريم والعظيم مِن أصحاب المكانة المتميّزة والمرموقة بين الناس ، فهي ألقاب تدلّ على التشريف والتفاخر والتكبّر (٢) .

وقد ذكر ابن كنان عددا من هؤلاء الآغوات ، ومنهم : يوسف جلبي ابن العيطة من أعيان تجار دمشق (٣) ، عبد الله آغا الرومي آغا الانكشارية (٤)، إبراهيم بن عبد الرزاق وهو أيضاً من أعيان تجار دمشق(٥) ، عمر شيخ الأتمزلي مِن أعيان القابي قوُل بدمشق (٦) ،فتح الله أفندي الداديخي مِن أعيان النواب بدمشق (٧) ، وكان لهم تأثير كبير على الفئات التي مثّلوها ، ولهم ما يميّزهم عن غيرهم من حيث تعامل السلطة معهم .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٢) صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ١٦ ، فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٧ ، بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية ، ص ١٧٣، ١٧٤ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٤) ن م ، ص ١٤٥، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

(٥) ن م ، ج ١ ، ص ١٧١ .

(٦) ن م ، ص ١٧٧ .

(٧) ن م ، ص ١٨١.

- طبقة الأشراف :

اندرج أتباع هذه الطبقة ضمن نقابات خاصة بهم منذ العصر العباسي واستمرت في عصر السلطنة العثمانية ، وهي ما تسمى (نقابة الأشراف)، والتي ترتكز مهامها في مسألة الأنساب من أولاد علي بن أبي طالب من نسل الزهراء فاطمة بنت الرسول محمّد -عليه الصلاة والسلام - [١] ، وبالتالي فإنها تشتمل على عراقة الأصل وشرفه ، ويقوم على هذه النقابة شخص تعيّنه الدولة بفرمان سلطاني يسمّى نقيب الأشراف يتولّى الحفاظ على السجلّات التي تهتمّ بأنساب الأشراف ، والحفاظ على ما تمتّعوا به من امتيازات من قبل السلطنة العثمانية [٢] .

ويبدو من خلال مؤلّفات ابن كنان الصالحي أنّ هذه الطبقة كانت مسلّحة ، وتقف إلى جانب عامّة الناس ، عند وقوع أي مظلمة ، فقد شاركوهم في التصدّي للضريبة التي فرضها باشا الشام يوسف طبل في سنة ١١٢٨هـ/١٧١٥م بعد أن سبَق ورُفِعت في ولاية نصوح باشا قبله [٣] ، وقتلوا في سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م عدداً من العوانية العسكر من قوات القابي قوُل الذين كان يُنسب إليهم أعمال الشر والفسوق في دمشق حيث كان باشا الشام عثمان أبي طوق يعتمد عليهم في تخويف الناس وبثّ الرعب عندهم ، فاستغلّ الأكابر والأعيان الأشراف خروج الباشا مع الحج ، فقاموا بتحريض العامة ضد العوانية بهدف الاقتصاص مِنهم [٤] ، وهو ما استمر بعد ذلك بسنوات ، وخاصة عندما تعرّضت الصالحية للأذى والتخريب من قبل القابي قوُل في سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م ، وذهب الأشراف إلى القاضي للشكاية عليهم ، فلحقتهم تلك القوات وضربوهم بالرصاص والبارود ، فقتل من هذه الطبقة جماعة ، وجُرح آخرون [٥] .

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧ / انظر : الباشا ، حسن، الألقاب الإسلامية ، ج١ ، ص ٣٥٧.

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ ، هريدي ، شؤون الحرمين الشريفين ، ص ٥٨ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج١، ص ٢٥١ .

(٤) ن م ، ج ٢، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٥) ن م ، ص ٤١٢ .

وكانت وحَدات (القابي قول) تنظر إلى الأشراف بعيْنِ السّخط ، فلم تكن تعلي مِن شأنهم ، لدرجة أنهم وصفوا ديّة الرّجل من الأشراف في حال قتله من طرَفهم لا تساوي قيمتها أخشاية فضة (١) ، وعلى ذلك فقد كانت الفتن التي حصلت بين طبقة الأشراف وجماعة القابي قول كثيرة ، حيث قتل عدد من الأشراف في سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م ، وذلك عندما حاولوا ردّ اعتبارهم بعدما قام آغا القابي قول بضرب عدد من الأشراف ثلاثمائة سوط ، بعد ما صدر منهم من إزعاج بحق الآغا وهو نائم ، عندما كانوا يجرّبون استخدام الطبنجة ، وقد وصف البُديري حالة الأشراف الذين تعرّضوا للضرب بالسّوط ، بقوله : " فضربوا ضربا وجيعا وتُركوا كالأموات " (٢) ، وغالباً ما كانت الفوضى في دمشق تنسب للقابي قول ، فنجدهم يبادرون دائما للاعتداء على الأشراف ، ويحطّون من قيمتهم ، وأكثر القتلى والجرحى تكون من صفوف هذه الطبقة من أشراف دمشق ، حيث عملت هذه الأوجاق في سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م على قتل ما يقرب من ثلاثين رجلا من الأشراف (٣) .

وعلى العموم فإنّ أعيان دمشق من الفئات الثلاث السابقة ، حَظيت بمكانة لا بأس بها من قِبل الدولة العثمانية في دمشق ، وحصلوا على كثيرٍ من الهدايا والأعطيات من باشوات الشام ، والذين كانوا يتفقّدون أحوالهم في المناسبات الدينية في العيدين وفي شهر رمضان (٤) ، وحرصت هذه الفئات على التواصل الاجتماعي فيما بينهم ، كالمشاركة في مناسبات الأعراس ، أو الختان ، أو الطّهور ، أو في عمل الموالد ، وشاركوا الصوفية عند انعقاد الخلوات والتهاليل الكثيرة سواء في المساجد أو في التكايا والزوايا ، عدا عن اللقاء الذي كان يجمع كثير منهم في أوقات الرّبيع ، والخروج إلى أماكن التنزّه في دمشق (٥) .

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١١١ ، أمّا لفظ (أخشاية) : فقد تكون تحريف للفظ (الأقجة) وهي قطعة صغيرة من الفضة ويعادل وزنها أربعة غرامات ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ٢٠ .

(٢) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٠٩.

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٩١ / انظر الحلاق ، المصدر السابق، ص ١١٠ ، ١١٢ ، ١٥٦، ٢٠٥ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ،١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٥) ن م ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، ج٢ ، ص ٣٦٨، ٣٨٥ .

وقد ذكر ابن كنان الصالحي عدداً من الأسماء لنقباء دمشق ، والذي يتبيّن من خلاله أن نقابة الأشراف تُبنى على أساس الوراثة في البّيت نفسه من الأب إلى الابن ، أو من الأخ لأخيه ، وأنها كانت محصورة في بيْتي : (آل حمزة ، وآل عجلان) .

وهم كما في الجدول التالي :

*** جدول رقم (٢٤) نقباء الأشراف في دمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية لابن كنان الصالحي**

الرقم	الاسم	ملحوظة	الجزء /الصفحة
١	عبد الكريم أفندي ابن حمزة النقيب	توفي ١٧/ رجب/١١١٨هـ/١٧٠٦م	ج ١ ، ص ١١٥
٢	إبراهيم أفندي ابن حمزة النقيب	توفي وهو بالحج سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م	ج١،ص ١١٥،١١٦،١٢٩،١٣٧
٣	حسن ابن السيد إبراهيم أفندي أبن حمزة	توفي ليلة الأحد ٢٣/صفر/١١٢١هـ/١٧٠٩م	ج ١ ، ص ١٤٨، ١٥١
٤	إسماعيل جلبي ابن السيد حسن ابن عجلان	توفي السبت ١٠/رجب/١١٣٢هـ/١٧١٩م	ج ١ ، ص ٣١٦
٥	السيد سعدي ابن عجلان النقيب	توفي ١١/شعبان/١١٣٢هـ/١٧١٩م	ج ١ ، ص ٣١٨ .
٦	حسن بن حمزة العجلاني	توفي الأربعاء/ذو القعدة/١١٤٠هـ/١٧٢٨م	ج ٢ ، ص ٣٨٨
٧	عبد الله أفندي ابن حمزة العجلاني	تسلم مهمة النقابة خلفا لأخيه حسن	ج ٢ ، ص ٣٨٨
٨	سعيد أفندي النقيب		ج ٢ ، ص ٣٩٩.
٩	عبد الله افندي العجلاني	تسلم مهمة النقابة في سنة ١١٤٩هـ/١٧٣٦م ، وقد يكون هو نفسه (عبدالله النقيب السابق) في حالة تنازله عنها فترة من الزمن ، وعودتها إليه من جديد .	ج ٢ ، ص ٤٧٩ .

وعلى ذلك ؛ تكون مصادر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي أعطت صورة حيّة عن جهاز الدولة العسكري ، فقد بدأ باهتمام ظاهر من طرف السلطنة العثمانية ، ووفرت لمنتسبيه الامتيازات التي تضمن استمراريته وقدرته على فرض هيبة السلطنة وهيمنتها على كل أجزائها ، ولكن في هذه الفترة من الزمن تخطى العسكر وأغواتهم حدود المهام التي أنيطت بهم ، واندمجوا مع التجار ، وتجمعت بأيديهم أموال طائلة ، فشكّلوا مصدر قلق لممثلي السلطة بالشام ، وانتسبت إليهم عديد من أعمال العنف والشغب ، وتعطلت حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية ، وللتصدي لطغيانهم واستبدادهم بالمدن الشامية ، لجأ ممثلو السلطة بالشام لطلب العون والمدد من العاصمة اسطنبول ، إلاّ أن تلك الأوجاق التي قدمت من مركز السلطنة لم تكن بأفضل حال ممّا هو موجود فيها .

كان للقوى المحلية في دمشق ولا سيما (العلماء ، و الأشراف) دور مهم في الوقوف إلى جانب الأهالي ، عندما يزداد تهديد العسكر لهم ، وفي الأحوال التي تشتد عليهم الضرائب من قبل الدولة ، فكانوا وسطاء بين الناس وممثلي السلطة ، وغالبا ما كانت تستمتع لهم وتأخذ برأيهم .

ثانياً : الأحوال الاجتماعيّة :

- تركيبة المجتمع الدمشقي :

تعطينا كتب التراجم واليوميّات صورة عن تركيبة السكان في المدن والأقاليم التي تغطّيها ، وقد ساعدتنا تلك المصادر خلال فترة دراستنا لدمشق على التعرّف عن قرب عن سكان دمشق وضواحيها ، فقد وجدنا في يوميّات ابن كنان الدمشقي هذه الصورة عن طبيعة وتركيبة المجتمع الدمشقي ، وأعطتنا لمحة عن الفئات السكانية في ذلك المجتمع لمدة نصف قرن (من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) ، ومن خلالها تأكّدنا أن دمشق كانت منذ هذا الوقت وقبله ، تشكّل مركز جذب للعديد من مختلف أطياف المجتمعات العربيّة في الشرق والغرب من الوطن العربي ، كما أنها شكّلت محطّة لاستيطان بعض من العجم ، على اعتبار أنها جاءت بعد مصر من حيث الأهميّة زمن الإمبراطوريّة العثمانيّة ، فأهميّتها جاءت نتيجة لموقعها الجغرافي القريب من مركز السلطنة العثمانيّة ، وكونها البوّابة الرئيسيّة التي تمرّ فيها قوافل الحجّ القادمة من بلاد العجم الفرس أو من الأروام باتجاه بلاد الحجاز ذهابا وإيابا ، كما أن دمشق تنافست مع القاهرة في النواحي العلميّة ، فجاءها طلبة العلم لينهلون من علوم شيوخها والإفادة منهم ، أو للعمل فيها كالتدريس في مدارسها ، أو الخطابة والوعظ في جوامعها ومساجدها ، أو غيرها من الوظائف الإدارية في المحاكم المتعددة بدمشق ، ونتيجة لذلك نلحظ أن دمشق أصبحت بمثابة البوصلة التي تتوجه إليها أفئدة الناس من نواحي الشام أو غيرهم من العرب والعجم .

ترجم ابن كنان لعدد من الأعلام على السّاحة الدمشقيّة ، وهذه الترجمة ساعدتنا في التعرّف على التنوّع الديموغرافيّ الذي شهدته مدينة دمشق ونواحيها ، فكان ينسب تلك الأسماء إلى أصولها وجذورها ، ويوضّح من نزل بالمدينة واستوطنها ، كقوله مثلا : " البعليّ ثم الدمشقيّ " أو " الحمويّ الأصل ثم الدمشقيّ " أو " التركمانيّ ثم الشاغوريّ"، أو قوله : التركماني ، المقدسيّ ، الخليليّ ، النابلسيّ ، الداغستانيّ ، العجلونيّ ، الهنديّ ، أو نجده يذكر لنا بعضاً من الوافدين من أجل إعطاء الدروس في الجامع الأموي أو إعطاء إجازة لكثير من الطلبة في الحديث ثم مغادرتهم إلى بلادهم ، ومن هؤلاء : الشيخ محمد الخليلي الحافظ الذي ورد لدمشق في شهر جمادى الآخرة من سنة ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م ، وبقي فيها حتى آخر الشهر

نفسه (١) ، أو قدوم بعض من العجم وعددهم نحو الألفين من أجل الحجّ ، واتخذوا لأنفسهم منازل مدة سنة ليزوروا بيت الله الحرام ثم يعودون إلى بلادهم (٢) .

وبيّنت قراءة كتاب الحوادث اليوميّة الفئات السكانيّة التالية :

أوّلاً : أهل الذمة من اليهود والنصارى :

سكن النصارى في حارة باب توما منذ زمن طويل (٣) ، وهم من السكّان الأصليين ، وقد أشار ابن كنان في يومياته إشارات قليلة لنصارى دمشق ويهودها ، وهم خليط ومزيج من المجتمع الدمشقي ، ولهم من الحقوق والواجبات ، ما على غيرهم من المسلمين ، وهذا بَدا واضحا من خلال الطلب الذي أمر به سليمان باشا والي الشام ، من النصارى واليهود بأن يحملوا الشموع أمامه عندما رجع مِن الحجاز بصحبة الحجيج ، علما أنهم شاركوا في كل المناسبات الرسمية ، ويأتي طلب الباشا بعمل الزينة نتيجة للمشقة التي عانى منها الحجّاج في سفرهم عندما اعترضتهم العربان ، أو بسبب السيول التي داهمتهم (٤) ، ويبدو أنّ هدف الباشا ومُراده تحسين صورته أمام الدمشقيين ، وقد اقتصرت يوميات ابن كنان على ذِكر من اعتنق الإسلام من النصارى ، وإقامة الاحتفالات في حارتهم (٥) ، ونفسّر إقامة تلك الاحتفالات بإسلام بعض أهل الذمة في حاراتهم ، بأنها تأتي كنوع من التشجيع للآخرين على الدخول في الإسلام ، ودخول بعض نصارى دمشق في الإسلام ، كما وصفتها (أبو الشعر) " ظاهرة محدودة لكنها موجودة (٦) " وتمتّع هؤلاء ببعض المناصب بدمشق ، ولم يصُدر بحقّهم أيّ نوع من التمييز أو العصبيّة بسبب اختلافهم في الدّين ، فكان أحد كتّاب المحكمة العوانية من اليهود ، ثم انتقل إلى صيدا بصُحبة كافل دمشق آنذاك (عثمان باشا) ليتسلّم

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) ن م ، ص ١٨٤ .

(٣) ابن طوق ، التعليق ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٠٨ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٢٦ ، ابو الشعر ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣.

(٥) ابن كنان، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٨٨ ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٦) أبو الشعر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

منصبه الجديد كباشا على صيدا ، وكان اليهود بدمشق يمتهنون الصرافة ،وبعضهم كان معلماً لدور الضرب (سك العملة) بدمشق [١] .

ثانيا : الحمويون (حماه) والحمصيون (حمص) :

جاء هؤلاء من قصبة حماه ، واستقروا بدمشق المدينة ، واشتغلوا بالتدريس والتجارة ، ومنهم : الشيخ رجب بن حسين الحموي ثم الدمشقي الميداني [٢] ، عبد الوهاب بن محمد الحموي (ت١١٣١هـ / ١٧١٨ م)[٣] ، ومن حمص الشيخ العلامة عز الدين الحمصي الحنفي ، وجاء إلى دمشق وهو صبي من أجل طلب العلم من مشايخ دمشق وعلمائها ، وتوفي سنة ١١٢٩هـ / ١٧١٦م [٤] .

ثالثاً : الحلبيون :

وفدت جماعة من أهل حلب إلى دمشق ، وتقلّدوا عددا من المناصب هناك ، واستوطنوها ، ومنهم : المفتي عبد الرحمن بن أحمد الحلبي الأصل الدمشقي الاستيطان ، وتوفي سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م [٥] ، ويبدو أن سبب وجودهم في دمشق تعود لأهمية المناصب فيها .

رابعاً : البقاع [٦] :

وممّن ذكرهم ابن كنان : الشيخ عبد الله البقاعي الشافعي [٧] ، الشيخ العلامة عبد السلام بن محمد الكامدي الشافعي ، نسبة إلى قرية " كامد اللوز " من قرى البقاع ، وتوفي سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م [٨] ، الشيخ العلامة أيوب البقاعي الأصل الصالحي المولد [٩] ، وكانت

---

(١) ابن طوق ، التعليق ، ج ٣ ، ص ١٣٥٩ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٣) ن م ، ص ٣٠٠ .

(٤) ن م ، ص ٢٦٦ .

(٥) ن م ، ص ١٢٠ .

(٦) جمع بقعة وهي أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق ، الحموي ، معجم البلدان، ج١، ص ٤٧٠.

(٧) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٨) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ٢٥ .

(٩) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

ترتبط بين البقاعيين والدمشقيين علاقات وصِلات قوية [١] .

خامسا : الشاميون (من شرقي الأردن) :

وكان لهؤلاء دورهم الفاعل في طبيعة الحياة الدمشقية لا سيّما الثقافية منها ، فشكّلوا فئة نشطة على مستوى التدريس والقضاء ، وربما كان توطنهم بدمشق قبل الفترة المملوكية ، وأغلبهم ينتمون إلى عجلون [٢] ، ومنهم : عبد الله بن زين الدين الحنفي العجلوني (ت ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م) [٣] ، الشيخ محمد العجلوني الشافعي الصوفي ، وقد درّس بالجامع الأموي ،[٤] ، الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي ، والمدرس بالجامع الأموي [٥] ، الشيخ الفقيه أحمد العجلوني الشافعي [٦] ، شيخ الأدب محيي الدين السلطي (ت ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م [٧] ، فضلا عن عائلات أخرى رمثاوية وباعونية من قرى إربد (الإربداوي) و (الحسباني) من البلقاء[٨] .

سادساً : الشاميّون من (القدس ، الخليل ، نابلس ، غزة) :

وهؤلاء من القدس وضواحيها الذين جاؤوا إلى دمشق واستوطنوها ، وانصهروا بالمجتمع الدمشقي ، وتقلدوا الوظائف ، وأصبحوا جزءاً من التركيبة السكانية بدمشق ، وقد يكون السبب في ورودهم إليها نتيجة الفِتن والمِحن والأحوال غير المُرضية التي كانت تمرّ بها القدس وما حولها من النواحي ، ومن هؤلاء : الشيخ عبد الله المقدسي الحنبلي [٩] ، الشيخ

---

(١) أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٠٥ .

(٢) ن م ، ص ٢٠٤ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ٣٩ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، ٢٣٢ ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

(٥) ن م ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٦) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٧) ن م ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(٨) ابن طوق ، التعليق ، ج١، ص٥٢،٥٨، ٧٩،٤٨٢، ٢٢٦، ٤٧١، ج٢، ص ٧٤٨، ٧٨٨.

(٩) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩ .

العلامة محمد الخليلي الشافعي ، يحيى الدجاني الخلوتي [١]، الشيخ عبد الغني النابلسي [٢] ، عمر النابلسي وكانت إحدى قدميه مبتورة ، وكان يدّعي المشيخة ، وهو الذي كان يصدُر أوامرَ كاذبة على لسان نصوح باشا ، فعاقبه الباشا بقطع يده[٣] ، الشيخ أحمد أفندي الغزي الشافعي(ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) ، وكان مُفتيا ثم مدرّساً بالمدرسة الشامية البرانية [٤] ، الشيخ محمد الغزي الشافعي مدرّس المدرسة القصّاعية [٥]، الشيخ مصطفى الغزّاوي الشافعي الخلوتي(ت١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) [٦] ، حسين بن القدسي [٧] .

سابعاً : من بعلبك [٨] :

وبالرغم من أن أكثر أهلها من الشيعة إلاّ أنّ أهل السنة منهم من أتباع مذهب الإمام أحمد ابن حنبل ، والذين كانت لهم الإمامة بالصلاة الرابعة بالجامع الأموي بعد الحنفية ثم الشافعية ثم المالكية ، وممّن ذكرهم ابن كنان : الشيخ أبو بكر أفندي البعلي [٩] ، والشيخ مصطفى البعلي – ويبدو أنه كان من أصحاب الطرق الصوفية المنشدين ، بدليل أن ابن كنان نسب إليه بعد ذكر أصله من بعلبك بـــ المنشد فقال عنه : الشيخ مصطفى البعلي المنشد – [١٠]، الشيخ محمد بن علي البعلي الحنبلي ثم الدمشقي (ت ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م) ، وهو من أصحاب الطريقة الخلوتية [١١] ، الشيخ الشمس ابن بلبان الحنبلي البعلي ثم الدمشقي [١٢]، الشيخ

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٢) ن م ، ص ٥٣ .

(٣) ن م ، ص ١٩٥ .

(٤) ن م ، ص ١٠٩ ، ج ٢ ، ص ٤١٤ ، ولمعرفة المدارس انظر الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(٥) ن م ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

(٦) ن م ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٧) ن م ، ص ١١٦ .

(٨) مدينة قديمة بينها وبين دمشق مسافة ثلاثة أيام وتتألف من مقطعين : بعل : الصنم ، بكّ : عنق ، الحموي، معجم البلدان ، ج ١، ص ٤٥٣ .

(٩) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(١٠) ن م ، ص ١٤٨ .

(١١) ن م ، ص ٢٣٠ .

(١٢) ن م ، ص ٢٤٨، ٢٢٦ .

عبد الباقي الحنبلي ثم الدمشقي (١)، الشيخ عبد اللطيف بن محمد البعلي الحنبلي (٢)، والشيخ علي بن محمد البعلي ثم الصالحي الفقيه الحنبلي (٣)، الشيخ الفقيه النحوي الورع مصطفى بن علي البعلي الحنبلي (ت١١٤١ هـ/ ١٧٢٨م) (٤).

ثامناً : العراقيون :

الشيخ الصالح علي العراقي (ت١١٤٤هـ / ١٧٣١م) (٥)، الشيخ محمد البابلي (٦)، الشيخ محمد البصراوي (ت١١٢١هـ/ ١٧٠٩م) (٧)، الشيخ العلامة خليل بن عبد الرحمن الموصلي (ت ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م) (٨)، الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الموصلي (٩)، الشيخ أسعد بن الشيخ أحمد الموصلي (١٠).

تاسعاً : الحجازيون :

استقطبت مدينة دمشق عدداً من عرب جنوب بلاد الشام، من بلاد الحجاز، وهم أيضا كانوا من العلماء والفضلاء، وعملوا بوظائف الدولة كالترجمة للقضاة الأروام ومن أسمائهم : إسماعيل الحجازي (ت ١١٢٧هـ/ ١٧١٤م) (١١)، موسى آغا الحجازي، وكان مترجما

---

(١) ابن كنان، الحوادث اليومية، ج ١، ص ٢٤٨.

(٢) ن م، ص ٢٤٨.

(٣) ن م، ص ٢٩٠.

(٤) ن م، ج ٢، ص ٣٩٠.

(٥) ن م، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٦) ن م، ج ١، ص ٢٢٧.

(٧) ن م، ص ١٥١.

(٨) ن م، ص ٥٧، المرادي، سلك الدرر، ج ٢، ص ٩٨.

(٩) ن م، ص ١٠٤، ن م، ج ٢، ص ٢٥٩.

(١٠) ابن كنان، المصدر السابق، ص ١٨٧.

(١١) ن م، ص ٢٤٣.

لقاضي الشام علي أفندي أوليا زاده ، وتوفي سنة ١١٣١ هـ / ١٧١٨م (١) .

عاشراً : العجم الأروام (٢) :

وحَظِي هؤلاء بمناصبَ عاليةٍ بدمشق على اعتبار صِلتهم بالدولة المركزية ، وكثيرٌ مِن هؤلاء مَن اجتمع لديه منصب إمارة الحجّ الشامي ، مثل محمد باشا الرومي الشهير بمحمد أفندي(٣) ، وكثير من هؤلاء الأروام من حاز منصب القضاء الحنفي في مدينة دمشق ، ومنهم : مصطفى أفندي الرومي (٤) ، والقاضي سليمان أفندي الرومي (٥) ، وقد كان هذين المنصبين حِكراً لهم ، بالإضافة إلى مَن كان مِن هؤلاء مِن طبقة العلماء مثل خليل أفندي الرومي (ت ١١٣٢ هـ / ١٧١٩م) ، وكان لديه عدد من الوظائف والتدريس (٦) ، ومما يدلّ على وجودهم وإقامة جزء كبير منهم في المدينة ، هو إنشاء سوق يحمل اسمَهم وهو سوق الأروام (٧) ، وتكمُن صِلتهم بالدمشقيين من خلال حضورهم لمناسبات الأفراح والأتراح ، أو حضورهم حلقات العلم في الجوامع ، أو تردّدهم على التّكايا ومصاحبتهم لشيوخ الطرق الصوفية ، أو التردّد على بيوت العوام بدمشق وضيافتهم .

الحادية عشرة : التركمان :

ولهم وجود في دمشق وأصلهم من بلاد التّرك ، ويبدو أن وجودهم كان قبل الهيمنة العثمانية على الشام ، وقد سكنوا حارة القابون الفوقاني (٨) ، أما في أواخر الدولة المملوكيّة ، وبداية الدولة العثمانية بالشام ، حافظ التركمان على وجودهم ، و بذلك فإنهم ينتمون إلى مذهب أبي حنيفة ، وقد استخدمتهم الدولة ليكونوا من الجُند المدافعين عنها ، إلاّ أنه في بعض الأحيان

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .

(٢) الأروام : لفظ يطلق على العثمانيين ، الحلبي ، محمد ابن أجا (ت٨٨١هـ/١٤٧٦م)، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ، تحقيق محمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ٣٠٢ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٤) ن م ، ص ٥٧ .

(٥) ن م ، ص ٨٥ .

(٦) ن م ، ص ٣٢٠ .

(٧) ن م ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .

(٨) ابن طوق ، التعليق ، ج ٤ ، ص ١١١٨ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

كانت تظهر مِنهم شوكة ضد أركان الدولة في المدينة خاصة بعد التحاق جزء منهم في أوجاق (القابي قول) ، وتحصل بينهم وبين الانكشاريّة فِتنٌ ، وهذه الفتن كثيراً ما كانت تعوقُ الحياة الدمشقية ، حيث تتعطل الحركة التجارية ، وتغلق الدكاكين والأسواق والحوانيت حتى هدوء تلك الفتن ، ووُصِفَ كثيرٌ منهم بالزرب (الأشقياء) ، ووصل الحال بهم ، أن معظم الباشوات كانوا يخشونهم مثل الباشا سليمان ، والذي كان كافلا على دمشق مدة سنة من عام ١١١٨هـ / ١٧٠٦م حتى سنة ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م ، والذي بلغ من خِشيته من التركمان ، أن خرج من دمشق ليلا ، وسافر إلى جهة البقاع عندما عُزل عن باشوية دمشق (١) ، وربما نعزو خوفه من التركمان إلى شدّته معهم ، وعدم تهاونه مع من يسيء منهم ، عدا عن كُره العامة له ، حيث عُرف عنه أنه كان يأمر باعتقال ما شاء من الأكابر والوجهاء بدمشق ، بحجّة الحصول على المال (٢) ، وكان كثيرٌ من أعيان دمشق يتودّدون للتركمان ويتقرّبون منهم ، مما أثار ذلك حفيظة الباشوات ، حيث أمر الباشا نصوح باشا بحبس جماعة كثيرة من أولئك الأعيان ، وذلك لِمَا ظهر منهم من الهوى والتآلف مع زربا التركمان (٣) ، وكان للتركمان شيخهم كالشيخ عمر التركماني ، والذي حبَسه الباشا نصوح بقلعة دمشق سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م(٤) والشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد التركماني ثم الشاغوري (٥) ، ومنهم من كان من الآغوات ، مثل : قاسم آغا ، وابن المهيني ، عمر الأتمزلي (٦) ، وكان أكثر هؤلاء التركمان يقطنون بمحلة الحقلة قبلي الميدان وعرفوا بتجارة الأغنام فيها (٧) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٢٩ .

(٢) ن م ، ص ١٢٢ .

(٣) ن م ، ص ١٥٠ .

(٤) ن م ، ص ١٤٥ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ .

(٦) ن م ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٧) ابن طوق ، التعليق ، ج ١،ص٨٥، ١١٥، ١٩١، ابن كنان ،المصدر السابق ، ص ١٧٧ ، أبو الشعر، مجتمع دمشق ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

الثانية عشرة : الأكراد[١] :

وكان هؤلاء يُعرفون بالبأس والفطنة والدهاء ، وحبّهم للقتال وشجاعتهم [٢] ، ووجودهم بدمشق لا يُعتبر طارئا ً وإنما وجودهم كان منذ القِدم ، ونظرا ً لجرأتهم وقوّتهم ، اعتمدت السلطنة العثمانية عليهم ، فحازوا على مناصب مختلفة ، وأظهروا كفاءتهم ، ومنهم : إبراهيم باشا الكردي ، حيث تقلّد عدّة مناصب منها إمارة الجردة ، والحكم في مناطق غزة وبعلبك وجنين ويافا والرملة ، ومما عُرف عنه استطاعته هزيمة بعض من تعدّى على قوافل الحجّ سنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م ، وقتل منهم نحو ألف رجل [٣] .

وغالبية هؤلاء الأكراد كانوا من العلماء والفضلاء والصوباشيّة ، وقد ورد عند ابن كنان كثيرٌ من أسمائهم مثل : الملا [٤] حمزة الكردي (ت ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م) ، وكان مدرسا بالمدرسة الفارسية [٥] ، والملا مسكين الكردي ، وهو من أصحاب الطرق الصوفية [٦] ، والشيخ العلامة محمود الكردي الخلوتي ، وهو من أصحاب الكرامات [٧] ، والملا إلياس الكردي (ت ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م) [٨] ، والشيخ العلامة حسن الكردي (ت ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م)[٩].

الثالثة عشرة : المغاربة :

ويبدو أن هؤلاء قد وفَدوا واستقرّوا بدمشق عند انتهاء موسم الحجّ ، وهم من أصحاب

---

(١) يكثر وجودهم شمال بلاد الشام على الحدود مع تركيا ، وتقل أعدادهم في وسط الشام ، وللمزيد عن أكراد بلاد الشام انظر زكريا ، أحمد وصفي ، عشائر الشام ، ٢ ج ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٣م ، ج ٢، ص ٦٥٢ – ٦٨١ ، وسيشار إليه لاحقا : زكريا ، عشائر الشام .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ،ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٣) ن . م ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(٤) كلمة " منلا أو ملا " : هي تحريف للكلمة العربية " مولى " وتعني السيد ، وقد أطلقت خلال العهد العثماني على قضاة العسكر ، وكان يراد بها التفخيم ، ثم صارت تطلق على القضاة الآخرين ، رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٣ / أنظر أيضا : المنجد ، صلاح الدين ، ولاة دمشق في العهد العثماني ،د . ن ، د . م ، د . ط ، ١٩٤٩م ، ص ١١٢ .

(٥) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٣٦، ١٦٦ ، ولمعرفة المدرسة الفارسية انظر صفحة ٢٤١ .

(٦) ن م ، ص ١٩٣ .

(٧) ن م ، ص ٢٧٠ .

(٨) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٩) ن م ، ص ٤٦٤ .

المذهب المالكي [١] ، وقد تصدُر عن بعضهم أحوال تضيق بالدولة ، كالنّهب والسلب أو غيرها من الأمور المخالفة لقانون الدولة الديني أو السياسيّ ، الأمر الذي يجعل الباشا يقوم بتهديدهم بطردهم وإخراجهم من دمشق ، أو يجبرهم على دفع الغرامات أو تعويض مادي وغالبا إذا ما صدر عن أحدهم سوء أو فاحشة ، فإن فعلته تلك تعمّم على كل المغاربة ، ويبدو أنهم مغاربة من أهل الطوائف [٢] ، ومن خلال دراستنا للمصدر لم نتمكن من تحديد مكان معين لسكن هؤلاء ، مما يدلل على أن أعدادهم ربما لم تكن كبيرة بحجم أن تكون لهم حارة أو قرية يقطنون بها ، وقد استخدم بعضهم بالعمل العسكري ، ومن أسمائهم التي ساقها ابن كنان نستنتج أن أكثرهم من العلماء والصلحاء والمتعبدين ، مثل : الشيخ قاسم المغربي نزيل المدرسة السميساطية (ت ١١٢٠ هـ/ ١٧٠٨م)[٣] ، والشيخ محمد الاضطراري المغربي [٤] ، والشيخ يحيى الشاوي المغربي [٥] .

الرابعة عشرة : من بلاد أوزبكستان :

نظراً لوقوع دمشق على طريق الحج الشامي ، والمحطّة الرئيسية للحجاج الوافدين من بلاد شرق آسيا ، فإنها جذبت لها أعداداً من أولئك الحجّاج الذين أقاموا في دمشق ، وأصبح لهم الأراضي والفدادين الكبيرة التي قد تصل في بعض منها إلى مئة فدان التي اعتبرت وقفا لهم ولذراريهم ، لا سيّما في منطقة الغوطة ، وأغلب الوافدين إلى هذه المدينة الأوزبكيين هم من المشايخ والأعيان المحسوبون على مناطق بلخ[٦] وغيرها ، وكان هؤلاء يأتون على شكل جماعات إلى دمشق بقصد زيارة بيت الله الحرام وبيت المقدس ، وكثير منهم يستقرّ بدمشق وكان هؤلاء يدفعون خراجا معلوما للدولة العثمانية ، وقد ذكرها ابن كنان بأنها كانت تبلغ

---

(١) ابن طوق ، التعليق ، ج ١ ، ص ٨٩ ، المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٣٠٨ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٠٨ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٠٢ ، ٢٦٧ .

(٣) ن م ، ص ١٤٠ .

(٤) ن م ، ص ٣١٠ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ .

(٦) بلخ :مدينة بخراسان كثيرة الخيرات والغلال ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .

خمسين قرشا [١] .

ومن أسمائهم التي وردت عند ابن كنان : الحاج محمد التستري البلخي ، الشيخ محمد اليزبكي النقشبندي [٢] ، الشيخ مراد اليزبكي النقشبندي [٣] .

الخامسة عشرة : المصريون :

استطاعت دمشق أن تجذب إليها العديدَ من علماء مصر ، وأصحاب الطرق الصوفية فيها ، والذين برزَ دورُهم بالتدريس في مدارس دمشق المتعددة ، وعقد جلسات الوعظ والحديث في جوامعها ، وجعلوا من دمشقَ حاضرةً لهم ومستوطنا ، وبَرز من هؤلاء المصريين الأصل : الشيخ الكمال يونس المصري ، مدرس الجامع الأموي ، ومدرسا بمدرسة التقوية [٤] ، الشيخ محمد بن يونس المصري(ت١١٢٢هـ/ ١٧١٠م) [٥] ، فكان أهالي دمشق يميلون للزواج من مصريات أو من جواري مصريات وخصوصا في فترة الدولة المملوكية[٦] .

السادسة عشرة : الهنود :

ويبدو أن هؤلاء قدموا إلى دمشق واستوطنوها واستقروا فيها منذ عصر الدولة المملوكية[٧] ، وذكرهم ابن كنان في يومياته ، وذكر السنة التي استوطن بعضهم دمشق ،

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) ن م ، ص ٢٠٥ ، انظر الطريقة النقشبندية وغيرها من الطرق الصوفية صفحة ٢٧٣ ، ٢٧٤ من الدراسة .

(٣) ن م ، ص ٢٨٣ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٤ ، ٤٣ .

(٥) ن م ، ص ١٦٥ .

(٦) ابو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٠٥ .

(٧) ابن طوق ، التعليق ، ج ١ ، ص ٣١١ .

ويبدو أن أغلبهم ينتسبون للطريقة الصوفية النقشبندية ، ويجتمعون أثناء الخلوات في الجوامع ، ووُصف بعضهم بأنهم من أولاد المشايخ (١) ، كما عُرف عنهم العلم والتديّن ، ومن أسمائهم التي دلّت عليهم : الشيخ فضل الله الهندي (٢) ، الشيخ الولي بدر الدين بن جلال الدين بن الغوث النقشبندي ، وورد دمشق في سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م ، وجاء معه من بلاد الهند ابن عمه واسمه- هداية الله ـ(٣) ، والشيخ العلامة عبد الرحيم الكابلي الهندي ، ودخل دمشق سنة ١٠٩٠هـ / ١٦٧٨ م ، وكانت وفاته بدمشق سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م (٤) ، أما مدافنهم فقد ذكر ابن كنان أن الشيخ الكابلي قد دُفن بمقبرة الغرباء ، وهي نفسها مقبرة مرج الدحداح ، وهي التي دفن بها أيضا ابن عمّه ـ هداية الله ـ (٥) .

فيكون ابن كنان من خلال تلك الفئات جميعها أعطى القارئ نوعا ما فرصة تتبع الحراك السكاني لأهالي بلاد الشام ، وهي حالة طبيعية مرّت بها عبر تاريخها الطويل ، كما أعطى إشارات إلى وافدين استوطنوا تلك البلاد ، وانفتاح المجتمع الدمشقي على كثير من الأعراق والأجناس الذين قدموا إلى دمشق وتفاعلوا مع ظروف الحياة فيها ، وما يُلاحظ على ابن كنّان عدم رصده للسكّان الأصليين لدمشق باستثناء شيء بسيط عن أهل الذمة .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٢) ن م ، ص ١١٠ .

(٣) ن م ، ج ٢ ، ٣٧٧ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ١ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق، ص ٣٥١ ، ٤٢٨ ، المرادي ، ن . م ، ج ٣ ، ص ٩ .

(٥) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .

- المجتمع الدمشقيّ :

* العلاقات الاجتماعية : تظهر طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أهالي دمشق من خلال مشاركاتهم بعضهم بعضاً في مناسبات الأفراح كالزواج والخِتان والأتراح ، والمناسبات الدينية مثل : استقبال شهر رمضان ، وعيدي الفطر والأضحى ، إضافة إلى مناسبات دينية تتعلق بذكرى المولد النبوي الشريف ، أو مناسبات تختص بالاحتفالات التي كانت تُقام عند وصول الأخبار من العاصمة اسطنبول والتي على ضوئها تبتهج المدن الشّاميّة وتُعمل الزينة فيها طوال عدة أيام ، من أول النهار وآخره (١) ، كتنصيب السلطان، أو في حالة انتصار الدولة العثمانية على دول الكفر – كما أسماها ابن كنان –(٢) ، أو استقبال الباشوات والقضاة عند قدومهم إلى دمشقٍ ، والتي تقدّم فيها مختلف أنواع الأطعمة والمشروبات ، وهي من الظواهر القديمة التي بقيت محافظة على أصالتها ، وتناقلتها الأجيالُ جيلاً بعد جيل ، كما تظهر تلك العلاقات من خلال احتكاك الناس مع بعضهم في الحارات والقرى ، أو معاملاتهم بالبّيع والشراء في الأسواق المتعددة ، والتي تنشطها الحركة التجارية ، والتي يصحَبُها تعدد في المِهن والحِرف والوظائف .

وقد رصدت كتبُ ابن كنان إشاراتٍ عديدةً للظواهر السابقة ، والتي كانت كل منها تختص بطقوس خاصة بها ، تتميّز عن غيرها ، ولم يغفل ابن كنان عن تسجيل كل ما يحدث بدمشق من ظواهر أخرى ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمجتمع ، سواء تلك التي تتعلق بالأحوال والظروف الصحية ، أو تلك التي تتعلق بالظواهر الطبيعية والفلكية كالأمطار والفيضانات والزلازل ، والخسوف والكسوف ، أو ظواهر مجتمعية غريبة خارجة عن المألوف الديني والمجتمعي على حد سواء من المُنكرات والفسوق والفجور ، وظواهر أخرى تتعلق بمجالس السّمر والتي يصحبها تناول القهوة والتبغ .

---

(١) ابن طوق ، التعليق ، ج٢ ، ص ٦٠٣ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٥٣ .

(٢)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ .

تعطي مؤلفات ابن كنان الدمشقي ، والمصادر الأخرى المعاصرةَ صورةً حيّة واضحة عن تركيبة المجتمع الدمشقي ، ومظاهره ، وتعكس الصورة التي عاشها الدمشقيون في مرحلة معينة من الزمن ، وعلى ذلك فإنه لا بد من دراسة تلك المصادر للاطلاع على طبيعة الحياة الاجتماعية في دمشق .

- الزواج :

ظهرت في دمشقَ طقوسٌ وعادات خاصّة بعقود القِران و الزواج ، وإذا ما قارنّا عقود الزواج ما بين عصري الدولة المملوكية والدولة العثمانية من حيث جهة الاختصاص ، فإننا نجد أن هناك تغيراً واضحاً، ففي زمن الدولة المملوكية كان عقد القِران يختصّ بالمُفتي دون غيره ، وبحضور الشهود ، بينما في الدولة العثمانية ، صار هذا العقد من اختصاص المفتي مع ضرورة أن يصادق القاضي على تلك الواقعة (١) ، حيث صادق قاضي الشام إبراهيم أفندي كمال زاده على عقد قران يحي آغا الناشفي (٢) ، ومُدة الاحتفال بمراسيم الزواج ،وأعمال التكلفة والبذخ ، أو قبول النقطة من عدمِها ، كانت تختلف تبعاً للطبقة المجتمعية ، حيث أن الزواج الذي يكون في أسَر الأغوات أو القضاة ، أو من أصحاب الثروات والمال ، فإن مدة الحفل يصل إلى أسبوع كامل ، ويخصص كل يوم من هذه الأيام السبعة ، لاستقبال طبقات بعينها ، وقد ذكرها محمد بن كنان بالترتيب : اليوم الأول من الحفل يخصّص لاستقبال الباشا وقاضي الشام ، وفي اليوم الثاني يخصّص للموالي وبقية القضاة والكتّاب بدمشق ، وفي اليوم الثالث يكون لأصحاب الصوفية وأصحاب الطرق وصلحاء العلماء ، وفي اليوم الرابع من الحفل يخصّص لوجاق الزعماء ووجاق الينكجرية ، وفي اليوم الخامس يكون لاستقبال دولة القلعة كآغة القابقول وآغة القلعة ، أما اليومين الأخيرين فإن أصحاب الحفل يكونون منشغلون باستقبال تجار دمشق وعامّة الناس (٣) ، وبعضهم من يجعل مدة الحفل لا تزيد عن ثلاثة أيام (٤) ، وقد يُكتفى بدعوة أصحاب العلم والصلحاء من الأقارب

---

(١) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ٢٠ ، زاهر ، الحياة الاجتماعية والفكرية في بلاد الشام، ص ١٠٥.

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(٣) ن . م ، ص ٢٢ ، ٢٢٣ .

(٤) ن . م ، ص ٢٥٥ ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

دون غيرهم من الناس ، وخلال الحفل يتم تقديم الولائم ذات الكُلف الباذخة [١] ، وفي معظم حالات الزواج التي تم تتبّعها ، لاحظنا أن المصاهرة تحدث في نفس الطبقة كطبقة الباشوات ، أو طبقة العلماء ، أو الزواج من نفس العائلة من أبناء الأعمام ، ومثال ذلك : زواج محمد باشا من ابنة حسن باشا الكردي[٢] ، وعقد الشيخ صادق جلبي ابن محمد جلبي على ابنة العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي [٣] ، وزواج يحيى آغا الناشفي على ابنة الآغا ابن الخانجي [٤] ، أو زواج محمد آغا ابن عمر آغا الناشفي من ابنة السيد عمر آغا المقابلجي [٥] ، وزواج معتوق جلبي ابن الشيخ عبد الجليل الأكرمي الصالحي على ابنة عمّه بنت الشيخ محمد الأكرمي الصالحي [٦] .

أما الأماكن التي يتم فيها حفل الزواج فهي تكون في دُور أصحاب العرس ، وتنتهي مراسم الحفل يوم الجمعة ، وقد يتحمل والد العروس أحياناً جُزءاً من تكلفة العُرس ، أو التكلفة كاملة في بعض الأحيان ، وربّما يكون مردّ ذلك رغبته بمشاركة نسيبه في تحمل التكاليف ، أو إظهار مصلحة ما كالتقرب من الباشوات أو القضاة أو غيرهم من الأكابر ، حيث أن تلك المناسبات تُعتبر فُرصاً للقاء أصحاب الأمر ، والتقرّب منهم .

وأمّا قبول العريس للنقطة ؛ فلا ضَيْر من الحصول عليها ، مهما علت مكانة صاحب العرس أو دَنت ، فحالات الزواج السبع عشرة [٧] ، التي ساقها ابن كنان ، وكان له نصيب بحضورها وتسجيلها في تاريخه ، مكنتنا من معرفة أولئك الذين قبلوا النقوط والهدايا ، ومعرفة ممّن لم يقبلها ، ومن الأمور التي دوّنها ابن كنان في حفلات الزواج أن بعضاً ممّن

---

(١) ابن كنان، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ، شديفات ، محمد خير ، شمس الدين بن علي بن طولون الصالحي مؤرخا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، المفرق، ٢٠١٤م ، ص ١٩٨ ، وسيشار إليه لاحقا : شديفات ، شمس الدين بن طولون مؤرخا .

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٣) ن م ، ص ٢٢٨ .

(٤) ن م ، ص ٢٣٧ .

(٥) ن م ، ص ١٦٣ .

(٦) ن م ، ص ٢٧٠ .

(٧) انظر هذه الدراسة في الفصل الثاني صفحات ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

عُرف عنهم البخل والشحّ ، ظهر عندهم في مناسباتهم تلك ، الكرمُ الزائدُ مع ضيوفهم وإسرافهم ، وهو مِن المُستغرب عند أهالي دمشق ، فكان المدعوون عند مغادرتهم الحفل يربطون ذلك الكرم الغريب الذي أبداه صاحب الحفل بمصيبة ما ستحلّ به ، مثل : التاجر عبد الرحمن سامح الجوخي ، وكان شديدَ البخل ، وعمل فرحاً لأولاده ، وأكرم فيه كرماً زائداً ، وعندما خرج الناسُ من عنده ، قالوا : " سامح الجوخي يموت " ، فمات بعد نهاية الحفل بيومين (١) ، لكن ما يجدر الإشارة إليه هو تزويج صِغار السنّ مِن الأطفال دون العشر سنوات ، فقد روى ابن كنان أن طفلا صغيرا وعُمُره ست سنوات ، قد تزوّج من طفلة بنفس عُمُره ، وقد تمّت مُباركة الزواج من قبل باشا دمشق نفسه سليمان باشا ابن العظم ، مما يعطينا دليلاً على أن هذه الظاهرة ، كانت موجودة بدمشق ، ومقبولة في الوسط الدمشقي ، طالما أنّ هناك قبولاً من قِبل أهالي طرفي الزواج (٢) ، ويتم نقل جهاز العروس إلى دار عريسها من قِبل أفراد الأسرة والأقرباء ، ويُترك أمر نقله إلى رغبة كل طرف ، سواء ينقله أهل العروس ، أو أهل العريس ، أو من كلا الطرفين ، وهذا بدَا واضحاً في نقل جهاز بنت الشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الغني النابلسي إلى بيت عريسها إبراهيم بن الشيخ مراد (٣) .

لكن من الجدير ذكره أن محمد بن كنان لم يذكر شيئا عن المهور وقيمتها ، ولم يذكر حالات الطلاق التي كانت تحدث في مجتمع دمشق وضواحيها ، واستمراراً لتلك الاحتفالات والمناسبات التي توضح علاقات الناس مع بعضهم وترابطهم ، نجد حفلات كالطهور...

- حفلات الطهور بدمشق :

وهي من المناسبات التي كان الدمشقيون وغيرهم يحتفون بها ، وتعتبر من المناسبات التي يُدعى إلى حضورها الشيوخ والقضاة والأعيان والأكابر والتجار المحسوبون على الحارات أو القرى ، ويُقام الحفل في القاعات أو البيوت ، وتقدّم فيها الولائم ، والمشروبات ، وغيرها ممّا يكون من البذخ ، وذلك لإظهار البركة على المولود ، ولا ضيْر أن يقوم أحد

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ .

(٣) ن م ، ص ٣٩٦ ، نعيسة ، يوسف ،مجتمع مدينة دمشق ،٢ج، دار طلاس، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٤م، ج ٢ ، ص ٦٩٨ ، وسيشار اليه لاحقا : نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق .

الشيوخ ممّن يُعرفون بالتقوى والصلاح بحمل المولود ، وذلك أيضاً من أجل التبرك ، وكي يحفظه الله ويعصمه ، وأن يتربّى على العفّة والطّهارة ، وقد يستمر الحفل أياما لا تتجاوز الثلاثة ، أو يستمر بضع ساعات ، وجرت العادة أن يقوم الوالد أو وليّ أمر المولود أن يذبح شاة وذلك بعد أسبوع من مولده ، وهي ما تسمى العقيقة [١] ، وكما جرت العادة في الأعراس فإن المدعوّين للحفل يقدّمون الهدايا ، وما تطيبُ به أنفسهم ، وينتهي الحفل بتقديم الماورد والبخور إيذاناًبانتهاء المناسبة [٢] .

- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف و ليلة النصف من شعبان وشهر محرم :

يحتفي المسلمون كل ليلة من شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى مولد خير البريّة الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام - ، واعتاد الناس في تلك الليلة أن يجتمعوا بكثرة في المساجد أو في التكايا ، أو في إحدى بيوتات دمشق ممن يتفقون عليه لإحيائها ، بقراءة القرآن الكريم والتسابيح ، والاستماع للدروس التي تتعلق بمولده -عليه السلام -، وقد ذكر ابن كنان الدمشقي أن الشيخ محمد بن الشيخ مراد النقشبندي ، كان يحرص على دعوة الناس سنويّا لإحياء تلك المناسبة في داره والتي هي لصيق الجامع ، ويتكلّف من أجلها كلفة باذخة [٣] ،ويبدو أن مردّ ذلك ملازمة بيته من الجامع ، فهو يرى أنه أولى من غيره بدعوة الناس في تلك الليلة ، أمّا حارات دمشق وأسواقها وطرقاتها ودكاكينها فكانت تمتلئ بالزينة ، وتعمل العرايض خلال أوقات النهار ، وتبدأ تلك الاحتفالات منذ اليوم السادس من شهر ربيع الأول حتى ليلة الثالث عشر من نفس الشهر ، أي أن مدّة الحفل يستغرق أسبوعاً كاملاً [٤] ، ويصف صاحب كتاب (دمشق في مطلع القرن العشرين) ، أن دمشق بأحيائها وحاراتها وأسواقها وطرقاتها تزدان بالزينة ، ويعلّق الأهالي القناديل على أغصان الشجر ، ويمارسون ألعاب السّيف والترس ، وتوزيع الحلوى [٥] .

---

(١)الرازي ، زين الدين محمد (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)،مختار الصحاح ،تحقيق يوسف الشيخ،المكتبة العصرية،بيروت،ط٥،١٩٩٩م، ص ٢١٤ ، انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٢٥٨ .

(٢)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ١٤٢ ، ١٦٢، ٢٣٧، ٢٧٠ ، ٢٨٩، ٢٩١ ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ ، ٤٥٣ .

(٣)ن م ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٥)العلاف ، أحمد حلمي ، دمشق في مطلع القرن العشرين ، تحقيق علي جميل ، دمشق ،ط١، ١٩٧٦م ، ص ٢٤٠ .

وتستمر الاحتفالات الدينيّة في دمشق كليلة النصف من شهر شعبان ، ويحضره الخواصّ والعوام ، وتتخلّله الأدعية والأذكار والتهليل ، وترديد الصّلاة على الرسول محمد - عليه السلام - [١] ، وقد يستغل بعض التجار أو أصحاب الأملاك تلك المناسبات ومنها (الاحتفال غير التقليدي : بشهر محرم) بافتتاح أو تشييد شيء من أملاكهم كالحمّامات ، ومنها اكتمال حمّام الخيّاطين الذي أنشأه كافل دمشق إسماعيل باشا العظم [٢] ، أو عند تجديد معظم تلك الحمّامات ، مثل : حمّام ملكة ، والذي وصفه ابن كنان بأنه أحسن حمّامات دمشق ، ويُدعى لحضورها الأكابر والأعيان والتجار [٣] ، ومن احتفالات الدمشقيين أيضا (استقبال شهر رمضان المبارك) ...

- رمضان والعيدين في دمشق :

شهر رمضان هو الشهر التاسع في التقويم الهجري ، وهو من الشهور المميّزة عند المسلمين ، فهو شهر الصيام وكثرة الطاعات والعبادات ، وفيه ليلة قال الله تعالى عنها (خير من ألف شهر [٤]) ، وهو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم بواسطة الوحي إلى الرسول محمد عليه السّلام ، وعلى ذلك فإنه يتمتع بخصوصيّة عظيمة عند المسلمين من أقصى الأرض إلى أقصاها ، وله طقوس خاصة في دمشق ، تبدأ منذ مراقبة وتحري ليلة الثلاثين من شعبان ، ورؤية هلال رمضان [٥] ، وعند ثبوته ؛ تُضرب المدافع ترحيبا بقدوم شهر الرّحمة والغفران [٦] ، حيث يتهيأ الناس لصوم الشهر ، وتعلّق القناديل المشعولة والمضاءة بعد صلاة المغرب ، وتقوم الأسر بتجهيز الأقراص المشبك ، والبسيس [٧] ، وتزدحم المساجد والجوامع عند أوقات الصلوات ، ولا سيما في صلاة التراويح ، ثم التجهيز للسّحور [٨] ، ويبدو أن ازدحام الناس في هذا الشهر وخصوصاً وقت السّحور جعلت من أرباب المحلات

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ٣٨١ .

(٢) ن م ، ص ٣٨٥ .

(٣) ن م ، ص ٣٦١ .

(٤) سورة القدر ، آية رقم ٣ .

(٥) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، ١٨٢ ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٦) ن م ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٧) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

(٨) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

والدكاكين منشغلون حتى انتهاء وقت السحور ، لا سيما الخبّازين والسمّانين (١) ، ويسود في هذا الشهر آداب روحانية ، فتطرد فيه شياطين الجنّ ، وينصرف الجميع للطاعات والعبادات ، والتقرب إلى الله تعالى بتقديم الصدقات والهبات للفقراء والمحتاجين ، سواء كانوا من عامة الناس أو من خواصها (كالباشوات والقضاة وغيرهم من ذوي المناصب في دمشق) ، فلا تقتصر تلك الهبات على الفقراء فحسب ، وإنما يكون للعلماء والمدرسين وشيوخ الصوفية وخدّام الأضرحة نصيب منها ، حيث يأمر الباشا معاونيه بتفقد أحوال الناس في هذا الشهر ، ويطوفون على الأسواق ، ومعهم الحوائج والرستميات والعراقي (٢) والقمصان والدراهم وغيرها من الأمتعة التي تكون محمّلة على الدوابّ ، فتوزّع على الأولاد والنساء والمساكين والفقراء(٣) .

وتشهد دمشق في هذا الشهر ازدحاما سكانيا بسبب وفود أعداد كبيرة من الحجاج وخاصة من (الأروام) ، بقصد الذهاب إلى ديار الحجاز ، فيزداد الطلب على الموارد المتاحة ، وتغصّ الأسواق وتنشط الحركة التجارية فيها ، مما يدفع بعضا من التجّار إلى استغلال تلك المناسبة باحتكار البضائع أو برفع أسعار السلع ، عندها تضيق حاجة الناس ، ويقلّ توافر المواد ، وفي ذلك أشار البديري الحلاق إلى السبب وراء التلاعب بالأسعار إلى غياب دور الدولة في التفتيش على الباعة والتجّار ، الأمر الذي دفعهم إلى القيام بذلك ، وأدى إلى طمعهم وجشعهم (٤) ، أما المشاعل التي تعلّق في الجامع الأموي وحسب العادات فإنها تبقى موقدة حتى آخر الشهر (٥) .

ويمكن لطقوس رمضان أن تستمر عند عيديّ الفطر والنّحر ، ولكن ما يختلف فيه هذين العيدين عن شهر الصّيام هو توجه أكابر دمشق وأعيانها وكبار موظفيها وتجّارها وعلماؤها

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٢٣ ، والسمّان هو مَن يبيع السمن والزيت والجبن ، القاسمي ، قاموس الصناعات الشامية ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) العراقية : طاقية صغيرة من الكتان أشبه ما تكون بالتاج الذي تضعه العروس ، دوزي ، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ،٣ ج، ترجمة أكرم فاضل ، مجلة اللسان العربي ،م ٩ ، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ، الرباط ،د.ت، ج ٣،ص ١٥٧،وسيشار إليه لاحقا:دوزي ،المعجم المفصل بأسماء الملابس

(٣)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٩٥ ، ٢٠٤ .

(٤)ن م ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٨٩ ، الحلاق ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٥)ابن كنان ، المصدر السابق، ج ١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

ومدرسوها والأهالي ، لإلقاء السلام والمعايدة على باشة الشام ، وتهنئته بالعيد (١) .

ولا تتوقف احتفالات الدمشقيين عند المناسبات الدينية أو مناسباتهم الخاصة ، وإنما تستمر نشاطاتهم وتفاعلاتهم مع ما كل ما يطرأ على فتوى السلطنة ، سواء عند ورود الأخبار من بلاد الروم بتنصيب سلطان جديد ، أو عندما يرزقه الله تعالى بنعمة الأولاد ، أو الانتصارات التي تحققها الدولة في حروبها ، أو عند تولي باشا جديد للشام .

فقد أشار ابن كنان أنه عند قدوم الأخبار من العاصمة الإسلامية اسطنبول بتولّي منصب السلطنة لسلطان جديد خلفاً لمَن سبقه ، جرت العادة أن تُضرب المدافع على أبواب قلعة دمشق ، وتزدان دمشق بحلل الزينة ، ولا تعمل الزينة إلاّ بموجب فرمان (٢) من القصر السلطاني ، وتبقى الأفراح في عموم دمشق أيّاما ، ويُخطب له بالجوامع والمساجد ، خاصةً إذا ما عُرف عن السلطان الجديد ، الخِصال الحميدة ، والصّلاح والتقوى ، ومثال ذلك : عندما وصلت الأخبار بجلوس السلطان أحمد خان ابن عثمان في سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م (٣) ، وكذلك عندما عزل السلطان أحمد ابن السلطان محمد العثماني ، وتولى مكانه السلطان (محمود شاه) سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م (٤) ، كما أن الأفراح تعمّ دمشق وضواحيها وتزدان عندما تأتي الأخبار بأن السلطان قد أنعم عليه اللهُ بالخلف (رزق بمولود) ، وقد يستغرق الحفل أيّاماً ، حيث رُزِق السلطان أحمد بن عثمان بولدين اثنين ، واحتفلت دمشقُ مدّة عشرة أيام ، على حين أن الاحتفالات في العاصمة الإسلامية اسطنبول استمرت عشرين يوما (٥) .

أما انتصارات الدولة العثمانيّة على بعض الدول الأوروبيّة ، وحيازتها على بعض المناطق والقلاع هناك ، فهي تعتبر بمثابة البشارة لجميع بلاد الإسلام ، وتحظى بنصيب وافر من الاحتفالات ، وتعمل الشنكات (الألعاب النارية) ، وتضرب المدافع في اللّيل والنهار ، ومنها

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٢) الفرمان : هو أمر سلطاني يصدر في قضية من القضايا ويتم تدوينه بالخط الديواني في الديوان الهمايوني ثم يسجل ملخصه في سجلات الديوان ويشتمل على تعليق بخط من السلطان نفسه ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ١٦٤ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٤) ن . م ، ج ٢ ، ص ٤١٠ .

(٥) ن . م ، ج ١ ، ص ١٠١ .

تغلّب السلطان أحمد بن محمد خان على بلاد المورة [١] ، أو نُصرة السلطان محمود بن السلطان مصطفى سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م ، واحتلال مدينة بير الأغراض (بلغراد)، عدا عن القِلاع والتي تصلُ إلى حدود المائة قلعة من على البحر الروميّ (البحر المتوسط) [٢].

ومما زاد أيضا من ترابط أبناء المجتمع في دمشق ، وتوطيد علاقات المحبّة والودّ في نفوسهم الزيارات المتبادلة بين الأهالي ، وعيادة المريض منهم والدعاء له بالشفاء ، إضافة إلى زيارة الحجّاج في بيوتهم عند وصولهم من الحجاز ، وهذه المظاهر الإيجابيّة ، بدت واضحةً عند ابن كنان ، وسجّلها في مؤلفاته ،ومنها : عيادة الشيخ إبراهيم السّعدي ، أثناء مرضه [٣] ، وزيارة الشيخ إلياس الكردي ، وكان كثير التوعك [٤] ، وزيارة الناس لمحمد بن عيسى الخلوتي ، والاطمئنان عليه ، بعد أن أصابته الحمى ، حيث زاره خلق كثير للسلام عليه ، ودعوا له بالشفاء [٥] .

وممن ذكرهم ابن كنان والذين تمّت زيارتهم لقدومهم من الحجاز : الشيخ أحمد الغزي الشافعي [٦] ، والشيخ عبد الرحمن السلمي الحنفي [٧] ، وغيره كثير بقوله " سلّمنا على بعض أصحابنا الحجّاج [٨] " .

وما لوحظ على تناول ابن كنان لأحوال المجتمع الدمشقي ومناسباتهم الدينية والاجتماعية بأنّه لم يُشر إلى مناسبات أهل الذمة بالرغم أنّهم شكّلوا جزءاً أساسيّاً من الحياة الدمشقية ، ومن السكّان الأصليين فيها ، وشاركوا المسلمين في احتفالاتهم .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٢) ن . م ، ج ٢ ، ص ٥١١ ، ٥١٥ .

(٣) ن . م، ج ١، ص ٢٣٥ .

(٤) ن . م ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٥) ن . م ، ص ٣٩٨ .

(٦) ن . م ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

(٧) ن . م ، ص ٢٥٢ .

(٨) ن . م ، ج ٢ ، ص ٤٧٩ ، ٥٠٨ .

* الحارات والقرى الدمشقية وأحوال الزعر فيها :

تتوزّع مدينة دمشق على عدد من الحارات والمحلات ، لكن من الصعوبة بمكان تحديد مدى امتداد ومساحة تلك النواحي ، ومن الطبيعي أن تختلف تلك المحال عن بعضها بعضاً من حيث حجم السكان ، نظراً لانتشار كثير من الأوبئة والأمراض التي فتكت بعدد لا بأس به من بين أهالي دمشق كلّها ؛ إلاّ أننا نلاحظ أنه بالرغم من رداءة وسوء الأحوال الصحيّة فيها ، فإنها مع ذلك بقيت منطقة جاذبة لمختلف الأصول والمنابت البشرية من العرب والعجم ، وهذا التشجيع للهجرات إليها ؛ نابعٌ من مركز دمشق الحضاري والجغرافي والعلمي والديني .

إن حارات دمشق وقُراها تشتمل على حكّام إداريين مرتبطين ارتباطا وثيقا مع ممثلي دولة بني عثمان الرئيسيين بدمشق نفسها (كالباشا ، وقاضي الشام) ، ولكل حارة نائبها وقاضيها ومفتيها (٤) ، عدا عن الموظفين الآخرين المرتبطين بمحاكم دمشق المتعددة ، كالباش كاتب، والمعرّفون ، وغيرهم (٥) ، وكان لكل حارة وقرية شيخها وكبيرها مثل :شيخ المحلة الشرقية : الشيخ ابن فطم (٦) .

وقد أشار ابن كنان ، وبشكل رئيسي إلى أعمال القتل والنهب والسلب التي حصلت بتلك الحارات ، وعلاقة الأهالي مع الباشا نفسه أو معاونيه لحل تلك المشكلات التي كانت تواجههم ، من قبل الزعران وقطّاعي الطرق ، أو عند استغلال بعض المتنفذين لمناصبهم ، وتهديدهم لهم ، حيث استطاع الباشا محمد ابن بيرم تخليص أهل حرستا من الديون التي كانت متحصّلة عليهم لصالح حسن جاويش من أهالي قلعة دمشق ، ويبدو أن هذا الجاويش كان يتعامل بالرّبا ، ولذلك وجدنا أنه عندما يتأخر الأهالي في تسديد ديونهم ، فإنها تتضاعف

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) ن . م ، ص ٢٠٥ .

(٣) ن . م ، ص ٢٨٣ .

(٤) ن . م ، ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(٥) ن . م ، ص ١٥٤ .

(٦) ن .م ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

حسب طول المدة الزمنية ، الأمر الذي جعل الباشا يقدِم على حبسه وإبطال جميع الحجج التي كانت بحوزته على أهل حرستا [١] ، إضافة إلى ما قام به الباشا نفسه بمساعدة رجل دمشقي ويدعى محمد آغا بن قرندل في استرداد أرضه التي كانت رهناً عند ابن خطيب القلعة واسمه عبد الرحمن ، عندما استدان منه شيئا من الدراهم ، ولم يستطع تسديدها ، الأمر الذي جعل ابن خطيب القلعة يستملك فلاحة تساوي عشرين كيسا بدون ثمنها ، ولم يكتفِ الباشا بإلغاء الدّين فحسب ؛ وإنما اتّبع معه عددا من أساليب التعذيب ، مثل : تقييده ووضعه بالشمس ، ومصادرة أمواله ، وقد حاول قتله ؛ إلاّ أنه أفرج عنه ، وألزمه بدفع غرامة لقاء تخليصه من القتل [٢] ،وكشف ابن كنان أن موضوع (الغرامة المالية) كانت تُؤخذ ممّن ينسب إليهم ارتكابهم للفواحش أو القتل ، عندما لا يُعرف القاتل ، وبالتالي فإن أقرباء الجاني هم من يتحمّلون دفع الديّة أو الغرامة اللازمة والمترتبة عليهم ، حيث أقدم الباشا (عثمان) على تغريم أهل الجاني الدمشقي الذي جرح رجلاً من محلة الشيخ عرودك ، فأجبرهم على دفع ثمان مئة قرش [٣] ، وكان بعض الجُناة يعترفون بجرائمهم وفعلتهم التي اقترفوها ، حتى لا يلحق الأذى أَحَداً مِن أقربائه ، أو لا ينالهم شيء من دفع الغرامة ، ودليل ذلك اعتراف رجل اسمه (كنعان) بقتله لشيخ قرية برّ الياس من قرى البقاع وقتل أخيه أيضا ، وحَمل رأسيْهما على رمح ، وخرج من القرية وهو يقول : " أنا القاتل ، لا تستغرموا أحدا "[٤] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٦٩ . ٧٠ .

(٢) ن م ، ص ٧٠ .

(٣) ن م ، ص ٣٧ ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٥) الدبوس : كلمة فارسية وهي عصا من الخشب أو الحديد لها رأس مدوّرة ، وبالعامية دَبَسَة ، دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٧٣ .

وكثير من المشاكل والخلافات التي تظهر في تلك الحارات ، قد يصل جزءاً كبيراً منها إلى العصبية للقرية أو الحارة ، والدفاع عنها ، وعن حقوق أهلها ، وأعراضهم ، فكان الأمير منصور الدرزي وهو ممّن يُعرف عنه بمساوئه الخلقية ، وشذوذه ، وحبّه للنساء عندما سَمِع بوجود امرأة حسناء بحارة الميدان الأخضر ، ذهب إلى بيتها ويصحبه اثنان من أعوانه ، وعند دخوله دار المرأة ، جاءه رجل من تركمان الحقلة ، وضربه بدبّوس على رأسه ، وأرماه على الأرض ، وساعده عشرون تركمانيا ، ممن كانوا يحسبون على الميدان ، وضربوا الدرزي ، وأخذوا كل متاعه ،هو ومن كان يرافقه ، ثم أطلقوا سراحَه ، فخرج من بينهم حافيا بقنباز وقميص ، ويبدو أن هذا الفعل الذي حصل مع الدرزي ، كان له صداه الذي وصل إلى كل أرجاء حارة الميدان ، وأصبحت تلك الحادثة تتردّد على ألسُن الكبار والصغار من النساء والرجال في دُورهم ، ومجالس أنسهم (١) .

إنّ الظروف المعيشية الصعبة لمعظم سكان دمشق وما حولها ، والتي تعتمد حياتهم في كثير منها على الزراعة ، قد تدفعهم للاستدانة ممّن يقدر على إعطائهم مبلغا من المال على سبيل القرض ، فيلزمهم المدين بالختم والبصم على صكّ أو حجّة تشتمل على تاريخ محدد لاستحقاق المبلغ ، وعند الاستحقاق ، لا يقدرون على السداد ، فيبدأ المدين بمطالبته إياهم بما له عندهم من مال ، فيقيم الدعاوى والشكاية عليهم ، عندئذ نجدهم يضطرون للانتقام منه وقتله ، ومثل هذه الأمور كانت وراء مقتل ولد من أولاد أحد المدينين ، ظنّا منهم أن المقتول هو نفسه الرجل المدين ، وذلك لأن الولد كان نائما بفراشه مغطّى الوجه ، واتهم بقتله رجلين من الأكراد ،فأصدر الباشا حينئذ يوسف طبل قراراً يقضي بترحيل الأكراد من القرى والحارات التي كانوا يسكنوها (٢) ونجد أنّ أسلوب النفي والإبعاد القصري ، كان متّبعاً من قِبَل الدولة بدمشق، ويشمل الزعر ومثيري الفِتن ، ومِن أصحاب السوابق الذين لا يتوبون عن جرائمهم ، فهؤلاء كان يتمّ نفيهم خارج الشام كلّها ، إما إلى سجن القلعة في السلطنة ، أو إبعادهم لجزيرة قبرص (٣) ، وكان إما يشملهم العفو بعد انقضاء مدة حبسهم ويرجعون إلى

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٢) ن م ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٣) قبرص :جزيرة من جزر شرق البحر الأبيض المتوسط ومساحتها ٩١٠٠كم٢،وكانت تابعة للإمبراطورية العثمانية ، وهي حاليا متنازع عليها بين تركيا واليونان ، وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، ج٧ ،ص٦٠٣- ٦٠٥ .

دمشق ؛ أو يتمّ إعدامهم هناك [١] ، وفي معظم الأحوال لا يسمح للحارات باستقبال الفسّاق وأصحاب الفجور أو غيرهم من المخنثين والديوثين ، فهؤلاء كانت الدولة تشدّد عليهم ، وتلاحقهم ، فتصدر أوامر مِن حكّام دمشق بعدم إيوائهم ، وهذه الأوامر يصحَبُها التهديد والوعيد [٢] ، وقد يتدخّل كِبار الحارات لحلّ المشاكل التي تحدث في حاراتهم ، ويتستّرون عليها حتى لا تصل إلى مسامع الباشوات ، والتي إذا ما وصلت إليهم ، فإن مرتكبيّ الفتن سيلقون مصيرهم بالسجن أو القتل ، ومن هنا نجد أن دفتردار قرية سقبا واسمه فتحي أفندي الفلاقنسي ، والذي كان يلقى قبولا واحتراما عند أهالي القرية ، نجده قد تدخّل بقضيّة الرجل الذي قتل ولده ، وتكتّم على القضية ، دون أن يشعر بها أحدٌ من الحكّام[٣] .

وكان من شيوخ الحارات المعروف عنهم الفساد واستغلال الناس والفسق والفجور يستميلون إلى جانبهم الزعر والأشقياء لمساندتهم في تخويف الناس ، وبث الرعب في نفوسهم ، بحيث لا يستطيع أحدٌ من الأهالي مخالفتهم ، ويبقى هؤلاء الزعر على وفائهم للشيخ حتى بعد وفاته ، وإذا ما تعرّض الشيخ للقتل ؛ فإنهم يتعقّبون قاتله ، ولا تطيب نفوسهم حتى يأخذوا بالثأر له ، ويتعدى ذلك بإثارة الفوضى والتعدي على الأهالي ، ويستبيحوا ممتلكاتهم من حوانيت وأسواق ، حيث قامت جماعة من زعر حارة المزابل [٤] بقتل رجل يدعى محمّد المغسّل من قرية العقيبة التابعة لحارة الصالحية ، والذي كان ممّن اشتكى على شيخ المحلة الشرقية ابن فطم عند نائب الصالحية آنذاك واسمه محمد أفندي ، وكان سبب الشكوى اتهامهم للشيخ بالفسق والفجور والفساد والسُكر، وتعديّه على المحلات ونهب أموالها وإخفائها (البلص [٥]) ، وعندما تأكّد الحاكم الشرعي بثبوت التُهم على الشيخ ، حكموا بقتله ، فقتل .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ٧٨ .

(٣) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

(٤) من حارات دمشق المعروفة والقديمة ، ابن طوق ،التعليق ،ج ٢، ص٦٣٠، ابن طولون ، مفاكهة الخلان، ص ٧٨ .

(٥) البلص : يعني التعدي على الأموال دون الإبقاء على شيء منها ، المعجم الوسيط ، ج ١ ،ص ٦٩ .

وذكر ابن كنان الصالحي : أن هؤلاء الزعر وأغلبهم ينتمون إلى قابي قول الدولة ، لم يكتفوا بقتلهم لابن المغسّل فحسب ؛ وإنما تعدّوا على بيت الشيخ عبد الغني النابلسي بالصالحية بالرصاص وعلى دكاكينه ، وعاثوا بممتلكاته خراباً ، وشتموا الشيخ النابلسي ، ثم تعدّوا على باقي المحلات بالنهب والتخريب [١] ، وكانت الدولة تلاحق هؤلاء الزعر ، وتتبع معهم أقسى أنواع العذاب كقطع الأيدي والأرجل والصلب والنفي ، وهؤلاء الزعر يشكلون عصبة فيما بينهم ويترأسهم (كبير الزعران) ، ويقع الاختيار عليه بناءً على قوته وشجاعته ، وعند موته يُعمل له عند قبره ختماً كنوع من الذكرى له ، ومن كبراء الزعران الذين تمّ قتلهم من قبل الدولة بدمشق (علي قنبر) كبير زعران حارة المزابل ، وأمر بقتله نصوح باشا [٢] ، ومن جرائمهم : القتل والسطو والتعدي على بيوت العامة والخاصة بدمشق ، حيث أقدم عدد من هؤلاء الحراميّة والزعران على سرقة جهاز العُرس لابن خليفة من كتّاب الدفترية ليلا ، عندما كان ابن خليفة ينوي تزويج أحد أبنائه [٣] .

ولم يشر ابن كنان الصالحي إلى وقوع حالات اعتداء بين الحارات والقرى بسبب توزيع المياه فيما بينها عند ضعف الموسم المطري ، وهي مشاكل كانت تتجاوز الضواحي المحيطة بدمشق ، فكان توزيع المياه متفقا عليه بين الحارات ، وأي خلل فيه كان يستدعي تدخل السلطة [٤]، ولكن ما ذكره ، كان مجرد إشارات على قيام الدولة بدمشق بتقطيع الأنهر بحارة الصالحية [٥] ، ويفرض الوالي على الفلاحين تعزيل وتنقية نهر بردى الذي تسبب بانحسار الماء في نهر ثورا [٦] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، وقد ذكر ابن كنان مثيلا لهذه القصة في البقاع ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ٢٣٦ ، ١٥٠ ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ ، ٣٨٦ ، ٤٩٧ .

(٣) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ .

(٤) أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢١٧ ، ٢٢٠ .

(٥) ن م ، ص ٢٣٢ .

(٦) ن م ، ص ٣٤٠ ، وكان تعزيل الأنهار له مواعيده وأسسه ، وللمزيد انظر ابو الشعر ،المرجع السابق ،ص ٢١٥ – ٢٢١ .

وفيما يلي جدول يوضح الحارات في دمشق :

* جدول رقم (٣) الحارات في دمشق عند ابن كنان :		
الرقم	**الحارة**	**الجزء / رقم الصفحة**
١	حارة الصالحية	الحوادث اليومية ، ج١،ص٢١ ، ٢٩، ٣١، ٣٧، ٣٨، ٦٦، /ج٢،ص ٣٤٧ / المواكب الإسلامية ،ج ١،ص ٢٦٠،٢٧٣
٢	حارة الشالق / الجالق	الحوادث اليومية ،ج١،ص٢٠
٣	حارة الميدان الأخضر	ن م ، ص ٢٠،٦٥، ٦٦،٧٦، ٩٨، ١٤٨، ١٩٤/ ج٢ ، ص ٣٤٧
٤	حارة الأمير المقدّم	الحوادث اليومية ،ج١،ص٣١، ٢٩٥، ٢٨٢
٥	حارة الشيخ عرودك	الحوادث اليومية ، ج١ ، ٣٧ ، ج٢ ، ص ٣٦٣
٦	حارة السنانية	الحوادث اليومية ، ج١، ص ٥٠، ٨٣ / المواكب الإسلامية ، ج ٢، ٣٤٦ ، ج ١ ،ص ٣٨١
٧	حارة ميدان الحصا	الحوادث اليومية ،ج١،ص١٤٩،٥١، ١٧٧، ١١٣، ١٤٩
٨	حارة جامع تنكز	الحوادث اليومية ،ص ١٥٠
٩	حارة القابون	الحوادث اليومية ،ص١٤٢
١٠	حارة باب جيرون	الحوادث اليومية ،ص٢٥٢.
١١	حارة المصطبة	الحوادث اليومية ،ص١٤٢ / المواكب الإسلامية ،ج١، ص ٢٨٠
١٢	حارة السيفية	الحوادث اليومية ، ج ١ ،ص ٣٠٠
١٣	حارة الغوطة	الحوادث اليومية ،ج٢،ص٣٩٤ / المواكب الإسلامية ، ج١ ، ص ٣٩٣
١٤	حارة النيرب	المواكب الإسلامية ،ج١، ص ٢٣٩، ٢٧٠،٣٢٠،
١٥	حارة العمارة	المواكب الإسلامية ،ج١،ص٣٤٧
١٦	حارة الشاغور	الحوادث اليومية، ج٢، ص٣٨٦، ٣٩٤، ٤٦٧، ٤٦٨ / المواكب الإسلامية ، ج٢ ،ص ٣٤٧ / ج١ ،ص٣٨٢ .
١٧	حارة قبر عاتكة	الحوادث اليومية ،ج٢، ٤٢٤
١٨	حارة المزابل	الحوادث اليومية ، ص ١٥٠ /ج٢،ص ٣٩١

١٩	حارة حرستا	الحـــوادث اليوميـــة ،ج١،ص٦٩، ٩٤، ١٤١،١٦٦/ المواكب الإسلامية ، ج٢ ،ص٣٤٠
٢٠	حارة الملاح	الحوادث اليومية ، ج ١،ص٨٠
٢١	حارة المزّة	الحوادث اليومية ،ص١٢٩
٢٢	الحارة الجديدة	الحوادث اليومية ،ص٢٣٤
٢٣	حارة القبيبات	الحوادث اليومية ،ص٢٣٥
٢٤	حارة باب السريجية	الحـوادث اليوميـة ، ج٢،ص٣٥٠، ٤٦٢ / المواكـب الإسلامية ،ج٢،٣٤٧
٢٥	حارة توما	الحوادث اليومية ،ج٢،ص٣٦٢
٢٦	حارة المحلة الشرقية	الحوادث اليومية ،ج٢،ص٤١١
٢٧	حارة الدقاقين	الحوادث اليومية ،ج٢،ص٤٢٤
٢٨	حارة العنابة	الحوادث اليومية ، ج ٢، ص ٣٨٩

وفيما يلي جدول يوضح القرى في ريف دمشق :

*** جدول رقم (٤) القرى في ريف دمشق عند ابن كنان :**		
الرقم	**القرية**	**الجزء / رقم الصفحة**
١	قرية الخلخال	الحـــــوادث اليوميـــــة، ج٢،ص ٣٩٤ / المواكــــب الإسلامية ، ج٢،ص ٢٥٢
٢	قرية داريا	الحـــوادث اليوميـــة ،ج١ ، ص ١٥٤، ٣٠٢، ٣٢٠ /ج٢،ص ٣٦٢ ،٣٨٦
٣	قرية دوما	الحوادث اليومية ، ج١،ص٢٨٧ .
٤	قرية جبة عسال	الحوادث اليومية ،ج١، ٢٨٧
٥	قرية القدم	الحوادث اليومية ،ج١،ص٢٠٨/ج٢، ص ٤٦٢
٦	قرية دير العصافير	الحوادث اليومية ، ج١، ص ٢١٣
٧	قرية المحمدية من قرى الغوطة الشرقية	الحوادث اليومية ، ج ١، ١٦٥ ، ٢١٣
٨	قرية المدارس	الحوادث اليومية ،ج١، ٢٤١
٩	قرية السكة غربي الصالحية	الحـــوادث اليوميـــة ، ج١،ص٥٧، ٢٤١ / ج٢،ص ٤٧١

١٠	قرية دمّر	الحوادث اليومية ، ج٢، ٣٩٥
١١	قرية عقربا	ن م ، ج١، ٢٥٩
١٢	قرية حسية	ن م ، ج٢، ٥١٠
١٣	قرية القطيفة	ن م ، ص ٥١٠
١٤	قرية البلاط	ن م ، ج٢ ، ص ٤٤٥، ٤٦٦
١٥	قرية الياغوشية	ن م ، ص ٤٥٠
١٦	قرية جرمانا في الغوطة	ن م ، ص ٤٤٤
١٧	قرية العقيبة	ن م ،ج٢، ص٤١٢
١٨	قرية سقبا	ن م ، ص ٤٠١، ٤٠٢/ ج١ ، ص ١٣١
١٩	قرية باب الخضرا	ن م ، ص ٣٨٤
٢٠	قرية المعظمية	ن م ،ج١ ،ص ٣٠٨ /ج٢ ، ص ٤١٢
٢١	قرية حرزما	ن م ، ج ١ ، ص ٣٠٧
٢٢	قرية وادي الصفرا بسفح قاسيون	ن م ، ج١ ، ٢٩٥
٢٣	قرية الخراب	ن م ، ج ٢، ص٣٨٩
٢٤	قرية برزة	ن م ، ج ١ ، ص ٢٨٠
٢٥	قرية الكسوة جنوب دمشق	المواكب الإسلامية ، ج ٢، ص ٣٥٢
٢٦	قرية منين	ن م ، ص ٣٩٥
٢٧	قرية الذبان	الحوادث اليومية ، ج١ ،ص ٣١٦
٢٨	قرية المنيحة في الغوطة	ن م ، ج ٢ ، ص ٤٧٩
٢٩	قريتي السهم والسطر ، قال عنهما ابن كنان : " كانتا محلتان بدمشق والآن تحولتا إلى حدائق وبساتين / المواكب الإسلامية ، ج١ ، ص ٢٨٢ / الحوادث اليومية ، ج٢ ، ص ٤٧٩ .	

ويدل كثرة الحارات والقرى الدمشقية إلى حجم الزيادة الديموغرافية التي وصلت إليها تلك المدينة ، وهي بالطبع لا تشمل كل الحارات وأرياف دمشق .

* الانحراف في دمشق :

الانحراف في معاجم اللغة هو ميل الإنسان عن الطريق السليم والصحيح [١]، وهو في الإسلام ما يخالف العقيدة والشرع ، وهي عادة غير سويّة تلحق بمجتمع ما نتيجة تأثره بغيره من المجتمعات عبر وسائل وطرق متنوعة (كاحتكاك المجتمع مع غيره من المجتمعات الأخرى ، واكتساب أخلاقيات جديدة غريبة عن المجتمع الأصل ،وغيرها ..)

إن انحراف المجتمع دلالة واضحة على وجود خلل عام ، وقد يكون هذا الخلل مردّه ضعف الدولة ، من النواحي الاقتصادية والثقافية ، والعسكرية والإدارية ، وينعكس سلباً على رعاياها، فتظهر عندهم أخلاق طارئة غريبة جديدة ومنافية للأعراف السائدة ، ومدينة دمشق هي جزء من الدولة العثمانية التي انشغلت بحروبها مع الدول الأوروبية ، مما أربك الدولة ، وشغلها عن متابعة شؤونها الداخلية في الولايات التابعة لها ، وانعدم الأمن ، وزاد من حدّة المباغتة والهجوم من قبل الأعراب في البوادي على طرق الحج ، وتعدّيهم على قوافل الحجيج ، فظهر نتيجة لذلك ضعف واضح في هيبة السلطان نفسه ، وزاد من نفوذ الحكّام الإداريين التابعين للدولة ، واستقوى كثير منهم على قوت الفرد وعيشه ، ووصل الحدّ إلى بيع وشراء المناصب ، الأمر الذي صحبه الفقر والجوع ، ورافقه أيضاً البطالة وعدم التكسّب بالحلال ، عندئذ شهد المجتمع الدمشقي ولادة ظواهر محدودة فردية ، تمثلت بشيوع سلوكيات مُنافية للدّين الإسلامي و للقيم والأعراف العربية الأصيلة ، ومنها : (الرشاوي ، وشهداء الزور ، والاحتكار والغش ، وتعاطي البرش[٢] والحشيش ، والإقبال على المشروبات المسكرة ، وظهور الشذوذ الجنسي ، عدا عن الدعارة "بنات الخطأ " ، والسطو والسرقة) .

- الرشاوى والرّبا وشهود الزّور :

ظهرت هذه السلبية بين أوساط الفئة الحاكمة ، وعند ملاّكي الإقطاعات الكبيرة، نتيجة ضعف السلطنة العثمانية ، وغياب المحاسبة والتفتيش من مركز الدولة المنشغلة بهمومها داخليا

---

(١)ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٤٣ .

(٢) البرش : مادة يؤتى بها من الهند تستخدم كعطر وعلاج ، وهي مادة مخدرة كالأفيون ويؤدي كثرة استعماله للإدمان ومن ثم العمى ، البوريني ، تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٧٤

وخارجيا ، وقد ذكر المُحبي صاحب الأثر بعضا من تلك المساوئ في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ، عندما ضرب لنا مثلا في الرشوة التي تمثلت عند أحمد بن سليمان الرومي والي الشام في سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م ، حيث اشتهرت في أيامه الرشوة ، وكان قد أبطل كثيراً من الحقوق للناس ، الأمر الذي ضجر منه أهالي دمشق ، وأعياهم الجهد الثقيل ، والمساوئ الكثيرة التي لحقت بهم أيام هذا الوالي ، عندئذ اجتمع عليه الناس ، وأمسكوه، وضيّقوا عليه ، فعملوا على رجمه عند خندق القلعة في مكان بين سوق الأروام والعمارة الأحمدية [١] ، وكذلك الحال ظهر عند كيوان بن عبد الله [٢]، والذي استغل أوضاع الناس المعيشية الصعبة ، واستولى على كثير من أملاكهم وبساتينهم بمساعدة نواب محكمة الباب وشهودها ، حيث كان ابن كيوان يكرمهم بالمال ، ويشتري ذممهم بإغراءاته المالية ، ومما قيل عنه: أنه استأجر بستانا بجنب بساتين تعود إلى جملة وقف ابن العنبري بالمزّة ، فطلب من أحد أبناء العنبري ، أن يقوم بقطع الغِراس واستبدالها بغراس أخرى ، وأن يلحقها إلى بساتينه ، فرفض ابن العنبري ، الأمر الذي جعل ابن كيوان يعمد إلى جمع الفلاّحين ليلا ، وأمرهم بقطع الغراس واستبدالها بغراس أخرى ، وكان هدف ابن كيوان بذلك تغيير حدود ومعالم الوقف المكتوبة بالحجّة التي يمتلكها ابن العنبري صاحب الوقف ، وكان ابن كيوان قد تآمر مع نائب الشام وقتذاك محمد باشا سنة ١٠٠١هـ / ١٥٩٢ م، وجمعوا كثيرا من الناس ليشهدوا على ابن العنبري بأنه صاحب زور ، وأن الحُجج التي يمتلكها باطلة ، ومزوّرة ، غير صحيحة ، وتمّ لهم ذلك ، فصودرت بساتين ابن العنبري لصالح ابن كيوان ظلماُ، بالتواطؤ مع نائب الشام ونواب المحكمة ، وأمر نائب الباشا بأن يُدمغ وجه وأنف و جبهة محمد ابن العنبري بالنّار ، وأن يركب على حمار بشكل مقلوب ، ويكشف رأسه ، ثم يُطاف به بأسواق دمشق وشوارعها [٣]، وهدف الدولة من التشهير بابن العنبري أمام الناس ، وهذا الأسلوب في التعذيب هو من جملة الوسائل التي كانت تتعامل بها الدولة مع الأشقياء والزعر وقطّاعي الطرق ، إضافة إلى أن كثيرا من الناس وممّن وقع عليهم الظلم كانوا يلجأون إلى دفع أموال طائلة في سبيل الخلاص من العقوبة ، مثل حسن جاويش من أهالي القلعة ، والذي عُرف عنه استغلال الناس ، ومصادرة أموالهم ، بحجة عدم قدرتهم

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ،٣٤٩ .

(٢) سبق الحديث عن كيوان الطاغية صفحة ٩ من الدراسة .

(٣) المحبي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ .

على السداد ، وكان مُرابياً يتعامل بالفائدة ، فاشتكى عليه الناس عند باشا الشام محمد ابن بيرم ، فخلّص الأهالي من أذاه ، ثم حبسه ، ثم أطلق سراحه بعد أن وزن للباشا كما يقول ابن كنان " وزن مالا كثيرا " [١] ، ولم يقف الحدّ من الظلم والقبول بالرشاوي والرّبا عند الباشوات ونوّابهم وقادة أجناد الشام ؛ وإنما ظهرت تلك المساوئ أيضا عند المتسلّمين ومنهم : سليمان آغا العبد الذي وقع منه ظلم كبير على الناس ، وضاق الناس منه ذرعا ، ووصل أمرُه إلى سلطان الدولة العثمانية أحمد بن محمد ، الذي أرسل قبجيّا إلى دمشق من أجل جلب المتسلم ، فأخرجوه من المدينة بثياب حقيرة ، وأركب بغلا [٢] ، لإذلاله، فيتعظّ به من تسوّل له نفسه ظلم الرعيّة ، أو من يطمع بالرّبا ، ويقبل بالرشاوي ، ووصل الظلم إلى القضاة أنفسهم ، مثل : القاضي معين زاده ، و بسبب ظلمه لأهالي الصالحية ، أغلقت الأسواق ، وجرى في البلدة فِتنٌ عظيمة . [٣]

- عقوق الوالدين :

أشار ابن كنان إلى وقوع حالات قتل وقعت من قبل الأبناء بحق آبائهم ، أو العكس ، وهي تدلّ على ظاهرة بعينها وهي حالة عقوق الوالدين التي نهى الإسلام عنها ، وهي تعكس طبيعة الأحوال السيئة التي ظهرت في المجتمع الدمشقي ، ومن تلك الحالات : ما قام به الولد من ضرب والدته بواسطة السّيف في خاصرتها ، فقتل أمّه ، والسّبب في تلك الواقعة ؛ أن والدته رفضت إعطائه عشرين قرشاً ،وسُجن بالقلعة لمدّة شهر فقط ، ثم تمّ الإفراج عنه ، لأن جدّته أمّ والدته عفت عنه [٤] ، ثم أن رجلا أقدم على قتل ابنه بواسطة خنجر في خاصرته ، فقتله ، لأن الابن تأخّر في إحضار حاجة كلّفه بإحضارها [٥] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) ن م ، ص ٣١٣ .

(٣) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٤) ن م ، ، ج ١، ص ١٢١ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ .

- الدّعارة :

يبدو أن أحوال دمشق الاقتصادية المتردية واحتكاك الدمشقيين مع الغرباء المستوطنين بدمشق من التجار والجنود وغيرهم ؛ أدّت ببعض النساء إلى ممارسة الزّنا ، بُغية التكسّب ، ولا سيّما في المقاهي أو الخانات أو البساتين المحيطة بدمشق[١] ، وربما بسبب تلك الأوضاع المعيشية القاسية التي تشكّل عائقا أمام الشباب ، وتؤدي إلى العزوف عن الزواج ، تجعل الرجال والنساء يقعون بالمعاصي ، وممارسة الزّنا والفاحشة ، وقد عرفت النساء اللواتي يمارسن خطيئة الزنا بمسميات عديدة وردت في المصادر التاريخية ، وهي (بنات الهوى ، بنات الخطا ، المومسات ، الشلكات [٢]) ، فقد نجد أن إحدى النساء تطلب من أحد الشباب بالدخول إلى بيتها ، والمبيت عندها [٣] ، في حين نجد أن معظم الرجال كانوا يعتدون على البنات الأبكار ، فينتج عن ذلك كثير من المشاكل في الحارات الدمشقية [٤] ، فقد قتل رجل فرّان في محلة العقيبة ، عندما سمع خبرا بأن في بيته عدة رجال ، وعندما وصل إلى بيته ليتأكّد ؛ تطاول عليه أهل الفاحشة وقتلوه ، وكان ذلك بعلم زوجته التي أنكرت الحادثة أمام والي الشام وقتذاك أسعد باشا العظم ، الذي أمر بحبسها [٥] ، كما أقدم رجل من الأكراد على قتل زوجته الحسناء في محلّة سوق ساروجا ، لأنها كانت تمارس الفاحشة في غيابه ، عند ذهابه للديار الحجازية لممارسة شعائر الحج [٦]، إلاّ أن الدولة لم تكن تسكت على تلك المساوئ ، وإنما كانت تعاقب مرتكبيها بإقامة الحدّ ، والحبس ، والغرامة ، ويبدو أن تلك العقوبات لم تكن رادعة إلى درجة ترك تلك المساوئ ، بل يبدو أنها بدأت تزداد في المجتمع ، وتظهر بشكل واضح للعيان ، خصوصا في فترة القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، وبعده في العصور اللاحقة ، وهذا ما لاحظناه من استغراب البُديري الحلاق ، الذي أعطانا فكرة عن بداية انتشار حالات العهر في مجتمعه الدمشقي ، حيث أن غِنى

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن كنان، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ١٨٠ ، ٢٧٨ ، الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١١٢ ، ١٢٦ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

(٤) ن م ، ص ٢٢١ .

(٥) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٦) ن م ، ص ١٥٤ .

دمشق بالبساتين وأماكن التنزّه وقرب تلك المتنزهات من ضفاف الأنهر ، قد تكون أمكنة تساعد في تعرّف الشباب على بنات الهوى ، فقد أشار البُديري إلى تلك الأحوال بقوله : " خرجنا إلى سيران بناحية الشرف المطلّ على المرجة مع بعض أحبابنا ، وكان الوقت في مبادئ خروج الزهر ، وجلسنا مطلّين على المرجة والتكيّة السليميّة ، وإذا بالنساء أكثر من الرجال ، جالسين على شفير النهر ، وهم على أكل وشرب قهوة وتتن(الدخان) ، كما يفعل الرجال ، وهذا ما سمعنا بأنه وقع نظيره حتى شاهدناه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " (١) .

و نلاحظ أن الدولة وكأنها بدأت تعترف بهذه الحالات السيئة ، فنجد أن أهل السلطة في دمشق كانوا يشركون المومسات وبنات الخطأ والهوى في حفلاتهم ، ويغدقون عليهن من الذّهب والفضّة وغيرها من الدّراهم ، فقد عَمِلَ فتحي أفندي الدفتري فرحاً بتزويج ابنته من ابن أخيه ، وهو على وصف البُديري كان فرحا عظيما ما عَمِل بدمشق نظيره ، فكان الحفل سبعة أيام ، وقد خُصّص اليوم الأخير للمومسات وبنات الخطا والهوى ، وقد تكرّم عليهن كرماً زائداً(٢) ، وكانت بنات الخطا يمارسن البهرجة والرقص ، والغناء ، ويتناولن الخمر في الشوارع بأوقات اللّيل والنهار ، ويعتدين على المارّة بالضرب والشتم ، ومن هؤلاء الفاحشات امرأة تدعى (سلمون) ، وهي من النساء اللواتي مارسن الرذيلة مع كثير من الرجال ، ومن يُمسك عندها من الرجال ، أطلق عليه العامة لقب (سلمونيّ) ومما قيل عنها أيضا أنها باغتت طريق قاضي الشام المتوجه إلى الصالحية ، وكانت في حالة من السكر وكشف الرأس والوجه ، وحاولت قتله بالسكّين ، ولم تفلح في ذلك ، فأهدر دمها وقتلت ، عندئذ ونتيجة لما صدر عنهن من المساوئ العديدة ، وما لحِق بالمجتمع الدمشقي بسببهن من الأذى والفتن ، وقيام بعضهن بقتل الرجال في بيوتهم (٣) ، صدرت أوامر وأحكام من قبل أسعد باشا العظم بإهدار دمائهن وقتلهن ، أو القيام بنفيهن خارج الشام (٤) ، وفي هذه الحالة خفّ الأذى في المدينة ، وزال الكرب منها ، لكن وبحسب وصف البديري الحلاق بأنّ هذا الانفراج لم يدُم سوى عدة أيّام ، فلم تجد الدولة سبيلا لها ، إلاّ أن تعترف بوجودهن ، وفرضت على كل واحدة منهن مبلغ عشرة قروش ، كتصريح لهن بالعمل والتكسّب ودفع

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٤٠ .

(٢) ن م ، ص ٣٩ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٢٧٨ .

(٤) ن م ، ص ٥٧ .

ضريبة للدولة ووفرت لهن الأمن والحماية (١) ، مما لا يدع مجالا للشك إلى حالة الضعف والانحطاط الديني والأخلاقي الذي بدأ يدبّ في جسم الدولة العثمانية الإسلامية.

- السرقة والخمور :

وصف القاسمي صاحب القاموس الشامي السرقةَ: على أنها تحصيل على المال من غير وجه حق من جهة الخُفية في أوقات الليل أو النهار ، وكلمة (سارق) تضاهيها في العامية كلمة (الحرامي) وكلمة (النشتري : النشتر) ، بمعنى أن يمدّ الرجل سيئ الخلق يده في جيوب الأخرين ، وأخذ ما في الجيب من المال .(٢)

وانحطاط المستوى المعيشي والاقتصادي وضعف الوازع الديني عند معظم أفراد المجتمع حتى وصل الحال إلى أن أصبحت حِرفةً ، قد يختصّ بها فرد واحد ، أو مجموعة أفراد ، تشكل ما يسمى " العصابة " ، فإن كانت حرفة فإنها تكون من أخبث الحِرف (٣) ، لأنها من باب التكسّب عن طريق الحرام ، فقد يجد السارق أن السّبيل للحصول على هدفه هو القتل والتعدّي على حُرمات الناس وغالبا ما تكون على فئة الأغنياء ، من أصحاب المحال والبيوت الفاخرة ، وذكر ابن كنان الدمشقي عن جماعة من السرّاقين ومن بينهم امرأة ، قد دخلوا إلى إحدى بيوت دمشق الغنية ، فقتلوا غلاما ، ووصف ابن كنان طريقة قتلهم للغلام (٤)، وقد لا يسلم من تلك السرقة أرباب الوظائف العليا في الدولة ، بالرغم مما يتمتّع به هؤلاء من الأمن والحراسة ، سواء حول بيته ، أو مرافقتهم له أثناء جولاته على الأسواق ، أو عند خروجه للتنزّه ، أو أثناء زياراته ، فقد سُرق بعض أشياء من بيت قاضي الشام محمد صدري باشا (٥) ، كما خرجت جماعةٌ من اللصوص وقطّاعي الطرق ، وقتلوا قاضي محكمة الجوزية عبد الحي أفندي الرفاعي الحنبلي ، وهرب مَن كان معه من الحرس ،

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٣٤ .

(٢) القاسمي ، قاموس الصناعات الشامية ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٣) ن م ، ص ١٨٣ .

(٤)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .

(٥) ن . م ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

وسرقوا جميع ما كان معه من متاع ، سواء المال من الدراهم أو الخيول (١) ، وكذلك قيام الحراميّة بسرقة (جهاز العرس) من بيت شاب من أبناء أحد كتبة المحاكم والدفترية بدمشق ويقال له : ابن خليفة (٢) ، وكان اللصوص لا يحللون حلالا ، ولا يحرّمون حراما ، ولم تسلم من أذيتهم بيوت الله تعالى ، وأضرحة الصحابة وأولياء الله الصالحين ، فقد سُرق من الجامع الأموي أربعة من القناديل المصنوعة من النحاس الأصفر ، وذلك في شهر جمادى الأولى من سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م ، فكانت هذه القناديل من " غرائب الصنعة ، من جهة التخريم ، لا مثيل لها في الإتقان والتخاريم " (٣) ، كما اعتدى هؤلاء على ضريح بلال الحبشي ، وضريح الشيخ عبد الجبار بن عبد القادر الكيلاني ، وضريح الشيخ أرسلان ونهبوا محتوياتها من شبابيك أو فرش أو أثواب كانت تغطّي تلك الأضرحة (٤) ، وكانت الدولة تلاحقهم بالقتل والشنق على مرأى من الناس ، ليكونوا بذلك عبرة لغيرهم (٥).

أما المنكرات الأخرى بدمشق كتناول الخمور ، فإنها كانت موجودة ومنتشرة بدمشق منذ القِدم ، وفي زمن الدولة المملوكية كانت الخمّارات في بيوت بعض كبار الجيش والدفترية والدوادارية (٦) ، حيث أقدم شيخُ الإسلام وبمساعدة من جماعة الفقرا وكانت مهمتهم إزالة المنكرات من دمشق ، على إزالة خمّارة تابعة للدوادار (٧) ، كما أُتُهم (قرقماس التنمي) بأن في بيته خمارة ، فقام حاجب الحجّاب وبصحبة شيخ الإسلام بالتفتيش عليها ولم يجدوا شيئا ، لكن هذه التهمة ارتبطت بغلمانه وجماعته ، وجرى تعنيفه من قبل شيخ الإسلام ، ثم تاب عن فِعلته تلك (٨) ، ولم يتوان نجم الدين الغزي عن تسمية شرب الخمر بأنها : أمّ

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

(٤) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٧٥ .

(٥) ن م ، ص ١٧٣ .

(٦) الدوادار : وهو من يشرف على تحصيل الضرائب ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ،ص ١١٩.

(٧) ابن طوق ، التعليق ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٨) ابن طوق ، المصدر السابق ، ص ٣٧ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ١٦٤ .

الخبائث ، وأنها من المعاصي التي تُزيل النِعَم [١] .

ومن الأسماء التي تمّ رصدها عند ابن كنان ، وممّن عُرفوا بتعاطي المنكرات : عبد الله آغا ابن صالح آغا ابن صدقة [٢] ، عبد الواحد بن عبد الواحد [٣] ، ابن يغمور [٤] .

* المقاهي والتدخين بدمشق :

تعتبر المقاهي جانبا مهمّا من جوانب الحياة الاجتماعية بدمشق يلجأ إليها الناس للتسلية والترفيه عن النفس ، والتحدث بأمور الشعر والأخبار ، ومكان يلتقي فيه الأصدقاء يمارسون فيها لعب الشطرنج وغيرها من وسائل التسلية الأخرى ، تصاحبها احتساء القهوة ، وهذه العادة جاءت إلى مدينة دمشق كما يذكر الغزي من اليمن ، عن طريق الشيخ الصوفي أبو بكر بن عبد الله الشاذلي العيدروسي ، المتوفى في العقد الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، عندما أكل من أوراق شجر البنّ ، فوجدها تعمل على تجفيف للدماغ ، وتؤدي للسهر ، وتنشيط لعبادة الفرد ، فأوصى مُريدوه وجماعته بتناولها ،فظهرت القهوة بسببه في اليمن ، ثم أخذت تنتشر خارج اليمن إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ، وقد اختلف المشايخ بأمرها ، فمنهم من أفتى بتحريمها أمثال الشيخ شهاب الدين العيثاوي ، لكن ذهب الأكثرية بالشّام إلى إباحتها [٥]، وقد اتخذها كثير من الناس بدمشق كحِرفة يتحصّلون من ورائها على الرزق ، وأنشأوا أماكن مخصّصة لبيعها في الأسواق ، مثل السويقة المحروقة [٦] وفي سوق الخيل [٧]، وقد وصف الرحالة الفرنسي (جان تيفنو) ، والذي قدم إلى دمشق وتعرّف إلى أهلها واختلط بهم سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٤م ، وصف مقاهي

---

(١) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .

(٣) ن م ، ص ٤٠٢ .

(٤) ن م ، ص ٤٦٧ .

(٥) الغزي ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٦) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

(٧) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٨٥ .

دمشق في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي : بأنها جميلة وتكثر فيها المياه ، وأجملها يقع في ضواحي دمشق خارج أسوار المدينة [١]، ممّا يُشغل الناس عن العبادات وخاصة الصلاة ، فلم يجد باشوات الشام بُدّا إلّا أن يصدروا قرارات تقضي بالتشديد على تلك المقاهي ، وملاحقة مرتاديها الذين يتأخرون عن الصلوات ، لا سيّما صلاة الجمعة ، فقد تمّ التشديد عليها في فترة ولاية حسن باشا في شهر صفر من سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م ، ومن جرّاء هذا التشديد على المقاهي ومرتاديها ، نجد أن ابن كنان يصف حالتها بقوله : " كادت تبطل القهوات لعدم مَن يجيء إليها خوفا من الباشا "[٢]، ومن المقاهي التي ذكرها ابن كنان بدمشق (قهوة خبيني في المرجة [٣]) ، بالإضافة إلى قهوة المناخلية ، قهوة الخريزاتية [٤]، وقهوة الشاغور التي تمّت عمارتها في شهر رجب من سنة ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م ، زمن أسعد باشا العظم ، بالإضافة إلى استحداث قهوتين في نفس الشهر ، واحدة بباب السّريجة وأخرى أمام باب المصلّى [٥]) ، ولم يقف الحدّ عند التشديد على القهوات وبيع القهوة فحسب؛ وإنما لاقتران تلك المقاهي بشرب التتن(الدخان) الذي انتشر في المجتمع الدمشقي مع بدايات الحكم العثماني ، ومن هنا يأتي مراقبة الدولة على تلك المقاهي ، وقد أصدر الباشا مصطفى الكبرلي مراسيماً تؤكد على امتناع تناول التتن في أسواق دمشق [٦] ، وكذلك فعل ناصوح باشا ، حتى استاء كثير من الناس المعتادين على شرب التبغ ، ووجدوا في ذلك مشقّة عليهم [٧] ، وقد وصف البُديري حالات شرب التتن بدمشق بأنها من أعظم المصائب ، فقد كان يشربه الرجال والنساء في الشوارع والأسواق والمقاهي وعند ضفاف الأنهر ، فقام الباشا أسعد العظم في شهر رجب من سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م وأصدر أمرا بمنعه ، وقد تصل عقوبة من يشرب الدخان إلى الشنق والصلب [٨]، بسبب

---

(١) الفارس ، دارفيو :وصف دمشق في القرن السابع عشر، ترجمة أحمد ايبش ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، د . ط ، ١٩٨٢م ، ص ٧٧، وسيشار إليه لاحقا ، الفارس ، وصف دمشق .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٣) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٣١ .

(٤) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٨٦ ، ١٤٥ .

(٥) ن م ، ص ١٨١ .

(٦) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٧) ن م ، ص ١٨٠ ، ٢٠٣ .

(٨) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، ١٤٠ .

تحريم بعض المُفتين لشرب التتن(الدخان) ، بالرغم من أن الشيخ عبد الغني النابلسي اعتبر أن شرب التتن لا توجد فيه مسألة فقهية تتناول تحريمه ، و أباح الشيخ شربه بدليل تأليفه مخطوطا أسماه (الصلح بين الإخوان في إباحة الدخان) ، واعتبر أن للدخان فوائد ، إذ يقول : " وكم له من منافع أخرى يعرفها المجرّبون ولا سيما وقد تأيدت تجربتهم بما في كتب الأطباء من التصريح بنفعه من السموم ، وخاصة العقرب شربا ومصّا [1] " ، ومع ذلك الحرص والتشديد من قبل الدولة ، إلاّ أن الأمور عادت كما كانت عليه من قبلُ، وأصبح شرب القهوة منتشراً عند أغلب الناس بدمشق باختلاف طبقاتهم ومناصبهم [2] ، واشتركت بذلك النساء مع الرجال دون خُفية وعلى مرأى من الدولة والناس [3] .

* الأطعمة والمشروبات :

ترتبط أنواع الأطعمة والأشربة ارتباطاً قويّاً بنوع المناسبة التي تقدّم فيها ، حيث إنه عند استقبال الباشوات يتم تقديم ضيافة له من أجود وأحسن المأكولات والشرابات السكّرية [4] ، أما في مناسبات دورة محمل الحج [5] ، فإنه يوضع بما لا يقل عن ألف صحن من مختلف ألوان الطعام والشراب [6] ، وهذا يدلّ على اهتمام الدولة العثمانية بالحجيج ، وتوفير سبل الراحة والأمان لقوافلهم ، وكذلك في مناسبات الأعراس والختان ، فإنه يتم تقديم السكاكر والكلبا سكر [7] ، والتمور ، والمعمول [8] ، أما في حالات الزيارات للأصدقاء وذوي القربى

---

(١) النابلسي ، عبد الغني (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) ، الصلح بين الإخوان في إباحة الدخان ، دار الكتب الظاهرية ، دمشق ، تحت رقم ١٨٦٩ ، د .ط ، د . ت ، ص ٢ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ،ج ١ ، ص ٢٢٢ ، ج ٢ ، ص ٤١٢ .

(٣) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٤٠ .

(٤) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ .

(٥) انظر وصف دورة المحمل والصنجق صفحة ٢٢٩ من الدراسة .

(٦) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٧) الكلبا سكر : عرّفها ابن كنان بأنها : كلمة تركية تعني السكر الوردي ، مشتقة من مقطعين : الأول : السكّر : ويعني السكر ، والثاني : الكلبا : ويعني الوردي / ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١، ص ١٩٠ .

(٨) ن م ، ص ٩٣ ، ١٠٩ ، ١٩٠ .

فإن الضيافة تقتصر على الفستق والبندق والزبيب ، وتناول الفاكهة كالأجاص ويسمى الكمثري عند أهالي دمشق [1] ، وتقديم الحلوى كالهريسة ، وشرب العصائر كالتمر هندي ، وعرق السّوس [2] ، وقد نجد ابن كنان يتغزّل ببعض الحفلات التي يتكلّف صاحبها بتكلفة باذخة وتقدّم فيها أحسن المأكولات والمشروبات ، فيصفها بأشعاره الخاصة [3] .

وذكر ابن كنان أيضا بعضا من الأطعمة الدمشقية ، والطريقة التي تحضّر بها ، وفائدة بعضها في العلاج من الأمراض التي قد تصيب الناس مستفيدا بذلك ببعض كتب الطبّ التي قرأها كالرازي[3] وابن سينا [4] وغيرهم من أصحاب المؤلفات التي تختص بالأدوية مثل أبو اسحق إبراهيم بن محمد(ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، صاحب كتاب التذكرة [5] ، ومن تلك المأكولات : الأرز الذي لا يزرع بدمشق ، وإنما يؤتى به من خارج الشام من مصر ، ولا يصح أكله مع الخل والنبيذ لأنه يضرّ بالعقل ، أما أكله فيؤدي إلى نضارة الوجه ، أما الحمّص فإنه يترك بالهواء على ضوء القمر ليلة كاملة ، ثم ينقع بالماء العذب لمدة ساعتين ، وبعد ذلك يطبخ بنفس الماء ، ويجوز أكله حارّا أو باردا ، أما فائدته على الجسم ، فتتمثّل : بأنه ينير النفس ويزيل الهمّ ، ويقوّي القلب ، ويزيل الأفكار السوداوية التي تطغى عند بعض العقول [6] ، أما أكل العدس بالزيت فإنه يشرح الصدر ، ويدخل السرور في النفس ، لكن لا

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ١١٤،١٣ ، ١٧٢ ، ٢٣٩ .

(٣) ن . م ، ص ٢٣٨ .

(٣) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور (ت ٣١١هـ/٩٢٣م) ، وله مجموعة مؤلفات بالطب والفلسفة ، وقيل عنه بأنه إمام وقته في علم الطب حاذقا فيها عارفا بأوضاعها وقوانينها ، ومن أشهر كتبه الحاوي ، وأصابه العمى آخر عمره ، ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن اسحق البغدادي (ت٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م) ، الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢، ١٩٩٧م ، ص ٣٦٠ – ٣٦٤ ، انظر أيضا : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥، ص ١٥٧ – ١٦١ .

(٤) الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٧م) ،أتقن علم القرآن وعلوم في أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة ، واشتهر بالطب والفلسفة ، وله تصانيف عدة أشهرها القانون في الطب ، ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٧ – ١٦٦ .

(٥) عزالدين إبراهيم بن محمد السويدي الشافعي الأنصاري،شاعر وطبيب ومحدث ، من أهل دمشق ،واتّهم بقلة الدين وترك الصلاة ،واعترض على تحريم الخمر، وله كتب عدة ،منها:(التذكرة الهادية والذخيرة الكافية في الطب)، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣،ص ٣٢٥ .

(٦) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

يجوز أكله بكثرة ، لأن الإكثار من تناوله قد يؤدي إلى حدوث أمراض : الجذام والوسوسة والسرطان ، في حين أن أكل الفول يؤدي إلى الكسل وبلادة في الرأس [١] ، كما شرح ابن كنان طريقة صنع الخبز كخبز الطابون أو خبز الملّة أو ما أسماه بالخبز المطبوخ[٢] ، ممّا يعطي القارئ فكرة على تفنّن أهالي دمشق في الطبخ ، وغير ذلك من صناعة المأكولات .

*الظواهر الطبيعية والفلكية بدمشق :

يرد في كتب التراجم وكتب اليوميات ، إشارات كثيرةً للظواهر الطبيعية من زلازل ، وفيضانات ، وأمطار ، وسيول ، و للظواهر الفلكية كالنجوم والمذنبات ، أو خسوف القمر وكسوف الشمس ، وهي حالات غير متكرّرة ، وتختلف في درجة قوّتها ، فقد رصد ابن طوق لتلك الحالات [٣] ، كذلك فعل ابن طولون [٤] ، وسجّلها أيضا المُحبّي[٥] أمّا ابن كنان فقد رصَد في يوميّاته الكثيرَ من الأحوال الطبيعية والفلكية التي حصلت في مدينة دمشق ، وحَرص على تسجيل الزّمن والفترة وطول مُدّة كل حالة من تلك الأحوال ، وفي معظمها كان يسجّل الآثار التي ترتّبت على كلّ منها ، وكثير من أولئك المؤرّخين كانوا يربطون حدوثها وشدة تأثيرها وقسوتها بالغضب الإلهي ، أو أنها من علامات الساعة [٦] ، وأنّ

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ج ٢، ص ٢٦٤ .

(٢) ن . م ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣)) ابن طوق ، التعليق ، ج ١ ، ص ٤٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٦ ، ١٩٢ ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ ، ٩١٨ ، ٧١١ ، ٧٥٣ / ج ٤ ، ص ١٨٠٥ ، ١٨٣١ / للمزيد أنظر : أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ١٢ ، ٢٧٢ ، ٣٥٣ ، ٥٩ ، ١٣٩ ، ٥٠ ، ابن طولون ، شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) ،إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمد دهمان ، دار الفكر ،دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٤م، ص ١٢٦ ، ٨٠ ، ١٩٣ ، وسيشار إليه لاحقا : ابن طولون ، اعلام الورى . / للمزيد انظر : الشديفات ، شمس الدين بن طولون مؤرخا ، من ص ٢٣٣ - ٢٤٦ .

(٥) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ١١٧ ، والمحبي هو : محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، عالما بالنحو والمنطق والأصول وأتقن فنون الأدب والنظم والشعر والتاريخ ، وهو من الخلوتية ، ومن مؤلفاته (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة) ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٢٨ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٨٦ ــ ٨٨ .

(٦) ابن طوق ، التعليق ، ج ١ ، ص ٤٦ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٦٦ ، ١٤٥ ، ٢٢٣ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٢١ .

حدوثها مُرتبط بالاعتداء على حُرمة المسلمين وشعائرهم ، حيث أشار ابن كنان إلى ظهور نجم في السماء أوائل شهر صفر من سنة ١١١٢هـ / ١٧٠٠م ، وكان ذلك وقت الظهر ، مما نتج عنه ظلمة عظيمة في سماء دمشق ، فربط حدوث تلك الواقعة بالنهب والسّلب والكارثة التي حصلت مع الحجّاج ، عندما اعترض الأعراب طريقهم ، واعتدوا على النساء والرّجال (١) ، وينتج عن معظمها آثار قاسية كهلاك عدد من الناس ، أو تدمير للممتلكات من البيوت والمزارع ، وقد يطال أثرها الجوامع والمساجد ، ومثال ذلك : الدّمار الذي لحِق بالمئذنة الشرقية من الجامع الأموي نتيجة الزلزلة التي وقعت بتاريخ ٧ / شعبان / ١١١٧هـ / ١٧٠٥م ، وتمّ اصلاحها بعد ثلاث سنوات ، أي في سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م (٢) ، ومن الظواهر الفلكية الأخرى التي رصدها ابن كنان ، ظهور دائرة كبيرة حول الشمس ذات لونين ، وبدأت قبل غروب الشّمس ، وذلك يوم الخميس ١٦ / ذو الحجة / ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م ، ومن تلك الأحوال الفلكية أيضا ؛ أنه في يومي الاثنين والثلاثاء من آخر شهر شعبان من سنة ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م ، طلعت الشمس بلون شديد الاحمرار ، الأمر الذي اعتبره الحُكماء من حوادث الشمس، فقد تطلع شديدة الاصفرار أو تطلع وفيها شيء من الظلمة ، وكانت هذه الحادثة في خمسينية الصيف في أيام شديدة الحرارة (٣) ، كما ظهر نجمٌ طويل بذنب ، وكان أوّله وبدايته عند الربوة من نجمة صغيرة ، إلى مئذنة جامع الأبارين (الجامع المعلق / الجامع الجديد) ، واختفى هذا النّجمُ بعد عدد من الأيّام (٤) ،عدا عن ظهور نجم بيوم الأربعاء بتاريخ ١ / رمضان / ١١٢٨هـ / ١٧١٥م ، أضاء منه ما بين المشرق والمغرب(٥) وقد بالَغَ ابن كنان في هذا الوصف نظراً لانبهاره به .

أما الظواهر الطبيعية كالزلازل ، والظواهر الفلكية ككسوف الشمس أو خسوف القمر ، فهي كثيرة عند ابن كنان في كتابه (الحوادث اليومية) ، وفيما يلي جدول يوضّح تلك الظواهر :

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ن م ، ص ١٠١ ، ١٢٨ ، ١٣٦ .

(٣) ن م ، ص ٢٢٥ .

(٤) ن م ، ص ٥٦ .

(٥) ن م ، ص ٢٥٦ .

* جدول رقم (٦) الظواهر الطبيعية والفلكية في دمشق عند ابن كنان في كتابه : الحوادث اليومية :				
الرقم	الظاهرة الطبيعية / الفلكية	التاريخ : يوم /شهر / سنة بالتقويم الهجري والميلادي	ملحوظات	الجزء / رقم الصفحة
١	حدثت زلزلة بدمشق	٧/ شعبان /١١١٧هـ/ ١٧٠٥م	وصفها ابن كنان بأنها عظيمة ، قتلت في البراري عددا كبيرا من الناس، بينما دمشق المدينة لم يمت فيها سوى رجلا واحدا فقط في خان الأبارين مقابل الجامع المعلق ، وهدم المئذنة الشرقية للجامع الأموي	ج ١ ، ص ١٠١ ، ١٢٨ .
٢	حدثت زلزلة بدمشق وضواحيها	ليلة الأربعاء في شهر ذي القعدة من سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م	حدثت في آخر الليل	ج ١ ، ص ١٩٧ .
٣	حدثت زلزلة بدمشق	ليلة الخميس ١٨/ رجب /١١٣٥هـ/١٧٢٢م	كانت خفيفة ، ومتقطعة ، بدأت من بعد صلاة العشاء وتوقفت ، ثم عادت في وسط الليل وتوقفت ، ثم عادت مرة أخرى في آخر الليل وانتهت	ج ٢ ، ص ٣٥٤ .
٤	حدثت زلزلة بدمشق	ليلة السبت ١١/ رجب/١١٤٨هـ/١٧٣٥م		ج ٢ ، ص ٤٧١
٥	كسوف الشمس	٢٨/ ذو الحجة /١١٢٠هـ/١٧٠٨م	استمرت من وقت العصر حتى غياب الشمس ، وصلّى الناس صلاة الكسوف	ج ١ ، ص ١٤٧
٦	كسوف الشمس	ليلة الثلاثاء في شهر شوال من سنة ١١٢٩هـ/١٧١٦م		ج ١ ، ص ٢٧٢
٧	خسوف القمر	ليلة الأحد ١٥/رجب/١١٣١هـ/١٧١٨م		ج ١، ص ٣٠٠
٨	خسوف القمر	ليلة ١٤ / رمضان / ١١٣٤هـ/١٧١٢م	بدأت في آخر الليل بعد صلاة (الثمانية) أي صلاة التراويح ، وقت	ج ١ ، ص ٣٣٨

			السحر	
٩	خسوف القمر	ليلة الأربعاء ١٥/ذو القعدة/١١٤٨هـ/١٧٣٥م	بدأ في آخر الليل ، وصلّى الناس صلاة الخسوف جماعة بجامع الخاتونية بالصالحية	ج ٢ ، ص ٤٧٥
١٠	خسوف القمر	ليلة الخميس ١٤/ جمادى الأولى/ ١١٤٩هـ/١٧٣٦م	بدأ في آخر الليل	ج ٢ ، ص ٤٨٠ .
١١	خسوف القمر	يوم الاثنين ١٥ / ذو القعدة/١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م	صلّى الناس صلاة الخسوف بالجامع الأموي بعد صلاة العشاء	ج ٢ ، ص ٤٨٢

أما الرياح وشدّتها فقد ذكرها ابن كنان في موضعين اثنين فقط ، وهي من الظواهر الطبيعية ، حيث أشار إلى أنه في فصل الصيف من يوم الجمعة ٢٨ / جمادى الآخرة/ ١١٣١هـ/ ١٧١٨م من بعد الظهر ، حدثت بدمشق ريح عسوف شديدة ، صاحبها رعد وبرق وبَرَد كالحمّص ، واستمرت مدة اثنتا عشر يوما ، وانتهت يوم الثلاثاء بتاريخ ١٠ / رجب / ١١٣١هـ/ ١٧١٨م ، ولكون حدوث هذا البَرَد الشديد في فصل الصيف ، نجد ابن كنان يصِف تلك الحادثة بأنها : " من العجائب " (١) ، كما أصابت ريح شديدة دمشق يوم السبت ١٠/ جمادى الآخرة / ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م ، والتي بدأت من أول الليل واستمرت حتى الفجر (٢) ، ومع ذلك فإن ابن كنان ، لا يُشير إلى حدوث حالات وفاة بين الأهالي ، أو نفوق للحيوانات ، أو خسائر في الممتلكات ، على عكس البُديري الحلاق الذي أظهر لنا نتائجَ ومخلفات معظم تلك الظواهر ، والتي يرتبط معظمها نتيجة اقتتال المسلمين بعضهم بعضاً، وازدياد الفساد الأخلاقي في المجتمع الدمشقي ، فأظهر الله تعالى غضبه عليهم بإرساله تلك الأهوال عليهم وألحقَ بهم الخسائر كي يتّعظوا وتكون عبرة لِمَن اعتبر (٣) ،

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٥٤ .

(٣)) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٩٤ ، ٦٦ .

كما أشار على أنه يوم الثلاثاء ٢٧ / محرم / ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م ثارت ريح شديدة لمُدة يومين وليلتين ، قلعت أشجاراً كثيرة ، وهدمت أماكن لا تُحصى ، ووقع فرع عظيم من شجرة الخرنوب على رأس غلام مراهق فمات ، بينما جُرِح رجلان آخران نتيجة هذه الريح(١)، وعند مقارنة هذه الظواهر ما بين كتاب (الحوادث اليومية لابن كنان) ، والذي يغطّي فترة تقارب اثنتان وأربعون سنة ، مع الكتاب المعاصر له وهو كتاب (حوادث دمشق اليومية) للبديري الحلاق ، والذي يغطّي فترة تبلغ إحدى وعشرون سنة ؛ فإننا نجد أنّ حالات الزلازل وشدّتها كانت أكثر فتكا وقوة مما رصده ابن كنان عن دمشق ، فقد رصد الحلاق ثلاث حالات من الزلازل ، لكن أشدّها ما كان ليلة الثلاثاء ٨ / ربيع الثاني / ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م ، فوصفها بقوله : " زلزلت منها دمشق زلزالا شديدا ، حسبت أهل دمشق أن القيامة قد قامت ، فتهدّمت رؤوس غالب مآذن الشام ، ودور كثيرة ، وجوامع ، وأماكن لا تحصى ، حتى قبة النصر (٢) التي بأعلى جبل قاسيون زلزلتها وأرمت نصفها ، وأما قرى الشام ، فكان فيها الهدم الكثير ، والقتلى التي وُجدت تحت الهدم لا تحصى عددا ..." (٣)، وقد بلغ مجموع ما رصَده البُديري الحلاق من الظواهر الطبيعية والفلكية حوالي ثلاث عشرة حالة ما بين زلازل ورياح ، ونجوم ومذنبات ، خسوف للقمر ، وكسوف للشمس (٤) .

* متنزهات دمشق :

حَرِص ابن كنان على تسجيل أماكن التنزه التي يلجأ إليها الدمشقيون عند سيرانهم في أيام الزهر والرّبيع كما فعل البديري الحلاق أيضا (٥)، ونظرا لشغف ابن كنان الكبير بالخروج إلى الرحلات وأماكن التسلية ، والتي يجد فيها نوعاً من الراحة للنفس ، وتحظى دمشق بعدد من الأنهار التي أضافت الشيء الكثير إلى بساتينها وحدائقها المتعددة ، ومنها أنهر (بانياس،

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٦٦ .

(٢) قبة النصر : بناها السلطان برقوق الجركسي العثماني سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م بأعلى جبل قاسيون ، ابن طولون ، القلائد الجوهرية ، ج ١ ، ص ٢٦٠.

(٣) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(٤) ن م ، ص ١٥ ، ١٦ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٦ ، ١١٤، ١١٥ ، ١٣٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٣.

(٥) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٦٢ .

بردى ، ثورا ، عقربا ، يزيد ، نهر القنوات) ، وتشتمل تلك المتنزهات على الأشجار الكثيرة الخضراء ، والفواكه كالمشمش الحَمَوي والتفاح والتوت ، والرمّان ، والعِنب ، والخّوخ ، والليمون ، والموز ، عدا عن الورود والأزهار [١] ،حتى أصبحت دمشق كما وصفها أحد الرحّالة الغربيين الذي زار دمشق (بيربو أدفر) : بأنها " قطعة من السماء في صميم الصحراء " [٢] ، وغالبا ما تكون تلك الأماكن من حدائق ، وجنائن و بساتين واسعة ، مثل بستان القمّاحيّة والذي " لا يمكن يدوره الإنسان ولو بدابّة " [٣] ،ومُحاطة بعدد من البحرات العظيمة ، والأحواض ، وبعض القاعات ، مثل : بستان الباسطية ، والذي يُنسب إلى الأمير عبد الباسط الظاهري [٤]، وبعض تلك المتنزهات لا تخلو من مقامات الصحابة وأضرحة الأولياء الصالحين ، مثل : سقبا التي يوجد فيها مقام الصحابي عبد الله بن سلام ، ومزار الشيخ أبو عمرو [٥]، ولذلك فإنها تعتبر ملاذاً للرّاحة والاستجمام ، ومقصداً للزّوار والمتعبّدين من الصّوفية ، الذين تشرئبّ نفوسُهم في حبّ الترحال للتبرّك بمقامات الصحابة ، والأولياء ، وذكر ابن كنان عددا من أماكن التنزه في دمشق ، وهذا الجدول يوضّح أشهر متنزّهات دمشق :

*** جدول رقم (٧) متنزهات دمشق عند ابن كنان الصالحي :**

الرقم	مكان التنزه /بساتين وحدائق	ملحوظات	المصدر	الجزء / رقم الصفحة
١	بستان ابن القرندس		الحوادث اليومية	ج ١ ،ص ١٣٩
٢	بستان الوقف	كانت بعض تلك البساتين من جملة الوقف (ولم يذكر ابن كنان اسم واقفه)	الحوادث اليومية	ج ١،ص ١٤١
٣	حاكورة الرومي	بالصالحية	الحوادث اليومية	ج ١،ص ١٤٣

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٤٣٣ / انظر: الفارس ، وصف دمشق ، ص ٢٣ .

(٢) سمارة ، يوسف ، سوريا ملتقى الحضارات ، دار الفكر ، دمشق ، د .ط ، د . ت ، ص ٢٨ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٣٩٥ .

(٤) ن م ، ص ٣٨١ .

(٥) ن م ، ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

٤	بستان الدواسات	يقع على حافة نهر يزيد قرب الربوة	الحوادث اليومية	ج ١،ص ٢٢٢، ج٢، ٤٦٨
٥	بستان بني كريم الدين	مقابل الدهشة بالصالحية	الحوادث اليومية	ج ١،ص ٢٢٢
٦	جنينة على حافة نهر بانياس	تقع جانب التكية السليمانية، تشتمل على الأزهار الملونة	الحوادث اليومية	ج ١،ص ٢٦٧
٧	جنينة البحرات	لصيق عمارة الشيخ عبد الغني النابلسي	الحوادث اليومية	ج ١،ص ٢٦٩
٨	بستان عبد الحكيم أفندي(النيرب)	يقع على حافة نهر ثورا	الحوادث اليومية	ج ١،ص ٣٢٠
٩	بستان البرج		الحوادث اليومية	ج ١،ص ٣٢٣
١٠	الربوة	وصفها ابن كنان في (المواكب) بأن لها روحانية وهوى لا يوجد في غيرها ، والجلوس فيها ينسي الإنسان همّه وبيته وجميع الأحوال	الحوادث اليومية المواكب الإسلامية	ج ١،ص ٣٢٦ ج ١ ، ص ٣٠٨
١١	بستان زين الدين		الحوادث اليومية	ج ١،ص ٣٢٨
١٢	بستان محمد بن شيبان	قال ابن كنان عن ابن شيبان بأنه كان حافظا للقرآن	الحوادث اليومية	ج ١،ص ٣٤٠
١٣	بستان كيوان ، ويعرف باسم بستان العيش	وكيوان هو من أحد كبار جند الشام وقتله فخر الدين المعني سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م	الحوادث اليومية	ج٢ ، ص ٣٦٧ ، ٤٢١، ٤٣٧ ، ٤٥٢ .
١٤	بستان الباسطية	من العمارات الحسنة بدمشق ، وتحتوي على إيوان عالي ، وبحرة	الحوادث اليومية	ج ٢،ص ، ٣٧١
١٥	بستان الميطور	وهي كلمة آرامية تعني ماء الجبل وتقع بالمزة	الحوادث اليومية	ج ٢، ص ٣٧٤
١٦	بستان العلم	بالمزة	الحوادث اليومية	ج ٢ ، ص ٣٧٤
١٧	بستان ست الشام	يقع شمال الجسر الأبيض مقابل	الحوادث اليومية	ج ٢،ص ٣٨٣

		المدرسة الحاجبية		
١٨	بستان الباسطي	يقع نواحي الغوطة وهو منسوب لبني الصمادي	الحوادث اليومية	ج٢،ص ٣٩٤ ، ٤٤٦، ٥٠٣ .
١٩	بستان القماحية	وهو مكان واسع وفسيح ، وهو من بساتين الوقف لأحد أغوات دمشق من بني الخالجي)	الحوادث اليومية	ج ٢،ص ٣٩٥
٢٠	بستان الأرناؤوط	اعتبره ابن كنان بأنه من أنزه الحدائق ، ومياهه كثيرة ، وفيه أنواع الفواكه عدا التوت ، وقد يكون نفسه المعروف باسم (بستان الباشا) بدليل أن بستان الباشا هو من أوقاف بني الأرناؤوط.	الحوادث اليومية المواكب الإسلامية	ج٢، ص ٣٩٦ ، ٤٣٤ ج١ ، ص ٢٨٥
٢١	حديقة البهنسي	تقع بحارة السكة ، وفيها مختلف أنواع الورود ، قريبة من نهر يزيد ، وتشتمل على سوق وحمام الزمرد	الحوادث اليومية المواكب الإسلامية	ج٢، ص ٣٩٩ ج ١ ، ص ٢٣٠.
٢٢	البستان الكبير	من نواحي حارة الشاغور غربي الخلخال ، على حافة نهر بانياس	الحوادث اليومية	ج ٢، ص ٤٢١، ٤٣٨
٢٣	بستان الزيبق		الحوادث اليومية	ج ٢،ص ٤٢٥
٢٤	بستان سقبا	وفيها مقام الصحابي عبد الله بن سلام	الحوادث اليومية	ص ٤٣٣، ٤٧٨، ٤٩٧ ، ٥٠٧ .
٢٥	بستان الدينارة	تقع بالغوطة ، غني بالمشمش الحموي، وهو على حافة نهر عقربا	الحوادث اليومية	ج٢،ص ٤٣٣ ، ٤٣٥، ٥٠٨
٢٦	بستان جريف		الحوادث اليومية	ج ٢، ص ٤٤٢

٢٧	جنينة البكري	تقع بقرية جرمانا بالغوطة ، ويقول ابن كنان أن هذه الجنينة كانت تعرف باسم الحديقة العجمية	الحوادث اليومية	ج ٢، ص ٤٤٤، ٥٠٨
٢٨	بستان الوادي	ويكون الطريق إليه من حمام السكاكري بجانب محكمة العونية ، وقد يكون الوادي التحتاني	الحوادث اليومية المواكب الإسلامية	ج ٢ ، ص ٤٤٤ ج١ ، ص ٣٩٨
٢٩	بستان شريبيشات	يقع شمال باب السريجة ، مقابل مقام الصحابي ذو مخمر الحبشي خادم الرسول عليه السلام	الحوادث اليومية	ج ٢ ،ص ٤٦٢
٣٠	بستان بهرام		الحوادث اليومية	ج ٢، ص ٤٦٩
٣١	بستاني السطر والسهم	كانتا من قرى دمشق ، ثم صارتا حدائق وبساتين ،وهي غزيرة المياه والأشجار المثمرة	الحوادث اليومية	ج ٢، ص ٤٧٩
٣٢	بستان سويد	وهو من جملة بساتين الوقف المنسوبة لبني الشويكي ، ويقع البستان شرقي مدرسة الصاحبة ، على حافة نهر يزيد	الحوادث اليومية	ج٢ ، ص ٥٠٩ .
٣٣	سفح قاسيون	وهو من المتنزهات المباركة ، وكان أكثر العلماء يوصون بالدفن فيه	المواكب الإسلامية	ج ١ ، ص ٣٧٠
٣٤	غيضة السلطان (غيضة حمد)	وهي وقف على الجامع الأموي، على حافة نهر بردى ، وهو مكان لصيد السمك	المواكب الإسلامية	ج ١، ص ٣٩٢، ٣٩٣
٣٥	الغوطة	كلها بساتين وقصور ، وتحيط بها الجمال العالية ،وهي كثيرة المياه، وهي من أنزه	المواكب الإسلامية	ج ١، ص ٣٩٣، ٣٩٥

		أماكن الدنيا		
٣٦	الدهشة	وهي مكان لا ينقطع التنزه إليها ، ولا توجد فيها مكان عمارة ، ويقول ابن كنان أنه لم يبق من الدهشة في زمانه إلا المروج التي تكون محاذية للأنهار	المواكب الإسلامية	ج ١، ص ٣٠٧
٣٧	الجبهة	وتشتمل على أشجار الصفصاف والجوز على حافة نهر بانياس ، وفيها عدد من المقاصف للبطالين (لمن ليس لهم عمل)	المواكب الإسلامية	ج ١ ، ص ٢٢٢ – ٢٢٩
٣٨	متنزه قطية	وهو مقصف للبطالين على نهر بردى ، ويشتمل على عدد من البرك والنواعير والبحرات	المواكب الإسلامية	ج ١ ، ص ٢٢٩

وهذه البساتين مُجتمعة في دمشقَ وضواحيها ، غنيّة جدا بالأزهار والورود ذات الألوان البهيّة الجميلة ، والتي لا يقل عددها عن خمسة عشر ألف نوع [١] ، وقد حرص ابن كنان على ذكر تلك الأزهار لما فيها من الفوائد الطبية ، وسيأتي ذكر تلك النباتات والأشجار ودورها في اقتصاد دمشق [٢] .

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣٢٠ .

(٢) انظر الفصل الرابع صفحة ٢٦٤ من الدراسة .

* **الأوضاع الصحيّة بدمشق :**

أَوْلىَ ابن كنان اهتمامه لتسجيل الحالات المرضيّة التي أصابت عدداً من الأهالي بدمشق وضواحيها ، وكانت معظم تلك الأمراض مُزمنة إلى درجة أنها تسبب الوفاة بين المصابين ، وهذه الأحوال الصحيّة لا تخرج عن نطاق الأحوال الاجتماعيّة ، وقد أعطى ابن كنان الصالحي ونتيجة لكثرة مطالعته لكتب الطبّ والأدوية التي استفاد منها في كتابه المسمى (المواكب الإسلامية) أعطى حلولا علاجيّة لبعض منها (١)، ومن تلك الأمراض : الإسهال ، والحمّى ، والقولنج ، والاستسقاء(٢) ، البارد ، الدقّ ، والجُدَري ، حتى ابن كنان نفسه تعرّض في حياته لعدد من الأمراض ، ومنها مرض الحمّى ، وبرئ منه (٣)، إلاّ أنه اشتدّ عليه مرض لم يسمّه أدى إلى وفاته ، وهو من أخطر تلك الأمراض التي فتكت بالدمشقيين على مرّ القرون هو مرض الطاعون والذي تسبب في إرباك الأهالي ووفاة أعداد كبيرة من الأطفال والنساء والرجال ، ونجد أن ابن طوق صاحب التعليق يسجّل حوالي مئتين وأربع عشرة حالة وفاة بدمشق بسبب هذا المرض ، وكلها حدثت في الأشهر: أيلول ، تشرين أول ، تشرين ثاني ، كانون الأول من سنة ٩٨٧هـ / ١٤٩١م ، وكان من بين هؤلاء المتوفين : بناته الصّغار الأربع (٤).

في حين ذكر ابن الحمصي الأنصاري (ت ٩٢٤هـ/ ١٥٢٧م)(٥) أنه في الفترة الواقعة بين شهري جمادى الأولى حتى آخر شهر ذي الحجة من سنة٩١٩هـ/ ١٥١٣م، توفي بالطاعون في مدينة دمشق وضواحيها ما يقرب من خمسة وسبعون ألفاً ، مِن بينهم ثلاثة آلاف في الصّالحية وحدها فقط (٦) ، وقد يكون هذا الرقم مبالغا فيه ، لكننا حرصنا على ذكره كما هو .

---

(١) انظر الصفحات ٢٢٢ – ٢٢٦ من الدراسة .

(٢) الاستسقاء: هو تجمع سائل مصلي في التجويف البريتوني ، الغزي، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٧٠ .

(٣) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ج ١، ص ٣٩٨ .

(٤) ابن طوق ، التعليق ،ج ٢ ، ص ٦٣١ ،٧٥٤، ١١٢١، ج ٣ ، ص ١١٢٣ - ١١٣٦ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ١٢٢ - ١٣٧ .

(٥) شهاب الدين أحمد بن محمد الأنصاري الحمصي الدمشقي ،عالم ومؤرخ ،اعتنى بالحديث وأخذ عن جماعة من المصريين والشاميين ،وتولى القضاء بالشام ومصر ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٢٠١ .

(٦) ابن الحمصي ، حوادث الزمان ، ج ٣ ، ص ٤٩٣ .

لم يكن لمرض الطاعون وقت أو زمن محدد ، وقد يظهر فجأة بين الأهالي ، أو ينتقل من البلاد الأخرى كبلاد الروم ، وأحيانا يكثُر ويشتدّ على الأهالي كما حدث في سنة ٩٨١هـ / ١٥٧٣م (١)، وفي شهر ذي القعدة من سنة ١١١٤هـ / ١٧٠٢م (٢)، وكذلك كان الطاعون شديداً في شهر ذي القعدة من سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م واستمرّ منذ أول الخريف حتى دخل الشتاء ، وكان الطاعون مخيّما في الشام وضواحيها (٣)، إلاّ أن شدّة هذا الطاعون ظهرت خلال أربعة أيام فقط (قبل عيد الفطر بيومين وبعده بيومين من سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م) حتى وصل الأمر بالبديري الحلاق أن يصف حالة دمشق بقوله : " وصار العيد يوم الجمعة ، فصار عيداً للأموات والأحياء ، لكنه للأموات أكثر ، فقبل عيد الفطر بيومين ، وبعده بيومين ، يخرج من كل باب من أبواب دمشق ممّن مات مطعوناً في كل يوم نحواً من ألف جنازة ، والعياذ بالله ، وهذا شيء ما سمع من عهد طاعون عمواس " (٤).

ذكر ابن كنان الصّالحي مِن جملة من ترجمَ لهم في يومياته ، وممّن توفّاهم الله بسبب مرض الطاعون حوالي سبع حالات وفاة ، وفيما يلي قائمة توضّح الأمراض التي أصابت أهالي دمشق في حياته :

---

(١) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ٣ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ص ٦١ .

(٣) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) ن م ، ص ٢٢٨ .

* الجدول رقم (٨) مرض الطاعون بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	نوع المرض	التاريخ : يوم/شهر/سنة	المتوفى/ المُصاب	الجـــــزء / الصفحة
١	الطاعون	الأربعاء٢٩/ذوالحجة/١١١٤هـ/١٧٠٢م	محمد بن الشيخ حسين الأكرمي الصالحي	ج ١،ص٦١
٢	الطاعون	الخميس ١٢/ذي الحجة/١١١٤هـ/١٧٠٢م	الشيخ عبد القادر الصمادي	ج١،ص٦٢
٣	الطاعون	الأحد ٤/محرم/١١١٥هـ/١٧٠٣م	عمر جلبي من كتاب المحكمة العسكرية	ج١،ص ٦٣
٤	الطاعون	الاثنين ٣ /صفر/١١١٥هـ/ ١٧٠٣م	قاسم آغا ابن قاسم آغا	ج١،ص٦٤
٥	الطاعون	الأحد ٢١/ربيع الآخِر/١١٢٠هـ/١٧٠٨م	قاسم الحبشي المغربي	ج١،ص١٤٠
٦	الطاعون	ليلة الجمعة ٢٩/ربيع الأول/١١٢١هـ/١٧٠٩م	الشيخ محمد البصراوي	ج١،ص١٥١
٧	الطاعون	الأحد ٢٣/ ذي القعدة/١١٤٤هـ/١٧٣١م	سعيد أفندي السّعسعاني	ج٢،ص٤٢٦

*الجدول رقم (٩) مرض الاستسقاء بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر / سنة	المتوفى	الجزء/الصفحة
١	الاستسقاء	الاثنين ١٣/جمادى الأولى /١١١٣هـ/١٧٠١م	الشيخ إسماعيل الحايك	ج١،ص٥١،٥٠
٢	الاستسقاء	١٩/صفر/١١٢٦هـ/ ١٧١٤م	الشيخ عثمان ابن الشمعة	ج١،ص٢١٨
٣	الاستسقاء	الأحد /٤/رمضان/ ١١٣٣هـ/١٧٢٠م	القاضي محمد بن أحمد الخياط	ج١،ص ٣٢٦
٤	الاستسقاء	ليلة السبت ٢٦/ ربيع الآخِر/١١٣٩هـ/١٧٢٧م	الشيخ بدر الدين النقشبندي	ج٢،ص ٣٧٧.

*جدول رقم (١٠) مرض الريح البارد بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر / سنة	المتوفى	الجزء / الصفحة
١	مرض الريح البارد	السبت ١/ رجب/ ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م	أصيب به من دون وفاة : والي دمشق حسين باشا الأشقر ، وهو أول يوم له بمنصبه ككافل لدمشق	ج ١،ص ٨٨
٢	مرض الرّيح البارد	الأحد ٣/شوال/١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م	الشيخ عبد الحق الصالحي المعروف بابن السكاكيني الدباغ	ج ١، ص ١٤٦

* جدول رقم (١١) مرض الدق بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر / سنة	المتوفى	الجزء /الصفحة
١	مرض الدقّ (وهو مرض السل)	الثلاثاء ١٧/رجب /١١١٨هـ/١٧٠٦م	عبد الكريم أفندي ابن حمزة النقيب	ج١، ص ١١٥
٢	مرض الدق	آخر شهر صفر /١١١٢٣هـ/١٧١١م	أحمد جلبي ابن عبادة	ج١ ، ص١٧٨
٣	مرض الدق	في وسط شهر ربيع الآخِر/١١٢٥هـ/١٧١٣م	الأديب الشاعر أسعد جلبي ابن عبادة	ج ١، ص٢٠١
٤	مرض الدق	الأحد ٢٨/ذي الحجة/١١٤٢هـ/١٧٢٩م	إبراهيم بن محمد أفندي ابن مراد اليزبكي	ج ٢، ص ٤٠٢

* جدول رقم (١٢) مرض القولنج بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر / سنة	المتوفى	الجزء/ الصفحة
١	مرض القولنج	السبت ١ / رمضان/١١٢٢هـ/ ١٧١٠م	حسين بن شعبان ، وهو خادم والد محمد بن كنان	ج ١، ص ١٦٥

*جدول رقم (١٣) مرض الحمّى بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر / سنة	المتوفى	الجزء / الصفحة
١	الحمّى	الاثنين ٢٠/ذو القعدة/١١٢٧هـ/ ١٧١٤م	الشيخ عبد الله البقاعي الشافعي	ج ١ ، ص ٢٤٥
٢	الحمّى	السبت ١٧/محرم/ ١١٣٢هـ/ ١٧١٩م	الشيخ محمد السفرجلاني الشافعي	ج ١، ص ٣١٠

*جدول رقم (١٤) مرض الفالج [١] بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر / سنة	المتوفى	الجزء /الصفحة
١	الفالج	الخميس ١٠/ربيع الأول/١١٣٩/١٧٢٧م	الباشا أبو طوق	ج ٢ ، ٣٧٦
٢	الفالج	السبت ١٢/ربيع الآخِر/١١٣٩هـ/١٧٢٧م	فتح الله جلبي الداديخي	ج٢ ،٣٧٧

*جدول رقم (١٥) مرض الدم والإسهال معا (المتحالف) بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر /سنة	المتوفى	الجزء /الصفحة
١	مرض الدم	الثلاثاء ٦ /شوال/١١١٥هـ/١٧٠٣م	أحمد جلبي الأسطواني	ج ١،ص ٨٤
٢	مرض الدم والإسهال معا ، أسماه ابن كنان بالمرض المتحالف	ليلة السبت ٢٥/رجب/١١٢٣هـ/ ١٧١١م	محمد أمين ،وهو ابن محمد بن عيسى بن كنان	ج١ ، ص ١٨١
٣	مرض الدم والإسهال معا (المتحالف)	السبت ١٥/ذي الحجة / ١١٢٥هـ/١٧١٣م .	حسين أفندي قاضي الشام ، والمعروف باسم " وزير زاده"	ج١ ،ص٢٠٥

*جدول رقم (١٦) مرض الإسهال بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر / سنة	المتوفى	الجزء / الصفحة
ا	الإسهال	الاثنين آخر شهر المحرم/١١١٢هـ/١٧٠٠م	يوسف أفندي الحنفي	ج ١،ص٣٤.
٢	الإسهال	الأربعاء ٥/ ذو القعدة/١١٣١هـ/١٧١٨م	شمس الدين محمد بن علي الكاملي	ج ١، ص ٣٠٧.

---

(١)وهو مرض يعطّل حركة الإنسان ، المحبّي ، خلاصة الأثر ، ج ١،ص ٣٠١.

*جدول رقم (١٧) المرض العام بدمشق من خلال كتاب الحوادث اليومية :				
الرقم	المرض	التاريخ : يوم / شهر / سنة	المتوفى	الجزء /الصفحة
١	المرض العام	الأربعاء ٤/ ربيع الأول/١١١٥هـ/١٧٠٣م	سليمان القادري	ج١، ص ٦٥
٢	المرض العام	الأربعاء أواسط شهر ربيع الأول/١١١٥/١٧٠٣م	محمد بن الحاج عبد المحسن ابن عويدات	ج ١،ص٦٦
٣	المرض العام	في شهر ربيع الأول /١١٣٢هـ/١٧١٩م	السيد ترزي إسحق	ج١،ص٣١٢
٤	المرض العام	الاثنين ٢٥/ربيع الثاني /١١٣٢هـ/١٧١٩م	رفيع اليزبكي النقشبندي	ج١، ص ٣١٤
٥	المرض العام	الاثنين ٢٠/رجب/ ١١٣٢هـ/١٧١٩م	معتوق جلبي بن الشيخ عبد الجليل الأكرمي الصالحي	ج ١،ص ٣١٦
٦	المرض العام	٨ / شعبان/١١٣٢هـ/١٧١٩م	محمد آغا بن عمر الناشفي	ج ١،ص٣١٨
٧	المرض العام	الخميس ٣/ ذو الحجة/ ١١٤٤هـ/١٧٣١م	الشيخ علي العراقي	ج٢، ص٤٢٦

حرص ابن كنان على تسجيل عدد من الحالات المرضية التي أصابت المجتمع الدمشقي ، وحصدت أرواح الناس ، مما كان لها أثرها الكبير على أحوال الأهالي الاجتماعية والاقتصادية ، ويبدو أن معظمها جاء من خلال التجار والحجاج القادمين من بلاد شرق آسيا الهنود ، ومن بلاد الروم ، واحتكاكهم مع أهالي دمشق ، والسكن في قيساريات المدينة وخاناتها ، فكان مدعاة لتفاقمها بينهم ، ولا سيما الطاعون ، فكان هذا المرض من أكثرها فتكا وخطورة ، إلى جانب المرض العام (مرض الانفلونزا) ، وأسماء المتوفين التي رصدها ابن كنان والتي بلغت أربعة وثلاثين اسماً لا تعني مجمل الأعداد الذين توفّوا بهذه الأمراض؛ فمن المؤكد أن تكون هناك أسماء أخرى كثيرة ، فابن كنان تعمّد إلى اقتصارها على المقرّبين منه ، مثل ولده (محمّد أمين) المتوفى بمرض الإسهال والدم (المتحالف) ، و (حسين بن شعبان) خادم والده ، المتوفى بمرض القولنج ، فضلاً عن أصحاب الوظائف المهمة في الدولة كالقضاة والولاة (حسين باشا الأشقر والي دمشق) ، و المدرسين والعلماء وأصحاب الطريقة الخلوتية ، والنقباء ، وكبار العسكر من الأغوات ، وذوي الوظائف الإدارية مثل (عمر جلبي) من كتبة المحكمة العسكرية ، المتوفى بمرض الطاعون .

لم يُشِر ابن كنان إلى أي طريقة اتبعتها الدولة جرّاء تفاقم تلك الأوبئة والأمراض ، ولم يذكر شيئا عن الأطباء بدمشق وأسمائهم ، كما لم ترد عنده أي معلومة تختص بالمشافي والبيمارستانات ، لكنّه اكتفى بالطب البديل الذي يعتمد على الأعشاب والنباتات التي تساعد

قليلا في التخفيف من آلامها بعد إصابة المريض بها [1] ، الأمر الذي يعطي مؤشرا قويّا على إهمال السلطة للأوضاع الصحية ، ويبدو بأنه لم يكن لها علاقة بالصحة والعلاج ! .

ومما لاشك فيه أيضاً أنّ هناك أمراض أخرى كانت موجودة في دمشق غير التي ذكرها ابن كنّان ، ولكن حرصنا على إفراد ما تناوله منها فقط .

* المظاهر العمرانيّة بدمشق :

عرفت دمشقُ بعددٍ من المنشآت العِمرانية التي تتصف بالفخامة ، و التي تدلّل على عظمة المدينة ومكانتها الحضاريّة من بين المدن في البلدان الأخرى ، فظهر فيها المِعماريّون المّاهرون بأعمال التصميم والبناء ، وهؤلاء قد يكونوا قد استفادوا من موقع مدينتهم التي شكّلت عامل جذب للصنّاع والحرفيين الذين قدِموا من مُختلف البلدان ، واستوطنوا دمشقَ ، فأنشأوا فيها العمارات والأسواق وغيرها ، فهذه المدينة بضواحيها المترامية ، تزخر مثلا : بالحمّامات التي يرتادها الأهالي في مناسباتهم كالزواج أو الخِتان ، أو بعد ولادة المرأة ، أو في أحوالهم العادية ، ويرتادها الرّجال والنساء كلّ على حده ، فهناك حمّامات تختصّ بالرجال ، وحمّامات أخرى تُعنى بالنساء ، ولكل منها موظّفيها القائمين عليها ، والمسؤول عن الحمّام يسمّى المعلّم[2] ، والذين يهتمون لأمور زبائنهم ، من حيث الاستقبال ، أو تقديم المساعدة عند الاستحمام ، وغير ذلك مما يلزم القيام به ، ويبدو أن هذا النوع من المنشآت المِعمارية قد تكون ناتجة عن التأثر بالأمم والشعوب الأخرى ، لا سيما من الحضارات الرّومانية واليونانية ، حتى توالت على مختلف العصور اللاحقة من الأمويين والعباسيين وغيرها [3] ، فضلاً عمّا اشتهرت به هذه المدينة من المنشآت العمرانية الأخرى كالجوامع والمساجد الكثيرة ، والتي قد تشير كثرتها إلى حجم الكثافة السكانية فيها ، وكان من أشهر تلك الجوامع هو جامع بني أمية ، وهو الجامع الذي سمّاه ابن كنان في معظم صفحات مؤلفاته بالجّامع الكبير ،

---

(١) انظر الجدول رقم (٢٧) صفحة ٢٢٢ من الدراسة .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢، ص ٣٦١ ، ٣٨٥ .

(٣) كيال ، منير ، الحمامات الدمشقية وتقاليدها ، د . م ، د . ط ، ١٩٦٤م ، ص ٦ ، ٧ ، ١٤٧ ، وسيشار إليه : كيال ، الحمامات الدمشقية / انظر ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٥٠ .

للدلالة على أنه من أكبر جوامع دمشق وأشهرها ، عدا عن البيوت الدمشقية والقصور ، والتي غالباً ما تعود مُلكيتها للخواص من الناس ، أو قلة من أهل العامة من أصحاب العلم والتجارة ، وعلى ذلك فإننا سنتناول في هذه الدراسة الجوانب المعمارية المتعلقة بذكر كل من : الحمّامات ، الجوامع والمساجد ، والعمارات في دمشق ، وذلك من خلال مؤلفات ابن كنّان .

- الحمّامات:

أشار ابن كنان أن أصحابها يحرصون على بنائها في مناطق واسعة ، بهيّة المنظر ، وبالتالي فأنهم يتكلفون كلفة كبيرة عند إنشائها ، وتقام على مقرُبة منها الأسواق والحوانيت ، مثل : حمّام الذهبية ، الذي كان قبل ذلك مكاناً لبيع الذّهب قبل أن يُهدم سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م (١) وعلى ذلك ؛ فأن أصحاب تلك المحال ، يستغلّون وجود هذه الحمّامات ، فهي تعتبر أماكن يتزاحم فيها الناس ، وتنشط فيها حركتي البّيع والشّراء ، وغالبا ما يحرص أصحابها على العناية بها وتجديدها ، وتوسعتها ، نظراً للإقبال المتزايد عليها ، فقد كانت من المنشآت التي يفتخر بها الدمشقيون ، وهو ما جاء على لسان خليفة بني أمية الوليد بن عبد الملك (٢)الذي خاطَب أهلَ دمشق بقوله : " تفخرون على الناس بأربع خِصال ،تفخرون بمائكم، وهوائكم ،وفاكهتكم ، وحمّاماتكم ، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامسة (وهو ما قصد به الجامع الأموي) (٣)" ، وعند دراستنا لمؤلفات ابن كنان ، تبيّن لنا أن معظم هذه الحمّامات كانت تلحق إمّا بالمدارس أو الجوامع لتكون من أوقافها ، مثل : حمّاما السلسلة الصّغير والكبير، فالحمّام الصغير موقوف على ذريّة آل الغزّي بدمشق ، بينما يعتبر نصف الحمّام الكبير وقفا خاصا للمدرسة السميساطية ، ونصفه الآخر يكون للقائمين على بنائه من أصحابه (٤) ، ومن بين تلك حمّامات الوقف أيضا ما يسمى (حمّام الملكة) الموقوف على الحرمين الشريفين (٥) ، وقد سجّل ابن كنان عددا من الحمّامات الدمشقية التي سبق وأن بُني قسماً

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(٢) من خلفاء بني أمية، ومدة خلافته ٩ سنوات و ٨ أشهر (ت٩٥هـ/٧١٤م)، الطبري ،محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)،تاريخ الرسل والملوك،١١ج،دار التراث،بيروت،ط٢،١٩٦٧م،ج٦،ص٤٢٣-٤٢٧.

(٣) كيال ، الحمامات الدمشقية ، ص ٧ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٥) ن م ، ج٢ ، ٣٥٩ .

منها في أزمنة سالفة ، وبيّن ما تعرّض منها للخراب ، وأضاف أيضا ما قد أنشِئ مِنها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، وهذا الجدول يوضح لنا كل ما ذكره الصّالحي من الحمّامات بدمشق :

* جدول رقم (١٨) الحمّامات الدمشقية عند ابن كنان :				
الرقم	**الحمّام**	**ملحوظات**	**المصدر**	**الجزء / الصفحة**
١	حمّام الذهبية	حلّ محل حانوت لبيع الذهب والحلي ، وبطل هذا الحانوت سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٥م، وبني هذا الحمام في شهر شوال ١١١٢هـ/١٧٠٠م ، وهو وقف للجامع الأموي، وبناه عبد المعطي الفلاقنسي	* الحوادث اليومية . * المواكب الإسلامية.	* ج ١، ص ٣٩، ٤٠، ١٧٤. * ج ١ ، ص ٤١٥، ٤١٤ .
٢	حمام السلسلة الصغير	وكان حماما صغيرا ، ثم تم توسيعه وتجديده سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م، وهو من حمامات الوقف لبني الغزّي	الحوادث اليومية	ج ١، ص ٤٠
٣	حمّام السلسلة الكبير	وهو من حمامات الوقف ، نصفة للخانقاه السميساطية ، والنصف الآخر لأربابه	الحوادث اليومية	ج ١، ص ٤٠
٤	حمام عبد الباسط الظاهري	وهو من حمامات الوقف الأهلية وليس للخانقاه أو المدرسة الباسطية ،وبقي في عصر ابن كنان .	* الحوادث اليومية . * المروج السندسية . * المواكب الإسلامية.	* ج ١، ص ١٧٨. * ص ٣٠ . * ج ١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٨ .
٥	حمّام الكاس	وتعرض للخراب والزوال سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م	* حوادث يومية. * المواكب الإسلامية . * المروج السندسية.	*ج١،ص٢٢٠/ج٢،ص٤١٦. * ج ١ ، ص ٢٣٢ . * ص ٣١ .
٦	حمّام الحاجب	بناه الأمير محمد بن مبارك صاحب المدرسة الحاجبية المتوفى سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م، وهو في زمن ابن كنان ملك لأحد كتّاب المحكمة العربية (إبراهيم جلبي ابن شاهين) ، قرب دير الحنابلة	* حوادث يومية. * المروج السندسية. * المواكب الإسلامية .	* ج١ ، ص ٢٣٧ . * ص ٣٠ . * ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨ .
٧	حمّام ركاب	ويقع جنوب سوق البزورية في حارة الدقاقين .	الحوادث اليومية	ج١،ص ٣٠٠

٨	حمّام ملكة	أنشئ في شهر شوال سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٤م، وهو من حمامات الوقف على الحرمين الشريفين، وصفه ابن كنان " من أحسن حمامات دمشق"	الحوادث اليومية	ج٢، ص ٣٥٩، ٣٦١.
٩	حمّام الخيّاطين	أنشأه الباشا إسماعيل العظم ، وقد بدئ العمل به في شهر جمادى الأولى ١١٣٩هـ/١٧٢٧م ، واكتمل في ١٨/ محرم/١١٤٠هـ/١٧٢٨م	الحوادث اليومية	ج ٢،ص ٣٧٨، ٣٨٥
١٠	حمّام الخراب	اكتمل بنائه يوم الجمعة ١/محرم/١١٤١هـ/١٧٢٩م، وكان في وقته غاية في الحسن والنضارة	الحوادث اليومية	ج٢ ،ص ٣٨٩، ٥٠٠.
١١	حمّام ابن عليمة	ويقع إلى الشرق من جامع الأفرم ، ويعتقد أنه من أوقافه ، وقد يكون تعرض للخراب منذ زمن عمارة جامع الأفرم سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م	الحوادث اليومية	ج٢، ص ٤٢٢، ٤٢٣.
١٢	حمّام المرادنية	أنشأه الباشا سليمان العظم في شهر محرم من سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م	الحوادث اليومية	ج٢، ص ٤٦٥ ، ٥٠٠ .
١٣	حمّام الزمرد	ويقع في محلة النيرب في الصالحية ، وقد تعرض للخراب والزوال	* المروج السندسية . * المواكب الإسلامية .	* ص ٣٠ ، ٦٦ . * ج ١ ، ص ٢٣١ .
١٤	حمّام الشبلية	من حمامات الصالحية	* المروج السندسية . * المواكب الإسلامية.	* ص ١١ ، ٣٠، ١٠٧. * ج ١ ، ص ٢٣٢ .
١٥	حمّام مقرى	من حمامات الصالحية، وهو حمام صغير ، وتعرض للخراب زمن ابن طولون الصالحي.	* المروج السندسية. * المواكب الإسلامية.	* ص ١٣ ، ٣٠ ، ٣١ . * ج ١، ص ٢٣٢ .
١٦	حمّام الزهر	تعرّض للخراب ، وأصبح مكانه	* المروج	* ص ٣٠ ، ٣١ .

		جنينة الناصري محمد بن تاج الدين	السندسية. * المواكـــــــب الإسلامية .	* ج ١، ص ٢٣٢ .
١٧	حمّام العلائي	وصفه ابن كنان بأنه من الحمامات الجيدة، وقد دخله ابن كنان ، ولكن تعرض للخراب في حياته	* المـــــــــروج السندسية. * المواكـــــــب الإسلامية .	* ص ٣٠ ، ٣١، ٤١. * ج ١ ، ص ٢٣٢ .
١٨	حمّام الركنية	وقد تعرّض للخراب زمن ابن طولون .	* المـــــــــروج السندسية. * المواكـــــــب الإسلامية.	* ص ٣٠ . * ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨.
١٩	حمام القاضي حمزة		* المـــــــــروج السندسية . * المواكـــــــب الإسلامية.	* ص ٣٠ . * ج ١ ، ص ٢٣٣.
٢٠	حمّام ابن العيني	وهو خارب وتهدم	* المـــــــــروج السندسية . * المواكـــــــب الإسلامية .	* ص ٣٠ . * ج ١ ، ٢٣٤ .
٢١	حمّام العرايس	قرب زقاق الشهابية من جهة الجنوب الشرقي ، وهو من الحمامات التي بقيت زمن ابن كنان	* المـــــــــروج السندسية . * المواكـــــــب الإسلامية.	* ص ٣٠ . * ج ١ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٨.
٢٢	حمّام العفيف	وهو من الحمامات التي كانت في عصر ابن كنان	* المـــــــــروج السندسية. * المواكـــــــب الإسلامية.	* ص ٣٠، ٣١ . * ج ١ ، ص ٢٣٥ ،٢٣٨.
٢٣	حمّام المقدم	من حمامات الصالحية بالقرب من مسكن ابن كنان ، وهو من الحمامات التي استمرت في عصر ابن كنان	* المـــــــــروج السندسية . * المواكـــــــب الإسلامية .	* ص ٣١ . * ج ١ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٨.
٢٤	حمّام النحاس	نسبة لبانيه الأمير النحاس الظاهري .	* المـــــــــروج السندسية . * المواكـــــــب الإسلامية .	* ص ٣٠ . * ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨.

٢٥	حمّام الخواجا إبراهيم	وهو من الحمامات التي تعرضت للخراب قبل عصر ابن كنان .	* المـــروج السندسية . * المواكـــب الإسلامية .	* ص ٣١ . * ج ١ ، ص ٢٣٦ .
٢٦	حمّام الجورة	وهو لصيق قبر الشيخ ابن عربي ، وتعرض للهدم زمن السلطان سليم بن أبي يزيد ، المتوفى سنة ٩٢٦هـ/١٥٢١م	* المـــروج السندسية . * المواكـــب الإسلامية .	* ص ٣١ ، ٩١، ٩٢. * ج ١ ، ص ٢٣٦ .
٢٧	حمّام الربوة / أو حمام النزهة	وهو من بين الحمامات التي بقيت في عصر ابن كنان	*المواكـــب الإسلامية * المـــروج السندسية	*ج ١ ، ص ٢٢٧ ، ٢٣٨. * ص ٣١
٢٨	حمّام بيت القاضي كمال الدين	وهو من الحمامات الخاصة التي أقيمت في البيوت	* المـــروج السندسية . * المواكـــب الإسلامية .	* ص ٣١ . * ٢٣٧ .
٢٩	حمّام بيت الحريري / أو الجرودي .	وهو من الحمامات الموقوفة على آل الحريري ، وهو من الحمامات الخاصة .	* المـــروج السندسية . * المواكـــب الإسلامية .	* ص ٣١ . * ج ١ ، ص ٢٣٧ .
٣٠	حمّام في بيت عند حمّام المقري		* المـــروج السندسية . * المواكـــب الإسلامية .	* ص ١٣، ٣٠. * ج ١، ص ٢٣٢، ٢٣٧.
٣١	حمّام الحنفي		* المـــروج السندسية. * المواكـــب الإسلامية .	* ص ٣٠ . * ج ١ ، ص ٢٣٥ .
٣٢	حمّام ابن السلطان	من الحمامات التي استمرت زمن ابن كنان .	المواكـــب الإسلامية	ج ١ ، ص ٢٣٨ .

٣٣	حمّام الحموي	قرب مسجد القصب باتجاه باب السلام بدمشق.	حدائق الياسمين	ص ٢٠٦ .

لم تكن الحمامات التي ذكرها ابن كنان تعني كل حمامات دمشق ، وإنما هناك حمامات أخرى كثيرة لم يذكرها ، وكثرتها يؤشر إلى الحجم الكبير لسكان دمشق وريفها في تلك الفترة ، ومن خلال القراءة للجدول السابق ، يتبين أن بناءها يعود للزمن المملوكي ، وبعض منها أصابها الخراب زمن الدولة العثمانية ، مما يعني قلة اهتمام العثمانيين بها ، سواء بناء أو ترميم لها ، بالرغم من قيام ولاة دمشق من آل العظم ببناء اثنين منها ، (إسماعيل العظم وبنى حمام الخياطين سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م ، وسليمان باشا العظم بنى حمام المرادنية سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م) ، كما أن بعضها من أعمال الوقف المنسوبة لأسر بعينها مثل : (حمام ابن عليمة ، وحمام بيت الحريري ، وحمام الحموي) ، بالإضافة إلى حمامات أخرى خاصة أقيمت في بيوت القضاة مثل :(حمام القاضي كمال الدين ، وحمام المقري) ، الأمر الذي يعطي دلالات على الحياة الاجتماعية في دمشق .

- الجوامع والمساجد الدمشقية :

لقد حَرص ابن كنان الصالحي على ذكر أسماء المساجد والجوامع بدمشق وضواحيها ، وغالبا ما يذكرها عندما يترجم للوفيات من العلماء والشيوخ وغيرهم من أرباب الدولة العثمانية في المدينة ، حيث تقام صلاة الجنازة ، قبل أن تنقل إلى المدافن لتوارى جثامينهم الثرى ، وقد تُبنى المساجد من قبل الأهالي من أصحاب الخير ، أو من الرسميين ، ومن أشهر الجوامع في بلاد الشام عامة ، ودمشق خاصة ، الجامع الأموي ، وقد عيّن له عدداً مِن الأئمة والخطباء والوعّاظ ، أما الأئمة فمنهم من كان يتقاضى أجرا لقاء إمامته بالمصلّين ، ويُعرفون باسم الرواتب ، وبعضهم من كان يؤمّ بالناس دون مقابل ، ويُعرفون باسم الأئمة الحسبيّة ، وقد ذكر ابن كنان طرق الصّلاة في هذا الجامع ، ابتداءً من سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م ، حيث كان يصلّي الظهر والعصر الشافعية أولا ، ثم الحنفية ، ثم الحنبلية ، في حين أن صلاة الصبح ، يقوم بالصلاة فيها الشافعية ثم المالكية ثم الحنفية ثم الحنابلة [١] ، وقد تعرّض الجامع للحرق بسبب الفتنة بين مؤيدي الخلافتين الفاطمية والعباسية ، وأدت هذه الفتنة التي

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١، ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

اشتعلت بين الطرفين سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م إلى احتراق دار الإمارة ، ووصل الحريق إلى الجامع الأموي ، ووصلت النار إلى المئذنة الشرقية للجامع ، كما أنه لم يبقَ من الجامع سوى جدرانه الأربعة (١) ، كما تعرضت مئذنته الغربية أيضا للحرق نتيجة الحرب التي أشعلها (تيمورلنك (٢)) على الشام في سنة ٨٠٢ هـ/١٣٩٩م ، وترتب على هذه الواقعة أن تعطلت أوقاف الجامع ، ولم يتحصّل المتعينين على خدمته أي شيء من أجورهم وأرزاقهم ، فنجدهم يأخذون رواتبهم وعلوفاتهم شهرا بعد شهر (٣) .

وفيما يلي جدولٌ للجوامع والمساجد التي ذكرها ابن كنان في دمشق :

***جدول رقم (١٩) الجوامع والمساجد في دمشق من خلال مؤلفات ابن كنان :**

الرقم	الجامع / المسجد	ملحوظات	المصدر	الجزء/ الصفحة
١	الجامع الأموي/ الجامع الكبير	وكان الجامع زمن ابن كنان يحتوي على طلاسم لمنع دخول الحشرات إليه ، وكذلك لمنع دخول البق والبعوض ، والخنافس والحيّات والعقارب والوطواط	* الحوادث اليومية. * المواكب الإسلامية . * حدائق الياسمين .	* ج ١،ص٢٨، ٣٧، ٣٩، ٦٠، ٦٤، ٨٠، ٨٤،١٠٧، ١٣٧، ١٩٧، ٣٠٧،٢٨٣،٢٣١،ج٢،ص٣٥٥،٣٥٢، ٣٧٠، ٣٧٧، ٤٨٠. * ج ١ ، ص ٤١٢، ٤١٣ ،ج ٢،ص ٣٤٤ ، ٤٠٤ . * ص ٢٠٦ ، ٢١١ ، .
٢	جامع الورد		الحوادث اليومية	ج ١، ص٢١، ١٧٨،١٤٣ ، ج٢، ص ٤٦٧ .
٣	جامع السليمية	نسبة للسلطان سليم (ت ٩٢٤هـ/١٥١٨م) ، وقد بناه سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وفيه ضريح محيي الدين بن عربي	* الحوادث اليومية. * حدائق الياسمين. * المروج السندسية	ج١،ص ٢٩، ٣٦، ٥٧، ٦٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٦٠،١٣٩، ٢٣٣،١٨٢. * ص ٢٢٠ . * ص ٥٤ .

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية،ج١، ص ٤٠٥ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٢) ويلقّب بالأعرج لجرح أصابه وهو يسرق الغنم ، ثم لقّب بالسلطان سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م،وعُرف بالذكاء والشجاعة غزا بلاد فارس والعراق ودخل بلاد الشام واستولى على حلب وحمص وحماه وبعلبك ودمشق سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م ، وتوفي في سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م ، دائرة المعارف الاسلامية ،ج ٦، ص ١٥٩-١٦٣ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٦١٨ .

٤	الجامع المظفري	ويسمى بجامع الجبل أو جامع الحنابلة ، بناه الأمير مظفر الدين كوكبري سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م	* الحوادث اليومية * المروج السندسية	* ج١ ، ص ٣٠ . * ص ٥٣ ، ٨١-٨٦
٥	جامع التوبة	بناه الملك الأشرف موسى بن العادل سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م	الحوادث اليومية	ج١،ص ٣١،،٢٣٠،١٦،١٦٥،١٤٦،١١٢،٣٨ ٢٤٢،٩،ج٢،ص٤١،٣٩١ ، ٤٦٩، ٤٧١.
٦	جامع المصلى		الحوادث اليومية	ج١ ، ص٥١، ١٠٥،١٣٨ ،ج٢،ص ٣٧٢
٧	جامع يلبغا	نسبة للأمير سيف الدين يلبغا الناصري سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م	* الحوادث اليومية . * المواكب الإسلامية	* ج١ ، ص ٥١، ١٥٠. * ج ١ ، ص ٢٤٧.
٨	جامع الخاتونية	نسبة إلى (خاتون عصمة الدين) زوجة صلاح الدين ، ويقع بالصالحية	الحوادث اليومية	ج ١، ص٥٣،١٠٠ ،١٠١، ١٣١، ١٤٧،١٧٩،٢٠٢،٢٣٦
٩	جامع الحنابلة		الحوادث اليومية	ج ١، ص ٥٥
١٠	جامع السنانية	نسبة إلى الأمير سنان باشا في الحارة التي عرفت باسمه حارة السنانية	الحوادث اليومية	ج ١،ص ٨٣، ١١٩، ٢٤٥، ٣١٣ ، ج ٢، ص ٣٦٩، ٣٩٩، ٤٩٨.
١١	جامع حسان	بني سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م	الحوادث اليومية	ج١،ص٣١٨، ٣١٩ .
١٢	جامع المرادية	بناه والي دمشق مراد باشا سنة ٩٨١هـ/١٥٧٣م	الحوادث اليومية	ج١،ص١٣٢،
١٣	جامع الخنكار		* الحوادث اليومية * حدائق الياسمين	* ج٢، ص ٣٦٤ . * ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
١٤	جامع الحيواطية	بناه مكي بن حيواط سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م	الحوادث اليومية	ج١،ص ١٣٣
١٥	جامع الآغا	بناه سنان آغا سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م، بالمناخلية ، وهو غير	الحوادث اليومية	ج ١،ص١٤٠ ، ٢٩٩.

		سنان باشا الذي تقدّم ذكره صاحب جامع السنانية.		
١٦	جامع تنكز خان	بناه الأمير سيف الدين تنكز المتوفى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، وهو الجامع الوحيد في الشام الذي يجري فيه نهر (نهر بانياس) ، وهو مكان للتنزه أيضا	* الحوادث اليومية . * المواكب الإسلامية. * حدائق الياسمين.	* ج١،ص١٥٠، ٢٤٤ . * ج ١ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢. * ص ٢١٩ .
١٧	جامع البردبكي	وهو على نهر بردى، وله ثمان شبابيك	* الحوادث اليومية . * المواكب الإسلامية.	* ج ٢، ص ٥٠٢. * ج ١ ، ص ٢٤٨ .
١٨	جامع الماردانية	وكانت تقام فيه الخطبة زمن ابن كنان .	* الحوادث اليومية . * المروج السندسية	* ج١،ص١٦٥ . * ص ٥٤ .
١٩	جامع الشيخ محيي بن عربي	وهو مقام عند ضريحه بالصالحية	* الحوادث اليومية. * المواكب الإسلامية.	* ج١،ص٢٢٤ . * ج ١ ، ص ٢٧٧ .
٢٠	جامع الأمير جراح		الحوادث اليومية	ج١،ص٢٣٥، ٣٠٨.
٢١	جامع الأفرم	بني سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م ، وكانت تقام فيه صلاة الجمعة وصلاها ابن كنان ، لكن بطلت فيما بعد آخر حياته	* الحوادث اليومية . * المروج السندسية	* ج١، ص٢٥٣ ، ج ٢،ص ٤٢٢. * ص ٥٣ .
٢٢	جامع البزوري		الحوادث اليومية	ج٢ ، ٤٢٤.
٢٣	جامع عبد الغني	وبنيت تكريما لروح الشيخ النابلسي بالقرب من	الحوادث اليومية	ج ٢ ، ص ٤٣٨ .

	النابلسي	داره بالصالحية شرقي المدرسة الحاجبية ، وهو ملاصق لتربته ، وفيه ثمان شبابيك من الحديد وتطل على جناين ، وبني سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م		
٢٤	جامع منجك	وهو من بناء الأمير ناصر الدين منجك سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م بالصالحية، ويعرف باسم جامع السادات.	* الحوادث اليومية . * المواكب الإسلامية.	* ج١،ص٢٥٨،ج٢،ص٤٤٤،٤٣٥ * ج ١ ، ص ٢٨٥ .
٢٥	جامع النطاعين		الحوادث اليومية	ج ١، ص ٢٩٩.
٢٦	جامع المعلق	بالأبارين	الحوادث اليومية	ج ١، ص ٣٠٥
٢٧	جامع درويش	بناه الوالي درويش باشا سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م	الحوادث اليومية	ج ١، ص ٣١٣، ٣٦٠.
	جامع العرودكي	ويقع بالصالحية ، وينسب إلى الشيخ أبي بكر العرودكي المتوفى سنة ٧٦٢هـ/١٢٧٣م	* المواكب الإسلامية . * المروج السندسية .	* ج١ ، ص ٢٧٧ . * ص ٥٠ .
٢٨	جامع الحشر		الحوادث اليومية	ج ٢، ص ٣٩٨.
٢٩	مسجد النارنج	ويقول محقق الكتاب أنه اليوم مبنى للشرطة.	الحوادث اليومية	ج١،ص١٠٥،١٣٢،١٨٧ ، ج٢،ص ٣٥٥.
٣٠	مسجد العجلوني	وبني تكريما لروح الفقيه الصوفي محمد الشافعي العجلوني ،المتوفى سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م.	الحوادث اليومية	ج ٢ ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .
٣١	مسجد القصب		حدائق الياسمين	ص ٢٠٦ .
٣٢	مسجد القرماني	يقول محقق الكتاب أنه لا يوجد مسجد بهذا الاسم ، ولعلّ ابن كنان يقصد مسجد المارداني	الحوادث اليومية	ج ١، ص ١٠١، ٢٩٨.
٣٣	مسجد العدّاس	وهو من مساجد السلطنة المملوكية ، ولا يزال حتى اليوم	الحوادث اليومية	ج١،ص٢١٨ ، ج ٢ ، ص ٣٧١، ٣٧٢.
٣٤	مسجد الكنجلي	في ميدان الحصى	الحوادث اليومية	ج١ ،ص٢٩٧، ٢٩٨
٣٥	مسجد القربي	ويقع في حارة الشاغور	الحوادث اليومية	ج١ ، ص ٢٩٧.

٣٦	مسجد البحصة		الحوادث اليومية	ج١،ص ٢٩٨
٣٧	مسجد امرأة	وهو من المساجد التي بقيت زمن ابن كنان	المروج السندسية	ص ٥٩ .

حرص ابن كنان على ذكر الجوامع والمساجد التي توزعت على حارات دمشق المختلفة ، ويأتي حرصه في ذكرها على ثقافته الصوفية الخلوتية المتديّنة ، وقد بني بعضها بجانب التُرب والأضرحة التي تعود للصوفيين وأصحاب الكرامات ، وهي مساجد تتوزع على المذاهب الأربعة ، وكثرة الجوامع والمساجد يدل على حجم الكثافة السكانية بدمشق ، ولها أهمية لإلقاء بعض الدروس والخطب ، كما يعد بعضها مسكنا لطلبة العلم والمدرسين .

- البيوت والقصور الدمشقيّة :

إن هذه المنشآت العمرانية الفخمة بدمشق تكاد تكون محصورة فقط على أصحاب الثروة والمال وأصحاب الإقطاعات الواسعة ، فهم يتفنّنون بطريقة بنائها ، ويختارون الموقع الملائم لإنشائها ، وتشتمل على عدد من الغُرف المدهونة بأجود أنواع الدهانات ، والمزخرفة بالنقوش والكتابات ، ومثال تلك البيوت العظيمة بدمشق: دار عبد المعطي الفلاقنسي ، والتي احتوت على كثير من أنواع الأزهار والأشجار ، عدا عن البحرات والنوافير ، وهذه الدار لا تكاد تخلو من أجود الأطعمة والعطريات والأشربة على اختلاف أنواعها ،كالفستق واللوز والصنوبر والمشمش والزبيب ، أو السكاكر والمربيّات ، والعنبر والمسك ، والتمر والبندق ، كما أنها تشتمل على غرف تتوفر فيها كل أنواع الأدوية من الحبوب والمعاجين والمراهم والعقاقير اللازمة للعلاج ، عدا عن مقاعد البلّور المصنوعة من الشّمع (١)، ومن الدُّور الفخمة بدمشق دار الشيخ عبد الغني النابلسي ، والتي أنشأها بالصالحية ، وهي كما وصفها

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ١٧٢، ١٧٣ .

ابن كنان أنها كانت من العمارات الحسنة [١]، ومن تلك البيوت الحسَنة المنظر ايضاً دار محمود الحنبلي الرومي [٢] ، كما أن ابن كنان نفسه كانت له دار عظيمة في الصالحية بمحلة الأمير المقدم ، والتي اكتملت في شهر ذي القعدة من سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م ، ولم يبخل عن وصف داره التي جاءت غاية في الحُسن والنضارة ، فوصفها بقوله عنها : " كانت بأحسن ما يكون من الدّهانات البديعة ، والكتبيّات المزخرفة ، والكتابات البالغة ، والطوانات المكلّفة ، والملاط المزخرف الملون ، ببحرة مثمنة ، وكأس لطيف ، مع غزارة الماء ، وفوّارة الماء تحت تجري كالسبيكة البيضاء " [٣] ، ومن أسماء القصور الدمشقية التي وردت في يوميات ابن كنان ، فيوضّحها الجدول التالي :

*** جدول رقم (٢٠) القصور بدمشق :**

الرقم	القصر	ملحوظات	المصدر	الجزء / الصفحة
١	قصر بني السفرجلاني		الحوادث اليومية	ج ١ ، ص ٢٣٧ ، ج٢،ص ٤٦٣.
٢	قصر بني البكري	بالقرب من نهر ثورا بالجسر الأبيض ، ويعتبر من المتنزهات	الحوادث اليومية	ج ١ ، ص ٢٣٧ ، ج ٢، ص ٤٦٣ .
٣	قصر سنان آغا	وهو من المتنزهات ، ويشتمل على بركة ماء ، وأصبح سكنا في عهد ابن كنان	* الحوادث اليومية. * المروج السندسية	* ج ٢، ص ٣٤٠ ،٣٤١. * ص ٣٥ ، ٣٦ .
٤	قصر عبد الرحيم	لصيق المدرسة الحاجبية	الحوادث اليومية	ج ٢ ، ص ٥٠٤ .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) ن م ، ص ٢٨٧ ، ٢٩١ .

(٣) ن م ، ج ٢، ص ٤٧٠ .

٥	قصر ابن منجك	وهو قصر مطل على المرجة ، وجدّده كافل دمشق (عبدالله باشا) سنة ١١٤٤هـ/١٧٣١م	الحوادث اليومية	ج ٢ ، ص ٤٧٧ .
٦	قصر برويز	بالجسر الأبيض	الحوادث اليومية	ج ٢ ، ص ٤٩٩ .
٧	قصر محمد الباشا	قرب الخلخال	* حوادث يومية * المروج السندسية	* ج ٢، ص ٣٩٤. * ص ٣٥ .
٨	قصر البهنسي	وقد تعرّض القصر للخراب بطلب من الباشا نصوح ، والذي كان ملكا لأحد الزربا الأشقياء من الجند ، وقد سرقت أحجاره وأخشابه .	الحوادث اليومية	ج ١ ، ص ١٤٩ .
٩	قصر المفتي خليل أفندي السعسعاني (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)		* الحوادث اليومية . * المروج السندسية	* ج ١ ، ص ١٩١ . * ص ٣٦ .
١٠	القصر الأبلق	اتخذه الفاطميون قصرا لأمراء دمشق ، وتهدم في زمن تيمورلنك ، وبقي خاربا ًحتى زمن السلطان سليمان القانوني المتوفى سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م ،فأنشأ مكانه التكيّة السليمانية	المواكب الإسلامية	ج ١ ، ص ٢٥١ .
١١	قصر اللبان	بالصالحية ، ويقع بالقرب منه تربة وصفها ابن كنان بالعظيمة	المواكب الإسلامية	ج١ ، ص ٢٨٨ .

يتضح من خلال أسماء القصور التي ذكرها ابن كنان بأنها قصور تعود ملكيتها لفئة خاصة من الناس يمثلون السلطة ، سواء من قادة العسكر ، أو من المفتين أو القضاة ، وغيرهم ، وله علاقته بالطبقات الاجتماعية والأحوال الاقتصادية ، وبعض منها تحوّلت إلى مساكن في عهد ابن كنان مثل (قصر سنان آغا) .

الفصل الرابع ...

الأحوال الاقتصادية في دمشق

- المياه والأنهار في دمشق ...
- أحوال الطقس والمناخ في دمشق...
- الأسواق والحِرف في دمشق ...
- الأسعار في دمشق...
- الأزهار والنباتات والأشجار في دمشق ...
- قافلة الحج الشامي وأثرها الاقتصادي ...
- الضرائب وأثرها على المجتمع الدمشقي ...

الفصل الرّابع

* الحياة الاقتصادية في دمشق :

ترتبط طبيعة الأحوال الاقتصادية بالموقع الجغرافي للدولة و تنوّع العناصر المُناخية فيها كالأمطار والحرارة ، و توافر الأنهار ممّا يؤثر إيجاباً على غِنى التربة بالأملاح والمواد العضوية اللازمة للنبات ، فتُسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تحديد أهميّة الدولة اقتصادياً وسياسياً ، عندئذٍ تتحقق المنفعة الاقتصادية للأفراد ، والزراعة من المقوّمات الرافدة للأحوال الاقتصادية وهي مجرد خطوط عريضة لاقتصاد الشام المتّسم بالرخاء والشدّة [١] .

و تتمتع مدينة دمشق بموقع جغرافي متميز ، فهي تشكل الجزء الشمالي من بلاد الشام المحاذية للدولة العثمانية ، ولها مكانتها الحضارية والاجتماعية والعلمية ، وتعتبر ممرّا للتجارة القادمة من بلاد العجم إلى بلاد الشام ومصر والديار المقدسة ، وقد ارتبط بها قوافل الحجّ الشامي والتي تحظى بأولوية مطلقة من قبل السلطنة باعتبار سلطانها حامي الحرمين الشريفين صاحب السلطة الدينية ، كما أن مُناخ دمشق وطقسها المتذبذب وغير المستقر ارتبطت به أنواع معينة من المحاصيل الزراعية ، وأضْفَت جمالاً واخضراراً لبساتينها المتعددة التي غذّتها الأنهر الداخلية في دمشق ، إلاّ إنّ أحوال الجوّ المتطرفة كالحرارة المرتفعة والرياح الشديدة أو القحط أو الغزارة الكبيرة في الأمطار ، أو الصقيع ؛ كانت غالبا ما تؤدي إلى إحداث الفيضانات والسيول ، وتحطّم الأشجار ، وخراب المزروعات ، ونفوق الحيوانات الداجنة وغيرها من الحيوانات جرّاء إصابتها بأمراض مثل (مرض طاعون البقر) ، وما يصحبها جرّاء تلك العوامل من عدم استقرار في أسعار السلع والبضائع والفواكه واللحوم وغيرها ، فتارةً تكون الأسعار مرتفعة وفيها مشقّة على الأهالي وصعوبة في الحصول عليها ، وتارةً أخرى تكون الأسعار منخفضة ، وفيها رخاء على الأهالي وسهولة في الحصول عليها .

لم يغِب عن ابن كنان أن يذكر لنا الأحوال الاقتصادية في مجتمعه الدّمشقي ، فقد سجّل أحوال الطقس والمُناخ وأثرها على قوافل الحجّ ، والمخاطر التي كانت تُعيق الحجّاج ذهاباً

---

(١) رافق ، عبد الكريم ، مظاهر التنظيم الحرفي في بلاد الشام في العهد العثماني ، مجلة دراسات تاريخية ، دمشق ، العدد الرابع ، ١٩٨١م ، ص ٢ .

وإياباً ، سواء مخاطر طبيعية أو مخاطر ناتجة عن تعدّي العرب البدو عليهم ، وسلبهم مؤنهم وحاجيّاتهم (قوافلهم) ،ودور سقوط المطر أو عدمُه في توافر بعض النباتات النادرة مبيّناً أهمية تلك الأصناف مِن المزروعات ، وخصوصا بعض أشجار الفواكه كالتفاح والأجاص ، أو الأزهار ذات الروائح الزكيّة و الألوان المُختلفة ، كما أنّه سجّل مُعاناة الأهالي عند ارتفاع أسعار القمح والخبز واللحوم والأرز ، واحتكار بعض التجّار لبعض منها بقصد رفع سعرها والتربّح من ذلك ، عدا عن مُعاناة العوامّ من الضرائب التي كانت تفرضها الدولة عليهم ، وعلى ذلك ؛ وجدتُ من الواجب دراسة الظروف السّابقة التي دوّنها ابن كنان في فصل خاص بها ، وجدولة كل من : أحوال الطقس والمناخ ، وأحوال الحجيج .

- المياه والأنهار في دمشق :

تكتسب الأنهارُ أهميّتها الاقتصاديّة من كونها مصدراً رئيسيّاً لمياه الشُرب وريّ المزروعات ، عدا عن أهميتها كثروةٍ سمكيّة ، كما أنّها تشكّل رافداً أساسيّاً في تغذية البساتين والمتنزهات العديدة في دمشق ، لذلك يحرص الدمشقيون على تعزيل وتنظيف مجاري الأنهار المّارّة بمدينتهم بشكلٍ دوريّ ،وذلك في الأحوال التي تصاحبها زيادة أو نقصان في منسوبها ، ويتم ذلك من خلال التغيير الذي يُحْدثونه على المجرى الرئيس لكل منها (١) ، وغالباً ما ينتج عن توزيع مياه القنوات بين الحارات الدمشقية مشاكل وخلافات تضرّ في طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفرادها (٢) .

حرِصَ ابن كنان على ذكر الأنهار في دمشق ، وأقوال الشعراء وتغزلهم بها ، وكان يظهر ذلك عنده إبّان ذكرِهِ لتنزهاته ورحلاته إلى بساتين المدينة وممّا ذكرَه منها : (نهر ثورا (٣)

---

(١) أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٥٢ .

(٢) ن م ، ص ٢١٠ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٣ ، ٣٢٠ ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

ونهر بردى (١) ، ونهر يزيد (٢) ، ونهر عقربا (٣) ، وأيضاً نهر بانياس (٤) ، وقد جرى في زمنه تعزيل لنهر بردى الذي يغذّى مياه نهر ثورا عندما كان النهرُ شحيحاً ومنسوبه قليلاً (٥) ، بالإضافة إلى قطع الأنهر بحارة الصالحية يوم السبت في الثامن عشر من شهر شوال لسنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م (٦) ، وكانت تُقام عند معظم تلك الأنهار عدداً من النواعير وهي التي وصفها ابن كنان بأنها " من محاسن دمشق (٧) " وبعضها تعرّض للخراب والدمار وخصوصاً تلك التي كانت موجودة في بعض البيوت والمدارس والقصور ، فكانت هناك ناعورة واحدة بقيت في زمنه في مدرسة السليمية بالصالحية ،وأخرى في القصر المجاور لمسجد العفيف ، وناعورة أخرى في الحديقة الأسعدية ، وفي متنزه الربوة (٨).

- أحوال الطقس والمُناخ في دمشق :

يختلف الطقس عن المُناخ ، فالطقس هو وصف لحالة الجوّ خلال فترة قصيرة تقدّر بالأيّام وتتراوح ما بين يوم إلى أسبوع ، وهو حالة الجوّ الحالي من إشعاع وحرارة وضغط ورياح وأمطار ، أما المُناخ ؛ فوصف لحالة الجوّ خلال فترة زمنية طويلة تُقدّر بالسنوات وغالبا ما تكون بين عشر إلى ثلاثين سنةً (٩) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٩٩، ج ٢ ، ص ٤٤٤، ٤٥٠ ، المواكب الاسلامية ، ص ٢٥٨.

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٨١ ، ٣٩٩ ، ٥٠٩ ، ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ص ٢٥٨ ، وكان نهر يزيد زمن معاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ/٦٧٩م) صغيراً ، ثم قام ابنه يزيد(ت ٦٤هـ/ ٦٨٤م) بتوسيعه في منطقة الغوطة بعد أن أعطى الخراج لأهلها مدة سنة من ماله الخاص ، ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) ، تاريخ دمشق ، ٧٤ج ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، دمشق ، د . ط ، ١٩٩٥م ، ج ٢ ، ٣٦٩- ٣٧٣ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ ، المواكب الإسلامية ج ١ ، ص ٢٥٨ .

(٤) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج٢، ص ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، المواكب الإسلامية ، ص ٢٧١ .

(٥) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٣٤٠ .

(٦) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ .

(٧) ابن كنان ، المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

(٨) ن م ، ص ٢٦٠ ، ومسجد العفيف : ينسب إلى العفيف بن أبي الفوارس (ت ٦٦٢هـ/١٢٦٤م) ، النعيمي ، الدارس في المدارس ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، ابن كنان ، المروج السندسية ، ص ٣٤ .

(٩) السامرائي ، قصي عبد المجيد ، مبادئ الطقس والمُناخ ، دار اليازوري العلمية ، عمّان ، د . ط ، ٢٠٠٨م ، ص ٢١ .

وهذان العاملان لهما دورهما الرئيسي في النشاطات الاقتصادية للإنسان ، كالزراعة والصناعة والنقل ، كما أنّ لهما دوراً أساسياً في توزيع السكان ، وطراز البناء وشكله ، عدا عن نوع اللباس ، كما يؤثران وبشكل مباشر على مدى توافر المياه وحجم الأنهار ، ونوع التربة ومدى خصوبتها وقدرتها على الإنتاج الزراعي .

واهتمّ أصحاب اليوميّات والحوليّات بتتبع أحوال الطقس والمُناخ في يومياتهم ، وذلك لأهميتها في الأحوال الزراعية والاقتصادية ، فنجد أنّ هؤلاء لا يدعون سنة من السنوات دون ذكر ما جرى فيها من تغيرات طبيعية على صعيد الموسم المطري وأشكال الهطول الثلاث : أمطار ، ثلوج ، بَرَد ؛ أدّت إلى زيادة منسوب مياه الأنهار ، وتوافر المحاصيل الزراعية على اختلاف أنواعها ، وارتباط التغيّرات فيها على الأوضاع المعيشية لعامّة الناس من حيث ارتفاع الأسعار في السّلع أو انخفاضها أو ثبوتها ، ويعود ذلك لارتباطهم بالأرض وأعمالها ولا سيّما الفِلاحة والحِراثة والزراعة و البيع والشراء ، وتوافر تلك المحاصيل أو شحّها في أسواق المدن المتعددة ، فقد كان شهاب الدين ابن طوق ، وهو المزارع والفلاح ، قد رصد في (تعليقه) أوضاع وحالات المواسم الشتوية فقط في دمشق وأريافها وقراها ، وأثرها على واقع الزراعة والأسعار لأكثر من اثنتين وعشرين سنة (٨٨٥- ٩٠٨هـ/١٤٨٠-١٥٠٢م) ، وميّز بين المطر الطلّ (الرذاذ / رشاش المطر) والمطر الوابل الغزير ، بالرغم من اهتمامه الكبير بدراسة المطر الغزير ، حرصا منه على بستانه (١) ، وهذا الاهتمام بالأحوال الطبيعية ظهر أيضا عند ابن طولون ، فقد تابع تسجيله لحالات الجوّ على خُطى ابن طوق في كتابه (المفاكهة) واعتبر أنّ تساقط الهطول بأشكاله السابقة ؛ يقترن بتطهير البلاد مما حلّ بها من النجاسات والمنكرات ، على الرغم مما ينتج عنها من أهوال تؤدي إلى تلَف المزروعات وقطع الأشجار كما حصل في سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٨٦م ، إذ " وقع بدمشق وما حولها ثلج كثير ، واستمرّ إلى نصف النهار ، فصل في الأسطحة نحو ذراع ، وتكسّرت بذلك كثير من الأشجار ، لا سيّما أشجار الزيتون " ، زدْ على ذلك إعطائه أوصافا لأحجام حبّات البَرَد ، فوصف حجم بعضها بقدر بيْض الحمام ، أو بقدر بندق الطين (٢) .

---

(١) ابن طوق ، التعليق ، ج ١ ، ص ٢٣- ٢٣٦ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٥٩- ٧١ .

(٢) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ١، ص ١٣٤ ، ٢٤ ، وللمزيد انظر الجزء الأول من الكتاب / وللمزيد انظر : الشديفات ، شمس الدين بن طولون مؤرخا ، من ص ٢٣٢ – ٢٤٠ .

ويبدو أن تصانيف المؤرخين الدمشقيين السابقين ورصدهم لأحوال الطقس والمناخ ؛ قد صارت سنّةً متبعةً عند غيرهم ممّن جاء بعدهم ، وخصوصا عند أولئك الذين كان لهم حضورهم في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي من أمثال : محمّد بن كنان ، وأحمد البديري الحلاق ؛ على التوالي ؛ فحظيت تلك الأحوال باهتمام واسع عند أحمد الحلاق (ت ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م) ، فهو لا يدعُ سَنَةً من السنوات الواحدة والعشرين التي جاءت في حوادثه الدمشقية من سنة ١١٥٤- ١١٧٥هـ/ ١٧٤١- ١٧٦٢م ؛ إلاّ ويتناول فيها بالحديث عن الظروف المُناخية والجويّة من أمطار وحرارة وثلوج وبَرَد وصقيع وجليد ، وتوضيح آثارها على الحياة الاقتصادية في دمشق من وفرة الخضراوات والفواكه والحبوب أو نُدرتها وقلّتها في الأسواق ، وما يعقب ذلك من رخاء أو غلاء في الأسعار ، ففي شهر كانون الأول من سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م تعرّضت دمشق ولمدّة لم تقلّ عن خمسةٍ وعشرين يوما لموجة من البَرْد والصقيع والجليد ؛ الأمر الذي نتج عنه ارتفاعٌ في أسعار الفحم للرطل الواحد بما لا يقل عن ثلاث مصريات (١) في دمشق نفسها ؛ في حين بِيع على الحجّاج في منطقة المزيريب من محطات الحج الشامي بقرش واحد (٢) ، وممّا سجّله البُديري عن أحوال الطقس وشدّته ؛ ما حدث في شتاء سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م حيث أمطرت السماء وأثلجت سبع مرّات ولمدة لم تقل عن شهر ونصف (٤٥ يوما) ، فتهدّمت أماكن كثيرة في الشام كلها ، ومع ذلك فإنّ الله " أغاث عباده بتلك الأمطار والثلوج ، وأحيا الأرض بعد موتها " (٣) ، ومن خلال يوميات الحلّاق يتبيّن أنّ من أعظم ما أصاب دمشق من كوارث الأمطار ؛ ما وقع في سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م فقد هطلت أمطار غزيرة في شهر محرّم رافقها سيلٌ عظيم وصل ارتفاعه إلى طول قامة الإنسان ، وتمخّض عنها وفيات كثيرة و خراب للأسواق ولبيوت الأهالي ، ونفوق أعداد كبيرة من الحيوانات ، ومن شدّتها وقوّتها فإنه " شاب من هولها الكبير والصغير " (٤) ، وسأورد فيما يأتي جدولة للأخبار المتعلقة بالظواهر الجويّة (الأمطار والثلوج والبَرَد) عند البديري الحلّاق أولا قبل الأخبار التي ساقها ابن كنان الدمشقي ، لاستكمال هذا الجانب الحيوي :

---

(١) سيرد الحديث عن المصرية بمكانها صفحة ٢١١ من الدراسة .

(٢) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٠ ، ١١ ، وسنتناول الأسعار في هذا الفصل بالتفصيل .

(٣) ن م ، ص ٣٤ .

(٤) ن م ، ص ٨٥ ،٨٦ .

* جدول رقم (٢٥) الأخبار عن ظواهر الطقس والمُناخ في دمشق عند الحلاق – حوادث دمشق اليومية - :			
الرقم	**اليوم / الشهر / السنة / هـ/ م**	**اسم الظاهرة**	**رقم الصفحة**
١	ذو الحجة/ ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م	برد وصقيع وجليد استمر ٢٥ يوما وأتلف الأشجار والثمار كالليمون	١٠، ١١
٢	الأربعاء ٩/ رمضان/١١٥٥هـ/١٧٤٢م	هطلت أمطار غزيرة على عامة البلاد	٢٣
٣	الأربعاء ٢٩/شوال / ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م	أمطرت السماء مطراً غزيراً	٣١
٤	في بداية فصل الشتاء (ذو الحجة) من سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م	كان المطر قليلاً	٣٤
٥	في بداية شهر محرم من سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م	نزلت الأمطار الغزيرة كالبحار واستمرت ليلاً ونهاراً دون توقف ، وأثلجت السماء سبع مرّات ، واستمرّ الهطول مدة شهر ونصف .	٣٤
٦	في سلخ شهر محرم / ١١٥٦هـ/١٧٤٣م	نزل على دمشق بَرَد كبيرٌ استمرّ مدّة ساعتين فنتج عنه سيلٌ عظيمٌ ارتفع عن الأرض مِقدار ذراع ونصف .	٣٦
٧	في شهر رمضان من سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م	شهدت دمشق كثرة في الأمطار .	٤٩
٨	سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م	لم يذكر الحلاق أي معلومات عن أحوال الجو ، ولكن يبدو من السنة التي قبلها والسنتين بعدها : أنّ دمشق قد شهدت هطولا غزيرا للأمطار .	هذه السنة مغطّاة من صفحة ٥٦-٦٢ .
٩	جمادى الآخرة / ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م	كان المطر قليلاً .	٦٤
١٠	سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م	كانت سنة كثيرة الأمطار ، ونتج عنها كثرة في الخيرات والفواكه والنبات	٧٤
١١	محرم / ١١٦٠هـ/١٧٤٧م	هطلت الأمطار الغزيرة على دمشق في منصف الليل ، ونتج عنها سيلٌ عظيمٌ وطوفانٌ لم يُسمع له نظير من قديم الزمان ، وأغرق الدكاكين وأتلف كثيراً من الأموال ، ونفقت أعداد كبيرة من	٨٥ ، ٨٦ .

		البهائم .	
١٢	الخميس ٨/ جمادى الآخرة /١١٦٠هـ/١٧٤٧م	نزلت الأمطار على دمشق وكانت مصحوبةً بالرعد والبرق ، وكان ذلك في فصل الصيف – مربعانية الصيف-	٩٤ .
١٣	سنة ١١٦١هـ / ١٧٤٨م	لم يذكر الحلاق أي معلومات عن أحوال الطقس في دمشق ، ولكن ذكر أن الثلج والمطر أعاق الحجيج في الديار المقدسة ، وكان سبباً في تأخرهم في العودة إلى دمشق .	١٠٧ .
١٤	في بداية سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م في شهرها المحرم	هطلت الأمطار الغزيرة على دمشق	١٢٣
١٥	ربيع الأول من سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م	صار بدمشق صقيع وبرْد مؤلم على الأهالي .	١٢٥
١٦	في شهر محرم سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م	صار بدمشق أيضا برْد وصقيع وجليد ، وهو على ما يبدو من وصف الحلاق كان أشدّ من الصقيع الذي حصل في السنة التي قبلها ، فيقول : " والجليد الذي صار في هذه السنة ما سمعنا بمثله" .	١٣٥
١٧	في فصل الشتاء وبالتحديد في منتصف (سعد الذابح) وغالبا ما يكون في شهري ذو الحجة ومحرم بالتزامن مع نهاية سنة ١١٦٣هـ وبداية سنة ١١٦٤هـ/١٧٥١م .	جاء الثلج يومان وليلتان دون انقطاع ولم يعقبه مطر ، وقد استمرّ لأكثر من عشرين يوما .	١٣٨، ١٥١
١٨	سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م	كانت سنة كثيرة الأمطار والخيرات والبركات ، وقد نبتت حبّة الحنطة وحبّة القمح اثنين وعشرين قصلة (سنبلة)	١٦٦
١٩	في بداية سنة ١١٦٦هـ /١٧٥٣م	نزلت أمطار عظيمة على دمشق مدّة ثلاثة أيام متتالية .	١٧٢
٢٠	في شهر صفر من سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م	هطلت أمطار غزيرة جدا .	١٨٠
٢١	يوم الثلاثاء ٩ / جمادى الأولى/ ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م	نزلت الأمطار والثلوج على دمشق ولم يلحقها أية أضرار .	١٨٦
٢٢	في شهر ربيع الآخر من سنة ١١٦٩هـ/ ١٧٥٦م	نزل على دمشق والشام ثلجٌ عظيمٌ " ما رؤى مثله من سنين "	١٨٨

٢٣	في شهر جمادى الأولى من سنة ١١٦٩هـ / ١٧٥٦م	نزل ثلج عظيم على دمشق ومكث على الأرض عدة أيام ، وصاحبه أضرار .	١٨٩
٢٤	وفي شهر محرم سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م	نزلت الأمطار الغزيرة على الشام	١٩١
٢٥	في شهر ذي القعدة من سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م	هطلت أمطار كثيرة استمرت قرابة الشهر (نحو بضع وعشرين يوما) ، وأعقبها برْد شديد وهواء يابس (صقيع) ، وتجمّدت المياه ، ويبست الأشجار ، وتشققت الصخور ، ونفقت كثيرٌ من الوحوش والكلاب والطيور .	١٩٣ ، ١٩٤.
٢٦	في صيف سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م	هطلت أمطار على دمشق ونتج عنها سيلٌ عظيم ، ولم تمرّ عليها ساعة واحدة حتى تضررت قرى (جبة ، يبرود ، النبك) عن بكرة أبيها .	٢٢٠
٢٧	في شهر ربيع الآخِر من سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م	لم تنزل من السماء قطرة ماء .	٢٢٢
٢٨	في سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م	كانت الأمطار غزيرةً	٢٣٢
٢٩	في سنوات ١١٧٤- ١١٧٥هـ / ١٧٦١- ١٧٦٢م .	لم يذكر الحلاق معلومات عن أحوال الطقس .	وأخبار هذه السنوات مغطّاة من صفحة (٢٣٣ – ٢٣٦)

وإذا قارنّا الأخبار التي اختصّت بأحوال الطقس والمُناخ التي جاء بها محمد بن عيسى بن كنان مع أحمد البديري الحلّاق الدمشقي ؛ فإننا نجدها مشتملةً على مُعظم شهور السّنة غير شهور الشتاء ، وخصوصاً ما كان يتعلّق بها من الأمطار الوسمية الخريفية ، عدا عن

تناولها لمعظم السنوات والحوليّات التي ذكَرَها ، وكان معظم ما تناوله ابن كنان ، اختصّ ما تعلّق منها بأحوال الحجيج ، وسنوردها للمقارنة واستكمال قراءة أوضاع المُناخ والطقس مجدولة وتوضيح أثرها .

*** جدول رقم (٢٦) أخبار الطقس والمناخ عند محمد بن كنان الصالحي في كتابه (الحوادث اليومية) :**			
الرقم	**اليوم / الشهر / السنة (الميلادي / الهجري)**	**الظاهرة**	**الجزء / رقم الصفحة**
١	في شهر ذي القعدة من سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م	تساقطت الثلوج التي أعاقت طرق الحج ، واستمرّ تساقطها عشرة أيّام ، ونفقت فيها عدد من الجِمال ، وتهدّمت خِيام الحجيج .	ج ١ ، ص ٥٤
٢	الأحد ١١/ شوال / ١١١٥هـ/١٧٠٣م	كان يوماً ماطراً	ج ١ ، ص ٨٦
٣	السبت ٣ / ذو الحجة /١١١٧هـ/١٧٠٥م	تساقطت ثلوجٌ عظيمة على دمشقَ " لم يُعهد مثله من زمان " .	ج ١ ، ص ١٠٣
٤	في شهر صفر من سنة ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م	اعترض الحُجّاج في محطة (هدْية) من محطات الحج في الديار المقدسة سيلٌ عظيم بسبب غزارة الأمطار ، ونتج عن السيل وفاة شاب .	ج ١ ، ص ١٢٦
٥	الاثنين ١/رمضان/ ١١٢١هـ/١٧٠٩م	نزل على دمشق مطر في أوّل الخريف وهو المطر (الوسمي) واستمرّت نحو أسبوع ، ونتج عنها سيولٌ دون أضرار .	ج ١ ، ص ١٥٨ .
٦	الخميس ٢١ / رمضان/ ١١٢٢هـ/١٧١٠م	نزل المطر على دمشق ورافقه سيول غربي حرستا ، ونتج عنها خراب في بعض الدُور .	ج ١ ، ص ١٦٦ .
٧	الاثنين ١٨ / ذو القعدة/١١٢٣هـ/١٧١١م	نزل بدمشق ثلجٌ كبير ، وأما المطر فكان شحيحا .	ج ١ ، ص ١٨٤ .
٨	السبت ٢ / صفر/ ١١٢٤هـ/١٧١٢م	تساقطت الثلوج على دمشق ، وكان الثلجُ كبيراً على الحُجّاج في محطّة المزيريب من محطات الحجّ الشامي ، واستمرّ تساقطه مدّة ثلاثة إلى أربعة أيّام ليلاً ونهاراً ، ونفقت أعداد كبيرة من الجِمال ، وذهبت لأولئك الحجيج أحمالٌ وأمتعةٌ كثيرةٌ	ج ١ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠

٩	السبت ١ / صفر /١١٢٥هـ/١٧١٣م	تساقطت أمطار عظيمة على محطة (رابغ) وذلك في وقت الليل ، ونتج عنها سيول ، وهلك بسببها عدد من الحجيج ، ونفقت كثير من دوابّهم .	ج ١ ، ص ١٩٨، ١٩٩.
١٠	السبت ١٥ / ذو الحجة /١١٢٦هـ/١٧١٤م	كان يوماً بارداً جداً ، وتأثرت به قافلة الجردة المنوطة باستقبال الحجيج في الديار المقدسة ، والتي من واجباتها تقديم المؤن لهم.	ج ١ ، ص ٢٢٩ .
١١	الأربعاء ١٨/ محرم / ١١٢٧هـ/١٧١٥م	نزل بدمشق ثلجٌ عظيم ووصل ارتفاعه عن الأرض مِقدار ذراع ، ولم تتأثر به قوافل الحج	ج ١ ، ص ٢٣١ .
١٢	الاثنين ٧ / صفر / ١١٢٧هـ/١٧١٥م	نزل بدمشق ثلجٌ عظيم ، ولم ترافقه أيّ أضرار	ج ١ ، ص ٢٣٢ .
١٣	شهر ربيع الأول من سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م	نزل على دمشق ثلجٌ كثيرٌ	ج ١ ، ص ٢٤٩ .
١٤	في شهر صفر من سنة ١١٢٩هـ/١٧١٧م	أعاقت الثلوج والأمطار التي تساقطت على منطقة (عيون التجار) على طريق دمشق القاهرة ، أعاقت قدوم الخزنة المصرية ، والتي يوكل إليها تسليم الأموال إلى السلطنة في الروم ، ونتج عنها نفوق أعداد من الجِمال والدّوابّ ، وتَلَف الأحمال .	ج ١ ، ص ٢٦٥ .
١٥	الثلاثاء ٥ / ربيع الأول / ١١٢٩هـ/١٧١٦م	نزل ثلج كثير على دمشق	ج ١ ، ص ٢٦٦ .
١٦	الخميس ٧ / ربيع الأول / ١١٢٩هـ/١٧١٦م	نزل ثلج كثير على دمشق واستمر خمسة أيام ، أي حتى يوم الثلاثاء ١٢ الشهر نفسه .	ج ١ ، ص ٢٦٦ .
١٧	الجمعة ٢٥ / شوال / ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م	نزل المطر الوسمي (أول مطر الخريف) على دمشق من بكرة النهار .	ج ١ ، ص ٢٧٣ .
١٨	الأحد ٦ / ربيع الأول /١١٣٠هـ/١٧١٧م	نزل ثلجٌ كثيرٌ على دمشق من الليل حتى الظهر (الضحوة الكبرى)	ج ١ ، ص ٢٧٩ .

١٩	الثلاثاء ١٥/ ذو القعدة/ ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م	نزل المطر الوسمي على دمشق	ج ١ ، ص ٢٩٠ .
٢٠	الثلاثاء ٢٨ / جمادى الآخرة/ ١١٣١هـ/ ١٧١٨م	نزل على دمشق في فصل الصيف أيام التوت بَرَد بحجم حبّة الحمص	ج ١ ، ص ٢٩٩ .
٢١	الثلاثاء ١٠ / رجب / ١١٣١هـ/١٧١٨م	تعرضت دمشق في ذلك اليوم لأحوال الرعَد والبرق والبَرَد والريح ، وكان البَرَدُ بحجم حبّة الحمّص ، وقد اعتبره ابن كنان : " من عجائب " لأن سقوطه تزامن مع مربعانية الصيف	ج ١ ، ص ٢٩٩ .
٢٢	في شهر ربيع الأول من سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م	نزل على دمشق ثلجٌ كثير دون وقوع أضرار .	ج ١ ، ص ٣٣٣ .
٢٣	الجمعة ١٩ / رجب / ١١٣٥هـ/١٧٢٢م	تساقطت على دمشق أمطار ربيعية (في وقت الربيع / أيام الزهر) ورافقها هواء .	ج ٢ ، ص ٣٥٤ .
٢٤	في آخر شهر شوال من سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م .	نزلت على دمشقَ في مربعانيّة الصّيف أمطارٌ مصحوبةٌ بالرعد .	ج ٢ ، ص ٣٦٦ .
٢٥	في شهر محرم من سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م .	تعرّض الحجّاج في الديار المقدسة للحرارة المرتفعة التي نجم عنها (شوب) وعَطَشٌ ، وهلك بسببها عددٌ من الحُجّاج .	ج ٢ ، ص ٣٦٩ .
٢٦	الجمعة ٢ / ربيع الآخر / ١١٤١هـ/١٧٢٨م .	نزل المطر الوسميّ على دمشق .	ج ٢ ، ص ٣٩١ .
٢٧	الخميس ١٦ / جمادى الآخرة / ١١٤١هـ/١٧٢٨م	نزل على دمشقَ ثلجٌ كثير ، ومكث على الأرض مدّة أسبوع حتى يوم الجمعة ٢٤ / نفس الشهر .	ج ٢ ، ص ٣٩٣ .
٢٨	في النصف الأول من شهر جمادى الآخرة من سنة ١١٤٢هـ/١٧٢٩ م.	هطلت أمطار غزيرة على دمشق ، ووصفها ابن كنان بأنها : " لم يُرَ مثلها "	ج ٢ ، ص ٣٩٨ .
٢٩	الجمعة ١٦ / جمادى الآخرة/١١٤٢هـ/١٧٢٩م	نزل ثلج كثير بدمشق ، واستمرّ لعدّة أيّام .	ج ٢ ، ص ٣٩٨ .

٣٠	السبت ١٧ / شوال /١١٤٤هـ/١٧٣١م .	كان المطرُ غزيراً على دمشقَ بعد جفاف استمرّ أيّاماً .	ج ٢ ، ص ٤٢٤ .
٣١	السبت ٢٢ / جمادى الآخرة / ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م .	نزل المطر الوسميّ على دمشق	ج ٢ ، ص ٤٣٩ .
٣٢	الخميس ٢٤ / ذو الحجة / ١١٤٦هـ/١٧٣٣م	نزل على دمشق وحارة الصالحية مطرٌ غزيرٌ مصحوباً بالرّعد والبّرق ، وذلك خلال فصل الصيف .	ج ٢ ، ص ٤٤٢ .
٣٣	ليلة السبت ١٠ / جمادى الآخرة / ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م .	نزل المطر الوسميّ من ليل الجمعة حتى صباح السبت ، ورافقته ريحٌ شديدة ، دون أضرار تُذكر .	ج ٢ ، ص ٤٥٤ .
٣٤	السبت ١٤ / جمادى الأولى/١١٤٨هـ/ ١٧٣٥ م .	نزل المطرُ الوسميّ على دمشقَ .	ج ٢ ، ص ٤٦٩ .
٣٥	ليلة الأربعاء ٢٨/ رجب / ١١٤٨هـ/١٧٣٥م	نزل المطر (الغيث) واستمرّ هطوله منذ ليل الثلاثاء حتى ظهر يوم الأربعاء ، وامْتلَت دمشق من الغدران .	ج ٢ ، ص ٤٧١ .
٣٦	الأحد ٢٣ / شعبان / ١١٤٨هـ/١٧٣٥م	نزل على دمشق ثلجٌ كثير لكنه لم يطل ، بينما بقي على جبل قاسيون عدّة أيّام .	ج ٢ ، ص ٤٧٢ .
٣٧	الاثنين ٢٠ / جمادى الآخرة / ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م .	نزل على دمشق بَرَدٌ عظيم مصحوباً بالرّعد .	ج ٢ ، ص ٤٨١ .
٣٨	الجمعة ٢٢ / رمضان / ١١٤٩هـ/١٧٣٦م	نزل على دمشق ثلج .	ج ٢ ، ص ٤٨١ .
٣٩	في آخر شهر صفر من سنة ١١٥١هـ / ١٧٣٨ م .	نزل مطر في فصل الصيف بعد أن تلبّدت السماءُ بالغيوم .	ج ٢ ، ص ٤٩٩ .

٤٠	في شهر ربيع الأول من سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م	نزل بالصالحية مطر غزير في فصل الصيف ، ورافقه رعد وبرق .	ج ١ ، ص ٢٠ .

يبدو مما أورده ابن كنان الصالحي اهتمامه بأثر المُناخ على موسم الحج ، حيث كانت سنوات ١١١٣هـ/ ١٧٠١م ،١١٢٤هـ / ١٧١٢م ، ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م ، ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م ، كانت سنوات تعرّض فيها الحجّاج لأحوال سيئة نتيجة تلك الظروف المتطرفة كالحرارة الشديدة ، أو التساقط الكثيف للثلوج والأمطار ، أو البَرْد والصقيع ، وما يصاحبها مِن سيول وفيضانات تستمرّ لأيام طويلة ، تؤدي إلى هلاك كثير من الحجيج ، و تردّي أوضاعهم مثل : تهدّم خِيامهم وفقدانهم لكثيرٍ من متاعِهم وأحمالهم ، إضافةً إلى خسائرهم لجِمالهم ودوابّهم ، فضلاً على ما ينتج عنها من تأخرهم لموعد قدومهم ورجوعهم إلى بلادهم ، وتأخر الخزنة المصرية المحمّلة بالأموال الرافدة لخزينة الدولة العثمانية عن وصولها إلى بلاد الروم عقب انتهاء موسم الحجّ (١) .

أمّا أثر تلك الظروف على الزراعة ؛ فيرتبط بمدى توافر الحبوب والفواكه والخَضْراوات أو اللحوم وأسعارها ، وتوافر الأسواق وتعدد الحِرفيين ....

ـ الأسواق والحِرف الدمشقية :

تعتبر الأسواق الدمشقية من المراكز المهمة التي تعكس الأحوال الاقتصادية في المدينة ، وتتم فيها عمليات البّيع والشّراء ، وهناك صِلات قويّة تظهر بين أرباب الحِرف والصنائع مع بعضهم بعضا ، ونتج عن هذه الصِلات ظهور ممثلين لهم ينظمون أمورهم و ينوبون عنهم في إيصال شكاويهم ومواقفهم إلى أصحاب القرار في الدولة ، والشّخص الذي توكل له تلك المهمة يسمى " النقيب " أو " شيخ الحِرفة " ، فهو حلَقة الوصْل بين أصحاب الحِرف مع

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ٨٩ ، ٢٦٥ ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

المتنفذين من ممثلي الدولة ، عدا عن وجود أعيان للتجّار لهم علاقاتهم الخاصّة مع ممثلي الدولة بدمشق مثل : إبراهيم بن عبد الرزاق (١) ، ويوسف العيطة (٢) .

استقطبت دمشق بما تمتّعت به من أهمية استراتيجية وجغرافية ودينية عدداً من التجار العجم والعرب الذين يفدوا إليها في مواسم الحجّ ، ورافقوا القوافل ، وكانوا يتعرّضون للنهب عند مهاجمة قطّاعي الطرق لهم ، ولا يبقى مع من نجَا منهم شيئا من الدّراهم أو الثياب أو الجِمال أو الدوابّ (٣) ، وقد استقرّ كثير منهم في دمشق مثل : الحاج بكري بن محمد كباتيله(٤) .

تساعد كُتب اليوميّات والتراجم وغيرها من المصادر في التعرّف على طبيعة السّلع والحِرف في أسواق دمشق ، وأماكن توزع تلك الأسواق ، وتعطي يوميات ابن كنان الشامية ، مع غيرها من المصادر ملامح الأسواق والسّلع والبضائع التي زخرت بها المدينة ، فقد وجِد فيها أسواقا عديدة ، ولاحظنا أن أغلبها كانت ملاصقة للجوامع والمساجد ، ولا سيّما الجامع الأموي ، ويبدو أن بعضها كانت أوقافا لها ، وقد كانت الحرائق التي طالت جوامع دمشق وصلت للأسواق ، مما يعطي دلالة واضحة على قرب تلك الحوانيت من دُور العبادة ، مثل : سوق الذراع الذي تأثر بالحريق الذي أصاب الجامع الأموي ، أو عندما تأثر الجامع نفسه من الحريق الذي ألمّ بذلك السوق في السنوات ١١٢٣هـ/ ١٧١١م و ١١٣١هـ/ ١٧١٨م ، فلم يجد أرباب ذلك السوق بدّا من أن ينقلوا متاعهم وأغراضهم إلى باب البريد والذي يُعتبر من أبواب الجامع ، وهذا السوق هو من أوقافه (٥) ، أو سوق القناطر لصيق جامع البغا (٦) ، أو قد يقع بعضها بالقرب من حمّامات دمشق المعروفة ، مثل سوق الذهبية عند حمّام الذهبية ،

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٧١ .

(٢) ن م ، ص ١١١ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٦ .

(٤) ن م ، ص ٢٢٨ .

(٥) ن م ، ص ١٨٥ ، ٣٠٤ .

(٦) ن م ، ص ١٥٠ .

ومن اسمه يتبين أن حوانيته كانت تتعامل بالذهب والصّاغة [١] ، وسجلت المصادر حرائق كثيرة طالت أسواق دمشق ، سجّلها ابن طوق وابن طولون مثل احتراق سوق المدهون ، فقد وصل أثر الحريق إلى كل حوانيته ، واحتراق سوقي الشاغور والنحاسين[٢] ، وظهرت من السلع التي كان الدمشقيون يتداولونها فيما بينهم الخبز [٣]، الدبس ، العسل ، الزيوت ، الخل [٤]، اللحم ، العطور ، الرز ، السكر ، الحبوب على اختلافها من قمح وشعير ، الأقمشة ، الفستق ، السماق ، القطن ، الحرير ، الدباغة ، الطحين [٥] ، وقد تم رصد كل الأسماء في يوميات ابن كنان ، وتبيّن أن معظمها تحمل دلالات على توارث الحِرف والمهنة ونوع التجارة في الطبقة نفسها ، فأصبح الفرد يُكنّى حسب حِرفته هو أو حرفة أجداده قبله، أو حسب تجارته ، وقد يكون بعضهم لم يعمل بها ، وإنما توجّه لأعمال أخرى كالقضاء أو الإدارة أو التدريس ، ومن هذه الأسماء التي تمّ رصدها : محمد القطان والذي كان يتاجر ببيع القطن [٦] ، أبو بكر الطعام وسمّي بذلك نسبة لبيع الطعام [٧]، عبد الحق الصالحي السكاكيني الدباغ [٨] ، فضل الله ابن محب الله الفستقي نسبة لبيع الفستق [٩]، عبد الرحيم بن حسن السمّان نسبة لبيع السّمن والزيت والجبن [١٠]، عمر بن علي ابن السكري نسبةً لبيع

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(٢) احترق سوق المدهون سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م ، ابن طوق ، التعليق ،ج١ ، ص ٤٧٨، ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ص ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٥٤ .

(٣) ابن كنان، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ، ٤٧٤ .

(٤) ن م ، ص ٤١٢ .

(٥) ن م ، ج ١ ، ص ١٦ ، ٥٢ ، ٧٨ ، ٢٢١ ، ج٢ ، ص ٤١٢ .

(٦) ن م ، ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، القاسمي ، قاموس الصناعات الشامية ، ج٢، ص ٣٦٠ .

(٧) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج١، ص ٢٩ .

(٨) الدباغ : حرفة تنظيف الجلود وإزالة الشعر منها ودباغتها ، ن . م ، ص ١٤٦ ، القاسمي ،المرجع السابق ،ج١ ، ص١٤٠ .

(٩) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(١٠) ابن كنان ، المصدر السابق ،ج١ ، ص ٢٣٦ ، القاسمي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

السكر أو الحلويات [١] ، عثمان بن أحمد النحّاس نسبة لصنع قدور النحاس وطرق صفائحها [٢] ، محمد بن أحمد الخيّاط نسبة لحرفة الخياطة[٣]، محب الله بن الطبّاخ و يبدو أن عائلته كانت تمتهن الطبخ [٤] ، عبد الرحيم جلبي ابن الجوخي نسبة لبيع الجوخ [٥] ، الشيخ عمر الخباز [٦] ، صادق أفندي بن محمد أفندي الخرّاط [٧]، وحرفة الطحانة (الطحان)[٨] .

ثم إنّ أسواق دمشق وحوانيتها تتأثر تأثيرا كبيرا بالأحوال الطبيعية كالأمطار أو السيول أو الفيضانات ، فترتفع أسعار بعض السلع أو تقلّ تبعا لتلك الظروف ، وقد تتأثر أيضا باحتكار بعض التجار للسلع التي تشهد عرضا قليلا وطلبا متزايدا ، بالرغم من حملات التفتيش التي تتم بين الفينة والأخرى على تلك الأسواق والتفتيش على أرباب الحرف ، من قبل القاضي أو المتسلّم أو المحتسب [٩] ، وفي حالة غياب الدولة عن التفتيش والمراقبة على الأسعار وملاحقة المحتكرين ؛ فإن العوام من أهالي دمشق ، قد تصدر منهم تصرفات بحق المسؤولين فيهاجمون القضاة ويقذفونهم بالحجارة [١٠]، كما أن تلك الأسواق تتأثر بالفتن والقلاقل التي تحدث ما بين الانكشاريّة وقوات القابي قول والأشراف ، حيث نجد أن كل تلك المحلات تُغلق حتى تهدأ الأوضاع بالمدينة، ويستمر إغلاقها ما بين يوم واحد على الأقل إلى أسبوع

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٢٦٥ ، القاسمي ، قاموس الصناعات الشامية ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(٢) ن م ، ص ٢٩٩ ، القاسمي ، المرجع السابق ، ج ٢، ص ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(٣) ن م ، ص ٣٢٦ ، القاسمي ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٤) ويلقب محترفها بدمشق (العشي) ،ابن كنان، المصدر السابق، ٣٣٢ ، ج ٢ ، ص ٤١٢، القاسمي ،المرجع السابق ، ج ٢، ص ٢٨٦ .

(٥) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ ، القاسمي ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ٨٥ .

(٦) ن م ، ص ٣٧٣ ، القاسمي ، المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٧) ن م ، ص ٤١٥ ، والخراطة هي تعني خرط العود أو الخشب بأنواعه بواسطة الآلة وهي حرفة رائجة ، القاسمي ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٨) وهي حرفة تقوم على طحن الحنطة وغيرها من الحبوب، القاسمي ،المرجع السابق،ج٢،ص٢٩٠.

(٩) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .

(١٠) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٤١ ، ٥٢ ، ٦٣ .

ويلحقها خسائرَ مادية على أصحابها [1] .

ومع ذلك فإن أرباب تلك الأسواق لا يتردّدون بإشعال القناديل ، ووضع الزينة على حوانيتهم في حالات مجيء باشا جديد لدمشق ، أو عند وصول البشارة بانتصار السلاطين على بلاد الكفر ، أو في المناسبات الدينية كشهر رمضان والعيدين [٢] ، والجدول التالي يوضح أسماء الأسواق التي وردت عند ابن كنان في كتاب (الحوادث اليومية) ، عدا سوق البزورية [٣] .

*** جدول رقم (٥) الأسواق في دمشق عند ابن كنان في كتابه (الحوادث اليومية) :**

الرقم	السوق	ملحوظات	الجزء / الصفحة
١	سوق العطّارين	تعرّض للاحتراق بتاريخ ١٨/ صفر/ ١١١١هـ / ١٦٩٩م	ج ١ ، ص ١٦
٢	سوق القناطر	ملاصق لجامع البغا	ج ١ ، ص ١٥٠
٣	سوق الفضايل	يستخدم لبيع ما تبقى من أثواب القماش	ج ١ ، ص ١٧٤ .
٤	سوق الذراع	لصيق جامع بني أمية ، وتعرض للاحتراق سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م ، وأعيد بنائه في سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م	ج ١ ، ص ١٨٥ ، ١٩٣.
٥	سوق الخياطين	كان عبارة عن خان مردوم، ثم أصبح سوقا ، من عمل الباشا إسماعيل العظم	ج ٢ ، ص ٣٧٨ ، ٤٠٠
٦	سوق الغنم	ساحة واسعة لبيع الأغنام	ج ٢ ، ص ٤١٥
٧	سوق الأروام		ج ١ ، ص ٨١ / ج ٢ ، ص ٤١٨ .

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، ١٣١ ، ج ٢، ص ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٥٠٩ ، انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٣) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٣٩ .

- الأسعار في دمشق :

إنّ أثر الموسم المطري على أحوال الناس المعيشية يظهر بشكل مباشر في كتابات المؤرخين الدمشقيين ، فالأمطار والثلوج تعتبر عوامل أساسية في نجاح أو فشل الموسم الزراعي ، فإذا لم يلحق تلك العوامل كوارث قاسية على البشر والشجر والحجر ، فإنها تكون غيثاً يُحيي به الله الأرض بعد موتها ؛ إنْ سبق وتعرّضت للجفاف لشحّ الأمطار ، ويفرح الناسُ لها ويستبشر بها الدمشقيون خيراً بموسمٍ خصْب تتوفّر فيه الغِلال من مختلف الزروع ، فتنخفض الأسعار وتقلّ معها المجاعات ، فقد نزل بدمشق في سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م ثلج كثير " وفَرِح الناس " (١) ، كذلك نجد أنّ البُديري يصِف حالة الناس عندما انخفضت معظم الأسعار في سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م ؛ حيث انخفض سِعر غَرارة القمح من ستةٍ وعشرين قرشاً إلى ثمانية قروش في شهر رجب ، فانخفض سعر رطل الخبز إلى ثلاث مصاري ، ويصف حال الأهالي بقوله عنهم : " صاروا يبكون وينتحبون سروراً ، حيث فرَجَ اللهُ عليهم ، وقد زُيّنت غالب أسواق الشام " (٢)، وقد أظهر ابن كنان مشاعره عندما هطلت الأمطار الوسمية (أول مطر الخريف) على دمشق لمدة أسبوع كامل في سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م ، فيحمد الله ويشكره على تلك النعمة (نعمة المطر) بقوله : " ولله الحمد " أو " ولله الحمد والمنّة " أو " ومنه الفضل والإحسان " أو قوله : " وبيده الإحسان والإنعام " (٣) ، وعلى ذلك فإنّ ابن كنان كان يرى أنّ تساقط الأمطار الوسميّة في سنتي ١١٣٠هـ/ ١٧١٨ م ، وسنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م أنها كانت سبباً رئيسيا في رخاء الأسعار وثبوتها لا سيّما في أسعار الحبوب والتي تشكّل سِلعاً أساسيّة عند أهالي دمشق والشام عموماً (٤) ، ويرى ابن كنان و البديري الحلاق أن قلّة تساقط الأمطار والثلوج وتعاقب الجفاف وارتفاع الأسعار ، وعدم توافر السّلع بالأسواق بأنها غضب وابتلاء من الله تعالى ، وذلك لكثرة الذنوب والمعاصي ، وظهور الفاحشة والفسوق والرّبا والغشّ والتلاعب

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ،، ص ١٨٤ .

(٢) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ ،٢٣٢، ٢٩٠، ٣٣٣ ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ ، ٤٥٤، ٤٦٩ ، ٤٧١.

(٤) ن م ، ج ١، ص ٢٩٠ ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

بالأسعار بين الحُكّام والناس ، وغالباً ما نجد ابن كنان يحتسب إلى الله تعالى عند وقوع البلاء والشدّة في قلة المطر والثلج بقوله : " لا قوّة إلّا بالله "(١) ، أو " وهو المدبّر سبحانه " (٢) ، أو قوله على سبيل المثال : " والله يـُحسِن الحّال " (٣)، أو " نسأله سبحانه العفو والمُسامحة برحمته "(٤)، أو " والله يَلطف بالعباد " (٥) ، وكذلك قوله : " ونسأله رخاء الأسعار والتيقّظ في الجّهر والإسرار " (٦) .

وعلى الرغم من طبيعة العلاقة التي ترتبط ما بين تساقط أمطار الخير – الغيث – ورخاء الأسعار أو شدّتها ، فإننا نجد أن ارتفاع الأسعار قد يستمر حتى مع وجود الهطول وكثرته وأمر ذلك يعود إلى الدّور الذي يجب أن تضطلع به الدولة إزاء التجار ومراقبتها وتفتيشها على الأسواق ، وهذا يتضح من خلال استغلال أرباب السوق والصنائع من التجار لضعف الموسم المطري وشحّه ، حيث يعمدون إلى احتكار السلع وتخزينها إلى أجل مسمى ، حتى يتم بيعها بسعر أغلى من الوضع الطبيعي لها ، وخصوصاً في شهر رمضان المبارك ، مع تزاحم الوافدين من خارج دمشق من الحجيج العجم والحج الحلبي ، فهذا الشهر يعتبر فرصةً مواتية لتنشيط حركتي البيع والشراء في المدينة ، والتي تستمر حتى وقت السحور ، ففي شهر رمضان من سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ؛ ارتفعت الأسعار على كثير من السلع مثل الخبز والسمن ، واللحم والأرز ، وغرارة القمح والعدس والدبس ، والبصل والبرغل ، والحمص واللوبيا ، والثوم بالرغم من كثرة الأمطار ، وكذلك استمر الحال في الغلاء والنهوض بالأسعار على جميع الأصناف في رمضان سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٤م و سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م ، مثل : الكعك والزيت والمشمش الحموي والصابون ، وسبق هذه السنة ببضع سنوات ، وبالتحديد سنوات (١١٥٧هـ / ١٧٤٤م ، ١١٥٨هـ/١٧٤٥م ، ١١٥٩هـ /١٧٤٦م)

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) ن م ، ص ٢٣١ .

(٣) ن م ، ص ٢٦٥ .

(٤) ن م ، ص ٢٩٩ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ / انظر : الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٣٨ ، ١٥٢ ، ١٢٦ .

(٦) ن م ، ص ٤٣٩ .

شدة في غلاء الأسعار على الرغم من المطر الوفير ، والفواكه الكثيرة ، وتعدد أنواع النباتات ، وهذا الغلاء أو النكَد ؛ ردّه البُديري إلى إهمال الدولة وقلة التفتيش (١) ، وربما يكون ذلك بعلم من قِبلْ السلطة في دمشق ، والتي قد تكون متواطئة ومستفيدة ، ولها مصلحة خاصة في تخزين المواد واحتكارها ، وعدم بيعها للناس عند اشتداد حاجتهم لها ، فقد أنكر البديري الحلاق على مفتي الشام حامد العمادي والذي كان يخزّن القمحَ مثل الأكابر والأعيان الذين لا يخافون الرحمن الرحيم ، حيث عندما جاءه الكيّالة وقالوا له : " نبيع الحنطة كل غرارة بخمسين قرشاً ، فقال لهم : مهلاً فلعلّ الثمن يزيد " فأثار ذلك من اشمئزاز (البديري الحلاق) له ؛ إذ يقول فيه : " فإذا كان مفتي المسلمين ما عنده شفقةً على خلق الله فلا تعتب على غيره ! " (٢) .

إلّا أنّه وبالرغم من مشاركة كبار رجال الدولة بالشام في احتكار بعض من المواد ؛ إلّا أنهم كانوا مضطرين نتيجة للضغط الذي يمارسه العوام عليهم للتدخل في الحدّ من هيمنة فئة قليلة من التجار المحتكرين ، فيقومون بمتابعة السّوقية وأرباب الحِرف (٣) ، وخصوصاً أولئك الذين يخزّنون مواد القمح والطحين ، لِما لهما من أهمية بالغة في صناعة الخبز والكعك والذي يعتبر وجبةً أساسيّةً على مائدة طعام غالبية الناس ، وقد اشتدّ الناس من نقص مادة الخبز في الأفران في شهر رجب من سنة ١١٢٥هـ / ١٧١٣م ، حتى وصل بهم الحال إلى أن يصطفّوا في طوابير رجال ونساء أملاً في الحصول على رغيف واحد (٤) ، فتدخّل باشا الشام (نصوح) لحلّ أزَمَة الخبز عندما " وضّب قمح البلد وضبطَه في حواصله عند الدولة من الزعماء وأعيان الأفنديّة " (٥) ، ليُصار بعد ذلك التشديد على الطحّانة والتفتيش على الأفران ، ويُحاسب كل مَن يتلاعب بقُوت الأهالي ، فقد ذكر ابن كنان : أنّه في يوم الثلاثاء من سنة ١١٢٦هـ / ١٧١٤م قام نائب حارة الصالحيّة بأن سمَّر رجلاً من الطحّانة

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ١٨٢، ١٩٩ ، ٢١٦ ، وقد أطلق على غلاء الأسعار اسم : النكد .

(٢) ن م ، ص ١٢٧ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

(٤) ن م ، ص٢٠٤ .

(٥) ن م ، ص ٢٠٣ .

مقابل محكمتها [١] ، كما أعدمت الدولة بالشام في يوم الأحد٢٢/ شوال / ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م (ابن العلاّوي) معلِّم طاحون الزَّراميزيّة لاحتكاره لمادة القمح والاحتفاظ به وتقنينه على الأهالي [٢] ، وقد يستغل هؤلاء المحتكرون فرصة خروج الباشا مع موكب الحج للديار المقدسة ، فيرفعون التسعيرة على أهوائهم ، ويبدو أن هذا الأمر لا يتم إلاّ بعد الاتفاق مع نائب الباشا ، حيث أنه لا يستطيع أحدٌ من التجار سواء من الطحّانة أو من غيرهم أن يتجرأ على التلاعب بالسّعر ؛ إنْ لَمْ يكن بعض المسؤولين في دمشق والشام على عِلم مُسبق بالأمر ، فيتم البخشيش والبرطيل بين الأطراف صاحبة العلاقة ، ففي سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م سعّر باشا الشام أسعد العظم سِعر الحنطة والخبز ، فجعل غرارة الحِنطة بخمسةٍ وعشرين قرشاً ، ورطل الخبز بخمس مصاري ، غيْرَ أنّ هذه التسعيرة لم يلتزم بتنفيذها بعض التجّار ، وخاصةً عندما خرج الباشا مع موكب الحجّ ، فرفعوا غرارة القمح إلى ثلاثين قرشاً ؛ أي بزيادة وصلت إلى خمسة قروش خلال أيام قليلة بعد التسعيرة السّابقة [٣] ، وهذا الأمر غالباً ما ينتج عنه تمردات عامة في دمشق مثل : تمرّد عام ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م ، في فترة ولاية أسعد باشا العظم ، فقد أخبَرَ عنها البُديري بما يلي : " في نهار الاثنين الحادي والعشرين من جمادى الآخرة ؛ قامت العّامة من قلّة الخبز وغلوّ الأسعار ، وهجموا على السرايا ، رافعين أصواتهم بالبكاء والتضرع ، قائلين ما يحل من الله قلة الشفقة على العِباد الذين تضرّروا بالغلاء ، وأنت حاكم الشام ومسؤول عند الله عنّا وعن هذه الأحوال ، فقال لهم أسعد باشا : اذهبوا إلى المحكمة ، واشكوا حالكم إلى القاضي ، فأقبلوا نحو المحكمة ، واصطرخوا فيها يشكون حالهم وما أصابهم وما هو واقعٌ بِهِمْ ، فخرجت جماعة القاضي بالعصيّ وطَرَدوهم ، وكان ذلك بأمر نائبه ، فهجمت العّامةُ ورجموهم بالحجارة ، فأمر القاضي أعوانَه أنْ يضربوا بالبارود ؛ فضربوهم ، فقتلوا منهم رجلاً شريفاً وجَرَحوا منهم جماعةً ، فغارت العّامّةُ عليهم ، وساعدهم بعضُ الانكشاريةِ ، فهزموا القاضيَ ، وقتلوا باش جوقدار (الجوخدار [٤]) وبعضَ أعوانه ، ونهَبوا المحكمةَ ، وحَرَقوا بابَها ،

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ .

(٣) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٥٢ .

(٤) للمزيد عن وظيفة الجوخدار انظر صفحة ٢٣٤ من الدراسة .

وسكّرت الناسُ البلدَ ، فركِبَ بعضُ الأغوات ِ وردَّ النّاسَ ، وأمّا القاضي فقد هرَبَ من فوقِ الأسطحةِ ؛ هُوَ ونائبه وجماعته " (١) .

وقد أجاز ابن كنان الصالحي قتلَ المحتكرين الذين يستغلّون حاجات الناس عند انحباس السماء عن المطر، وما يتبعها من جفاف وغلاء ، ولأنّ هؤلاء " الطّحّانة والخبّازة واللّحّامة " كانوا قد تجرّأوا على الحُكّام ، ولأنهم تظاهروا بالإسلام ، فلا يحلّلون ولا يُحرّمون ، فأصبحوا عبيداً للدرهم والدينار ، حتى بلغ الأمر من ابن كنان أنْ يتوعّدهم على لسانِ الله تعالى بأنهم مطرودين ومُبعَدين عن رحمته (٢) ، وذلك بقوله - عزّ وجلّ -:" ملعونين أينما ثُقِفُوا أُخِذوا وقتّلوا تقتيلاً " (٣) .

وكان قضاة الشام يقومون أحياناً بقصاص المحتكرين والتنكيل بهم على مرأى من الناس أمام المحاكم أو في الشوارع ، وذلك حتى يتّعظ بهم كلّ مَن تسوِّل له نفسه بالإقدام على مثل تلك الفِعال ، وحتى لا يستمر أذاهم ويعمّ على عامّة الناس في المدينة ، وبالتالي فإن حالة هؤلاء تكون بمثابة العِبْرة والعِظة لمن يعتبر ويتّعظ .(٤)

وبالرغم من أن أحوال الطقس والمُناخ تتحكم بارتفاع الأسعار ؛ إلاّ أنه توجد عوامل أخرى تؤدي إلى فساد المحاصيل وإتلافها ، وأثرها في نفوق الحيوانات التي يحتاجها المزارع في حياته ، ومنها (الجراد ، ووباء موت البقر) .

- الجراد : وهي من أنواع الحشرات الجنادب وتتغذّى على النباتات والزروع ، وقد سمّيت بذلك لأنها تأتي على الزروع بشكل جماعات كبيرة ، فلا تبقي ولا تذرْ ، وتُتلفُ المحاصيل ، وتُعيثُ فيها خراباً ، وتصبح الأرضُ جرداءَ ماحلة ، ومن هنا جاءت تسميتها (٥) .

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٦٣ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٧٤ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية رقم ٦١ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، ج ٢ ، ٤٧٤ ، الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٩١.

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١١٣ .

ويعتبر الوقت الذي تغزو فيه تلك الحشرات على ممتلكات المزارعين ، بمثابة الكابوس الذي ينزعج منه المرء ، ولا يهدأ حتى يصحو ويتخلّص منه ، وذلك لِمَا يترتّب عليه من خسائر فادحة وباهظة في حشائش الأرض ومزروعاتها ، ولذلك نجد أنّ الدولة بالشام كانت تتخّذ التدابير اللازمة لمكافحته والقضاء عليه بأسرع وقت ممكن ، حيث أن الأضرار الناجمة عنه تعتمد على المُدّة التي يقضيها في المنطقة ، وقد أشار المُحبي إلى الطريقة التي كانت الدولةُ تعتمدها في مكافحة تلك الآفة ، فكانت الطيور المسماة " السمرمر " أو " السواديّة " نسبةً إلى لونها الأسود عدوّاً للجراد كما كان يُعتقد ، وهذه الطيور كانت تفضّل شرب ماء في عيْن تقع في بلاد فارس ، وهذه المياه حَمَلت اسم هذه الطيور التي كانت تتبع المياه أينما حلّت فسميت " ماء السّمرمر " أو" ماء السّرم " أو" ماء الجَراد" ، أو" عَيْن شَرِم " ، حيث اعتادت الدولةُ في تلك الأحوال الطارئة أنْ تُرسل أحد الرّجال الصالحين لإحضار قليل من تلك المياه شريطةَ عدم التفاته إلى الخلف حين عودته إلى دمشق ، وأنْ لا ينسكب منها أي قطرة إلّا في المكان المخصّص لها والذي غالباً ما يكون في القِمم العالية ، وعلى منارات الجوامع الدمشقيّة كالجامع الأموي وجامع المصلّى، ويُشترط في حامل الماء أيضاً أنْ لا يسير تحت سقف ، فلا يبطل مفعول الماء الذي ترافقه طيور السمرمر ، وعند وصول حامل الماء إلى دمشق يكون في استقباله خلقٌ كثير من المشايخ والأهالي حاملين الأعلام والمزاهر ، وهم يردّدون الدعوات والتهاليل (١) ، وقد أشار ابن كنان إلى تعرّض بساتين وزروع دمشق لزحف واسع من حشرات الجراد وكان ذلك في سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م ، واستعانت الدولة بماء السّمرمر الذي وصل حامله إلى دمشق يوم الاثنين ٢٣/ صفر / ١١٢٠هـ /١٧٠٨م ، ووضعت المياه فوق مِئذنة العروس بالجامع الأموي ، وبعض منها وُضِعَ على مئذنة جامع السلطان سليم ، وقسم منها وُضِعَ فوق مِئذنة جامع المُصلّى ،وقد استقبله يوم دخوله ما لا يُحصى من الخلق ، وخرج المشايخُ بالأعلام والمزاهر (٢) ، وقد زحف الجراد إلى دمشق في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ؛ في سنوات (١١٥٩هـ / ١٧٤٦م ،١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) ، حيث خرج أهل الصالحية ومعهم المشايخ

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق : أنور محمود زناتي ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٨م ، ص ٢٦٤ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

والنساء والرجال والأطفال بالبكاء والعويل والتضرّع إلى الله تعالى بدفع هذا البلاء (١) .

- وباء موت البقر :

لم يقف الأمر في غلاء الأسعار على كمية المواسم المطرية ، أو على زحف الحشرات الضارة بالمحاصيل كالجراد والتي قد يصاحبها ارتفاع في أسعار الحبوب من قمح وشعير أو ارتفاع في أسعار الفاكهة والخضراوات فحسب ؛ وإنما تتعرض الحيوانات اللاحمة لأمراض تؤدي إلى نفوق أعداد كبيرة منها ، وخصوصاً (الأبقار) ، فكانت دمشق وعلى مدى سنوات ماضية تعاني من انتشار مثل هذا الوباء ، فيفتك بالأبقار ، وتقل أعدادها ، وتزداد معه المشاق والمتاعب لمن يزاول مهنة الزراعة ، وقد وصف ابن الحمصي ، في حوادث الزمان أحوالَ الناس في دمشق عندما أصابها داء البقر في سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م بقوله : " صاروا يحرثون على الآدميين ، وعلى الحمير (٢) " ، عندئذٍ ترتفع أسعار اللحوم في الأسواق ، وقد شهدت دمشق في حياة ابن كنان الصالحي هذا الوباء وذلك خلال سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠م ، ويبدو من وصفه أنّه كان شديداً وقاسياً بدليل أنّه لم يبقَ من البقر سوى أعداد قليلة منها (٣) ، وقد وصل سعر رطل اللحم في شهر شوال من سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م إلى مبلغ عشر مصريات (٤) ، وعدا عن الأمراض والأوبئة التي كانت تطال الحيوانات ، فإنّ بعضا منها كانت تَنْفق نتيجةً لسوء الأحوال الجوية وللرياح الشديدة ، والسيول والفيضانات إبّان سقوط الأمطار الغزيرة على دمشق ، فذكر البُديري الحلاق في سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م ، هطلت أمطار كثيرة ، ونتج عنها نفوق الكلاب والوحوش والطيور ، وقد نفق لأحد أهالي دمشق في يوم واحد فقط اثنتان وعشرون دجاجةً(٥) .

ويرتبط ارتفاع الأسعار أيضاً بنوع العملة المتداولة وقوة شرائها ، فقد كان عصر ابن كنان الصالحي عصراً تغيّرت معه أحوال العملات المتداولة في سلطنة بني عثمان وأثّر تغييرها

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٧٣ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢، ١٦٦ .

(٢) ابن الحمصي ، حوادث الزّمان ، ج ٢ ، ص ٤٧٧.

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٥) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

على طبيعة الحياة في الولايات والمناطق التي تتبعها ، ويبدو من خلال قراءة مؤلفات ابن كنان أن عملة (القرش) كانت العملة المتداولة في دمشق ، وكانت قيمته غير مستقرة وغير ثابتة وتتغيّر باستمرار مقارنةً مع العملات الأخرى مثل (المصريّة) والتي كانت تُسك في مصر ، وأخذت تسميتها منها ، وكل مصرية واحدة تعادل ستة فلوس ، ومنها (المصرية الصّاغ الفضيّة وهي الصحيحة) ومنها (المصرية المقصوصة) ، وكان القرش الواحد يساوي أربعة وعشرين فلساً ، بمعنى : أنّ القرش يعادل ما قيمته أربع مصريات ، بينما كان الريال يعادل قرشاً ونصف ؛ أي ست مصريات ، حيث تغيّرت المعاملة النقديّة في سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م ، فقد نودي على المُعاملة بأن القرش بأربع مصريات صاغ، والمقصوص كل ثلاثة بمصريتين ، بينما عملة الفَلْس فلا يُتداول منها سوى ما كان منها بسك السلطان القسطنطيني ، وتسمى عادة القطعة ، وكانت مصنوعةً من الفضة قبل أن تتغير في زمن ابن كنان وتصبح من النحاس " (١) ، بينما انخفضت القيمة الشرائية للعملات في سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م ، حيث أصبحت المصرية الأحمدية تعادل تسعة فلوس ، أي أنّ القرش الواحد أصبح يُعادل ما قيمته ستة وثلاثين فلساً ، بينما انخفضت قيمة المصرية غير الأحمدية ووصلت إلى ستة فلوس مضروبة بسكة السلطان (٢) ، وهو ما حافظ عليها باشا الشام أسعد العظم في سنة ١١٦١هـ / ١٧٤٨م (٣) ، في حين نجد أنّ الفلوس التي كانت من ضَرْب الشام قد بَطَلت في سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م (٤) ، وبعد ثلاث سنوات تغيّرت القيمة النقديّة للريال فأصبح يُعادل ما قيمته قرشين إلاّ ثلث (٥) ، وواصلت القيمة انخفاضها إلى سنة ١١٦٦هـ / ١٧٥٣م ، فأصبح القرش يُعادل اثنا عشرة مصريةً ، بعدما كان يُعادل سابقاً ما مجموعه أربع وعشرين مصريّة (٦) ، إلاّ أنّ قيمة العملة تلك لم تستمر سوى ست سنوات حتى عادت إلى وضعها السابق وهو أنّ كل مصريّة واحدة تُعادل ما قيمته أربعة

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ ، الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٣٥ .

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ .

(٣) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٤) ن م ، ص ٦١ .

(٥) ن م ، ص ١٠٦ .

(٦) ن م ، ص ١٧٣ .

وعشرين فلساً [1] .

ومع الأهمية النقدية للعملات ، إلّا أنّه بدأ يطالـها التلاعب والغشّ ، فظهر منها عملات مزيّفة تُسكّ بواسطة القوالب الرمليّة ، وهي ما اصطُلح عليها اسم : الفلوس الرمليّة ، وقد كانت الدولة بالشام تُعاقب مروّجيها بالحبس ، إلاّ أنّه ومن الجدير ذكرهُ بأن الدولة قد بدأت تتعامل بهذه العملات المزيّفة ! والدليل على ذلك ؛ أنها جعلت لها تسعيرةً خاصةً بها ، فجعلت كل احدى وعشرين فلساً يُعادل مصريّةً واحدة [2] ، ويبدو أنّ سبب اعتراف الدولة بهذا النوع من العملات يعود إلى انتشارها وشيوع استخدامها في بلاد السلطنة العثمانية ، وخصوصاً بالشام .

وبناءً على ما كان يعتري العملات من ارتفاع أو انخفاض في قيمتها الشرائية ، فإنّ الأسعار في السّلع لم تكن تقف عند سعر واحد ، ولكن غَلَب عليها حالة من عدم الاستقرار ، فهي تتباين وتتذبذب بحسب الأحوال والظروف السابقة جميعها ، وكان ابن كنان الصالحي لا يشير كثيراً إلى أسعار تلك السّلع بقدر ما كان يعطينا فكرةً عن ظروف السنوات التي عاشها، فهو يكتفي بذكر ما لحق منها من ارتفاع أو انخفاض ، فقد بِيعَ المدّ من الشعير في شهر صفر من سنة ١١١٦هـ / ١٧٠٤م بعشرة قروش [3] ،بينما انخفض سعر غرارة القمح في شهر صفر من سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م إلى ثمانية عشر قرشاً [4] ، ويبدو أنه في شهر جمادى الأولى من سنة ١١٢٦هـ / ١٧١٣م انخفضت معظم أسعار السلع [5] ، في حين شهدت دمشق في شهر شوال من سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م رخاءً في أسعار الفاكهة [6] ، واستمرّ ذلك الرخاء إلى سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م ، حيث بِيعَ رطل الخبز بمصريتين ، ورطل اللحم بعشر مصريات صاغ ، بينما كانت الخمس عشرة مصرية غير

---

(١) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٢٢١ .

(٢) ن م ، ص ١٣٤ ، ١٤٩ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٤) ن م ، ص ١٠٦ .

(٥) ن م ، ص ٢٢١ .

(٦) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ .

الصّاغ يُشترى بها الرطل من اللحم ، ورطل الرّز بخمس مصريات (١) ، كما أخذت تلك السلع بالارتفاع من ناحية الثمن بعد سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م ، ففي شهر ربيع الأول من تلك السنة ، ارتفعت الأسعار وخاصةً في سعر القمح بدليل أنّ الناس كانوا في مشقّة عند شرائهم الخبز واصطفافهم رجالاً ونساءً أمام الأفران (٢)، لكن انخفض سعر الحبوب دون غيره من الموادّ في شهر محرم لسنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م (٣) ، لكن يبدو أنّ تلك الأسعار لم تستقر عند رقم معيّن ، وانما ارتفعت في شهر صفر من السنة التي توفيّ فيها محمد بن كنان الصالحي أي سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠ م ، ومنها الشعير على وجه الخصوص (٤) .

لا يمكن الاكتفاء بما جاء به ابن كنان الصالحي من أسعار للسلع دون أن نُتْبعها بما ورد عند البُديري الحلاق ، والذي يغطّي بشكل مفصّل وواضح لنسبة كبيرة من أسعار السلع والمواد على اختلاف أنواعها ومسمّياتها ، عِلْماً أنه جاء مُكمّلاً لما بنَى عليه ابن كنان الصالحي ، لذا وجدنا من الضروري استنطاق كتاب البديري الحلاق والذي يتناول الرّبع قبل الأخير من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، وذلك فيما يختص بأسعار الحبوب والفواكه والخضراوات والخبز والأرز وغيرها في دمشق ، وهي مجدولة كالآتي :

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ٣٨٢ .

(٢) ن م ، ص ٤٣٨ .

(٣) ن م ، ص ٤٤٣ .

(٤) ن م ، ص ٥١٧ .

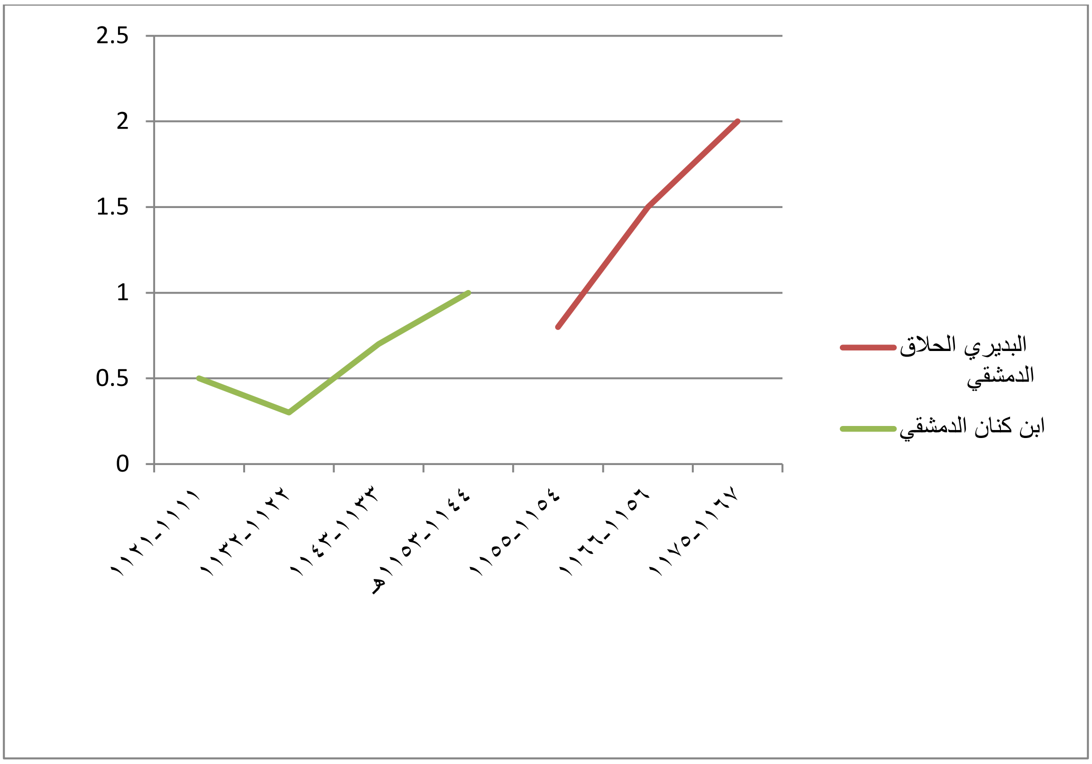
*جدول رقم (٢٧) أسعار السِلع والموادّ في دمشق عند البديري الحلاق في (حوادث دمشق اليومية) :			
الرقم	**التاريخ : شهر ، سنة**	**الأسعار**	**رقم الصفحة**
١	ذو الحجة /١١٥٤هـ/١٧٤١م	وصل سعر رطل اللحم إلى ثلاث مصريات ، وبِيع على الحجّاج في محطة (المزيريب) حوالي قرش واحد.	١٠ ، ١١.
٢	شوال / ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م	رخص بالأسعار ، وبِيع مُدّ الشعير بقرش ونصف .	٣٤ .
٣	محرم / ١١٥٦هـ/١٧٤٣م	ارتفاع في الأسعار، فقد بِيع رطل الخبز ما بين (أربع إلى خمس مصريات)، ورطل الأرز(ثمان مصريات) ، ، رطل الدّبس (ثمان مصريات) ، أوقيّة السّمن (قبل هذا الشهر كانت تُباع الرطل وثمانية أواق بقرش واحد ، وفي هذا الشهر بِيع الرطل بست مصريات ولا توجد) ، أوقية العسل (خمس مصريات) ، رطل اللحم الضأن (ثلاثون مصرية) ، رطل لحم الجاموس ولحم البقر (عشرون مصرية) ، رطل الثوم (اثنا عشرة مصرية)، أوقية الزيت (بمصريتين وقطعة من الفلس النحاس)	٣٥ .
٣	صفر / ١١٥٦هـ /١٧٤٣م	بِيع مدّ العليق ما بين (قرشان – أربع قروش) ، بِيعت كل ثلاث حبّات من التّمر (مصرية واحدة) ، بِيع مدّ الملح (ثلاثون مصرية) ، أوقية الدّبس (مصرية واحدة) ،واللّبن (سبع مصريات) ، الخبز لا يوجد بالأسواق – دلالة على احتكاره وارتفاع سعره - .	٣٧ ، ٣٨.
٤	رمضان / ١١٥٦هـ/١٧٤٣م	غلاء في الأسعار ، رطل الخبز (خمس مصريات) ، أوقية السمن (ست مصريات) ، رطل الأرز (تسع مصريات)، رطل اللحم (ثماني عشرة مصرية) ، غرارة القمح (خمسة وعشرون قرشاً) .	٤٨ ، ٤٩ .
٥	شوال / ١١٥٦هـ/١٧٤٣م	ارتفع سعر غرارة القمح بزيادة بلغت خمسة قروش ، وبِيعت (ثلاثون قرشاً) .	٥٢ .
٦	سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٣م	حافظت السلع على أسعارها السابقة .	٥٧ .
٧	جمادى الآخرة / ١١٥٨هـ/ ١٧٤٤م	زاد الغلاء في الأسعار ، رطل الخبز (بنصف قرش) ، البَيْضة الواحدة (مصرية واحدة) ، مدّ الشعير (نصف قرش) ، مدّ الحُمّص (نصف قرش) ، غرارة القمح (خمسة وأربعون قرشاً) ، أوقية الطحينة (أربع مصريات) ، ثلاث أرطال من الدّبس (قرش) ، رطل العسل (قرش وربع) ، مدّ الملح (نصف قرش)	٦٤ .
٨	جمادى الأولى / ١١٥٩هـ / ١٧٤٥م	زاد الغلاء في جميع البضائع بسبب زحف الجراد على المدينة ، وبِيع رطل الخبز (خمس مصريات) .	٧٣، ٧٤ .
٩	رجب / ١١٥٩هـ/١٧٤٥م	ارتفع سعر رطل الخبز الجيّد (سبع مصريات) ، والخبز الوسط (ست مصريات) ، بينما بِيع الخبز الرديء (خمس مصريات) ، رطل الكعك (خمس	٨١ ، ٨٢ .

		عشرة مصرية) ، رطل الأرز (عشر مصريات) ، أوقية السمن (خمس مصريات) ، أوقية الطحينة (خمس مصريات) ، رطل الجبن والدبس (ثماني عشرة مصرية) ، رطل العسل(قرش ونصف)، مدّ الملح (عشرون مصرية) ،مدّ الحُمّص والعدس(ثلاث أرباع المصرية) ، رطل التين الطري (أربع مصريات)، كل ثلاث حبات من الكوسا (مصرية واحدة) ، رطل الباذنجان (ثمان مصريات) ، كل يقطينة واحدة(أربع مصريات) ،رطل اللحم(نصف قرش)، البطيخة (نصف ريال)، رطل الخيار(مصريتان) .	
١٠	صفر / ١١٦٠هـ/١٧٤٦م	ارتفع سعر رطل اللحم ما بين (سبع إلى عشر مصريات)	٨٨ .
١١	جمادى الأولى /١١٦٠هـ/ ١٧٤٦م	ارتفع سعر رطل الخبز ما بين (سبع إلى ثمان مصريات)	٩٣ .
١٢	رمضان / ١١٦٠هـ/١٧٤٦م	بِيعت غرارة القمح (عشرون قرشاً) ، رطل الخبز (خمس مصريات) ، رطل الأرز (احدى عشرة مصرية) ، الباذنجان (أربع مصريات) .	١٠٥ .
١٣	صفر / ١١٦١هـ/١٧٤٧م	الغلاء مشتد بدمشق ، رطل اللحم (ثلاثون مصرية) ، رطل الأرز (اثنا عشرة مصرية) ، رطل الخبز ما بين (خمس – سبع مصريات)	١٠٨ .
١٤	صفر / ١١٦٢هـ/١٧٤٨م	بِيعَ رطل الفحم بخمس مصريات ، وذلك بسبب البرْد الشديد بدمشق	١٢٥ .
١٥	ربيع الأول / ١١٦٢هـ/١٧٤٨م	زاد الغلاء في دمشق ، رطل الخبز الجيّد (اثنا عشرة مصرية) ، بينما الخبز الوسط (ثمان مصريات) ، بينما بِيع الخبز الرديء (ست مصريات) ، أوقية السّمن (سبع مصريات) ، أوقية الزّيت (مصريتان) ، رطل اللحم (ست وثلاثون مصرية) ، رطل الثوم(أربع وعشرون مصرية) ، غرارة القمح (اثنتان وخمسون قرشاً) ، بِيعَت البيضتان (مصرية) ، رطل الأرز (خمس عشرة مصرية) ، رطل الفحم (ست مصريات) .	١٢٦ ،١٢٧.
١٦	الأربعاء ١١/ جمادى الأولى /١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م	انخفض سعر غرارة القمح بمعدل سبعة قروش ووصل سعرها إلى (خمسة وأربعين قرشاً) ، رطل الخبز قلّ سعره تَبِعاً لذلك ووصل ثمنه إلى (ثلاث وأربع مصريات)	١٢٩ .
١٧	الاثنين ١٦ / جمادى الآخرة / ١١٦٢هـ /١٧٤٨م	انخفض سعر غرارة القمح ووصل سعرها إلى (ستة وعشرين قرشاً) ، رطل الخبز (ثلاث مصريات).	١٢٩ .
١٨	رجب / ١١٦٢هـ/١٧٤٨م	قلّت الأسعار وزالت الشدّة ، انخفض سعر غرارة القمح والشعير إلى (ثمانية قروش) ، وبِيعَ رطل الخبز الجيّد (خمس مصريات) والرديء (أربع مصريات ؛ أمّا	١٣٠ .

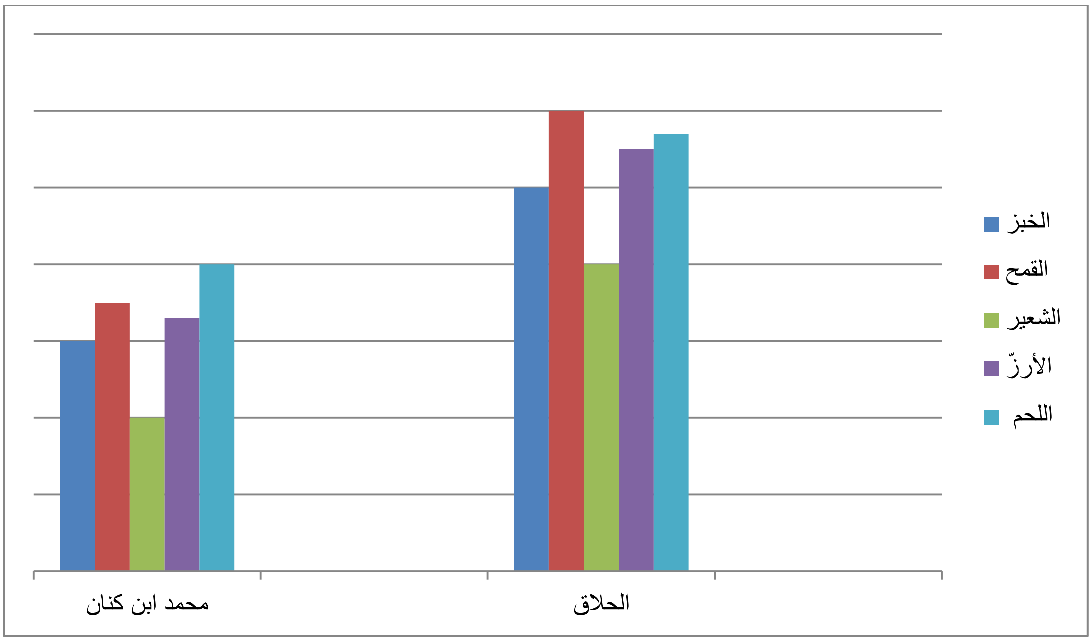
		الخبز المخلوط بالذرة والشعير فقد بِيع (مصريتان) .	
١٩	محرم / ١١٦٣هـ/١٧٤٩م	ارتفعت الأسعار بدمشق بسبب الجليد ، رطل الخبز (خمس مصريات) ، رطل الأرز (اثنا عشرة مصرية) ، رطل اللحم (أربع وعشرون مصرية) ، رطل الفحم (ثلاث مصريات) ، رطل الدبس (ثمان مصريات) ، أوقية السمن (خمس مصريات) .	١٣٥ .
٢٠	صفر / ١١٦٣هـ/١٧٤٩م	كان البرْد شديداً ، رطل الفحم (نصف قرش) ، رطل الخبز ما بين (أربع – ثمانِ مصريات) ، أوقية السمن (خمس مصريات) ، رطل اللحم (ثلاثون مصرية) .	١٣٨ .
٢١	محرم / ١١٦٤هـ/١٧٥٠م	رطل الخبز ما بين (خمس – وست مصريات) ، رطل الأرز (عشر مصريات) ، رطل اللحم (ثمانٌ وعشرون مصرية) ، رطل الدبس (تسع مصريات) ، أوقية السّمن (ست مصريات) .	١٥١،١٥٢ .
٢٢	صفر / ١١٦٤هـ/١٧٥٠م	رطل لحم الضأن والماعز الشامي(قرش واحد) ، رطل لحم الجاموس والسّمك (أربع وعشرون مصرية) ، ورطل لحم الجمل (ثمان عشرة مصرية) ، أوقية الرز (مصرية واحدة) ، أوقية الدبس (مصرية واحدة) ، البيضة الواحدة (مصرية واحدة) ، رطل الخبز (ست مصريات)	١٥٣ .
٢٣	جمادى الأولى / ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠ م	استمر الغلاء في جميع الأصناف ، وقد بِيعَت غرارة القمح (احدى وثلاثون قرشاً) .	١٥٧ .
٢٤	جمادى الأولى / ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م	استمرّ الغلاء مع كثرة الأمطار ، عشر أواقٍ من السمن (قرش) ، ثلاثة أرطال من الدبس (قرش) ، خمسة أرطال من البصل (قرش) .	١٦٦ .
٢٥	رمضان / ١١٦٥هـ/١٧٥١م	رطل الخبز ما بين (ثلاث وأربع وخمس مصريات)، غرارة القمح (اثنتا عشر قرشاً)، رطل اللحم (عشرون مصرية)، رطل الأرز (عشر مصريات)، أوقية السّمن (أربع مصريات ونصف) ، وبِيعَ ثلاثة أرطال الدّبس (ثُلُث قرش) ، رطل البصل (ثمان مصريات) ، رطل الثوم (ست مصريات) ، رطل الحطَب (مصرية واحدة) ، وقنطار السنديان (مائة وعشر مصريات) .	١٦٩ .
٢٦	سنة ١١٦٦ هـ/١٧٥٢م	حافظت الأسعار على معدّلاتها في السنة السابقة .	١٧٢-١٧٨.
٢٧	رمضان / ١١٦٧هـ/١٧٥٣م	غلاء في الأسعار ، رطل اللحم (أربع وعشرون مصرية) ، رطل الخبز ما بين (أربع – خمس مصريات) ، رطل الأرز (عشر مصريات) ، رطل الكعك (اثنا عشرة مصرية) ، رطل الدبس (خمس عشرة مصرية) ، أوقية السمن (ست مصريات) ، أوقية الزيت والصابون (ثلاث مصريات ونصف) ، رطل المشمش الحموي (ست مصريات) بينما المشمش البلدي (ثلاث مصريات ونصف) .	١٨٢ .

٢٨	جمادى الأولى / ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م	زاد الغلاء وخصوصاً على اللحم والصابون والزيت .	١٨٥ .
٢٩	في سنة ١١٦٩ هـ/١٧٥٥م	استمرّ الغلاء في الأسعار .	١٨٨- ١٩٠.
٣٠	رمضان / ١١٧٠هـ/١٧٥٦م	زادت الأسعار كثيراً عمّا كانت عليه في السنوات السابقة ، غرارة القمح (خمسون قرشاً) ، رطل الخبز ما بين (سبع إلى اثني عشرة مصرية) ، رطل الأرز والدبس والبصل (أربع عشرة مصرية) ، ومدّ الحُمّص والعدس و اللوبيا والبرغل (ثلاثون مصرية) ، ومدّ الشعير (اثنا عشرة مصرية) ، أوقية الثوم (مصريتان) .	١٩٩ .
٣١	سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م	زاد الغلاء بشكل فاحش ، غرارة القمح (ثلاث وسبعون قرشاً) ، الأمر الذي رافق ارتفاعها غلاء كبير في سعر الخبز الذي وصل ثمنه بنفس ثمن الرطل من الأرز أي: (أربع وعشرون مصرية) ، أوقية السمن (ثمان مصريات) ، أوقية الزيت (أربع مصريات) ، غرارة الذرة (ثمان وأربعون مصرية) ، وغرارة الحمص (ستون قرشاً) ، وغرارة العدس (خمسة وثلاثون قرشاً) ، وغرارة الشعير (خمسون قرشاً) ، أوقية السمّاق (أربع مصريات) ، رطل البصل (أربع مصريات) .	٢١٦، ٢١٧.
٣٢	رجب / ١١٧٢هـ/١٧٥٨م	رطل الخبز (خمس مصريات) ، رطل الباذنجان (خمس وعشرون مصرية) ، رطل البصل (تسع مصريات) ، رطل اللحم (بقرش وربع وهو قليل بالسوق) ، رطل السمن (بقرش ونصف)	٢٢٧ .
٣٣	رمضان / ١١٧٢هـ/١٧٥٨م	رطل المشمش (أربع وعشرون مصرية) ، رطل التوت (ثمان مصريات) ، رطل التفاح (أربع وعشرون مصرية) ، رطل الأجاص والثوم (ثلاثون مصرية) ، رطل البصل (سبع مصريات) .	٢٢٩ .
٣٤	سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م	حافظت الأسعار على ارتفاعها بسبب الطاعون والأمراض وبالرغم من كثرة الأمطار ، وبيعَت الرّمّانة الواحدة (ثمان مصريات) ، أوقية التفاح (سبع مصريات) ، رطل الفحم (خمس عشرة مصرية) ، أوقية السمن (سبع مصريات) ، أوقية الزّيت (ثلاث مصريات) .	٢٣٢، ٢٣٣.
٣٥	في سنوات ١١٧٤- ١١٧٥هـ/ ١٧٦٠- ١٧٦١م	بقيت الأسعار على حالها	٢٣٣- ٢٣٦.

وبناءً على ما سبق ؛ فقد ارتأيتُ أن أُعطيَ صورةً توضيحيةً لأحوال السّلع وارتفاع الأسعار على جميع الأصناف التي جاءت في يوميات محمّد بن كنان الصّالحي من سنة ١١١١هـ /١٦٩٩م حتى سنة وفاته في عام ١١٥٣هـ/١٧٤٠م ، وتلك التي جاءت في يوميات البُديري الحلاق من سنة ١١٥٤هـ /١٧٤١م حتى سنة وفاته في عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م ، وهي ما يوضّحها الرسمُ البيانيُّ التالي:



رسم توضيحي رقم (١) مستوى الأسعار عند ابن كنان والبديري الحلاق



رسم توضيحي رقم (٢) مقارنة مستوى أسعار بعض السّلع عند ابن كنان والبُديري الحلاق

ونستنتج مِن الشكلين السّابقين بأنّ أسعار السلع في حياة ابن كنّان كانت متذبذبة مِن وقت لآخر ما بين الارتفاع والانخفاض على قلّتها ، لكنها في النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بدأت هذه الفجوة مِن ناحية الأسعار ترتفع بشكل كبير عمّا كانت عليه في النصف الأوّل مِن القرن نفسه .

وأفادت الأخبار التي طرحها ابن كنان والبديري الحلاق فيما يختص بالأسعار ، بأن ارتفاعها كان نتيجة لضعف الموسم المطري والقحط ، فضلا عن العوامل الأمنية التي ترتبط باقتتال الدولة مع القبائل البدوية في الشام ، واقتتالها مع الدروز في البقاع ، مما يترتب عليها غارات متبادلة يقوم بها كل الأطراف ، فتتعرض الأسواق للسرقة والخراب ، كما أن ارتفاعها يتعلق بتدخل السلطة التي وقفت إلى جانب الطحانة لاحتكار مادة القمح ، وهو ما يؤكد على انتشار الفساد والبرطيل عند ممثلي السلطة بدمشق ، أو نتيجة لتعرض المحاصيل إلى خطر زحف الجراد ، الأمر الذي يؤدي إلى قلة العرض وزيادة الطلب عليها ، كما أن تلك الأسعار حافظت على ارتفاعها رغم ظهور الطاعون والأمراض ، وفي بعض الأحيان كانت تلجأ السلطة لسدّ حاجة الناس من الحبوب إلى مصادرة كميات كبيرة من حماة وحوران والبقاع وتخزينها في حواصل من أجل بيعها عليهم ، ونظرا للأوضاع الصعبة التي كان الأهالي

يعيشونها ؛ ظهرت أنواع من الخبز ، كالخبز الجيد ، والوسط ، والرديء ، والخبز المخلوط بالذرة والشعير ، مما يؤكد على أهمية مادة القمح كوجبة أساسية ، كما يرتبط ارتفاع الأسعار بمناسبات معينة كشهر رمضان وعيد الأضحى وفصل الشتاء ، فيرتفع سعر اللحم (الجمال والجواميس والأسماك) ، والفحم الذي يستخدم للطهي والتدفئة .

- الأزهار و النباتات والأشجار في دمشق :

تتوافر في دمشق نظراً لاعتدال المُناخ ، وتساقط الأمطار بكثافة في معظم السنوات ، وخصوبة التربة ، وتوافر مياه الأنهار ، أنواعٌ كثيرة من النباتات والأشجار في بساتين وحدائق المدينة ، والقرب من البيوت والقصور الدمشقية ، وخصوصاً الأزهار النادرة والتي قلّ نظيرها في البلاد الأخرى ، وقد حَرِصَ ابن كنان على رصد وتسجيل أسمائها ، دون أن يغفل عن ذكر فوائدها الطبيّة ولِما فيها من أهميّة اقتصادية ، وخصوصاً تلك المُستخرجة من الورود والأزهار المختلفة الأنواع والروائح ،وهي بحسب تقدير ابن كنان تصل أعدادها إلى حوالي خمسة عشر ألف نوع ،وذكَرَ أحسَنها وأجودها مثل : الجوري ، والياسمين ، وزَهَر المنثور، والسّوسن ، والزّنبق[١] ومن درجة هيامه بها نجده يتغزل بها على شكل أبيات شعرية[٢] .

وقد استفاد الأهالي من كثرتها وجعلوها عاملاً رافداً في التخفيف من قسوة الظروف الاقتصادية ،حيث عَرف أهالي دمشق زراعة بعض هذه الأزهار والنباتات في حدائق منازلهم بدليل قوله عن الورد المسمّى النّسرين السّياجي بأنّه "من عند الله ، لا عَمَلَ لأحدٍ فيه "[٣]، واستخلصوا منها أنواعاً كثيرة من العطور ، وباعوها في الأسواق ، فقد كانت هذه الحِرفة رائجةً بدمشق قبل أن تظهر أنواع أخرى من العطور في بلاد أوروبا [٤]، عدا عن أهميتها

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ، ١٨٩ ، ١٩٣، ٢٠١ ، ٢٠٨ / والزّنبق هو دُهن الياسمين كما يسمّه العراقيّون ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ١٤٦ .

(٢) ن م ، ص ١٥٦ .

(٣) ن م ، ص ١٥٧ . ولمعرفة معنى ورد النسرين أنظر الملحق رقم (٢) .

(٤) القاسمي ، قاموس الصناعات الشامية ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

الاقتصادية الأخرى ، والتي تتمثّل بتوفير الأدوية اللازمة للعطّارين [١]، فهذه الثروة النباتية تحتوي على نِسَب عالية من الدهون التي تستخدم في علاج كثير من الأمراض ، فضلاً عن أهميتها في الصّباغة للجلود والأقمشة .

هذا وقد استفاد محمد بن كنان كثيراً من الكتب التي طالَعَها لا سيّما كُتُب الطبّ والأدوية وغيرها من الكتب الأخرى ، مثل : كتب ابن سينا ، وكتب ابن المعتز [٢] ، وكتب ابن خطيب داريا [٣] ، وكذلك من مؤلفات صاعد اللغوي [٤] ، ومؤلفات أبو الوليد الشاطبي[٥] وابن البيطار [٦] ، وغيرهم كثير ، وذلك في معرفة طرق زراعة الأزهار وتركيب أنواعها ، والأوقات المناسبة في نقل بذورها من مكانها الطبيعي إلى مكان آخر جديد ، بالإضافة لأهميتها في مجال الطب .

ويذكر ابن كنان أنّ بعضاً من تلك الأزهار لم يكُن موجوداً قبل عصره ، مثل : زَهَر يسمّى (داده أفندي) وزهر آخر يسمى (زهرة الفلك) ، أو ما كان بعضها قليلاً ثم زاد وصار غِلالاً ، مثل نبات الصبّار، وزهَر العنبر البوري [٧] ، كما يُلاحظ وجود أسماء عند بعض الأزهار والورود دلّت عليها أشكالها ، ويبدو أنها أسماء أطلقها أهالي دمشق عليها ، ومنها

---

(١) العطار هواسم يُطلق على من يبيع أصناف مختلفة من المواد لاسيما السكّريّات التي يصنعونها في بيوتهم ، ومن أسواقهم بدمشق سوق البزورية وهي من الحِرَف الخطيرة ، وتحقّق أرباحاً كبيرة ، القاسمي، قاموس الصناعات الشامية ، ص ٣١٢.

(٢)ابن المعتز : هو أبو العباس عبد الله ابن المعتز بالله (ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م) وهو أديب وشاعر ، وله كتاب البديع ، وكتاب طبقات الشعراء ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢، ص ٢٦٣ .

(٣) محمد بن أحمد بن سليمان ولقبه ابن خطيب داريا (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م) وهو أديب وله معرفة بالنحو والتاريخ ، وتوفي بالغور الشامي ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٨٨ .

(٤) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي الأندلسي (ت ٤١٧هـ/١٠٢٦م) وله مؤلف يسمى الفصوص ، ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(٥) هو فخر الدين محمد بن سعيد أبو الوليد الشاطبي الحنفي (ت ٦٧٥هـ/١٢٧٧م)وتوفي بدمشق ، صلاح الدين ، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، ٤ ج ، فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر،بيروت،ط١، ١٩٧٤م ، ج ٢، ص ٣٢١ ، وسيشار إليه لاحقا :صلاح الدين، فوات الوفيات.

(٦) هو عبد الله بن أحمد بن البيطار (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ومن مؤلفاته :جامع مفردات الأدوية ، البابانی، هدية العارفين ، ج١، ص ٤٦١ .

(٧) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ،٢٥٧ ، ٢٠٤، ٢٢٩ .

على سبيل المثال : زَهَر (شاب ظريف) ، وسُمّي بذلك لاختلاط ألوانه الحمراء والصفراء ممزوجةً مع غيرها مِن ألوان أخرى ، وأيضاً زَهَر (مُخالف والديه) ، وسُمّي بذلك لعدم تناسق ألوانه ، فهو أزرق ومختلط بلون أبيض غامق يميل إلى اللون الأسود (١) ، وقد يبالغ ابن كنان نوعاً ما عندما يضعُ شروطاً في زراعة بعض منها ، ومثال ذلك زهَر (المنثور الخيْري) (٢) .

وفيما يلي جدولٌ يوضّح أسماء النباتات والأزهار الدمشقية ، ومعرفة الفوائد الطبية في كل منها كما أوردها ابن كنان :

*** جدول رقم (٢٨) النباتات والأزهار والأشجار في دمشق عند محمد بن كنان من خلال كتاب المواكب الإسلامية في الجزء الثاني :**

الرقم	اسم النبات/ الشجر/الزهر	الفائدة الطبية	ملحوظات	جزء ٢/ الصفحة
١	الورد الجوري	يقوّي القلب والأسنان، وإذا أضيف له السكّر والعسل جَلاَ ما في المعدة من البلغم والعفن	سُمّي بذلك نسبة إلى جُور في أرض فارس	١٤٢،١٥٣
٢	الورد النسرين	يستخدم بالدهون الطبية ، ويقوّي القلب ، ومزيل للعرَق، ومسكّن للأوجاع	يُباع في سوق البزورية ومتوفر صيفا وشتاءً	١٥٧،١٥٩.
٣	زَهَر البنفسج	ينقّي الدماغ ، ومسكّن للصداع، وإذا خُلِطَ بالسكّر أصبح نافعاً من السّعال	وهو ورد طيّب الرائحة	١٧٠
٤	زهَر الحمحم وهو زهر لسان الثور	يخفّف من ضيق النفس	لون زهره أزرق	١٧٦، ٢٣٥.
٥	زهَر الأيرسا	يخفف من السّعال والاحتلام	وهو من أنواع زهَر السّوسن	٢٠٦ .
٦	زَهَر الأقحوان	يساعد المرأة في حالة الولادة وقت الطّلْق ، ويقضي على العقم عند المرأة فيساعدها في الحمْل	طارد للذباب	٢١٥

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٢) ن . م ، ص ٢٠٠ .

٧	زهّر عَيْن الحجَل	ينفع البصَر ويُزيل الماء الأبيض من العَيْن	وهو من أنواع زهَر الأقحوان	٢١٠ .
٨	زَهَر النّمّام	يقوّي الدماغ ، ويُزيل البلغم		٢٣٠
٩	زَهَر النّوفَر	يُستخدم دهنه في قطع نزيف الدم ويساعد في زوال الحمّى عند غَلْيه بالماء ، كما أنّ شرابه يخفف من حرقة المعدة	له اسم آخر هو (حبّ العروس)	٢٣٣
١٠	زَهَر الترنجان	ينفع الكبد والخفقان ويُزيل البلغم ويُصفّي الذّهن ، ويُضاف للطّعام كنكهة .	ورق هذا الزّهر عريض ذات غصون بيضاء	٢٣٥
١١	زّهر البادروج	يُساعد في شفاء مَن كان عنده صَرَع خلال ثلاثة أيام من استعماله، وفي حالة استخدمه شخص صحيح الجسم فإنّه يُجَنّ ويفقد عقله ، كما أنه مفيد من لسعة العقرب	من أنواعه :الضُمَاد .	٢٣٧،٢٣٨،٢٣٩.
١٢	زَهَر السُذاب (السّلباب)	يفيد من مرض الصّرع ، ويُزيل الروائح الكريهة ، وعند استعماله ككحل للعين فإنه يقوّي البصر ، وإذا استُخدم مع الخلّ فإنه يقطع الرّعاف	يَفسَد إذا لمَسَته امرأةٌ حائض .	٢٤٠
١٣	زَهَر الطرخون	يُستخدم كمادّة مخدّرة للّسان	من البقوليات	٢٤٣
١٤	نبات المردكوش	يُزيل الزّفر من اللحم والشّحم ويُزيل النتن والعفون وينفع من عسر البّول والمغص		٢٤٦
١٥	نبات الشّيح	يستخدمه الخبّازة لإيقاد النار في الأفران ، وله فوائد طبية .	له رائحة زكيّة	٢٤٧.
١٦	نبات العُصفر البري	يخفف من الحمّى ، ويُشرَب ممزوجاً بالسكّر	أوراقه ذات لون أزرق	٢٤٧ .
١٧	نبات الزّعتر	مدرّ للبول ، ومُشهّي للطعام ، ويخفف من آلام المغص، وينفع الكبد والمعدة، أما دُهنه فيُمسح به على الصّدر	وهو نوعان : البستاني والبري .	٢٥١ .
١٨	نبات البقدونس	مدرّ للبول ، ومفيد من آلام المعدة .		٢٥٢
١٩	نبات الخبازي (الخبيزة)	تنفع من آلام السعال ، وتُزيل خشونة الصّدر	ويقول عنها ابن كنان : أنها نوع من الملوخيّا	٢٥٥ .
٢٠	نبات الخشخاش الأبيض	يُستخدم كمادّة مخدّرة يساعد في النوم	وهو كثير بدمشق	٢٥٧
٢١	نبات السمّاق	يوقف نزيف الدم ، ويخفف من آلام البواسير ، ومُشهّي للطعام ، وإذا استُخدِمَ ككحل فإنّه يقوّي البصر ، ويمنع من تزايد الأورام ، وهو مخدّر لوجع الأسنان	وينبت في الجبال وبين الصخور	٢٥٨.
٢٢	نبات الحمّص	يقوّي القلب ، ويُزيل الأفكار الوسواسية من الذهن ، ويشرح الصدر	يُزرع سقياً وبعلاً	٢٦٣
٢٣	نبات العَدَس (البلْس)	ويشفي من الأمراض ويصحّ أكله مع الزّيت	الإدمان في أكلِه قد يؤدي إلى للإصابة بأمراض الجذام و السرطان .	٢٦٤ .

٢٤	شجر الغار (١)	يحدّ من ضيق النفس ، ويُمسح منها على الطفل الذي يشعر بالفزع والخوف	تسمّى (الرّند) وهي شجرة طيبة	٢٦٦ .
٢٥	شجر الزيتون	شجرة مباركة وتساعد في قضاء الحاجات بشرط التذلل لها	تُغرس من غير عروق	٢٦٦
٢٦	شجر الآس (٢)	تمنع الإسهال ، وتقوّي المعدة والقلب ، واستخدامها يؤدي إلى السّهر، وتوقف من نزيف الدم ، وتستخدم كصبغة سوداء للشعر ومقوٍّ له .	لون زهْره أبيض	٢٦٧
٢٧	شجر الجّوز	يُستخدم دُهنه كصبغة سوداء للشعر لكل من الرجل والمرأة وتمكث هذه الصبغة فترة طويلة من الزّمن	ويسمّى الخّشْف ، ويُغرس حَبّه في شهر شباط	٢٧٢
٢٨	التفاح	يُفرح القلب ، وينفع من الخفقان	يُقال عن التفاح : بأنه عدوّ للعقل ؛ ويؤدي إلى النسيان ، وقد شكّك ابن كنان بذلك .	٢٩٦، الحوادث اليومية، ج٢، ٣٩٦
٢٩	المشمش	يساعد في عملية الهضم ، ويخفف من الحمّى ، ويساعد في إخراج العفونة والرطوبة من الجسم من خلال قدرته على إفراز العَرَق ، ولا يؤكل بعد الحوامض	ومن أنواعه بدمشق المشمش الحموي والبلدي	٢٩٨/ الحوادث اليومية،ج٢،ص٤٣٣
٣٠	التوت	مفيد للمعدة		٣١٨ .
٣١	الدرّاق	يُستحب أكْلُهُ على الرّيق ، ويُزيل الروائح الكريهة من الجسم ، ولا يصحّ شُرب الماء البارد بعده ، ولا يصحّ كذلك أن يتناول الإنسان معه السمّاق أو الخلّ ، ويقتل دود الأذن	إذا قُطِعت حبةٌ منه بالسكّين وتُركت مدة ساعة ؛ فإنّ لونها يتغيّر وتُصبح فاسدة .	٣٠٠ .
٣٢	العنب	ينفع من الجَرَب ، ومُقوٍّ للّثة ، ومُسكّن من الصداع ، ويخفف من الحُمّى	من أجود أنواعه العنب الزيني	٣١٧ .
٣٣	الليمون	يقوي المعدة ، ويخفف من الخفقان	ويوجد منه بدمشق نوعان : الحامض والحلو	٣٢٩

(١) انظر معنى شجَر الغّار في الملحق رقم (٢) .

(٢) الآس : البعض قال بأنّه الرّنْد وهو عود طيّب الرّائحة ،وبعضهم قال بأنّه البَلح، أو ضرْب من الرّياحين، ومن أنواعه البرّي والبستاني ، وينبت في السّهل والجبل ، دياب ،كوكب، المعجم المفصّل في الأشجار والنباتات في لسان العرب ،٢ج ، دار الكتب العلميّة ، بيروت، ط ١ ،٢٠٠١م ، ج ١ ، ص ١٥، وسيشار إليه لاحقاً : دياب ، المعجم المفصّل في الأشجار ، ولمعرفة فوائده أنظر : ابن النفيس ، علاء الدين علي (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) ، الشامل في الصناعة الطبية ، الأدوية والأغذية ، كتاب الهمزة ، ٢ ج ، تحقيق يوسف زيدان ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ط ١ ، ٢٠٠٢م، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

٣٤	شجر السفرجل [١]	يساعد في فتح الشهية عند الأكل ، ويسهل من عملية الهضم ، وجيّد للمعدة ، والإكثار منه يؤدي للإصابة بمرض القولنج	وهو في دمشق على أنواع عديدة	٢٩٠، ٢٩٢ .
٣٥	شجر الرمان	يساعد في التخلص من الأفاعي والعقارب ، وأكله على الريق يساعد في التخلص من الاصفرار ، ويساعد أيضاً في زوال رائحة الفم التاتجة عن التدخين ، ويخفف من حرارة الأمعاء والمعدة ، ويُبرئُ الجِراح ، وإذا غُليَ بالماء يُبرئُ الأذن	أفضل أنواع الرمان هو (الجلنار [٢]) وهو بدون حبّ ، ويُسرع في حَمْل المرأة	٢٧٩، ٢٨٣،٢٨٥
٣٦	التين	إذا خُلِط التين بالسّمن فإنّه يخفف من آلام الصرع ، ويُطرّي الحلْق ،ويخفف من العطش	ومن أجود أنواعه : الأبيض ثم الأحمر ثم الأسود .	٣٢١ .
٣٧	الصفصاف [٣]	يستخدم ماؤه في التخفيف من الصداع ، ويقوي الكبد	يحب الماء كثيرا ، ولذلك فإنه ينمو حول الأنهار	٣٣٢
٣٨	شجر الدفل [٤]	استخدامها يقضي على القمل في الشعر	تُعرف باسم (شجرة النّحس ، ولا ثمر لها	٣٣٤ .
٣٩	البُطَم [٥]	يُعمل منه الزيوت	له ثمر كالحبّ	.٣٣٧

يُعتبر ما سجّله ابن كنان من معلومات حول الأزهار والنباتات والأشجار دليل واضح على وجود معرفة عند أهالي دمشق بالزراعة وطرقها ، واستخلاص المُفيد منها في الأحوال الطبيّة والصناعيّة ، ففي الأمور الطبيّة يمكن أكلها أو شربها أو الدهن بها ، وهو الطب البديل الذي يعتمد على الأعشاب والفواكه والخضار ، وبعضها يقوي القلب والأسنان ،

---

(١) انظر معنى السّفَرْجَل في الملحق رقم (٢) .

(٢) التركماني ، يوسف بن عمر بن علي الغساني (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) ، المعتمد في الأدوية المفردة ، تحقيق محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ص ٥٣ .

(٣) هو نفسه شجر الخِلاف ، وواحدته صفصافة ، وهو شَجَر شاميّ ، ويُسمّى أيضاً السّوْجَر ، دياب ،المعجم المفصّل في الأشجار ، ج ١، ص ٨٨ ، ١٣٥ .

(٤) الدّفل : وواحدته الدّفلى ، وهو شجَر مُرّ أخضر حَسَن المنظر يكون في الأودية ، وهو من السّموم ، وله عدّة أسماء منها : الآء ، الفِرس ، المَلَقَة ، المرجع السّابق ، ج ١،ص ٩٣ ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٥) البُطُم : هو شجَر الحبّة الخضراء ، وواحدته بُطمة ، وأهل اليمن يسمّونها الضّرو ، المرجع السابق ،ج ١ ،ص ٣٦ ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

ويخفف من الصداع وآلام المعدة وغيرها ، أما في الأحوال الصناعيّة ؛ فيمكن الاستفادة من روائحها ودهنها ولونها في تصنيع العطور وألوان الصّباغة ، وقد أشار ابن كنان إلى نبات (الخشخاش) والذي يُزرع كثيرا بدمشق ، ومما يُعرف عنه بأن حبوبه مخدّرة ، وبالتالي فإن زراعته محظورة ، وهذا يبيّن بأن أهالي دمشق في تلك الفترة كانوا يستخدمونه بكثرة ، وخصوصا ليلاً عند النوم ، كما ذكر شجر(الآس) ذات الزهر الأبيض ، و يعالج من كثير من الأمراض ، ونظراً لكثرته وفوائده ؛ نجد الدمشقيين يستخدمونه في أمثالهم الشعبية ، بقولهم لبعضهم بعضا : (تشكو الآسي) ، ويزرعون بعضه في المقابر ، وحرص ابن كنان على ذكر النباتات والأشجار والأزهار وطريقة زراعتها وفوائدها ؛ يؤكد على سعة ثقافته ، وثقافة المجتمع الدمشقي الذي عاش به ، فهو اعتمد على كتب كانت متوفرة .

- **قافلة الحج الشامي وأثرها الاقتصادي للدولة :**

اهتمّ ابن كنان الصالحي كثيراً بتدوين الأخبار التي تتعلّق بقوافل الحج ، فنجده يحرص في كل سنة على تتبع أحوالها ، ابتداءً من التجهيز لها من خلال ما يسمّى دورة المِحْمَل ، ثم توافد الحجيج من حلبيين وعراقيين وعجَم (الأروام ، والأوزبكيين، وتركمان) وتجمّعهم في دمشق ، ثم متابعة أخبارهم عند إقامتهم في المحطات والمنازل التي تستريح بها قوافلهم من محطة المزيريب [١] حتى باقي المحطات الأخرى الممتدة إلى الجنوب انتهاءً بالمدينة المنورة ومكة المكرّمة ، ثم يتابع باستمرار طريق عودتهم ومُلاقاة الجردة لهم ، وما يعترض مسلكهم من مخاطر طبيعية (أحوال الطقس والمُناخ) ، أو اعتداء العُربان من البدو والاستيلاء على كل ما تحمله قوافلهم من أموال وسلع ، أو حتى تعدّيهم على الرجال والنساء بالقتل والتنكيل ونهب جِمالهم ودوابّهم .

وقد أضْفت قوافل الحج الشامي أهميةً اقتصاديةً خاصة على دمشقَ ؛ فقد شكّلت مكاناً يتجمّع فيها أعدادٌ غفيرةٌ من الحجيج الذين كانوا مُحمّلين بمختلف أنواع المنتجات المتوفرة في بلادهم ، بغيةَ بَيْعها وتصريفها في أسواق دمشق المتعددة ، والتي ستساعدهم في تأمين نفقات سفرهم نحو الحجاز ، حيث جاء بعض التجار العجم مع الحجيج البالغ عددهم (١٦٠٠) حاجّ في سنة ١١٦٤هـ/١٧٥٠م وباعوا في دمشق روبيّات ذهب ، كل واحدة منها ثلاثة عشر قرشاً ، عدا عن اللؤلؤ والأحجار النفيسة والمعادن والشالات [٢] ، وكذلك الحال بالنسبة للتجار الدمشقيين الذين ينتظرون موسم الحج بفارغ الصبر ، ويرافقون هؤلاء الحجيجَ إلى محطّة المزيريب ، ويبيعونهم البضائعَ والموادّ التي قد يحتاجها الحاجّ عند مغادرته البلاد ، وبعضهم من كان يستغلّ حاجات الحُجّاج لها فيبيعونها بسعر مرتفع[٣].

ويسجّل ابن كنان باهتمام بالغ دورة المحمل والتي عادةً ما تبدأ بتاريخ الثامن من شهر شوال من كل سنة [٤] ، ويترأسها والي الشام وهو (أمير الحج) ، والذي أُوكِلتْ إليه إمارة الحجّ

---

(١) عبارة عن قلعة ومحطة للحجيج يستريحون بها قبل تحركهم للجنوب وهي سوق للتجار يبيعون بها من سائر الأصناف ، ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢، ص٣٥٢ .

(٢) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٦١ .

(٣) ن م ، ص ١٠ ، ١١ .

(٤) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١، ص ١٠١، ١٢٠، ١٣٣ ، ٢٠٥، ٢٤٣، ٢٨٦، ٢٩٤، ج ٢ ، ص ٣٥٩ ، ٣٩٤، ٣٨٢ ، المواكب الإسلامية ، ج ٢، ص ٣٤٥ .

منذ الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ، وكانت قبل ذلك توكَل إلى الأمراء المحليين في الشام من أصحاب البأس والقوة والشّوكة ، وممّن يحظوا بمكانة بين القبائل البدوية ، ولا سيما مناطق : عجلون ، الكرك ، غزة ، ونابلس، وكان من أشهر هؤلاء الحكام والأمراء أسرة(آل فرّوخ) ،وهم أمراء غزة ثم نابلس ، لا سيّما عبد الله الجركسي ، وكنيته الفروخ ، المتوفى سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م ، ثم ابنه بعده محمد بن فروخ ، المتوفى سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م ، ويبدو أنّ صِيت الابن وشهرته كانا أبلغ من شُهرة الوالد ، حيث حَكمَ نابلس خَلَفاً لأبيه مدة ثمانِ عشرة سنة ، وتولّى معها إمارة الحج ، فقد وصفه المُحبي بأنّ " بلغت رهبته في قلوب العربان إلى أنهم كانوا إذا أرادوا يخوّفون أحداً منهم يقولون : ها ابن فرّوخ أقبَلْ ؛ فتتلوّى قوائمه " (١) .

وكان يسبق دورة المحمل(٢) تلك ؛ دورة أخرى قبلها ، تبدأ قبل موعد الحج حوالي ثلاثة أشهر ، من شهر رجب تقريباً ، حيث يقوم والي دمشق بالخروج إلى المناطق التابعة لولاية الشام من أجل جمع الأموال اللازمة للإنفاق على قوافل الحجيج ، ويبدو أنّ خروج الباشا في هذه الدورة يحمل إشاراتٍ وأبعاداً سياسيةً ، تتلخّص بإظهار قوّته ونفوذه في ولايته ، وأنّه قادرٌ على تأمين حماية وراحة الحجيج من أي محاولة اعتداء بسبب طمع العُربان بالقوافل الشاميّة ، كما تهدف إلى حيازة الأموال من أجل تقديمها لأمراء الحجاز(٣) .

وتبدأ وفود الحجيج تتواصل بالدخول إلى دمشق تِباعاً ، وطليعة تلك الوفود تكون من جهة بلاد الروم ثم الحلبيين التي تتجمّع خلال شهري شعبان ورمضان (٤) ، وبعدها في بداية شهر شوال تخرج مجتمعة برفقة دورة المحمل التي يترأسها أمير الحج والي الشام إلى منطقة المزيريب (٥) ، وقد يخرج معهم بعض الأهالي والتجار لتوديع أقاربهم ، ويمكث الحجّاج في تلك المحطة الأولى من محطات الحج الشامي بضعة أيام ، ويتخلّل فترة تواجدهم بها حركةٌ

---

(١)المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٧١ ، ج ٤ ، ص ١٠٨ – ١١٠ .

(٢) المحمل : هو هيكل مغطى بقماش أخضر مكتوب عليه بعض من الآيات القرآنية ، العبد ،حوادث بلاد الشام والامبراطورية العثمانية ، ص ١٣١ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٤) ن م ، ج ١، ص ١٥٥ ، ١٤٦، ج ٢ ، ص ٣٥٧ ، ٣٦٤، ٣٨٢، ٣٨٧ ، ٤٢٣ .

(٥) ن م ، ج ١، ص ١٥٥، ١٦٠ ، ١٧٠، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٢٦، ٢٤٤، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٨٦، ٣٠٧، ٣٢٦، ٣٣٩، ج ٢ ، ص ٣٨٣ / المواكب الإسلامية ، ج٢، ص ٣٤٨ .

نشطة"في عمليات البيع والشراء في أسواق خاصة بهم ، حيث يحرص التجار الدمشقيون على الذهاب مع الحجيج إلى تلك المنزلة ، ويبيعونهم بضائعهم ، وقد اصطُلحَ على تسمية هؤلاء المرافقين لمواكب الحج اسم (المزيربتية) – القادمين من المزيريب- الذين يُخبرون أهالي دمشق عادة عن أوضاع وأحوال الحجيج إنْ كانوا بخير قبيل مغادرتهم منزلة المزيريب باتجاه الديار المقدسة [١] ، وتصل مدة غياب الحجيج في الديار المقدسة حتى عودتهم إلى دمشق وخروجهم منها إلى بلادهم حوالي مائة يوم (ثلاثة أشهر وعشرة أيام) ، حيث يغادر الحج الرومي والعجمي بشكل عام دمشق باتجاه بلادهم في أواخر شهر صفر من كل سنة [٢] .

- وصف دورة المحمل والصنجق [٣] :

اهتمّ ابن كنان بإعطاء وصف كامل لدورة المحمل منذ وصولها إلى دمشق من مقرّ السلطنة في بلاد الروم ، حتى خروجها إلى الديار المقدسة ، حيث يكون باستقبالها جموع من العسكر الانكشارية والسباهية المرصّعين بأسلحة من الذهب ، بالإضافة للأكابر والأعيان والأغوات والقضاة (قاضي المحمل [٤]) ، ويتتبّع ابن كنان الطريق الذي يسلكه المحمل والصنجق السلطاني حتى وصولهم داخل دمشق ، فيبدأ الموكب بالمرور من طريق السّنانية المنسوب إلى جامع سنان باشا ، ثم مروراً بما يسمى مرقص السودان [٥] ، ثم طريق الشاغور ، ثم باب كيسان ، ثم (باب شرقي [٦]) ، ثم بالقرب من مسجد الشيخ أرسلان الدمشقي [٧] ، ثم مروراً ببرج الرّوس ، ثم بالقرب من مسجد السادات ، ثم في حي العمارة، بالقرب من سوق

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٢١ ،١٢٥ ، ١٦٠ / المواكب الإسلامية ، ج٢، ص ٣٥٢ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ١٨٩ ، ١٩٨ ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ .

(٣) الصنجق : وهو العلم النبوي الذي يشير إلى راية العقاب وهو بلون أخضر ، الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٠٩

(٤) وهو قاضي الحج ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ١٥٧ .

(٥) وهو مكان يستخدم للرقص ، ابن طولون ، إعلام الورى ، ص ٢٩٨ .

(٦) سمي بذلك لأنه يقع شرق البلدة ونزل عليه الصحابي خالد بن الوليد المتوفى سنة ٢١هـ/٦٤٢م، ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١، ص ٢٠٩ .

(٧) الشيخ رسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن (ت ٥٩٩هـ/١١٠٦م)، ويوجد مقامه في مسجده ،ابن بدران ، منادمة الأطلال ، ص ٣١٨ .

الأبارين ، ثم بالقرب من سوق صانعي سروج الخيل (السّروجيّة) ، ثم يتابع الموكب طريقه إلى غرب قلعة دمشق في مكان يسمى (الحَذْرة) ، وانتهاءً إلى السرايا [1] ، ويحرص والي دمشق عند وصول جماعة المحمل والصنجق إلى السرايا على تقديم الضيافة ترحيباً وتكريماً لهم ، والتي قد تصل إلى ألف صحن من جميع الأصناف من مأكولات ومشروبات " من سائر الألوان " [٢].

وتصل الفترة التي يمكث بها المحمل والصنجق في دمشق مدة ثمانية أيام تقريباً ، حيث يحرص جماعة المحمل على تسليم حمولتهم إلى والي الشام للتأهب للخروج بمِحْمَله بتاريخ السادس عشر من شهر شوال باتجاه ما يسمى (قبّة الحاج) ، ويرافقه بالخروج عدد من الحاميات العسكرية التي تُناط بها مسؤولية حماية قوافل الحج من أي خطر يمكن أن يصيبها أثناء سفرها متجهةً إلى بيت الله الحرام [٣] .

- الأخطار التي تتعرّض لها قوافل الحج الشامي :

سبق وأن تعرّضنا للأخطار الطبيعية (أحوال المُناخ والطقس) التي يمكن أن تواجه الحجّاج إبّان رحلة الذهاب والإياب للديار المقدّسة ، وما تخلّفه من هلاك أعداد كبيرة منهم ، أو نفوق جِمالهم ودوابّهم ، إضافة إلى ما تسببه من ضياع متاعهم وأحمالهم ، لكن هناك نوع آخر من تلك المصائب والمآسي التي يُمكن أن تلحقَ بِهِم ، وهو اعتراض العُربان من القبائل البدوية لطريق الحج الشامي .

تعتبر الدولة العثمانية نفسها صاحبة الشرعية الدينية ، وسلطانها "حامي الحرمين الشريفين" ؛ وتحرص بشكل كبير على تأمين راحة وسلامة الحجّاج ، والتي أعْطتها أولوية مُطلقة يجب

---

(١) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢، ص ٣٤٥، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، الحوادث اليومية ، ج ١،ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ،ج ٢ ، ص ٣٤٨ / الحوادث اليومية ، ص ١٥٧ .

(٣) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ ، الحمود ، العسكر في بلاد الشام ، ص ١٠٥ .

عدم التهاون بها ، لذا كان أمير الحج الشامي (والي الشام) يعِي تماماً النتائج التي تترتّب جرّاء التراخي أو الغفلة عن متابعة أحوال الحجيج ، والتي قد تصل في أبسط الظروف إلى عزله عن الولاية ، فكانت الدولة تُرسل مع دورة المحمل والصنجق أكياساً من الأموال ، وهي ما تُسمّى (الصرّة) ، ويتولّى (أمين الصرّة [١]) مسؤوليّة تسليمها إلى والي الشام ، وذلك من أجل تقديمها كهدايا للقبائل العربية المُتاخمة على طريق الحج الشامي ، بهدف عدم التعرّض للحجيج بسوء ، ويبدو أن هذه القبائل البدوية اعتدت الصرّة بمثابة الفرض اللازم والذي يتوجّب على الدولة تأديته سنوياً للقبائل ، واعتبره ابن كنان من جملة أوقاف البرّ المعدودة من ضمن الصدقات [٢] ، وبالتالي فإنّ أي تأخر أو تقصير في تسليم الأكياس ستكون نتائجه وخيمةً على سلامة الحجيج وقوافلهم .

وقد أشار ابن كنان إلى أسماء بعض القبائل التي كانت تُشكّل خطراً على القوافل مثل : بني عنيزة [٣]، بني عطية ، بنو جلال ، عرب بني مضيان [٤] ، وهو بذلك يرصد علاقة الدولة بالعربان ، فقد يمتنع بعض من ولاة الشام عن تقديم الصرّة السنوية للقبائل ، فتحدث نتيجةً لذلك مناوشات ونزاعات ما بين الطرفين ، ولا يتوقف اعتداءات هؤلاء على الحجيج وأحمالهم فحسب ؛ وإنما يتجاوز ذلك إلى التطاول على القافلة التي تنتظر الحجيج في طريق عودتهم في محطة تبوك [٥] وهي قافلة مكلّفة بحمل المؤن والأطعمة والأشربة والحِبال والملابس ، وهي قافلة الجردة ، ويترأسها أحد أمراء أو وزراء الولايات الشامية ، ويحمل لقب السردار [٦].

---

(١) انظر صفحة ٢٣٣ من الدراسة .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٤٧ .

(٣) هي من القبائل العدنانية ويعود نسبها إلى إلى عنز بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معبد بن عدنان ، وموطنهم الأصلي بين أواسط نجد وشمالي الحجاز ، وهاجرت جماعات منها إلى الشام بسبب الأحوال الطبيعية كالجدب والضيق ، زكريا ، عشائر الشام ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٠ ، ٦٧ ، ٩٨ ، ١٨ ، ١٠٢ ، ٣٣١ ، ١٢٦ ، ج٢،ص٣٦٩.

(٥) موضع بين وادي القرى والشام ، الحموي ،معجم البلدان،ج١،ص١٤ /ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢، ص ٣٥٤ .

(٦) هو القائد المسؤول عن العسكر ، دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٩٠ .

وإذا امتنع ولاة الشام عن تقديم الصرّة للقبائل العربية ، عندئذٍ يحدث ما لا يُحمد عُقباه ، حيث تنتقم تلك القبائل البدوية لنفسها باتباع أساليب عدّة ، مثل ردم الآبار وعيون المياه ، وتحولُ بينها وبين الحجيج ، فتهلك جموعٌ كثيرةٌ من الجوع والعطش (١)، وعندما امتنع والي الشام حسن باشا في سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م ، من اعطاء العرب حقهم في الصرّة مما دفعهم للتعرض للحجيج ونهبهم ، وردموا المياه في أبيار الغنم ، فهلك خلق كثير من الجوع والعطش(٢) ، ويبدو أنّ هذا الوالي لم يستفِد ولم يعتبر مما حصل مع الحجاج نتيجة رفضه اعطاء الصرّة للعرب ، فقد امتنع أيضاً عن اعطائها في العام التالي ، وزاد غروره بنفسه بقوله مخاطباً العُربان : " ما عندي إلّا السّيف (٣) " ، وبعد أن أيِسَتْ العرب في طلبها ؛ لم تجد بُدّاً إلّا أن تهاجم قافلة الحجيج بزعامة (الدُبيس ، شيخ بلاد العُلا) عند أبيار الغنم وردمت الآبار ، وكان عدد العُربان بحسب ما ذكره ابن كنان لا يقل عن خمسين ألفاً ، وأخذوا المحمل والصنجق ، وأسروا الرجال والنساء والأولاد ، وقُتل عدد كبير من الحجيج إمّا نتيجة الطّعن أو بسبب الجوع والعطش ، ووصف ابن كنان الصالحي أحوال الحجيج بقوله : " ... وبعض نساء عجايز عُراة ، ليس عليهم ساترة ، وبقي الحج والجِمال وأكثر الناس كالعرضى للدبيس ، والنساء مأسورات ، وغيرهن من الرجال والأولاد ، والطفل يرموه ، والعجوز يُشلّحوها ، ثم يُطلقوها (٤) " ، كما نجد أن ابن كنان يُعطي أمثلة بالأرقام وأوصافاً على ما كان الحجيج يحملونه معهم من متاع ، وهو بذلك يسجّل انبهاره واستغرابه من عدم اعطاء الصُرّة والذي لا تتجاوز قيمته ثُمن الخسائر التي تلحق بقوافل الحج ، فالحج الحلبي على سبيل المثال ؛ اعتبره ابن كنان بأنه لا يتعدّى رُبُع العدد الإجمالي ، ومع ذلك فقد خسر نتيجة طمع الباشا ما لا يقلّ عن سبعة عشر كيساً ، كما أنّ أحد التجار واسمه ابن بيرك الحلبي ضاع له ما لا يقلّ عن خمسمائة من الأكياس المُحمّلة بالذهب والفضة (٥) ، فكان غرور الباشا وطمعه واستخفافه بأمر الحج مُدعاةً للدولة بأن تعزله عن ولاية الشام ، وتستبدل به كافل طرابلس وهو (أصلان باشا اللاذقي) ، الذي اتبع سياسة جديدة مع شيوخ

---

(١) انظر وصف البديري الحلاق لهذه الأفعال غير الإنسانية ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٢) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٤١ ، ٤٣ .

(٤) ن م ، ص ٤٤ .

(٥) ن م ، ص ٤٧ .

القبائل مغايرة عمّا كانت عليه من ذي قبل ؛ فقد أعطاها الصرّة لموسمين قادمين ، وصالَحَ شيخ بلاد العُلا[١] ، ويبدو أن هذه السياسةَ التي ظهرت في شخصيّة الوالي الجديد تنُمّ عن حُسن النوايا وتطييب خاطر بين طرف الدولة بالشام وطرف القبائل الواقعة على طول الطريق للحج الشامي .

وقد ارتبط موسم الحجّ بأسماء عدد من الموظفين الذين أوكِلت إلى كلّ شخص منهم بوظيفة محدّدة ، وكان هؤلاء يرافقون موكب المحمل والصنجق منذ اليوم الأوّل لخروجه من بلاد الرّوم مقرّ السلطنة العثمانية حتى عودته مِن وإلى الدّيار المقدّسة ، وظهرت صفة هؤلاء من خلال السّياق الذي ورَد عند محمّد بن كنان ا لصالحي ، ومن هؤلاء الموظفين نذكر :

أولاً : الصرّة أميني (أمين الصرّة) :

وهو المسؤول الأول عن إيصال الصرّة [٢] إلى القبائل البدوية والأمراء والأشراف والسّادة والحُكّام من السلاطين العثمانيين إلى الحجاز ، والصُرّة هي مبالغ نقدية تُقدّر بخمسين ألف أقجة [٣] .

ثانياً : السّقاباشية :

وهم الموظفون المسؤولون عن تأمين المياه المتواجدة في محطات ومنازل الحج الشامي ، ومهمتهم التفتيش على تلك الأبار والعيون والتأكد من سلامتها قُبيل تحرّك حُجّاج بيت الله الحرام [٤] .

ثالثاً : أمير الجردة :

وهو من الأمراء أو الوزراء أو من أصحاب المكانة في احدى الولايات الشامية ، وهو

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٥٠ ، ٥٦ .

(٢) الصُرّة ، كميّة من النقود الذهبيّة التي تُوضَع في كِيس خاص بها ،وللمزيد انظر: خليل ، ساحلي أوغلو، دخل وصرف الخزنة في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية ، تونس، العدد الخامس والعشرين،١٩٨٢م.

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص١٤٤.

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ،ج١،ص٣٤، ٤٥ ص ٣٦٦ .

المسؤول عن قافلته التي تحمل المؤن والماء واللباس وغيرها من الأشياء الضرورية التي يمكن أن يحتاج إليها الحاج ، وتلتقي بالحجاج في منزلة تبوك ، وتُعرف أيضاً باسم المُلاقاة[١]

رابعاً : العُكامة :

ومفردها عُكام ، وهم الموظفون الذين توكَل إليهم مهمة الإشراف على إيصال الصُرّة إلى مستحقيها من القبائل العربية الشامية والحجازية ومجاوري الحرم المكّي [٢] .

خامساً : الجوخدار :

وهو من يسبق الحج إلى الشام مُحمّلاً بالأخبار التي تكشف أحوال الحجيج إنْ كانت خيراً أو شراً [٣] .

وسجّل ابن كنان أحوال الحج من سنة لأخرى ، ووضّح فيها ما كان يعتري القوافل من مخاطر طبيعية وبشرية ، وبعض من تلك المخاطر الطبيعية لم يُسفر عنها أي حالات وفاة ، ومثال ذلك سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م عندما واجه الحجّاج ارتفاعاً في درجة الحرارة نجم عنها عطش شديد وذلك عند عودتهم من هَدْيَة إلى تبوك [٤] ، إلّا أنّ حجّ تلك السنة كان بخير ، وهو على عكس ما حصل في حجّ سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م عندما توفي بسبب الحرّ الشديد والعطش خلقٌ كثير منهم [٥] .

وفيما يلي رسماًتوضيحياً لأحوال الحجيج في حياة ابن كنان الصالحي منذ سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م حتى سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م ، وهو رسم يوضّح الصّفة العامّة للحجّ في كل سنة من خلال كتاب الحوادث اليومية ...

---

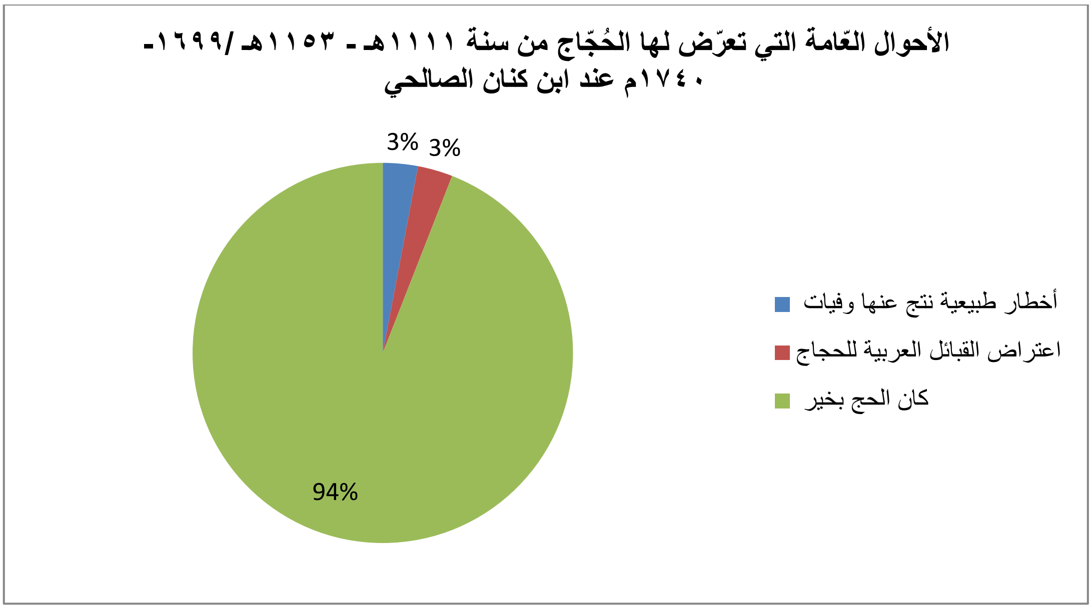
(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، الحمود ، العسكر في بلاد الشام ، ص ١٠٤ .

(٢) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ١٥٦ ، صابان ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ١٥٥ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢، ص ٣٩٧، ٤٠٣، ٤١٨، ٤٤٥، ٤٧٩، ٤٨٣، ٤٩٨، ٥٩٧ .

(٤) ن م ، ص ٤٣٦ .

(٥) ن م ، ص ٣٦٩ .



رسم توضيحي رقم (٣) الأحوال العامة لحجّاج بيت الله الحرام ذهابا وإيابا ً إلى الشّام

- الضرائب وأثرها على المجتمع الدمشقي :

تأثرت الحياة الاقتصادية بدمشق في زمن محمد بن كنان بالضرائب والقروض التي كانت الدولة بالشام تفرضها على الأهالي ، وغالبا ً ما كانت تلك الالتزامات المادية تشكّل عبئا ً ثقيلاً لا يقدر على سدادها الفلاّح البسيط ، عندئذ لا يجد الأهالي حلاً من تلك الالتزامات سوى بالشكاية للقضاة أو الولاة في الشام ، وكثير من تلك الشكاوي لا تلقى آذانا ً صاغية ، فيلجأون إلى العصيان المدني المتمثّلة بإغلاق الأسواق ، والتوقف عن أعمال البيع والشراء ، وقد تتطوّر الأمور وتصل إلى العنف ومهاجمة المحاكم والتعدي على القضاة بالرّجم والشتم والإهانة ؛ إذا ما وقفوا إلى جانبهم واستمالوا لمطالبهم العادلة ، ورفع المظالم عنهم .

وقد سجّل ابن كنان اشارات ٍلبعض من تلك العلاقات القائمة بين طرف ممثلي السلطنة والأهالي ، فقد أعْفت الدولة أهل دمشق من دفع ربع ضريبة العوارض في سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م ، وكانت هذه الضريبة تفرضها الدولة على المجتمعات في حالات معينة وقت الطوارئ وخصوصاً إذا ما احتاجتها الدولة في أوقات حروبها مع الدول الأخرى المجاورة لها، وقد تكون بمثابة الضريبة التي تُفرض على الأرض بشكل حَوْلي ، وهذا الإعفاء شملته

السلطنة بالتعاون مع شيخ الإسلام وقتذاك للبلاد الشامية كلّها [١] ، وهذا الإعفاء من الضرائب قد يصاحبه إعفاء آخر على القروض التي كانت تمنحها دولة الشام للفلاحين وأصحاب الحاجة، إلّا أنّ هذا النوعَ من العفو كان مرتبطا ًبدرجة كبيرة بحالة الدولة المالية ،فإذا كان اقتصاد الدّولة في رخاء وأمن ؛ فإنّها قد تخفّف من حجم الفوائد المترتبة على القروض ، فقد ذكر ابن كنان عن باشا الشام يوسف باشا طبل في سنة ١١٢٨هـ/١٧١٥م :بأنه نادى على الناس " مَنْ يحتاج ميرة ً أو دراهم ، تبقى عليه للشام ، ولا تؤخذ له فايدة ولا ريع" [٢].

ومن أنواع الضرائب التي كانت تتعامل بها الدولة بالشام ما يسمّى ضريبة الرمي، ومن خلال استنطاق مادة ابن كنان نجد أنّ هذه الضريبة كانت تُجبى من أقرباء الجُناة ومقترفي الذنوب ، ومَن تكُن في رقبته دمّ ، وهي بمثابة الدّية ، وكان يحصل للناس مشقّة قاسية في جَمْعها ، حيث قُتِلَ رجلٌ في إحدى نواحي سفح قاسيون ، واتُهِمَ أحد الأشخاص من ساكني الحّارة الشرقية للسفح ، فقام باشا الشام وقتذاك في سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م رجب باشا وبالتنسيق مع قاضي الشام علي أفندي أوليا زاده بتغريم الحارة بدفع مبلغ ثلاثمائة قرش [٣] ، كما أنّ الباشا عثمان أبو طَوْق في سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م ، رَمَى على محلّة الشيخ محيي الدين مبلغ سبعمائة قرش ، وبعدها رَمَى أيضا ً على محلّة الشيخ عرودك مِثل المبلغ السّابق[٤]، وبعدها بأقل من سنة رُمي أيضاً على محلّة الشيخ عرودك مبلغ قدْره ثمان مائة قرش ، والسّبب في تلك الرّمية تعدي أحد رجالها على رجل آخر وأصابه بجروح[٥]، ويبدو أن هذه الضريبة باتت تُفرض على التجار ، ويتضح ذلك عندما أمر باشا الشام (محمد بن بيرم) الذي أوكلت إليه مهمة ضبط الأموال للسلطنة بسبب مقتل شيخ الإسلام(فيض الله أفندي)سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٦ / وضريبة العوارض : عُرفت في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي باسم آقجة العوارض ، كما أنها تسمّى أيضاً العوارض الديوانية ، رافق ، العرب والعثمانيون ، ص١٢٣ / انظر أيضاً : صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ١٥٦.

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣) ن م ، ص ٢٩٥ .

(٤) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ ، وهي ضريبة كانت منذ الدولة المملوكية ،ابن طوق ، التعليق ، ج٢، ص ٧٠٦ ، انظر أبو الشعر ،مجتمع دمشق ،ص ١٥٠ ــ ١٦٧ .

(٥) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٦٣ .

فقام بفرضها على تجار دمشق عندما أرسل ثلاث قناطير حرير من جهة بعلبك ، بقصد بيعها على التجار وإرسال ثمنها إلى مقرّ السلطنة في إسطنبول (١) .

ومن الضرائب التي عرفتها دمشق (ضريبة الصّرصار) ، ويبدو أنها كانت ضريبة عالية لا يقدر على سدادها الأهالي ، وهي تفوق قدرة الناس في تأديتها إلى درجة أنْ قام والي الشام نصوح باشا بردّها عنهم لأكثر من مرّة ، وأعفاهم منها ، ولم يُحطِطْهُم شيئاً منها ، بالرّغم من أنّ السّلطنة كانت تبعث فرمانات تقضي بوجوب تفعيلها واستخلاصها من الدمشقيين ، ومع تلك الأوامر السلطانية إلّا أننا نجد أن هذا الوالي لم يعملْ بها وأبطلها ، وبقيت غير نافذة مدّة ست سنوات كاملة ، أي : منذ سنة تولّيه في آخر سنة ١١٢٠هـ /١٧٠٨م حتى آلت ولاية الشام بعد مقتله إلى يوسف باشا طبل في سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م ، والذي شرع فيها ، وأعاد تلك المَظلمة كما وصفها ابن كنان نفسه ، مما أثار نقمة الأهالي على الباشا ، فثاروا ضدّه ، فقام الباشا بتفريقهم بالقوّة ، وقـُتلَ بسبب المُباشرة بتنفيذها ثلاثة أشخاص ، وكان من بينهم رجلٌ من الأشراف كان يحمل معه عَلَمٌ بقصد التضييق على الباشا ، فقام يوسف طبل بقتله وصلبه وعلّق العلمَ في بطنه ، وبقي مصلوباً مدّة ثلاثة أيام على التوالي ، وقد برّر الباشا موقفه من قتْلِ هؤلاء بقوله : " بأنه من دفع الصّايل " بمعنى أنّه كان يقصد بفعلته تلك دفع الأذى عن نفسه ، بالرغم من معارضة المفتين لتصرفه ، فلم يحصل على أي فتوى بقتلهم ، ويبدو أنّ تصرّف الباشا مع عامّة الناس بالقتل كان بالتواطؤ والتشاور مع الدفتردار (٢)، وقد انتقم الباشا من دفتردار دمشق بأنْ طلب منه مبلغ يُعادل ثمانين كيساً ثم حبسه وأرسله إلى القلعة(٣)، وعلى ذلك بَقِيَت هذه الضريبة على حالها ولم تتغيّر في السنوات القادمة ، حتى جاء فرمان آخر من قِبَلْ السلطان أحمد خان بإلغاء الضرائب التي فيها مظلمة على الناس ، مثل ضرائب(المُشاهرة ، والذخيرة ، والمَشْيَخة ، ومال القتيل ، والضّايع ، والرّدم) (٤) ، إلّا أنّ هذا الأمر لم يُطبّق ، ولم تأخذ الدولة بهذا الفرمان السلطاني بمحمل الجدّ ، فقد امتنع باشا الشام رجب باشا عن إبطال الضرائب التي نادى بها السلطان العثماني بتوزيع

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٧٨ .

(٢) ورد معنى الدفتردار صفحة ٧ من الدراسة .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢، ٢٥٨.

(٤) ن م ، ص ٢١٧ ، ٢٨٨ .

منشورات باللغتين العربية والتركية ، وقد وقف العلماءُ والمفتون إلى جانب والي الشام ، وربما يكون السبب في تعاطفهم مع الوالي إرضاءً له أو خِشيةً منه ، بالرغم من غضب عامّة الناس على عدم تنفيذ ذلك الفرمان ، وعبّروا عن اشمئزازهم من الباشا ؛ بإغلاق محالّهم التجارية وحوانيتهم ، لكن دون جدوى (١) ، واستمرّت الأوضاع الضرائبيّة على ما هي عليه حتى تولّى سليمان باشا العظم ولاية الشام ، ونفّذ الفرمان السلطاني في سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م وأبطلَها ، وقد اصطلح البُديري الحلاق على تلك الضرائب التي وردت في الفرمان السّابق الذي جاء من لدُن السلطان أحمد خان بأنها : " أموال تُفرض على الحِرَف والصنائع والحّارات في الشّام مرّةً أو مرّتين في السّنة "(٢) .

من خلال قراءتنا السابقة نستنتج أن ابن كنان والمصادر المعاصرة له تمكن من إعطاء صورة عن الأوضاع الاقتصادية التي لحقت بأهالي دمشق جراء فرض السلطنة لضرائب ثقيلة عليهم ، وكانوا يعبرون عن سخطهم من خلال ممارسات تصل إلى حدّ الاصطدام مع ممثلي الدولة ، ويقتل بسببها بعضهم ، وغالبا ما كان أعيان دمشق وعلمائها وأشرافها يقفون إلى جانب الأهالي ، بالرغم أيضا من تعاطف بعض الولاة معهم ، لكن لا يمكن التخلي عنها ، لأنها تشكّل موردا مهما لخزينة السلطنة ، لحاجتها لها في تدبير شؤونها .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٢) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٤٥ .

الفصل الخامس ....

(الحياة العلميّة والفكريّة في دمشق)

- الحياة العلمية (المدارس ، الجامع الأموي مكان للتدريس ، الكتب والمكتبات في دمشق)...

- مظاهر الحياة الفكريّة (التصوّف ، الطرق الصوفيّة ، التكايا والزوايا والترب ، أصحاب الكرامات والأولياء الصالحين والمجاذيب وأحوالهم)...

- الحياة المذهبيّة في دمشق ...

الفصل الخامس

الحياة العلميّة والفكريّة في دمشق :

شـهدت دمشـق منـذ عصـر الدولـة المملوكيـة وبدايـة الدولـة العثمانيـة ، ازدهـاراً علميّـاً وفكرياً ملحوظا ، فكانت دمشق مع مصرَ كما أخبرتنا بذلك كتب التراجم (١) بمثابة القِبلة التي توجّه إليها كثيرٌ من العلماء من البلاد المجاورة والتعلم في مدارسها والتدريس بها ، على الرّغم من التراجع الذي بدَا واضحاً في النواحي العلمية وغيرها ، لا سيّما بعد منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، بسبب الظروف والأحوال التي مرّت بها الدولة العثمانية من جميع جوانبها ، سواء كانت أوضاع داخلية تخصّ السلطنة وولاياتها المتشعبة ، أو أوضاع خارجية تختص بعلاقة الدولة مع غيرها من الدول المجاورة لها ، كما كانت دمشق وضواحيها تشكل محطة للتصوّف وأصحاب الطرق ، فأنشئت لذلك التكايا والخوانق والزوايا التي يُمارس فيها أصحاب الطرق والخلوتية طقوسهم وعاداتهم الخاصة بهم، وكثير مِنها بُنيت بإشراف مباشر من الدّولة ، مما يدلّ على وجود علاقة قويّة تربط الدولة بأعيانها وأكابرها مع شيوخ الصوفيّة ، وأصحاب الكرامات والأولياء الصّالحين ، حيث كان يحرصُ الولاةُ والقضاة على اللقاء مع أتباع الطرق ، وتلبية احتياجاتهم ، وذلك لأنهم يشكلون حلقة وصْل ما بين الدولة والأهالي بدمشق .

أوّلاً : الحياة العلميّة – المدارس - :

إنّ ما أنشِئَ مِن مدارسَ في العّهد العثماني يُعد قليلاً إذا ما قِيسَ بالعهود التي سبقتْه ، فقد كانت الفترةُ في النصف الأوّل مِن القرن الثّاني عشر الهجري / الثّامن عشر الميلادي بدايةً ظهرت فيها أعداد بسيطة من المدارس والتي كانت تحمل أهدافا دينية بحتة ، وكثير منها حملت الصبغة الحنفية ، مذهب الدولة العثمانية (٢) ، وقد بنى معظم هذه المدارس ولاة دمشق

---

(١) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج١ ،ص ١٦ ، ١٠٤،١٠٣،١٠٢،٢٢،٢٦،٢٥ ، المحبي ، خلاصة الأثر ، ج١ ، ص ١١٠ ، ١٢٤.

(٢) نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٣٨٣ .

من أسرة آل العظم مثل :مدرسة إسماعيل باشا العظم والتي بوشر ببنائها سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٨ م ، واستمر العمل ببنائها حتى سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م [١] ، والمدرسة السليمانية التي شيّدها سليمان باشا العظم في باب البريد بدمشق سنة ١١٥١ هـ / ١٧٣٨م[٢] ، والمدرسة العبدلية في سوق السلاح بدمشق نسبة إلى عبد الله باشا العظم والتي تأسست سنة ١١٩٣هـ / ١٧٨٠م [٣] ، وهناك العديد من المدارس الأخرى التي كانت موجودة في دمشق قبل ذلك الزمن ، والتي وردت عند ابن كنان ومنها : المدرسة الجوهرية [٤] ، والمدرسة الخاتونية [٥] ، الظاهرية [٦] ، البلخية [٧] ، العُمرية [٨] ، المدرسة السليمانية [٩] ، بالإضافة إلى مدرسة التقوية [١٠] داخل باب الفراديس والتي أنشأها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨م ، بالإضافة لمدارس شافعية ، مثل : المدرسة الفارسية بدمشق والتي كانت وقفا للأمير فارس الدين الداوادار في سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م[١١]

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج٢ ، ص ٤٠٠ .

(٢) ن م ، ص ٥٠٠ .

(٣) نعيسة ، المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

(٤) مدرسة حنفية أنشأها الصّدر نجم الدين أبو بكر محمد الجوهري (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) ، النعيمي ، الدارس ، ص ٣٨٢ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص٥٣ ، ج٢ ، ٣٨٨ .

(٥) مدرسة حنفية أوقفتها خاتون بنت معين الدين زوجة الشهيد نورالدين زنكي (توفيت ٥٨١هـ/١١٨٥م) ، النعيمي ، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٧، ابن كنان ، المصدر السابق، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٦) مدرسة للحنفية والشافعية نسبة للظاهر بيبرس ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤١٨ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٢ .

(٧) مدرسة حنفية أنشأها الأمير ككز خان للأمير برهان البلخي بعد سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٨ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ .

(٨) وسط دير الحنابلة ، بناها الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد والد قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م ، وهي أكبر المدارس بدمشق والصالحية وهي وقف على الحنابلة ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٧٢ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، المروج السندسية ، ص ١٠١ – ١١٢ .

(٩) بناها سليمان العظم في باب البريد سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١،ص١٠٩.

(١٠) النعيمي ، المصدر السابق، ص ١٦٢ ، ابن كنان ،المصدر السابق، ج ١ ، ص ١٣٩ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٣ .

(١١) النعيمي ، المصدر السابق،ج١، ص ٣٢٤ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

والمدرسة الشامية البرانية والتي تعرف باسم " الحسامية "[١] ، ومدارس أخرى حنبلية كمدرستي الجوزية والضيائية الأحمدية [٢] .

ومن خلال أسماء المدرسين التي وردت في كتب التراجم المعاصرة لابن كنان يتبين نوع العلوم التي كانت سائدة في الشام ، ومنهم : عبد الرحيم بن محمد الكابلي(ت١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م) ، الذي كان بارعا في العلوم العقلية والرياضية وعلم النحو والمعاني والأصول [٣]، الشيخ منصور الحبال (ت ١١٢٨هـ/١٧١٥م) ، وكان عالما بالفقه والأدب والعَروض [٤]، والشيخ محمد بن فضل الله المحبي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) ، والذي كان عالما بالنحو والمنطق والأصول والتاريخ [٥] ، والشيخ خليل بن عبد الرحمن الموصلي(ت ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م)، وله علم بالفرائض والجبر والمقابلة وعلم الفلك والحساب والهندسة والمساحة [٦] ، و الشيخ موسى التركماني القاشقجي (ت ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م)، وكان له علم بالفقه والحديث والقرآن [٧] ، والشيخ عبد اللطيف بن يحيى المنقار الدمشقي(ت ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م) ، له علم بالفقه والعربية والتفسير [٨] ، والشيخ الذي افتخرت به دمشق على سائر الدنيا على حدّ وصف البديري الحلاق وهو الشيخ إسماعيل العجلوني المتوفى سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م ، عالم بالفقه والحديث [٩] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤١٤ .

(٢) ن م ، ص ٤٢٥ / والمدرسة الضيائية تقع شرق جامع الحنابلة بناها الفقيه ضياء الدين محمد الحنبلي (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) في سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م ، بسفح قاسيون ، وهي للحنابلة ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، كرد علي ، المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩ ، ج ٢ ، ص ٣٥١ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ٩.

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢ ، ٢٥٦ .

(٥) ن م ، ص ٢٨ .

(٦) ن م ، ص ٥٧ ، المرادي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٨

(٧) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٦١ ، المرادي ، المصدر السابق، ج ٤ ، ص ٢٢٥ .

(٨) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٠ .

(٩) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٢٤ ، المرادي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٩، ٢٦٠ ، ٢٦٣ .

وبيّن القلقشندي أن المدرّس هو مَن كان يتصدّى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو وغيرها (١)، ولم يكن يُسمح للمدرّس بممارسة تدريسه إلاّ بعد تأهيله وحصوله على ما يسمى بالإجازة (٢) بالتدريس (٣) .

وفي غالب الأحيان كانت هناك شروطٌ في اختيار المدرّسين والفقهاء ، بالإضافة للكتب التي كانت تدرّس ، وهذا الشيء كان يظهر جليّاً في مدارس الوقف ، فكان يشترط الوقفُ على المدارس تحديدَ النظر بها للواقف نفسه ثم لذريّته ، ويكون للوقف منشآت تجلب دخلا ثابتا للمدارس ، ومن هذه المنشآت قد تكون : بساتين أو حتى جنائن ، أو ضِيع أو أفران ، أو حتى حمّامات وحوانيت (٤) ، ويُصرف رَيعُها للمدرّسين والمدارس والعاملين بها ، وتزيين للمدارس من حُصر وشموع وزيوت ، الأمر الذي يؤكّد اهتمام الدولة بالتعليم ومتابعتها له باستمرار ، بالرغم من وجود بعض الفروقات التي بَدت واضحةً بين عصري المماليك والعثمانيين تجاه مسألة الاهتمام الكبير بالمدرسين ، حيث أنه في زمن الدولة المملوكية لا يتمّ تعيين المدرسين إلاّ بعد حصولهم على الخِلع السلطانية ، والتي تعتبر بمثابة الإجازة بالتدريس بَيْدَ إنّه في زمن الدولة العثمانية بطلت هذه الخِلع عند مدرسي دمشق (٥) ، مما يعكس الحّال التي وصل إليه التدريس وتراجعه نوعاً ما ، وقد كشف ابن كنان عن وجود نوع من التقصير أو المُماطلة من جانب القائمين أو متولي المدارس ، في تسديد العلايف والأجور التي على الدولة لصالح المدرّسين ، وهذا ظهر واضحا مع ابن كنان نفسه ، عندما درّس بالمدرسة المرشدية الخديجية الذي كان أول تدريسه بها في سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م ، فكان القائمين عليها يماطلون بإعطاء العلوفة لصالح المدرسين، بالرغم من مطالبة هؤلاء المدرّسين لحقوقهم وتذكيرهم لمتولي المدارس ، فابن كنان طالب بأكثر من مرّة بحقه من الأجر الذي له من متولي مدرسته مفتي دمشق حامد أفندي العمادي ، وكان يعرض مطالبته تلك على شكل

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٤ ، الشذيفات ، شمس الدين بن طولون مؤرخا ، ص ٢٦ .

(٢) الإجازة : الشهادة التي يمنحها الشيخ للتلميذ برواية مروياته ، ويطلق على التلميذ في هذه الحالة مجاز ، وهي لفظة عربية معنى واصطلاحا ، صابان ، معجم المصطلحات العثمانية ، ص ٢٦ .

(٣) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٣٢٢ .

(٤) النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ١٥ ، ٣٦ ، ٣١٣ / زاهر ، الحياة الاجتماعية والفكرية في بلاد الشام ،ص٢٠٤.

(٥) ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ١٤٣ .

قصائد ويذكر فيها أن أجره عبارة عن دراهم من الذهب دون أن يحددها [١] ، ويبدو أن ابن كنان قد مات دون أن يتحصّل على شيء ، ودليلنا على ذلك أنّه كان قد طالب المفتي بحقه في سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م ، أي قبل وفاته بخمس سنوات ، زِدْ على ذلك ؛ أن ابن كنان بعد تلك السنة لم يذكر لنا شيئاً عن حقه من العلايف ، مما يدلّ على أن اليأس قد بدأ يغلب على هاجسه ، وهذه المماطلة من قِبل الدولة بإعطائها أجور الموظفين بشكل عام من شأنه أن يُحدث فِتناً واضطرابات ، أو من شأنه أن يؤدي إلى انتشار الجرائم والمفاسد ، ومثال ذلك ما قام به أحدُ جنود القابي قوُل عند قتله لآغا الانكشاريّة [٢] لعدم إعطاء العلايف ، فالمُماطلة في وصف المُحبي في ريحانته تذهب حلاوة الإعطاء [٣] ، وفي وصف ابن كنان فإنها تكون مذمومة [٤] .

ويبدو أن تقصير متولّي الأوقاف ماديا مع المدرسين ، خلق في نفس هؤلاء شعورا بالملل والعجز في الذهاب بشكل دوري ومستمر إلى مدارسهم ، واكتفوا بالتدريس في دورهم ، فنجد أن ابن كنان في معظم الأحيان والأوقات يكتفي بإعطاء دروسه في حكر داره الكائنة بحارة الأمير المقدم بالصالحية [٥] ، ولكن ظلّ قائما في مدرسته المرشدية حتى وفاته .

وكان ممثلو السلطة بدمشق والقائمون على الوقف لا يترددون باتباع كل الأساليب التي تتنافى مع مكانة المدرّس وعلمه ، والتي تصل إلى درجة الإهانة والحبس والعزل والتحقير ، وهذا ما حصل مع الشيخ منصور الحبال والذي حُبس لأجل المدرسة العجمية الأفريدونية [٦] بسبب ما كان عليه من مال لدى تلك المدرسة ، فألزمه القاضي بتسديدها وحبسه [٧] ،

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٢٨ ،٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩ .

(٢) آغا الانكشارية: تعني رئيس الانكشارية ، صابان ، معجم المصطلحات العثمانية ، ص ١٨ .

(٣) المحبي ، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، ٦ج ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د. ط ، ١٩٦٨ م ، ج١ ، ص ٨٤ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

(٥) ن م ، ج ١ ، ص ٢٥٤ ، ٢٨٢ ، ٣٠١ ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

(٦) ذكرها ابن كنان بأنها مقابل مرقص السودان ،في آخر سوق السنانية ، وهي عمارة حسنة مزخرفة ببلاط ملوّن منقّش ، وفيها بركة ماء ، وشبابيكها من حديد ، ابن كنان ،المصدر السابق، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٧) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

وهذا العمل أيضا حصل مع مدرّس المدرسة البيانية يحيى أفندي الأيوبي ، حيث وبّخه باشا الشام عبد الله باشا الكبرلي وعزّره وأهانه إهانة بالغة ، وذلك بسبب أن عليه مالا للسلطنة تبلغ نحو عشرين كيسا (١).

ويتولّى المفتي في دمشق مهمة الإشراف على الأوقاف ودور الحديث والقائمين عليها ، دون إغفال للدور الذي يقوم به كل من الباشوات والقضاة في هذا الأمر ، حيث أن والي الشام نصوح باشا على سبيل المثال ؛ كان كثيرا ما يغدق الأموال على أصحاب العلم وعلى المدارس والمدرسين والطلبة والأئمة ، ويُحسِن إليهم ، ويبعث لكبار العلماء والأعيان الجوخَ المكلف والسجّاد الباهظ الثمن بالإضافة للمناشف والتحف والدشمايات (٢) ، وما فعله الباشا لم يسبق إليه أحدٌ لا في القديم ولا في الحديث (٣) ، وكان يتم التوزيع على المدارس والجوامع بناءً على السجلات التي كانت تدوّن فيها أسماء تلك المدارس وأسماء القائمين عليها وهي مكتوبة ومحفوظة ، وقد تتكرّر بعضُ أسماء أولئك المدرّسين أو تتكرّر أسماء بعض خطباء الجوامع ، والأمر يعود إلى تعدّد وظائف بعضهم (٤) ، حيث إنّ بعض مِن هؤلاء المدرّسين مَن كانت تجتمع عنده تدريس أكثر من مدرسة واحدة ، مثل : العلامة أبو الفضل زين الدين عبد الرحمن السلمي ، مدرّس مدرستي الجهاركسية (٥) والمدرسة الطرخانية (٦) ، والشيخ فتح الله الداديخي ، والذي آل إليه التدريس بكل من المدرسة الباسطية والمدرسة الريحانية داخل دمشق (٧) ، والكمال يونس المصري الشافعي الذي درّس بالجامع الأموي وبمدرسة

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٢) ن م ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٣) ن م ، ص ٢٠٤ .

(٤) ن م ، ص ٢١٦ .

(٥) ويقال لها الجركسية وهي مشتركة بين الحنفية والشافعية ، واقفها هو جركس فخر الدين الصلاحي، وهي فوق نهر يزيد بالصالحية وبنيت سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، ولم يبق منها سوى قبتين ، النعيمي ، الدارس ،ج ١، ص ٣٨٠ ، ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص ١٥٢ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٨٩ .

(٦) وهذه المدرسة أنشأها ناصر الدولة طرخان أحد كبار أمراء دمشق وهي منازل ومساكن ، وهي حنفية ، النعيمي ، المصدر السابق ، ج١، ص ٤١٥ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ، كردعلي ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٧) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٣٧٧ ، انظر المدرسة الريحانية في الجدول رقم(٣٠) صفحة ٢٥٧ من الدراسة .

التقوية [١]) ، وقياساً على ذلك ؛ فإن الباشوات لم يكونوا بغفلة عن التفتيش على تلك المدارس والتكايا والأوقاف ومتابعة التدريس بها ومراقبتهم والتشديد عليهم ، فلم يكن يتخلف أحدٌ ممّن عليه الدّرس ، خوفا وحذرا من الباشوات [٢] .

كما لم يقتصر الأمر عند الباشوات فحسب ؛ وإنما انتهج بعض القضاة نهج الباشوات في المتابعة والتدقيق والإشراف على تلك المنشآت التعليمية ، حيث أورد ابن كنان أن كل من قاضي الشام إبراهيم أفندي والذي تولى القضاء ثلاث سنوات من سنة ١١١٢ - ١١١٥هـ / ١٧٠٠- ١٧٠٣م، ثم قاضي الشام قرا مراد أفندي والذي تولى القضاء ما يقرب من سنة ونصف ، من شهر جمادى الأولى " شهر أيار " من سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م حتى سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م) قد ألزما المدرّسين بالدوام ومباشرتهم للدروس في مدارسهم [٣] ، وفي معظم الأحيان يتبرّع بعض الأسخياء وأصحاب الثروات من العامّة على المدارس وتأهيلها والعناية بها ، مما يعكس منزلة العلم في نفوس هؤلاء ، وكان منهم :الشيخ الفاضل سعودي المتنبي الشافعي ، الذي أوصى ببعض ماله لصالح طلبة العلم [٤] .

وعلى الرغم من تشديد الدولة على المدرسين والمدارس والقائمين عليها ، إلاّ أن هناك نوعا من الخلل في بعض الأحيان يظهر عند تعيين أولئك الأشخاص ، حيث أن بعضهم حسب تعبير ابن كنان لم تكن لديهم معرفة أو دراية أو خبرة في التدريس ، وقد يكون مردود ذلك أيضا يعود إلى طبيعة العلاقة التي قد تربط من توكل إليه تلك المهمة مع صاحب الأمر في التعيين من الدولة العثمانية ، والتي قد تكون علاقة صُحبة أو قرابة ، مثل : محمد جلبي سليمان بن محاسن ، فكان لوالده سليمان صُحبة مع شيخ الإسلام مفتي الروم عطا الله أفندي ، فشفعه ذلك بالتدريس بالمدرسة السليمية [٥]، أو قد تشفع له سُمعة أبيه أو أحد إخوته ممّن

---

(١) ابن كنان ،الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، ومدرسة التقوية من أجل مدارس دمشق بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٥٨٧هـ/١١٩١م) وتعرف الآن باسم خانقاه ولها مخصصات شهرية من الحكومة ، النعيمي ، الدارس ، ج١، ص ١٦٢ ، كرد علي ، خطط الشام ، ص ٧٧ .

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٣) ن م ، ص ٤٢ ، ١٥٢ .

(٤) ن م ، ص ٢٣١ .

(٥) مدرسة بصالحية دمشق بناها السلطان سليم الأول ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

كانت لهم مهمة التدريس في السابق، وهو ما يسمى إن صحّ تعبيري بـ (توريث التدريس) ، ومثال ذلك السيد حسين ابن السيد محمد القدسي المتوفى سنة ١١٢٨ هـ / ١٧١٥ م ، والذي شغل تدريس المدرسة الناصرية [١] ،وهو ممّن لم يكن لديه خبرة في معرفة تقرير مسألة واحدة [٢] ، أو السيد عمر جلبي القاري المدرّس بالمدرسة الظاهرية ، وذلك بالإنابة عن والده عبد الرحمن أفندي [٣] ، وكذلك محمد أفندي العمادي(ت ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م) ، الذي تولّى التدريس في المدرسة السليمانية خلفا لأخيه علي أفندي ، وهذا الأخير قد يكون أهْلاً للتدريس ، فهو عند المحبي في ذيل نفحته الذي بالغ بوصفه " أنه عنوان الشرف الوافي ، وحظ النفوس من الأمل الموافي ، وأن البدر يتستر خجلا منه بذيل غمامه .... وأما فضله فكل فضل عنه فضول ...فإذا رأيته رأيت القمر الزاهر ، وإذا دنوت منه استرقت أنفس الجواهر" ،كما قال عنه ابن كنان : بأن له شعر ونظم حسن ، وله تؤدّة في الكلام ، واقترب وصفه له من وصف المحبي إذ نعته : " كان بهي المنظر ، زايد الوقار والمَهابة .... ولم يكن أبهج منظرا منه " ، ثم ترجم له المرادي بأنه علامة العلماء بالشام ، وحَبرا فقيها فاضلا ، وأجازه كثير من علماء الحديث والفقه ، وتولى إفتاء الحنفية بدمشق [٤] ، فمن كانت تجتمع لديه تلك الخِصال الحميدة والسّيرة العلمية الجليلة لا ضير ولا إجحاف إن كرّمته الدولة بالتدريس والإفتاء ، وإن كان منصب الإفتاء في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي قد أصبح منصبا شرفيا أكثر منه منصبا رسميا ، تستخدمه الدولة كنوع من التقدير أو الترضية أو نزولا عند رغبة العامة من الناس ، وهذا الأمر بدا واضحا وجليّا عندما أسندت الدولة العثمانية منصب الإفتاء لصالح الشيخ عبد الغني النابلسي عقب وفاة محمد أفندي ابن إبراهيم العمادي ، فعقد أهالي دمشق اجتماعهم ، وأبدوا رغبتهم بجعل المنصب للشيخ النابلسي الذي رفض بادئ الأمر ، ثم قبل بعد إصرارهم عليه ، وكتبوا إلى الدولة العلية بذلك ، ولم تتأخر

---

(١) وصفها ابن كنان بأنها مدرسة عظيمة من أكلف العماير وأنضرها وأن عمارتها من عجائب العماير ، وكان بها رباط بسفح قاسيون وأنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م ، النعيمي ، الدارس ، ج١، ص ٣٥٠ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٥٣ ، المروج السندسية ، ص ٤٣ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٧٤ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) ن م ، ص ٢٨١ .

(٤) المحبي ، ذيل نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧١م ، ص ١١ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ١٧ .

الموافقة ، فأصبح مفتيا للحنفية بدمشق ، إلاّ أن الأمر لم يطل ، فجاء الفرمان العثماني بورود الفتيا لصالح خليل بن أسعد أفندي البكري الصديقي ، والذي كان من تلاميذ الشيخ النابلسي (١) ليتفرّغ الشيخ عبد الغني في التدريس بالمدرسة السليمية ، على الرغم من وجود عدد من الإشارات عند ابن كنان الصالحي تبين وتدلل على اجتماع الفتوى والتدريس معا عند البعض ، ومثال ذلك : خليل أفندي البكري ، الذي اجتمعت عنده الفتيا والتدريس بالمدرسة السليمانية في سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢م (٢) ، وكذلك كان حامد أفندي العمادي والذي كان مفتيا بدمشق في سنة ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤ م ، وبعد أقل من سنة آلت إليه المدرسة السليمانية أيضا ، عدا أنه كان متوليا للمدرسة المرشدية الخديجية (٣).

ويبدو أن المفتين في دمشق لم يكونوا على تواصل دائم مع المدرسين أو الطلبة ، والتي هي من اختصاصاتهم ، وهذا ما جعل ابن كنان يتطرق بالحديث عن واجبات المفتي نحو المدرسين والطلبة ، وهو بذلك يصوّر لنا الحال التي وصلت لها العملية التدريسية في دمشق ، إذ نجده يذكّر حامد العمادي المفتي بواجباته ، فيقول : " واعلم أنه مما ينبغي ويتوكّد على المفتي بالبلد بالنسبة للمدرسين ملازمة مدارسهم ، والتحريج عليهم في ذلك ، وحث الطلبة على الحضور ، وتقليل كلفة المدرس ، وعليه أن يحث على ترويج علوفيته ممن يتراخى فيها ، وتخليص حقه والدفع عنهم بكل ممكن وإكرامهم وتعظيمهم والسؤال عنهم ، والعزيمة لهم في بعض الأحايين ، ولا يجوز له إهمال قضاياهم ولا التهاون فيها ، ولا يترك أمورهم ويدع حكام العرف يتحكموا فيهم في إلزامهم المفاسد ، لأنه في حقهم ذل ومهانة ، ولو باشر هذا الأمر لما كان لحكام العُرف ولا القضاة الذين يأتون من الروم دخل ، واللوم عليه في التهاون في مثل ذلك " (٤) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ٨٤ .

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٣) بالصالحية على نهر يزيد أنشأتها خديجة خاتون بنت الملك المعظم ابن العادل سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ٤٤٣ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٤٢٨ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٤ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

والنصّ السابق يعطينا الأمور التالية :

أولا : وجود تقصير من طرف المفتي بواجباته ومنها إشرافه على المدارس .

ثانيا : هناك غفلة أو تغافل عن أحوال المدرسين والطلبة من النواحي المعيشية والمادية وإهمالهم .

ثالثا : لا يوجد تواصل ولقاءات ما بين متوليّ الأوقاف والمعلمين والتي تشجع الجميع على القيام بمهامهم بصورة حسنة أو مقبولة .

رابعا : هناك تدخّلات مِن الأروام (الأتراك) في تعيين من هم ليسوا أهلا للتدريس ، فهم يعزلون ويعيّنون كما شاؤوا ومتى أرادوا .

إن هذه السلبيات التي ظهرت بالرغم من ندرتها ؛ فإننا لا نستطيع أن نعمّم إحقاقا وإنصافا للدولة العثمانية ؛ فهذه الأخطاء من قبل رجال الدولة في دمشق وخصوصا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، يبدو أنها اقترنت بسوء الأحوال الداخلية والخارجية على حد سواء التي عانت منها السلطنة العثمانية ، حيث ازدادت الإحن عليها ، وتتالت عليها الهزائم العسكرية ، الأمر الذي كان له تبعات مادية اقتصادية ثقيلة ، ناهيك عن الثورة الصناعية التي ظهرت في أورُبّة ، فأدى ذلك إلى تردّي الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليمية في الدولة ككل ، لتسود بذلك الفوضى السياسية في دمشق نتيجة للنزاعات المستمرة والتي كثيراً ما كانت تحصل بين قوات الينكجرية وأوجاق القابي قوُل والأشراف(١) ، بالإضافة للفتن التي كانت تظهر بين الحين والآخر من قبل البغادة (البغداديون في دمشق) والموصلية (أهل الموصل المقيمين في دمشق)(٢) ، فضعفت لذلك سلطة الولاة ، وقصرت مدتهم في مناصبهم ، وكل ذلك أدى إلى ندرة ما أنشئ

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤١١ ، ٤١٢ ، ٥٠٩ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٩ / انظر : البديري الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٥٦ .

(٢) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ / والبغادة والموصلية هم ممن ينتمون للموصل وبغداد وكان عدد منهم يقيم بالشام ، والتحقوا بالخدمة في الأوجاقات ليستفيدوا من اضطراب الأحوال بالشام ، الدمشقي ، ميخائيل (ت ١٢٥٧هـ/١٨٤١م)، تاريخ حوادث الشام ولبنان، دار قتيبة ، دمشق، ط٢ ،١٩٨٢ م ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، وسيشار إليه لاحقا : الدمشقي ، تاريخ حوادث الشام ولبنان .

من المدارس في دمشق خلال تلك الفترة [١] ، وقد يُكتفى بعض الشيء بإعادة ترميم أو تجديد للمدارس القديمة مثل : المدرسة الإسعردية [٢] ، حيث جعل لإيوانها الشمالي قوسا بدل الذي سقط ، وأضيفت لها بحرة في الوسط يجري إليها الماء بين الإيوانين الشمالي والجنوبي من نهر يزيد ، وكذلك جدّدت الخانقاه الباسطية [٣] بالصالحية من قبل مدرّسها فتح الله الدّاديخي الذي رمّمها ولمّ شعثها حتى صارت آية في الحُسن والنضارة [٤] ، أو ترميم للجامع الأموي [٥] .

وعلى ذلك فإنه يتضح أن تطاول أيدي المختلسين على أموال وأوقاف المدارس في دمشق ، أسهم أيضا في تقليل عدد المدارس في دمشق ، وتحوّل معظمها عن مهامها الأصلية ، مثل المدرسة القجماسية التي أصبحت سكنا لصالح الجنيني ومقرا للطرق الصوفية ، وكذلك دار الحديث الأشرفية التي تحوّلت إلى حانة لبيع الخمور [٦] .

- الأهمية الاقتصادية للمدارس :

لعبت المدارس في دمشق دورا مهما في تحديد العلوفة التي يتقاضاها المدرسون ، وذلك نجد أن كثيرا من أولئك المدرسين كانوا يتنافسون فيما بينهم للظفر بالتدريس في مدرسة ذات مردود مادي كبير ، مثل الشيخ عبد الغني النابلسي مدرّس الجامع الأموي ثم المدرسة السليمية بالصالحية ، حيث كان من أثر علمه عليه أن كان له العزّ والجاه ، فبنى لنفسه عمارة

---

(١) نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

(٢) مدرسة شافعية أنشأها الخواجا إبراهيم الأسعردي بالجسر الأبيض سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣م ، ولها شبابيك من حديد ، وعمارتها من أحسن العمارات ، النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ١١٣ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٤٠

(٣) هي مدرسة وخانقاه أنشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش الإسلامية سنة ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م ، وهي من أنزه المدارس ، النعيمي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١١ / ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٥) ن م ، ص ١٢٨ .

(٦) المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ٦٥ .

حسنة بمحلة السهم [١]،وكذلك الحال مع الشيخ حسن السكري مدرّس البهرمية ، حيث كان فقيرا في بدايته ثم صار صاحب ثروة [٢] ، ومن أولئك المدرسين ابن كنان نفسه ، وقد مرّ معنا سابقا الحاحه بالطلب من مفتي دمشق (حامد أفندي العمادي) بأن يجعل إليه التدريس بالمدرسة المقدمية ، والتي كانت لها من العلوفة والمداخيل الشيء الكثير[٣].

واختلاف المدارس عن بعضها البعض يعود إلى أوقافها التي كان من خلالها يتم الإنفاق على هذه المدارس ، فقد يكون للمدرسة أوقافا واسعة ، ومطابخ يطبخ بها الخبز ويوزّع على الناس [٤] ، فقد كان للمدرسة العمرية زمن دولة المماليك أوقاف عديدة تدرّ عليها مكاسب مالية كالحمّامات والجنائن والبيوت والدكاكين ، ويُصرف جزء مِنها على الفقراء والمحتاجين ، فقد كانت توزّع ما يقرُب من ألف رغيف خبز يوميا ، عدا عن توزيع غرارات كبيرة من القمح في شهر رمضان بالإضافة إلى تقديم القمصان والسراويل والدراهم الكثيرة على مدرّسيها ، فضلا عن تخصيص بعض المناسبات الدينية بنصيب وافر من تلك الأعطيات كتوزيع الحلوى والهريسة والكعك المُحلى والكنافة ، إلا أن ذلك قد تغير في زمن الدولة العثمانية ، فاقتصرت النفقات على تقديم الخبز واللحم القليل في شهر رمضان فقط [٥] .

إلاّ أنه بالرغم من الأثر الإيجابي الذي تعكسه المدارس ذات الأوقاف الكبيرة على مدرسيها ؛ فإنه وفي الوقت نفسه قد يكون لها أثرا سلبيا عليهم ، وهذا يبدو واضحا عندما تبدأ الجهة المشرفة عليها بتحصيل ما لها على تلك المدارس من ضرائب ، فإن كان المبلغ قليلا فإن المدرّس بها يتعرض للمساءلة ، وربما يصل إلى حدّ الإهانة والتعزير والحبس ودفع الغرامة [٦] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، ج ٢، ص ٤١٦ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ٣٧.

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ١٠٠ .

(٣) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ .

(٤) ابن طولون ، القلائد الجوهرية ، ج ١ ، ص ٢٤٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، شديفات ، شمس الدين علي بن طولون مؤرخا ، ص ٢١٠ .

(٥) ابن كنان ، المروج السندسية ، ص ١٠٦ – ١١١، انظر العموش ، أنس نايف، النعيمي ومنهجه في كتابه الدارس في تاريخ المدارس ، دار جليس الزمان ، عمان، ط١ ، ٢٠١٥م، وسيشار إليه لاحقا :العموش ، النعيمي ومنهجه .

(٦) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٣ .

وقد أعطى ابن كنان اهتماماً لذكر أسماءَ بعض المدارس، ووصف لنا أحوال العلوفة بها ، ومن بينها :

المدرسة	دخل المدرسة : بالرقم أو بالوصف	ملحوظات إن وجد
المدرسة الحافظية	مدخولها حسن جدا ، قد يصل في اليوم الواحد قرش أسدي (١)	
المدرسة الناصرية	متحصّلها حسن (٢)	
المدرسة البيانية	وكان متحصل هذه المدرسة يبلغ ثلاثة قروش يوميا	لم يكن ابن كنان متأكدا من ذلك المبلغ ، وشكك به (٣)
المدرسة الضيائية (٤)	لها مدخول حسن (٥)	
مدرسة دار الحديث الأشرفية	مدخول المدرّس فيها حسن	ووقفها نصف قرية حرزما من قرى الغوطة ، وغير ذلك مما يبلغ للمدرس تسعماية قرش في السنة (٦)
المدرسة المقدمية	لها من العلوفة والمدخول شيئا كثيرا (٧)	

---

(١)ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٦٤ ، ٣١٠ .

(٢) ن م ، ص ٢٥٣ .

(٣) ن م ، ص ٢٨٣ .

(٤) شرق جامع المظفرية ، بناها الفقيه ضياء الدين محمد الحنبلي(ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، بسفح قاسيون ، وهي مدرسة حنبلية ، النعيمي ، الدارس ، ج ٢ ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

(٥) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٦) ن م ، ص ٣٠٧ .

(٧) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ .

ـ الجامع الأموي مكان للتدريس :

باشرت جوامع دمشق ومساجدها بمهامها التدريسية جنبا إلى جنب مع مدارسها ، وعقد بها دروس عديدة بالحديث والفقه والتفسير ، ودروس أخرى في الوعظ والأذكار، مثل جوامع : السليمانية ، والسليمية ، والسنانية [١] ، والدرويشية [٢] ، وجامع العداس [٣] ، إلاّ أنه من أهم هذه الجوامع الدمشقية كان وما زال (الجامع الأموي) ، والذي أصبح جامعا بعد أن كان كنيسة لـ يوحنا المعمدان (يحي بن زكريا) وتم ذلك بناءً على أوامر من خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك بن مروان (ت ٩٦هـ/ ٧١٥م) منذ سنة ٨٥هـ/ ٧٠٥م [٤] ، فأهميته اتضحت ليس فقط كمكان للعبادة والصلاة ، وإنما مكان للتدريس ، وديوانا يلتقي فيه العلماء والأعيان ورجال السياسة ، ونظرا لأهميته وموقعه في قلب دمشق ، عمدت الدولة العثمانية إلى تأسيس (سرايا الحكم ، والمحاكم مثل محكمة الباب مقر قاضي القضاة) بالقرب منه ، وغيرها من الدوائر الرسمية للدولة ، فهو المكان الذي تفضله الهيئات الحاكمة للاجتماع أثناء صلاة الجماعة أو صلاة العيدين ، كما أن ولاة دمشق عند تسلمهم منصبهم الجديد لا يتأخرون عن صلاة أول جمعة لهم بدمشق في هذا الجامع ، وينتهزون تلك المناسبة لتفقد أحوال الجامع ، وإصلاح ما تعطّل منه وخرب ، مثل خراب مئذنته الشرقية التي سقطت عقب زلزال سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥م ، فجدّدت المئذنة بطلب من والي دمشق سليمان باشا سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م ، أو تجديد فرشه ورخامه ودهان جدرانه زمن ولاية رجب باشا سنة ١١٣٠ هـ / ١٧١٨م ، وما كان يعيق ولاة دمشق عن الحضور إلى صلاة الجمعة الأولى لهم ، سوى تعرضهم لظرف طارئ كالمرض مثلا [٥] ، وهذا الشيء جعل عامة الناس يستغلون

---

(١) حلّ مكان جامع البصل ، وجدده الوزير سنان باشا أوائل سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦ م ، وأشرف على عمارته ابنه الأمير محمد ابن منجك وذلك خلال توليه دمشق ، فأصبح جامعا عظيما لا نضير له في البلاد ، وهو من محاسن دمشق ، عبد الهادي ، يوسف (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)، ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، تحقيق : محمد أسعد طلس ، المعهد الافرنسي بدمشق ، د ز ط ، بيروت ١٩٤٣م ، ص ٢٢٨ .

(٢) بناه والي دمشق الوزير درويش باشا سنة ٩٧٩ هـ/ ١٥٧١م ، وذلك بالمحلة المنسوبة إليه ، ورتب فيه الوظائف وجعل به مدرسين أحناف وشافعيين ، ن م ، ص ٢١٦ .

(٣) مسجد له جبهة حجرية وإلى جانبه منارة مربعة حسنة ويحتوي على غرف علوية وسفلية ولم يبق منه سوى المنارة ، ن م ، ص ٢٣٩ .

(٤) النعيمي ، الدارس ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٥) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، ١٣٦ ، المواكب الإسلامية ، ج٢ ، ص ٧١ ، ٣٤٤.

تلك الأوقات للقاء ذوي الاختصاص من الدولة لحل مشاكلهم .

تشير كتب المصادر واليوميات أن حلقات التدريس في الجامع الأموي كانت تتم تحت قبة النسر[١] والتي كان من شروطها أن يقوم على درس الحديث بها أعلم علماء دمشق والشام[٢] ويبدو أنه جرت العادة في التدريس أن يجلس الشيخ على كرسي مرتفع ويلتف حوله الطلاب والحضور، فيبدأ بإعطاء دروسه والتي غالبا ما تكون في صحيح البخاري، وأوقاتها يكون بين العشاءين أو بعد العصر وقليلا ما تكون بعد الظهر ، ويحرص المدرسون على إعطاء دروسهم في أشهر (رجب ، شعبان ، رمضان) ، على أن ينتهي تدريسهم قبل العيد ، وتعمل لذلك الضيافات والعزائم مع شيء من الحلوى كالمعمول مثلا ، ويحضر تلك الدروس كثير من علماء الشام [٣] ، وينفق على هؤلاء الدانشمنديون Danismend[٤] بواسطة الأوقاف الكثيرة التي تخصّص للجامع الأموي ، ويقول نعيسة : " أن التدريس بالجامع يستمر في مشاهد كل من : مشهد الإمام علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي وعائشة أم المؤمنين ، وفي مشهد الكلاسة وأبي بكر وعثمان وعمر بن عبد العزيز والكاملية وغيرها"[٥].

---

(١) وصفها ابن جبير في رحلته بأنها أعظم ما في الجامع وهي قبة من الرصاص المتصلة بالمحراب ، سامية في الهواء عظيمة الاستدارة ، قد استقل بها هيكل عظيم يتصل من المحراب إلى الصحن وتحته ثلاث قباب ... وإذا استقبلتها أبصرت منظرا رائعا ومرأى هائلا يشبهه الناس بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ، ابن جبير ، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧م) ، رحلة ابن جبير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، د . ت ، ص ٢٣٧ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ٧٣ / البيطار ، عبد الرزاق ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، ٣ ج ، تحقيق محمد بهجت البيطار ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، دار صادر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٣م ،ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٣) ابن طوق ، التعليق ،ج ١، ص ١٥٧ ، ابن كنان ، المصدر السابق، ج ١ ، ص ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٧٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٣ ، ٢٨٤ ، أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٤١ ، ٢٢٥- ٢٢٨ .

(٤) ومعناها صاحب العلم والمعرفة ، وهي مشتقة من الفارسية ، أطلقه العثمانيون على تلامذة العلم وأصحابه ، والشخص الذي يحمل لقب الدانشمند إذا ما نجح فإنه يختار بين التدريس والقضاء والعمل الديني ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص ١٠٩ .

(٥) نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .

وفيما يلي جدول يضم حصر أسماء العلماء والمدرسين الذين كانت لهم دروس بالجامع الأموي ممّن كان لهم ذكر في يوميات ابن كنان ، وما ورد ذكره عند البديري الحلاق في حوادث دمشق ، وحسب الأقدمية في الوفاة إن ذكرت في المصدر ، وهؤلاء هم :

*** جدول رقم (٢٩) المدرسون بالجامع الأموي :**

الرقم	العالم / المدرّس	تاريخ الوفاة إن ذكر	ملحوظات إن ذكر	المصدر / رقم الصفحة
١	الشيخ محمد الخطيب			ابن كنان ، الحوادث اليومية، ج ١ ، ص ٦٠
٢	سليمان بن سليمان القادري			ن م ، ص ٦٦
٣	عبد الرحيم بن العفصة			ن م ، ص ٨٠
٤	عثمان القطان	١١١٥ هـ / ١٧٠٣م		ن م ، ص ٨٤
٥	محمد بن القابون الحنفي			ن م ، ص ١٠٨ ، ١٣٠ .
٦	عبد الجليل بن أبي المواهب الحنبلي			ن م ، ص ١٠٨ ، ١٣٠ .
٧	محمد بن الدهينة	١١١٨ هـ / ١٧٠٦م		ن م ، ص ١١٩.
٨	الكمال يونس المصري الشافعي	١١٢٠ هـ / ١٧٠٨م		ن م ، ص ٧٤ ، ١٢٣ ، ١٤٢ .
٩	أحمد بن عبد الكريم الغزي		تدريس البخاري مقابل محراب الشافعية	ن م ، ص ١٣٢ ، ١٤٥ .
١٠	خليل الحمصاني الشافعي	١١٢٣هـ / ١٧١١م	قرأ بين المغرب والعشاء ووعظ على الكرسي	ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ١٧٧ .
١١	عبد الرحيم بن محمد الطواقي	١١٢٣ هـ / ١٧١١م		ن م ، ص ١٨٤
١٢	محمد أبو المواهب ابن عبد الباقي الحنبلي	١١٢٦هـ / ١٧١٤ م		ن م ، ص ٢٢٧.
١٣	عبد الله البقاعي الشافعي	١١٢٧هـ / ١٧١٥ م		ن م ، ص ٢٤٥.
١٤	علي التدمري الشافعي	١١٣١هـ / ١٧١٨ م		ن م ، ج ١ ،ص ٢٩٤ .

١٥	تقـي الـدين بـن عمـر الـدومي التغلبي الحنبلي	١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م	درّس بالجـامع مـدة ستين سنة	ن م ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .
١٦	عبد الباقي بن مغيزل الشافعي	١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م		ن م ، ص ٣٨٣.
١٧	عبد الغني النابلسي	١١٤٣ هـ / ١٧٣٠ م		ن م ، ص ٦٦
١٨	أحمد أفندي الخطيب ابن محاسن	١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م		ن م ،ص ٤٤١
١٩	محمد الخليلي (الحافظ)	١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م	لقب بالحافظ لأنـه كـان فريـد دهـره بـالعلوم ووحيـد زمانـه فـي المنطق والمفهوم	ابـن كنـان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ .
٢٠	إسماعيل العجلوني الشافعي	١١٦١هـ/ ١٧٤٨م		ن م ، ص١٤٠ / الحـلاق ، حـوادث دمشق ، ص١٢٤
٢١	الشيخ محمد الديري	١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م		الحـلاق ، حـوادث دمشـق اليوميـة ، ص ١٣٥ .
٢٢	الشيخ صالح الجنيني	١١٧١هـ/ ١٧٥٧م		ن م ، ص ٢٠٥.

كما أنه لم يغِب عن ابن كنان أن يذكر عددا من مدارس دمشق وأسماء بعض مشايخها ، وفي بعض منها ذكر أوصافها وطريقة بنائها، واسم بانيها أو صاحب وقفها إن كانت من الوقف ، وقد أفاده بذلك كتاب الدارس للنعيمي ، والذي اعتبره أحد مصادره الرئيسة التي اعتمد عليها في قسم من مؤلفاته لا سيما المواكب الإسلامية أو حدائق الياسمين ، ولم يكتفِ بذكر المدارس فقط ؛ وإنما وضّح ما هو خارب ومعطّل ، أو ما يزال منها على حاله ، وقد أفردنا لها جدولا خاصا في الصفحة التالية .

* جدول رقم (٣٠) المدارس في دمشق من خلال مؤلفات ابن كنان :					
الرقم	**المدرسة**	**المدرّس / الشيخ**	**تاريخ الوفاة**	**ملحوظات**	**المصدر/الصفحة**
١	الحاجبية[١]	أبو بكر الطعّام	١١١١هـ/١٦٩٩م	وأصبحت في حياة ابن كنان مدرسة وسكنا	ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ٣٠/ حدائق الياسمين ، ص ١٥٢ .
٢	السميساطية[٢]	عيسى الخلوتي / عز الدين الحنفي	توفي الحنفي سنة ١١٢٩هـ/١٧١٦م	كانت وقفا على فقراء الصوفية ، كما أخبر بذلك النعيمي	الحوادث اليومية، ص ٣٢ ، ٢٦٦
٣	الجقمقية	أسعد أفندي / خليل أفندي البكري		أخبر كرد علي أنها اليوم معطلة ، وخربت بمدافع الفرنسيين ١٩٤١م	الحوادث اليومية ، ص ٤٢ ، ٢٨٢/حدائق الياسمين ، ص١٥٢ .
٤	البلخية	محمد أفندي القاري	١١٣٨هـ/١٧٢٥م		الحوادث اليومية ، ص ١٠٩،٤٢، ، ٢٨١ ، ج ٢ ، ص ٣٦٨/ حدائق الياسمين ، ص ١٥٢
٥	الظاهرية	عبد الرحمن القاري/ محمد أفندي القاري / عمر جلبي بن عبد الرحمن القاري/	توفي عبد الرحمن القاري سنة ١١٣٢هـ/١٧١٩م/ وتوفي ابنه عمر سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م		الحوادث اليومية، ص ٤٢،١٠٩ ، ٢٨١ ، ٣١٩ ، ج٢ ، ص ٤٧٢/ حدائق الياسمين، ص ١٥٤

(١) بالصالحية ، وهي من وقف ناصر الدين محمد بن مبارك الإينالي المتوفى ٨٨٩هـ/١٤٨٤م، النعيمي ، الدارس ، ص ٣٨٤ ، ابن كنان ، المروج السندسية ، ص ٤١

(٢) خانقاه ومدرسة ، بناها أبو القاسم علي بن محمد السميساطي (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) ، النعيمي، المصدر السابق ، ص ١١٩.

٦	التقوية	يونس المصري الشافعي	١١٢٠ هـ/ ١٧٠٨م		الحوادث اليومية ، ص ٤٣ ،١٣٩/ حدائق الياسمين، ص ١٤٧
٧	السليمانية	علي العمادي / محمد العمادي / محمد البكري	توفي محمد العمادي سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م	قال عنها ابن كنان في الحدائق : أن التدريس بها من أجل الدروس	الحوادث اليومية ، ص ٤٣،١١٠، ١٠٩ ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ ، ٣٧١/ حدائق الياسمين، ص ١٥٥
٨	النورية [١]	عبدالرحمن بن أحمد/ سعيد جلبي			الحوادث اليومية ، ص ٤٣ ، ١٦٥/ حدائق الياسمين، ص ١٥٤ .
٩	الشبلية [٢]	إسماعيل أفندي الحايك		وكان وقفها ومدخولها حسن في حياة ابن كنان	الحوادث اليومية ، ص ٤٣/ حدائق الياسمين، ص ١٥٢
١٠	الجوهرية	مصطفى جلبي الأسطواني / عبد الله بن عجلان /			الحوادث اليومية ، ص ٥٣، ٢٠٦ ، ٢٨٢ ، ج٢ ،ص ٣٨٨/ حدائق الياسمين، ص ١٥٣
١١	العمرية	مرعي بن رمضان الصالحي / صادق بن محمد الخراط	١١١٨هـ/١٧٠٦م / ١١٤٣هـ/١٧٣٠م		الحوادث اليومية، ج١،ص ٦٣،١٠٨،١٤٨، ج ٢ ، ص ٤١٥ / ابن كنان : الحدائق ، ص ١٥٦
١٢	الحافظية	إبراهيم أيوب الخلوتي / مصطفى بن إبراهيم الخلوتي /أسعد جلبي المالكي	١١١٥هـ/١٧٠٣م وتوفي مصطفى ١١٣٢هـ/١٧١٩م		الحوادث اليومية ، ص ٦٤ ، ٢٨٢ ، ٣١٠

(١) بناها نورالدين زنكي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م ، النعيمي ، الدارس ، ص ٤٦٧

(٢) بناها شبل الدولة الحسامي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م بسفح قاسيون ، ن م ، ص ٤٠٧، ابن كنان ، المروج السندسية ، ص ٤١ .

١٣	السليمية	عبد الغني النابلسي/ سليمان المحاسني	وتوفي النابلسي سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠		الحوادث اليومية ، ص ٨٢، ٨٧،١٤٣، ١٨٦،٢٠٣ / حدائق الياسمين، ص ١٥٥
١٤	القليجية [١]				الحوادث اليومية، ص ١١١
١٥	الفارسية	حمزة الكردي /محمد بن مراد اليزبكي	وتوفي حمزة الكردي سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م		الحوادث اليومية، ص١٣٦، ١٦٦ / حدائق الياسمين ، ص ١٥٠
١٦	العذراوية [٢]	عبد الرحيم الكابلي الحنفي / محمد آغا			الحوادث اليومية، ص ١٥٠ ، ٢٨١ / حدائق الياسمين ، ص ١٤٩
١٧	المرشدية الخديجية	محمد بن كنان	١١٥٣هـ/١٧٤٠م		الحوادث اليومية ، ج١، ص ٢٤١ ، ٢٤٦ ،ج٢،ص ٤٦٤/ حدائق الياسمين: ص ١٥٢
١٨	الحجازية	خليل الحمصاني	١١٢٣هـ/١٧١١م		الحوادث اليومية، ص ١٧٦
١٩	الخانقاه الباسطية	فتح الله الداديخي / يونس المصري	توفي الداديخي سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٧م		الحوادث اليومية، ص ١٧٨ ، ج ٢ ، ص ٣٧٧
٢٠	اليونسية	حمزة الدومي الحنبلي			الحوادث اليومية ، ص ٢١٩

(١) عمرها قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة الشافعي سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م بموجب وصية من قبل الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري المتوفى سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م ، النعيمي ، الدارس ، ج ١ ، ص ٤٣٧

(٢) وهي مدرسة على الحنفية والشافعية ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٢ .

٢١	الجهاركسية	زين الدين عبد الرحمن العلمي الحنفي			الحوادث اليومية ، ص ٢٢١ ، ٢٨٢ / حدائق الياسمين، ص ١٥٢/ المروج السندسية ، ص ٤٤
٢٢	السياغوشية (١)	أبو المواهب الحنبلي	١١٢٦هـ/١٧١٤م		الحوادث اليومية ، ص ٢٢٧ ، ٢٨٢
٢٣	الأفريدونية	منصور الحبال / إبراهيم بن حمزة النقيب	١١٢٨هـ/١٧١٥م .	وكانت عدا التدريس مكان للصلاة وخصص لها إمام	الحوادث اليومية، ص ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٥٧ .
٢٤	الإسعردية (٢)	حسين بن البدوي الشافعي الصالحي		وهي مدرسة تقام بها دروس الوعظ ، لكنها بطلت زمن ابن كنان	الحوادث اليومية، ص ٢٤٠ / حدائق الياسمين، ص ١٤٦ .
٢٥	الشميصاطية	عبد الله المالكي المصري	١١٢٧هـ/١٧١٤م		الحوادث اليومية، ص ٢٤٢، ٢٤٥
٢٦	الناصرية	حسين بن محمد القدسي	١١٢٨هـ/١٧١٥م	وهي قائمة زمن ابن كنان	الحوادث اليومية ، ص ٢٥٢ / حدائق الياسمين، ص ١٥١ / المروج السندسية ،ص٤٣
٢٧	العادلية	عبد الرحمن المنيني			الحوادث اليومية ، ص ٢٧١ / حدائق الياسمين ، ص ١٤٩

(١) مدرسة ومسجد أمر ببنائه الوزير الأعظم سياغوش باشا بواسطة حسن باشا بن عبد الله أحد أعيان دمشق (ت ١٠٢٧هـ/١٦١٧م) بحارة القصاعين داخل باب الجابية ، المحبي ، خلاصة الأثر ،ج٢،ص٢٥.

(٢) بالجسر الأبيض بناها الخواجا إبراهيم الأسعردي سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م ، وعليها وظائف عدة ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ١١٣ ، بدران ، منادمة الأطلال ، ص ٧٨ .

٢٨	الصاحبة [١]	عبد الرحمن المنيني		استمرت إلى زمن ابن كنان ، لكنها أشبه ما تكون خالية ولا يرتادها الكثير من طلبة العلم .	الحوادث اليومية، ص ٢٨١ / حدائق الياسمين ، ص ١٥٦/ المروج ،ص ٤٠ .
٢٩	القجمازية[٢]	سعيد أفندي السعسعاني			الحوادث اليومية، ص ٢٨٢ ، ج٢ ، ص ٤١٨ / حدائق الياسمين، ص ١٥٤
٣٠	المقدمية [٣]	إبراهيم بن حسين المالكي / سعيد الأسطواني/ عبد الرحمن الأسطواني / إبراهيم الأسطواني			الحوادث اليومية، ص ٢٨٢ ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ / حدائق الياسمين، ص ١٥٢
٣١	التنكزية	عبد الحي الرفاعي الحنبلي	١١٣٠هـ/١٧١٧م		الحوادث اليومية ، ص ٢٨٨
٣٢	القصاعية [٤]	محمد الغزي الشافعي		ويقول النعيمي : أن من شرط المدرسين فيها أن يكونوا من علماء الحنفية	الحوادث اليومية، ص ٢٩٠
٣٣	الضيائية	أسعد بن إسحق المنيّر العمادي / عبد الوهاب الصالحي العكري	١١٣١هـ/ ١٧١٨م / ١١٣٤هـ/١٧٢١م	لم تعد تصلح للتدريس وتحولت إلى سكن للهنود	الحوادث اليومية ، ص ٣٠٥ ، ٣٣٩ / حدائق الياسمين، ص ١٥٦/ المروج السندسية ، ص ٣٨،٣٨

(١) بسفح قاسيون من إنشاء ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب ، ودفنت بها سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م ، النعيمي ، الدارس ، ص ٦٢ ، كردعلي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

(٢) داخل باب النصر ، أنشأها نائب الشام قجماس الإسحاقي الشركسي ودفن بها سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٤ .

(٣) داخل باب الفراديس ، بناها الأمير شمس الدين محمد بن المقدم سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م ، ن م ، ص ٤٥٦.

(٤) بحارة القصاعين ، أنشأتها خطبلسي (فاطمة) خاتون بنت ككجا سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٤ .

٣٤	المار دانية [١]	سعدي النقيب / يونس الشافعي / إبراهيم بن حمزة النقيب	وتوفي سعدي سنة ١١١٣هـ/١٧١٩م	اعتبرها ابن كنان بمثابة جامع أكثر منها مدرسة ، وأصبحت خالية من الدروس	الحوادث اليومية، ص ٣١٨ / حدائق الياسمين،ص١٥٢/المروج السندسية ، ص ٤٢ .
٣٥	المعظمية [٢]			وهي خربة في زمن ابن كنان	الحوادث اليومية ، ص ٣١٩ / حدائق الياسمين، ص ١٥٢/ المروج السندسية ، ص ٤٣
٣٦	القاهرية [٣]				الحوادث اليومية، ص ٣٢٠
٣٧	العزيزية [٤]			وهي وقف للحنفية والشافعية	الحوادث اليومية ، ص ٣٣٠ / حدائق الياسمين ، ص ١٤٩ / المروج السندسية ، ص ٤٣ .
٣٩	الطرخانية [٥]	زين الدين عبد الرحمن السلمي		كما أنه كان مدرسا للجهاركسية	الحوادث اليومية، ج ٢ ، ص ٣٦٧ / حدائق الياسمين، ص ١٥٣
٤٠	الريحانية [٦]	فتح الله الداديخي	١١٣٩هـ/١٧٢٧م	ودرس بالخانقاه الباسطية	الحوادث اليومية، ص ٣٧٧ / حدائق الياسمين، ص ١٥٣
٤١	السكرية	أحمد بن عبد الحليم الحراني			حدائق الياسمين ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

---

(١) على حافة نهر ثورا لصيق الجسر الأبيض بالصالحية ، أنشأتها عزيزة الدين أحشا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين وهي زوجة السلطان الملك المعظم سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م ، النعيمي ، الدارس ، ص ٤٥٤ .

(٢) بسفح قاسيون بالصالحية ، بنيت سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤ م ، من قبل الملك المعظم سلطان الشام شرف الدين عيسى بن العادل ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤٤٥ .

(٣) على حافة نهر يزيد بالقرب من الخانقاه القلانسية ،النعيمي ، المصدر السابق، ص ٤٣٧ .

(٤) مجاورة للمدرسة المعظمية ، وأنشأها الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م ،النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٣ .

(٥) أنشأها ناصر الدولة طرخان من كبار أمراء دمشق ، وهي الآن منازل ومساكن ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤١٥ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٢ .

(٦) مجاورة للمدرسة النورية أنشأها خواجا ريحان الطواشي خادم نور الدين زنكي سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

٤٢	مدرسة إسماعيل باشا العظم (١)	مصطفى بن سوار الشافعي		وقد حضر افتتاحها عدد من العلماء بالإضافة للعوام	الحوادث اليومية ، ج٢، ص ٤٠٠
٤٣	الجوزية (٢)	عبد الرحمن السفرجلاني	١١٥٠هـ/١٧٣٧م	ودرس بالجقمقية	الحوادث اليومية ، ص ٤٨٥ / حدائق الياسمين ، ص ١٥٦
٤٤	مدرسة سليمان باشا العظم (٣)				الحوادث اليومية،ج٢ ، ص ٥٠٠
٤٥	الكوجانية (٤)				الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص٢٠
٤٦	الميطورية (٥)				حدائق الياسمين ، ص ١٥٧ .
٤٧	الجاموسية (٦)				حدائق الياسمين، ص ١٥٦.
٤٨	البيرمية			بناها نائب الشام ابن بيرم سنة ١١١٨هـ/١٧٠٦م	حدائق الياسمين ، ص ١٥٥ .

(١) في سوق الخياطين تأسست سنة ١١٤١هـ/١٧٢٨م ، والطابق السفلي منها من بناء إسماعيل باشا والعلوي من بناء أسعد العظم ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٩٩ .

(٢) بسوق القمح ، أنشأها محيي الدين ابن جمال الدين الجوزي في الثلاثينات من سنة ستمائة ، النعيمي ، الدارس ، ص ٢٣ .

(٣) في باب البريد سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م ، وكانت مكتبا للإناث ، ثم رممت بعد خرابها وسكنها عدد من الدراويش ، كرد علي ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٤) وهي الكججانية، وهي مدرسة وخانقاه ومكانها بالشرف الأعلى بين خانقاوات :الطواويسية والعزية ،أنشأها إبراهيم الكججاني سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م وقال عنها محمد كرد علي : أنها لا تزال مكانها وقبتها ظاهرة ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ ، كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٥)بجبل قاسيون ، أنشأتها فاطمة خاتون بنت السلار سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٤٦٤ .

(٦) غربي العقيبة بدمشق ، وقد تعذّر على النعيمي معرفة واقفها ، النعيمي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٠ / كرد علي ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .

٤٩	المسمارية [1]			أخبر عنها ابن كنان أنها للشيخ مسمار حسن الحوراني سمع الحديث ورحل إلى بغداد	حدائق الياسمين، ص ١٥٦ .
٥٠	الخياطين	مصطفى ابن سوار الشافعي	١١٤٤هـ/١٧٣١م	أنشأها إسماعيل باشا العظم	الحوادث اليومية ، ج٢،ص٤٢٤
٥١	الناصحية			وهي من بناء ابنة الناصح أبي اسحق الشيرازي ، وتحولت في زمن ابن كنان إلى حاكورة	المروج السندسية ، ص ٣٩ ، ٤٠ .
٥٢	الدلامية			بناها الخواجا ابن دلامة البصروي، وتحولت في حياة ابن كنان إلى سكن	المروج السندسية ، ص ٤٣ .
٥٣	الصارمية			وهي خاربة في زمن ابن كنان	المروج السندسية،ص ٤٤
٥٤	البدرية			لم يبق منها في عهد ابن كنان سوى مئذنتها التي تدل على أنها كانت تقام فيها الصلوات والخلوات	المروج السندسية،ص٤٥

وقال ابن كنان عن مدارس : السليمانية والنورية و الظاهرية والسليمية بأنها : " أكبر المدارس ، ومدرّسوها أجلّ المدرسين " [2] .

---

(١) واقفها مسمار الهلالي الحوراني المتوفى سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م ، النعيمي ، الدارس ، ص ٨٩ ، كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ،ص ٩٨ .

(٢) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥١ .

ونستنتج مما سبق ؛ أن ابن كنان حرص على تسجيل أسماء المدارس في مدينته دمشق ،ويبدو أن حرصه هذا يعود إلى وظيفته كمدرّس بالمدرسة المرشدية ، وهي ليست كل مدارسها بالتأكيد ، والسواد الأعظم منها يرجع إلى العصرين الأيوبي والمملوكي ، وهو ما دلت عليها أسماء واقفيها وتاريخ بنائها ، فضلاً على أنّ كثير منها اهتم بتدريس المذهب الشافعي ، مذهب الأيوبيين والمماليك على التوالي ، وبعضها كان وقفا على المذهبين الشافعي والحنفي مثل (المدرسة العزيزية) ، عدا عن مدارس أخرى اعتبرت وقفا على المذهبين الآخرين الحنبلي والمالكي ، وبعضها كان وقفا لفقراء الصوفية مثل (المدرسة السميساطية) ، وكثرة عددها بدمشق يؤشر إلى حجم السكان ، واهتمام المماليك ببناء دور العلم ، على عكس الدولة العثمانية التي تحوّلت معظم المدارس إلى مساكن للهنود ، وحدائق ، وإلى خراب بعد أن أهملتها الدولة ، وتقصير واقفيها في تسديد أجور المدرسين بها والعاملين عليها ، مثل (المدرسة الحاجبية ، والإسعردية ، والصاحبة ، والضيائية ، والمعظمية ، والماردانية ، والمدرسة الناصحية التي تحولت إلى حاكورة) ، وما أنشئ منها بدمشق على زمن العثمانيين قليل جدا ، ومنها ما ذكرها ابن كنان ، وهي (المدرسة السليمية ، والإسماعيلية ، ومدرسة سليمان باشا العظم ، والبيرمية) ، وبعض تلك المدارس كانت تقام فيها الصلوات لوجود المآذن فيها ، زد على ذلك؛ أنه كانت تقام فيها بعض الطرق الصوفية مثل (المدرسة البدرية ، والأفريدونية) .

- الكتب والمكتبات في دمشق :

- الكُتُب :

تمكنّا من خلال دراسة كتب ابن كنان التعرف على كثير من الكتب التي كان لها حضورها في مدارس وزوايا وخوانق ومساجد دمشق المختلفة ، ومنها :

أولا : دروس في الحديث في الجامع الأموي ومن مدرسيه : الشيخ محمد الخطيب ، الشيخ سليمان القادري ، الشيخ عبد الغني النابلسي ، أحمد الغزي (١) .

ثانيا : صحيح البخاري : مثل دروس : أبو المواهب الحنبلي ، يونس المصري الشافعي ، الشيخ أحمد بن عبد الكريم الغزي (٢)

ثالثا : دروس في الوعظ والإرشاد : مثل دروس : الشيخ عبد الرحيم بن العفصة في الجامع الأموي ، وكان درسه بقوله تعالى : " وما تدري نفس بأي أرض تموت "(٣) ، والشيخ إسماعيل باقي اليازجي (٤) .

رابعا : كتب التفسير ، مثل كتاب التفسير للبيضاوي (٥) .

خامسا : كتاب الشفا للقاضي عياض (٦) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ٦٠ ، ٦١، ١٤٥، ١٨٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧١ .

(٢) ن م ، ص ١٤٥ ، ٢٥٤ .

(٣) سورة لقمان ، آية رقم ٣٤ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ١٥٢ .

(٥) وهو كتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) وينسب إلى ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن أبي القاسم الشيرازي الشافعي (ت ٦٨٥هـ/١٢٩٢م) ، وهو قاضٍ ومفسّر ، وله تصانيف عديدة ، منها : المنهاج في أصول الفقه ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣،ص ٣٠٩ ، انظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٧ ، ١١١ ، ١٤٣ ، ١٧٧ ، ج ٢ ، ص ٣٥١ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٨١ .

(٦) وهو كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) وينسب إلى أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) وينتمي لأسرة عرفت بالعلم والصلاح ، وتولى التدريس والقضاء والافتاء في سبته ، ومن مؤلفاته : اكمال المعلم في شرح صحيح مسلم ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣،ص ٤٨٣-٤٨٥ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠، ص ٢١٢ – ٢١٩ ، ابن كنان ، المصدر السابق، ج ١ ، ص ١٠٨ ، ١٧٧ ، ١٨٤ .

سادسا : كتب الفتوحات المكية للمحيوي ابن عربي، ودرّسها الشيخ قاسم المغربي [١] .

سابعا : كتابي "كشف الأسرار ، و " كنز الدقائق "للإمام النسفي ، ودرّسهما محمد بن كنان في مدرسته المرشدية الخديجية [٢] .

ثامنا : دروس في القرآن الكريم والفقه مثل كتاب النفقات والطلاق [٣].

تاسعا : كتاب الهداية للمرغناني [٤] .

عاشرا : كتاب شرح التسهيل [٥] .

احد عشر : دروس في النحو من كتاب " المغني " [٦] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٢) عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧٠١هـ/١٣٠١م) ، فقيه حنفي ، ولقبه حافظ الدين ، مولود في (نسف ، من بلاد ما وراء النهر) ، العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٣، ص ١٧، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ ، ١٩٦ ، ٣٠١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ ، ٥٠٥.

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩، ج ٢ ، ص ٣٧٧ ، ٤٦٤ .

(٤) ونسب كتاب الهداية إلى أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي(ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م) وهو من علماء بلاد ما وراء النهر ، ومن مؤلفاته أيضا (البداية) ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢١ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ .

(٥) وينسب الكتاب إلى جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) وهاجر إلى الشام واستقر بدمشق ودرس بحلب ، صلاح الدين ، فوات الوفيات ، ج ٣، ص ٤٠٧ ــ ٤٠٩، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٤٥٧ .

(٦) وينسب الكتاب إلى موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م) ، وتتلمذ على يد كبار مشايخ دمشق ، ورحل إلى بغداد ثم عاد إلى دمشق وهو من بحور العلم وأذكياء العالم ، الذهبي ، المصدر السابق ، ج ٢٢،ص ١٦٥، ١٦٦، صلاح الدين ، المصدر السابق ، ج٢، ص ١٥٨، ١٥٩ ، ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

- **المكتبات :**

تمّ إنشاء المكتبات وألحِق قسمٌ كبير منها بالمساجد والمدارس والمنشآت الدينية الأخرى كالتكايا والخانقاوات والزوايا وغيرها ، مثل مكتبة المدرسة العُمرية في صالحية دمشق والتي يوجد فيها خزائن للكتب المتعددة ومن مختلف فروع العلم (١) ، ومكتبة مدرسة إسماعيل باشا العظم والتي أغناها بالكتب ابنه أسعد باشا ، ومكتبة التكية السليمانية ، ومكتبة المدرسة المرادية ، ثم مكتبة المدرسة السياغوشية ، ومكتبة جامع يلبغا ، عدا عن وجود بعض من المكتبات في بيوت بعض رجال الدّين ، وهي مكتبات خاصة ، مثل مكتبة عبدالله البصروي ، الذي قال عنه المرادي صاحب الدرر : " الذي لم يمسك كتبها عن أحد فتفرّقت كتبه أيدي سبأ " (٢) ، في حين أنّ نوع الكتب المتوافرة فهي ترتبط بقسم كبير بنوع الكتب والمواد التي كانت تدرّس في مدارس دمشق العديدة ، وهي في الغالب كتب في القرآن والتفسير والحديث ، وهي كتب دينية إسلامية (٣) ، عدا عن الكتب الأخرى في الطب والأدب أو الشعر والتاريخ (٤) .

وعلى الرغم من الإشارات النادرة عن المكتبات في كتب ابن كنان الدمشقي ، إلاّ أنها أعطتنا صورة عن طبيعة الحياة الثقافية ، والتي يبدو أنها أخذت بالتراجع في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشرالميلادي ، بدليل انها كانت تنفض بين الحين والآخر ، ولا يطالعها إلاّ من كان ذا علم ، وتُكتب عليهم على وجْه العارية ، وتسجّل أسماء المُعارين في سجلات خاصة عند ناظر المكتبة حتى لا تُعطّل ولا تفقد ، وفي بعض الأوقات يكون نفض الكتب بحضور عدد من العلماء والطلبة من أجل الإشراف عليها وحصرها والتدقيق عليها ، فهي تخضع لما يسمّى الجرد ، وهذه الكتب تحفظ في خزائن خاصة بها ، تتسع لآلاف المجلدات

---

(١) ابن طولون ، القلائد الجوهرية ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، شديفات ، شمس الدين علي بن طولون مؤرخا ، ص ٢٩ .

(٢) المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

(٣) نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٣٩٨ .

(٤) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٧ ، ٢٨ .

وقد يقوم ناظر المكتبة ببيْع الكتب إلى مكتبات أخرى تشهد حركة واسعة وإقبال كبير من الناس للمطالعة بها ، وذلك في حال بقيت الكتب دون الاستفادة منها في مكتبته ، ومثال ذلك: ما قام به ناظر المدرسة العُمرية السيد إبراهيم أفندي ابن حمزة ببيْع بعضا من الكتب إلى الجامع الأموي ،والتي بقيت تباع كل يوم إلى مقدار شهر ، وغالبا ما كانت من كتب الوقف ، ووصلت إلى حوالي ثلاثمائة مجلدة ، والسبب في بيع بعض الكتب هو ما عبّر عنه ابن كنان عن حالة مكتبة المدرسة العمرية بقوله : " فإنها خالية ما عدا بعض الفقراء من المتسببة ، ولا قوة إلاّ بالله " [١] ، ومن الكتب الأخرى التي بِيعت كانت كتُب الشيخ محمد الدكدكجي وبلغت نحو ألف مجلدة [٢] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٣٩ ، المروج السندسية ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٥) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

ثانيا : مظاهر الحياة الفكريّة :

- التصوّف :

اهتمت الدولة العثمانية بالمتصوّفة ، وشجّعت على قيام العديد من التكايا والخوانق والزوايا ، التي مارس فيها شيوخهم ومريدوهم طقوسَهم وعاداتِهم كالأذكار والتسبيح والتهليل ، وكانت تحرصُ على اللقاء مع شيوخ الصوفية على اعتبار أنهم حلقة الوصل والرّبط ما بين الصوفيين وأركان الدولة من متولين أو قضاة أو حتى من الولاة والسلاطين ، ولم تكن تبخل عليهم بمطالبهم ، فهي حريصة على متابعة أحوال التكايا والخانقاوات ، بالتفتيش عليها ، والإنفاق على توابعها وموظفيها ، وصرف العلايف الكبيرة لهم ، ويتصدقون عليها ، وربما يكون ذلك بموجب فرمانات تأتي من السلطنة (١) ، وبلغ من اهتمام الدولة بالمتصوفة أن مكّنتهم مِن الوصول إلى مراتب عُليا في الوظائف ، ابتداءً من التدريس بالمدارس ، أو الإشراف على التكايا ، أو جعل بعضهم خجّا لأولادهم ، إلى أن تصل ترقيتهم إلى منصب القضاء والإفتاء ، كالقاضي يوسف أفندي ، والمفتي الشيخ أبو الصفا ابن الشيخ أيوب الخلوتي (٢) ، عدا عن الحِرص الذي أوْلوه الولاة بزيارة شيوخ الصوفية إلى دورهم (٣) ، أو حضور دروسهم ، وتعظيمهم وتقديرهم من خلال مصافحتهم وتقبيل أياديهم (٤) .

وإن هذا الاحترام والتعظيم من قِبل موظفيّ الدولة الكبار للصوفيين ؛ قد يكون ناتجا عن احترام السلطنة نفسها لهؤلاء ، فالشيخ محمد بن مراد النقشبندي الصوفي(ت١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م) ، تمتّع بمكانة خاصة ، وقبول واستحسان من قِبل السلطان محمود خان ، الذي استدعاه إلى مقر السلطنة عندما كان قاضيا على المدينة المنورة ، وأنعَمَ عليه بكثير من الهدايا واجتمع به مرات عديدة ، وأعطاه الأوامر السلطانية المتوّجة بخطّه الشريف ، حتى صار له اعتبار تام ومكانة من بين رجال الدولة وأركانها ، ويلاحظ أنه من شدة تقدير السلطان للشيخ

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ٢٠٤ ، ٢٨١ ، ج٢ ، ص ٤١٩ .

(٢) ن م ، ج١ ، ص ٣٣، ٨٧ .

(٣) ن م ، ص ٢٢٥ .

(٤) ن م ، ج٢ ، ص ٣٤٧ .

النقشبندي ، بأن أعطاه الرخصة للحجّ بدلا عنه ، وهذا التبجيل للصوفي استمر إلى ما بعد وفاة السلطان محمود ، وتسلّم أخيه السلطان عثمان [١] .

ولم يقتصر احترام الدولة للصوفيين عند حياتهم فقط ، وإنما استمرت هذه الحالة بعد وفاتهم ، من خلال المشاركة في جنازاتهم وتوزيع الهبات والصدقات على أرواحهم [٢] ، فضلا عن حرص الولاة والقضاة وغيرهم على زيارة أضرحة كبار المتصوفة مثل الشيخ ابن عربي المحيوي الذي كان له اعتقاد كبير عند كثير من علماء ومتصوفة دمشق وضواحيها [٣] ، وجعلت على قبره عددا من الخدام بعلوفة أو تطوعا من الناس ، وقد رصد ابن كنان من هؤلاء الخدم كل من : (حسين آغا ، الشيخ محمد بن حسين الأكرمي الحنفي الصالحي ، الشيخ محمد بن محمد الأكرمي المتوفى سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م ، وقد ذكر ابن كنان خادما آخر يحمل نفس الاسم السابق وهو محمد ابن الشيخ محمد الأكرمي الحنفي المتوفى سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م) [٤] ، وتلك الأضرحة غالبا ما تكون تابعة للمجالس الصوفية ، التي تتولى تعيين خدامها بواسطة الدولة ، وبعض من تلك الأضرحة يحتاج إلى خادم واحد أو أكثر حسب أهمية صاحب الضريح ، والتي تحددها نسبة سكان المنطقة التي يوجد فيها الضريح ، ومستوى معيشتهم ، ومستوى ثقافتهم ، وغير ذلك [٥] ، ومن الأضرحة بدمشق ضريح الشيخ بايزيد [٦] ، ضريح دحية الكلبي بالمزة [٧] ، ضريح الصحابي خمّار الحبشي خادم

---

(١) المرادي ، سلك الدرر ، ج ٤ ،ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ١٣١ .

(٣) ن م ، ج١ ، ص ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ٢٢٤ ، ج٢ ، ص ٣٤٧ ، ٤١٩ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ٦١ ، ١٩٤ / ج ٢ ، ص ٤٢٤ .

(٥) بيومي ، زكريا سليمان، الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ص ٥٧ .

(٦) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٧) ن م ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .

رسول الله -عليه السلام- [1] ، ضريح سيدي عامود [2] ، وضريح أويس القرني [3] ، ضريح سيدي عبد الرحمن بالدحداح [4] ، ضريح الشيخ عمر الخباز [5] ، ضريح النبي يحيى - عليه السلام - [6] ، ومن المُلاحظ أن هذه العلاقة التي تبديها الدولة تجاههم ، جاءت نتيجة لتعلق الناس بهم ، واعتقادهم الكبير بكرامات الكثير منهم ، إضافة إلى أنه لم يظهر منهم أي شكل من أشكال العداء أو التهديد للدولة العثمانية ، وهذه العلاقة تعتبر بمثابة الوراثة التي ورثها بنو عثمان عن أسلافهم المماليك ، فكانت كلمات الصوفية عند المماليك مسموعة ونافذة ، لدرجة أنهم اعتبروا الشيخ الصوفي بمثابة الأب الروحي عند الدولة [7] ، كما أنه جُعِل في دمشقَ مقبرة للصوفية [8] ، تقديرا وتكريما لهم .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج٢ ، ص ٤٦٢ .

(٢) ن م ، ص ٤١٨ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ٨٦ ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٤) ن م ، ج ١ ، ١٩٧ ، ٣٢٢ .

(٥) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٦) ن م ، ج ١ ، ص ١٣

(٧) زاهر ، الحياة الاجتماعية والفكرية في بلاد الشام ، ص ٢ .

(٨) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٩ .

- **الطرق الصوفية :**

يعتقد كثير من الباحثين بأن الطريق الصوفي يعني التوجّه والإقبال إلى الله تعالى ، وهذه الطريقة ما هي إلاّ فرع من طريق رئيسي يسمّى الشّرع أو الشّريعة ، وعلى ذلك فإن تجربة المَشايخ والمُريدين من أصحاب و أتباع التجربة الصوفيّة ، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصل إلى درجة الصدق والإيمان والاعتقاد ؛ إن لم تتخذ لنفسها طريقا ومنبعا ومصدرا يقوم أساسا على مبدأ الشريعة ، ليصل المطاف به إلى الغاية الأسمى وهي التوحيد التام ، ومعرفة وحدانية الله معرفة حقيقية ، وهو ما يتوافق مع التقسيم الإسلامي على حدّ وصف المستشرقة الألمانية آنا شيمل ، والذي يبدأ بالترتيب من : الشريعة ، ثم الطريقة ، وأخيرا الوصول إلى الحقيقة (١) .

والصوفية ، كلمة مشتقة من لبس الصوف (٢) ، ويُقال : رجل صوفي ، وللجماعة صوفية ومتصوفة (٣) ، وهي الخِرقة التي كان يلبسها الزهّاد كنوع من التقشف والزهد والتواضع ، وأن لبس الصوف هو دأب الأنبياء - عليهم السلام - وشعار الأولياء والأصفياء (٤)، فكانوا يرون بأن طريقتهم نابعة من القرآن والسنة وتتماشى مع أخلاق الأنبياء (٥) ، كما قيل أن الصوفية سمّوا بذلك لأنهم في الصف الأول أو لأنهم يتولّون الصُفّة وهو مشتق من الصفاء (٦) .

وتقوم الطريقة الصوفيّة على مبدأ الوراثة ، ولا يعني ذلك التوارث من الأب إلى الابن فحسب ؛ وإنما تنتقل أيضاً مِن الشيخ إلى التلميذ ، مِن خلال لبْس الخِلعة والجلوس على

---

(١) شيمل ، الأبعاد الصوفية ، ص ١١٣ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٩٩ .

(٣) القشيري ،أبو القاسم عبدالكريم النيسابوري(ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف ، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، د. ط ، ١٩٨٩م ، ص ٤٦٤ ، وسيشار إليه لاحقا :القشيري ، الرسالة القشيرية .

(٤) الطوسي ،أبي نصر السراج(ت٣٧٨هـ/٩٨٨م)، اللمع ،تحقيق عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور،دار الكتب الحديثة ، مصر ، د. ط، ١٩٦٠م، ص ٤٠ ،وسيشار إليه لاحقا: الطوسي، اللمع .

(٥)الشعراني ، عبد الوهاب بن أحمد (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) ، الطبقات الكبرى ، ٢ ج ، مكتبة محمد المليجي الكتبي ، د . ط ، القاهرة ، ١٨٩٧م ، ج ١ ، ص ٣ ،٤

(٦)الهجويري ، أبو الحسن علي بن عثمان (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) ، كشف المحجوب ، دراسة وتعليق : اسعاد عبد الهادي قنديل ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، د . ط ، ١٩٧٤م ، ص ٢٢٧ .

سجادة التصوف [١]، والتي تعني : وصول المريد إلى الدرجة الكبرى التي بذل جهودا كبيرة للتشرّف بحمْل التركة عن شيخه ، عندها يكون قادرا على تعليم غيره لأصول الطريقة ونشرها ، وأن يوجِد لنفسه أتباعاً يحملونها عنه مستقبلا ، فتستمر تلك الطرق وتتناقل من جيل إلى جيل .

وقد وردت عند محمد بن كنان الصالحي معظم الطرق الصوفية ، وشيوخ كل منها ، وهذه الطرق كان لها الدّور المؤثر على الحياة الدمشقية ، وهي على النحو التالي :

أولاً : الطريقة الصمادية : ومؤسسّها الشيخ محمد خليل الصمادي (ت ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥م) ، ومن شيوخها بدمشق كل من : صالح الصمادي(ت ١١٢٧ هـ/ ١٧١٤م) [٢] و الشيخ محمد الصمادي (ت ١١٣١ هـ/ ١٧١٨ م) [٣] .

ثانياً : الطريقة النقشبندية : ومِن مشايخها بدمشق كل من : محمد المرادي النقشبندي (ت ١١٣٢هـ / ١٧١٩ م) وأصله من بلاد اليزبك [٤] والشيخ رفيع اليزبكي النقشبندي (ت ١١٣٢هـ / ١٧١٩ م) [٥] ، ولم يغِب عن ابن كنان أن يذكر لنا شيئا من طرقهم وأحوالهم بدمشق ، والتي كانت في بعض منها غريب على المجتمع ، إذ يقول : " ولهم إمام ومؤذن ، ومهما اشتغلوه يكون لأستاذهم ، لا تصرّف لهم فيه ، ولو إرثا ، وأخذوا أماكن ، ونشأوا فلايح ، ويسمّون زوجة الأستاذ – الست - ، وهم لها كالخدّام يمشون في ركابها ، وانقيادهم إلى الأستاذ لا يصل إليه أكبر حاكم ..... ولا يجلس في مجلس الأستاذ إلاّ الخليفة والإمام ، ولهم آداب لا يعقلها أهل هذه البلاد " [٦] .

---

(١) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، زاهر ، الحياة الاجتماعية والفكرية في بلاد الشام ، ص٢٢٨ .

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٣) ن م ، ص ٣٠١ .

(٤) ن م ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(٥) ن م ، ص ٣١٤ .

(٦) ن م ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

ثالثاً : الطريقة الكواكبية : ومن مشايخها بدمشق كل من : الشيخ عبد الرحمن الموصلي الشافعي(ت ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م) ، ثم جلس مكانه ابنه : الشيخ أحمد بن عبد الرحمن (ت ١١٢٨هـ/ ١٧١٥م) ، ثم جلس مكانه في الطريقة الكواكبية الشيخ درويش بن أحمد بن عبد الرحمن الموصلي (١) .

رابعاً : الطريقة القادرية : ومن مشايخها : الشيخ عبد القادر الصمادي القادري(ت١١١٤هـ / ١٧٠٢م)، وجلس مكانه في الطريقة أخوه صالح بواسطة أكابر وأصحاب الطريقة بدمشق (٢) ، ثم الشيخ محمد المزيّن الحنفي(ت ١١١٥هـ/١٧٠٣م)(٣) .

خامساً : الطريقة التغلبية : ومن شيوخها بدمشق : ، والشيخ محب الدين التغلبي الصالحي الشيباني(ت ١١١٩هـ/١٧٠٧م) (٤) ، والشيخ عمر بن الشيخ رسلان التغلبي (٥) ،والشيخ سعد الشيباني التغلبي بن أرسلان(ت ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م)(٦) ، والشيخ يونس بن إبراهيم التغلبي الجنيناتي الصالحي(ت ١١٣١هـ/ ١٧١٨م) (٧) ، والشيخ مصطفى التغلبي ، وأتباع هذه الطريقة هم من أصحاب الكرامات والأحوال الظاهرة ، وعُرف منهم بعض من المجاذيب ، مثل : بدر المجذوب ، ومن أحوالهم : أكل الحيّات ، ودخول النّار والخروج منها ، وفتح الأبواب المغلقة بنقرة من الرأس ، عدا عن " عجائب وقعت منهم بصالحية دمشق " ، وكان أركان الدولة في دمشق مِن باشوات وأكابر وأعيان في بعض الفترات يرغبون بالفُرجة على شيء من الأحوال التي اختصّوا بها ، ومنها ما يسمّى بالدّوس (٨) ، ومن العادات التي عُرفت عنهم أيضاً إخراج وإظهار الأعلام الخضراء والمزاهر في

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٥٨ .

(٢) ن م ، ص ٦٢ .

(٣) ن م ، ص ٨٠ .

(٤) ن م ، ص ١١٧ ، ١٣١ .

(٥) ن م ، ص ٥٣ .

(٦) ن م ، ص ٢٢٥ .

(٧) ن م ، ص ٣٠٠ .

(٨) الدوس : شدة وطئ الشيء بالأقدام وقولهم الدواب حتى يتفتت كما تتفتت السنابل فتصير تبنا ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٩٠ .

مراسيم الاحتفالات والأفراح وكذلك في الأتراح ووفاة أوليائهم [١] .

سادساً : الطريقة الرفاعية : ومن شيوخها بدمشق : الشيخ إبراهيم ابن الشيخ بركات الرفاعي الصالحي(ت ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) [٢] .

سابعاً : الطريقة القطنانية : وهم من المجاذيب وأصحاب الأحوال [٣] ، وهي فرع من الطريقة الرفاعية ، ومنهم : الشيخ عبد الله البقاعي القطناني المجذوب (ت١١٣٤هـ/ ١٧٢١م)[٤] ، والشيخ محمد ابن المجذوب القطناني الخلوتي [٥] .

- الخلوتيّة في دمشق :

وفي عصر ابن كنان كان التيار الصوفي قويّا ، فقد شكّلت الصوفية اسماً جامعاً لكل العلوم ولا ينتسب أتباعها ولا ينفردوا لعلم معين ، ولم يترسّموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، فهم يشكلون معدن جميع العلوم [٦]، وقد كان محمّد بن كنّان واحداً من هؤلاء المنتمين للطرق الصوفية ، فكان (خلوتيّاً) ، والخلوة في المعاجم اللغوية تعني : بقاء الإنسان في مكانه لا يبرح غيره وهو خالئ [٧] ،وقد نسب ابن كنان نفسه إلى هذه الطريقة باقترانها باسمه [٨] .

والخلوتية من فروع الطريقة السهروردية والتي تأسّست في خراسان على يد ظهير الدين ،

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

(٤) ن م ، ص ٣٣٧ .

(٥) ن م ، ص ١٣٣ .

(٦) الطوسي ، اللمع ، ص ٤٠ .

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦٨ ، المعجم الوسيط ، ص ٢٤٨ .

(٨) ابن كنان ،المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .

ويقال أنه (عمر الخلوتي المتوفى سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) [١] ، إلاّ أننا نجد من كتابات المستشرقة (شيميل) أن المؤسس الحقيقي للطريقة السهروردية الصوفية والتي تفرّعت منها الخلوتية ، تعود لـ شهاب الدين عمر السهروردي المتوفى في سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م [٢] ، إلاّ أنه من المرجّح أن الطريقة السهروردية تعود إلى مؤسّسها : عبد القاهر بن النجيب السهروردي (ت ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م) ، واتضح لنا ذلك من خلال كتاب (عوارف المعارف لشهاب الدين عمر السهروردي) ، حيث ذكر مؤلف الكتاب في أكثر من مرة قوله : حدثنا شيخنا أبي النجيب السهروردي ، أو سمعت شيخنا ، أخبرنا شيخنا، أو قوله عنه بشيخ الإسلام أبو النجيب[٣]، مما يبدّد الآراء السابقة التي قيلت حول مؤسس الطريقة السهروردية ، فالخلوتيّة الصوفيّة تعتبر صفة أهل الصفوة ، وهي تعتبر أن ّ العزلة من إمارات وعلامات أهل الوصلة [٤] ، وهذه الخلوات تعود بالفائدة على الشخص المختلي ، فهو عن طريقها يحصل من العلوم ما يصحّح به عقد توحيده ، فلا يتمكن الشيطان عندئذ من الوسوسة في نفس المُختلي ، وبالتالي يعزل نفسه عن الآثام ، ويكون سرّه مربوطا بالحق [٥] .

ولا تنتقل الخلوتية الصوفية من الأب إلى الابن ، فهي لا تورّث ، وإنما يتعلمها المُريد من شيخه ، شريطة أن يلازمه فترة من الزمن ، وعندما تتحقق عنده ما يُسمّى إجابة النداء والتوجه إلى الله والتوبة والعفو والخلوة والثبات والتفكر والمعرفة والكلام والاصطفاء والصُحبة والمُجاهدة وتأديب النفس والاستقامة [٦] ، لتنتقل إليه عندئذٍ بالوصيّة ، فالناس يلازمون الشيخ الخلوتي الذي يحظى بالعلم والدراية والمعرفة ، ويتزاحمون ليحظوا بفرصة

---

(١) عانوتي ، أسامة ، الحركة الأدبية في بلاد الشام ومصر خلال القرن الثامن عشر ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ط ١، ١٩٧٠م ، في الحاشية ص ٧٨ ،٧٩ .

(٢) شيميل ، الأبعاد الصوفية ، ص ٢٩٣ .

(٣) السهروردي ،شهاب الدين عمر (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، عوارف المعارف ،٢ ج، تحقيق عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د. ط، ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٧٠، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٦٦ ، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٩ ،وسيشار إليه لاحقا : عوارف المعارف.

(٤) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ١٩٦ .

(٥) ن م ، ص ١٩٨ .

(٦) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) ، إحياء علوم الدين ، ٤ ج ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، ج ٤ ، ص٤٣ .

قبول الشيخ لمبايعتهم والأخذ عنه ، وهذه الحالة في طريقة المبايعة التي تتم ما بين الشيخ ومريده ؛ نجدها في وصف المُحبّي عندما عبّر عن طريقة المبايعة للخلوتية التي تتم ما بين الناس وبين الشيخ العالم في دمشق عندما يتعذّر عليه مبايعتهم باليدّ لكثرتهم ؛ فإنّه يمسك بيده شاشا طويلا ، ويرسله إلى خارج الحلقة المزدحمة عليه ، فيقبض عليه الناس ويبايعهم (١) .

والشخص الخلوتي في بادئ طريقته يحتاج إلى مرشد كي يرشده في سلوك الطريق الروحي ، وقد يعامله بقسوة في بادئ الأمر ، وقد يتركه أحيانا عدة أيام ينتظره ببابه ، وقد يطلب من المريد أن يعمل ثلاث سنوات قبل أن يقبله الشيخ في صحبته ، فتكون السنة الأولى في خدمة الخلق ، والسنة الثانية في عبادة الحق ، وفي الثالثة يُراقي قلبه ويرعاه (٢) ، وعند انتقال الطريقة إلى الشيخ الجديد ، فإنه يلبس الخرقة ، لتكون دليلا على اتباعه لطريقة شيخه وأستاذه (٣) .

وبالرّغم مِن أنّ هذه الطريقة لم تكن في الغالب تورّث قبل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي مِن الآباء إلى الأبناء حتى لا تنقطع في ذريّة الابن ، أي أن عادة هذه الطريقة أن لا تنصّب خليفة لشيخها إلاّ أجنبيا عنه وذلك لإدخال الطمأنينة إلى قلوب المريدين ؛ إلاّ أنّه نلاحظ بأنّها قد طالها نوع مِن التغيير في العصور اللاحقة ، بدليل أنّ الخلوتيّة باتت تورّث بين الأسَر ، وهذا ما لاحظناه عند أسرة ابن كنّان ، حيث نقلها الوالد عيسى بن محمود إلى ولده محمد بن عيسى ، ومنه إلى ابنه محمد سعيد (٤) .

وقد اسعفتنا مؤلفات محمّد بن كنان باعتباره خلوتيّاً بالوراثة مِن أبيه في التعرف إلى الكيفيّة التي تتم من خلالها هذه الطريقة الصوفيّة بدمشق ، من حيث المكان والطقوس وأنواع التهاليل والأذكارات التي كانت تحدث إبّان قيامهم بطريقتهم تلك .

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٢) شيميل ، الأبعاد الصوفية ، ص ١١٦ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٤) المرادي ، سلك الدرر، ج٤ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

فقد كانت الخلوتية في دمشق تتم في جامع بردبك [١] ، بالإضافة للزوايا والخوانق الكثيرة بالمدينة [٢] وتستمر ما بين ثلاثة إلى خمسة أيام ، وغالبا ما تكون في شهري شعبان ورجب من كل عام ، ويحضرها المشايخ والأعيان والأكابر [٣] ، وقد يصحبها التهاليل ، أي قول : " لا إله إلاّ الله " ، وهذه التهليلة تعود بالنفع على الشخص المهلّل ، لما فيها من هبات إلهيّة على المؤمن فقط ، ولا تتحقق لغيره ، لأن الكافر لا هبة له [٤] ، ويتبعها طبول الباز والمزاهر ويتخللها استخدام الآلة [٥] وهي الموسيقى التي يتبعها الترانيم والتلاوات ، وفي حالة وفاة شيخ ما أو رجل من الأكابر أو من أصحاب الطريقة ، تُهدى هذه التهاليل إلى روحه ، ويُستحب في ذلك عند أصحاب الخلوتية أن يصل عدد حضور الخلوة الجماعية إلى أربعين شيخا ، وذلك لإيمانهم المُطلق بما جاء في الحديث الشريف " ما من أربعين من مؤمنين يستغفرون إلاّ شفعهم الله فيه " [٦] .

ويبدو أن هذا العدد (أربعين) أصبح محببا عند أتباع الخلوتية ، فالشيخ أو الأستاذ يشرف على الارتقاء الروحي للمريد لحظة بلحظة ، ويراقبه على الأخص في الأربعينية ، أي أربعينية الخلوة ، والتي اعتبرت ركنا أساسيا في التصوف [٧] .

وقد حَرِص محمّد بن كنّان الصالحي على ترجمة ما لايقلّ عن خمسين شيخاً مِن شيوخ الصوفيّة الخلوتيّة في دمشق ، وقد صنّفتها في جدول مرتّبة حسب الأقدميّة بتاريخ الوفاة ، وهي ما يوضّحها الجدول التالي :

---

(١) نفسه الجامع المعلق في حارة الأباريين ووصفه ابن كنان بأنه من أنزه جوامع دمشق ، ويعتقد أنه تأسس في القرن السادس أو السابع الهجريين /الثاني عشر أو الثالث عشر الميلاديين ، ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج٢ ، ص ٥٠٢ / كرد علي ،خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٦٢ .

(٢) ابن كنان ، المروج السندسية ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، ٣٩٩ .

(٤) ن م ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .

(٥) ابن كنان ، المروج السندسية ، ص ٥١ .

(٦) وقد ورد الحديث عن الرسول الكريم بصيغة " ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلاّ شفّعهم الله فيه " ، النيسابوري ،مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ/٨٧٤م)، صحيح مسلم ، ٥ج، تحقيق محمد فؤاد ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د .ط ، د . ت ، ج ٢ ، ص ٦٥٥ ، وسيشار إليه لاحقا: النيسابوري ، صحيح مسلم . / انظر : ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ .

(٧) شيميل ، الأبعاد الصوفية ، ص ١١٩ .

* جدول رقم (٣٢) المتصوفة والخلوتية في دمشق عند ابن كنان من خلال (الحوادث اليومية) :			
الرقم	**اسم الشيخ المتصوف / الخلوتي**	**تاريخ الوفاة : هـ / م**	**الجزء / رقم الصفحة**
١	محمد أمين بن فضل الله المحبي	جمادى الأولى ١١١١هـ/١٦٩٩م	ج ١ ، ص ٢٨
٢	أبو بكر الطعام	شعبان ١١١١هـ/ ١٦٩٩م	ج١ ،ص ٢٩
٣	يوسف أفندي الحنفي	صفر ١١١٢هـ/١٧٠٠م	ج ١ ، ص ٣٥
٤	أحمد بن الشيخ جمعة الشافعي الخلوتي	شوال ١١١٢هـ/١٧٠٠م	ج١ ، ص ٣٨
٥	محمد القطان الشافعي الخلوتي	جمادى الآخرة ١١١٣هـ/١٧٠١م	ج١ ، ص ٥٢
٦	عمر بن الشيخ رسلان التغلبي	شعبان ١١١٣هـ/١٧٠١م	ج١ ، ص ٥٣
٧	عبد القادر الدسوقي	ذي الحجة ١١١٣هـ/١٧٠١م	ج١ ، ص ٥٤
٨	محمد بن حسين الأكرمي الحنفي الصالحي	ذي الحجة ١١١٤هـ/١٧٠٢م	ج١ ، ص ٦١
٩	عبد القادر الصمادي	ذي الحجة ١١١٤هـ/١٧٠٢ م	ج ١ ، ص ٦٢
١٠	إبراهيم بن أيوب الخلوتي	محرم ١١١٥هـ/١٧٠٣م	ج ١ ، ص ٦٤
١١	سليمان القادري	ربيع الأول ١١١٥هـ/١٧٠٣ م	ج١ ، ص ٦٥
١٢	محمد المزيّن الحنفي	جمادى الآخرة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣ م	ج ١ ، ص ٨٠
١٣	إبراهيم بن محمد السفرجلاني الشافعي	جمادى الأولى ١١١٧هـ/١٧٠٥ م	ج ١ ، ص ٩٨
١٤	بركات الرفاعي الصالحي	جمادى الآخرة ١١١٧هـ/١٧٠٥ م	ج ١ ، ص ٩٩
١٥	عبد الرحمن الموصلي الشافعي	محرم ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م	ج١ ، ص ١٠٤
١٦	محمد بن أبي السعود بن أيوب الخلوتي	ربيع الأول ١١١٨هـ/١٧٠٦ م	ج ١ ، ص ١٠٧
١٧	عبد المحسن أفندي الخلوتي	جمادى الآخرة ١١١٩هـ/١٧٠٧م	ج ١ ، ص ١٣٠
١٨	محب الدين التغلبي الشيباني	شعبان ١١١٩هـ/١٧٠٧م	ج ١ ، ص ١٣١
١٩	مصطفى الغزاوي الخلوتي الشافعي	شعبان ١١٢٠هـ/١٧٠٨م	ج ١ ، ص ١٤٣

٢٠	أبو الصفا أفندي بن الشيخ أيوب	ذي القعدة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م	ج١ ، ص ١٤٧
٢١	عبد الوهاب أبو السعود ابن تاج الدين القباني	شعبان ١١٢١هـ/١٧٠٩م	ج١ ، ص ١٥٥
٢٢	موسى التركماني الخلوتي القاشقجي	جمادى الأولى ١١٢٢هـ/١٧١٠م	ج ١ ، ص ١٦١
٢٣	خليل أفندي الحمصاني	ربيع الأول ١١٢٣هـ/١٧١١م	ج ١ ، ص ١٧٦
٢٤	عبد الرحيم أحمد العرودكي	ربيع الآخر ١١٢٣هـ/١٧١١م	ج ١ ، ص ١٧٩
٢٥	حسن بن مرجان البقاعي الخلوتي	ربيع الآخر ١١٢٣هـ/١٧١١م	ج ١ ، ص ١٧٩
٢٦	محمد بن حجيج الخلوتي	ربيع الآخر ١١٢٤هـ/١٧١٢م	ج ١ ، ص ١٩٣
٢٧	مصطفى الأوليا	جمادى الآخرة ١١٢٥هـ/١٧١٣م	ج ١ ، ص ٢٠٢
٢٨	سعد بن أرسلان التغلبي	شعبان ١١٢٦هـ/١٧١٤م	ج ١ ، ص ٢٢٥
٢٩	بكري بن الشيخ محمد كباتيله الخواجا	ذي الحجة ١١٢٦هـ/١٧١٤م	ج ١ ، ص ٢٢٨
٣٠	محمد بن علي البعلي الخلوتي	محرم ١١٢٧هـ/١٧١٥م	ج ١ ، ص ٢٣٠
٣١	عبد الرحيم بن حسن السمان الصالحي	جمادى الآخرة ١١٢٧هـ/١٧١٥م	ج ١ ، ص ٢٣٦
٣٢	صالح الصمادي	رمضان ١١٢٧هـ/١٧١٥م	ج ١ ، ص ٢٤٢
٣٣	أحمد بن عبد الرحمن الموصلي	شوال ١١٢٨هـ/١٧١٦م	ج ١ ، ص ٢٥٨
٣٤	جمعة بن رمضان التركماني الخلوتي	ربيع الأول ١١٣١هـ/١٧١٩م	ج ١ ، ص ٢٩٧
٣٥	عبد الوهاب بن محمد الحموي	١٢ شعبان ١١٣١هـ/١٧١٩م	ج ١ ، ص ٣٠٠
٣٦	يونس بن إبراهيم التغلبي	١٦ شعبان ١١٣١هـ/١٧١٩م	ج ١ ، ص ٣٠٠
٣٧	محمد الصمادي	٢٢ شعبان ١١٣١هـ/١٧١٩م	ج ١ ، ص ٣٠١
٣٨	محمد بن علي التغلبي الشيباني	ذي القعدة ١١٣١هـ/١٧١٩م	ج ١ ، ص ٣٠٨

٣٩	مصطفى بن إبراهيم بن أيوب الخلوتي	محرم ١١٣٢هـ/١٧٢٠م	ج ١ ، ص ٣١٠
٤٠	محمد المرادي الحسيني النقشبندي	صفر ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م	ج ١ ، ص ٣١١
٤١	عبد الرحيم بن محمد بن حجيج	شعبان ١١٣٢هـ/١٧٢٠م	ج ١ ، ص ٣١٧
٤٢	محمد السؤلاتي الشافعي الخلوتي	جمادى الأولى ١١٣٣هـ/١٧٢١م	ج ١ ، ص ٣٢٢
٤٣	عبد الرحيم جلبي ابن الجوخي	رمضان ١١٣٤هـ/١٧٢٢م	ج ١ ، ص ٣٣٨
٤٤	أحمد بن صالح الصوفي	صفر ١١٣٨هـ/١٧٢٦م	ج ٢ ، ص ٣٦٨
٤٥	بدر الدين بن جلال الدين النقشبندي	ربيع الآخر ١١٣٩هـ/١٧٢٧م	ج ٢ ، ص ٣٧٧
٤٦	عبد الوهاب بن المهوّش	شعبان ١١٤٠هـ/١٧٢٨م	ج ٢ ، ص ٣٨٧
٤٧	الشيخ عبد الغني النابلسي	شعبان ١١٤٣هـ/١٧٣١م	ج ٢ ، ص ٤١٥
٤٨	صادق آغا ابن أحمد بن محمد باشا الناشفي	جمادى الآخرة ١١٤٥هـ/١٧٣٣م	ج ٢ ، ص ٤٢٨
٤٩	أحمد ابن الشيخ نصري الحسيني الخلوتي	شعبان ١١٤٧هـ/١٧٣٥م	ج ٢ ، ص ٤٥٨
٥٠	محمد العجلوني الشافعي الصوفي	ربيع الأول ١١٤٨هـ/١٧٣٦م	ج ٢ ، ص ٤٦٦
٥١	مصطفى بن عمر الخلوتي	ذي القعدة ١١٤٨هـ/١٧٣٦	ج ٢ ، ص ٤٧٥
٥٢	سعيد أفندي (طلب طريق الخلوتية من الشيخ محمد بن عيسى الخلوتي سنة ١١٥٢هـ/١٧٣٩م	عاش بعد ابن كنان	ج ٢ ، ص ٥١٤ .

- **التكايا والزوايا والترب في دمشق :**

في الوقت الذي بدأت تنشأ فيه الجماعات الصوفية ، لم يعُد بيت الشيخ الصوفي هو مركز النشاط الوحيد الذي يُمارس فيه نشاطه وطرقه وتدريسه للتعاليم ، بل غدت الحاجة مهمة وضرورية لاستحداث ما يشبه المؤسسات ، وذلك لاحتواء العدد المتزايد من المُريدين ومحبي الطرق ، فنشأت لذلك الخانقاوات ، والتكايا ، والزوايا ، والربط ، وكان لهذه المباني دورا أساسيا مهما في مختلف مجالات وأحوال الحياة الدمشقية ، سواء ثقافية أو دينية أو حتى فكرية، يمارس فيها مُريدوها أحوالهم وطرقهم الخاصة بهم ، وهي قد تكون مقرا لهم لممارسة أنشطتهم وتعاليمهم ، ومكانا للذكر والدّعاء ، فهي أماكن مخصّصة للعبادة والانعزال والخلوة والانقطاع إلى الله تعالى .

وجاءت التكايا بديلا عن الخانقاوات ،وإنّ أول من أوجدها في دمشق هو السلطان سليم الأول ، ثم السلطان سليمان القانوني ، وجاء بعدهم من سار على منهجهما ، لا سيما من بعض الولاة العثمانيين والأثرياء [١] ،في حين نجد أن (محمد كرد علي) يُشير إلى أن الرباطات – الربط – هي نفسها التكايا بالتركية ، والتي تكون مخصّصة للأفعال الصالحة والعبادة [٢] ، وهي مؤسسات اهتمّت بها الدولة العثمانية وجعلت لها عدة وظائف ومخصّصات مالية ، وأفردوا لها الأوقاف العديدة ، وكانت تقام على مساحات واسعة من الأراضي ، واشتملت على غُرف للتدريس وأخرى لمبيت الفقراء والدراويش ، وهي مزوّدة بدورات للمياه وبحرات ومطابخ ، وكثير مِن هذه التكايا ألحِقت بها التُرب والتي تكون مخصّصة لعائلات بعينها ، حيث إنه في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي نشأت معظمها ، وكان منها : التكية التي أقامها الوزير أحمد باشا الأرنودي – الكجك - والي دمشق ، خارج باب الله بالقرب من قرية القدم في سنة ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م ، وجعل لها أوقافا في عدد من قرى صيدا وبعلبك ، ودُفن بها [٣] ، وقد ذكرها ابن كنان ذكراً فقط ، بالإضافة إلى تكية أخرى هي : تكية أحمد شمسي باشا ، شرقي المدرسة القزمازية ، وشيخها أحمد نهجي زاده المتوفى سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م

---

(١) نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، ج١ ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) كرد علي ، خطط الشام ، ج٦ ، ص ١٣٤ .

(٣) المحبي ، خلاصة الأثر ،ج ١ ، ص ٣٨٨ .

وتكية الشيخ أحمد العسالي المشروطة على السادة الخلوتية [١] ومن خلال ما جاء به ابن كنان ، يبدو لنا ، أن من أشهر تلك التكايا وأهمها اثنتين على وجه الخصوص ، بدليل أنه لم يتطرق لأي من التكايا الأخرى التي كانت موجودة في دمشق ، إلاّ على سبيل الذكر بالاسم فقط ، وهاتين التكيتين هما :

أولاً : التكية السليمية [٢] : وقد أنشأها السلطان سليم خان الأول بن بايزيد خان المتوفى سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م ، عند مجيئه من مصر إلى الشام ، وموقعها إلى الشمال من جامع الخنكار وضريح ابن عربي المحيوي في الصالحية ، بعد أن اشترى ما كان قريبا منها كالبيوت والمسالخ ، وجعل عليها متوليا من الأروام اسمُه باكير الرّومي الحنفي ، ووضع على مشيختها المُلا أحمد الأوعاني الحنفي ، وتقدّم فيها أطعمة للفقراء وأبناء السبيل [٣] ، وكانت الدولة العثمانية تتولى متابعتها والإشراف عليها وعلى موظفيها من كتّاب أو أرباب الأقلام ، وتحاسب المخطئين والمقصرين ، مثل استدعاء كاتب التكية أحمد آغا ابن حسن باشا ابن القرنق للقدوم إلى الروم من أجل المحاسبة [٤] ، وكان ممّن ذكر لنا ابن كنان من أسماء موظفيها الشيخ محمد بن الحكيم الصالحي المتوفى سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٥م [٥] .

ثانياً : التكية السليمانية [٦] :

سميت بذلك نسبة إلى السلطان سليمان القانوني (ت ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) ، والذي أمر ببنائها في سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م ، وتقع في المرج الأخضر وعمّرها التركي معمار سنان والذي كان مرافقاً للسلطان في كثير من حروبه ، واطلع على الطرز المِعمارية في الشرق والغرب ، وحلّت بدلا عن قصر الإمارة التابع للدولة الفاطمية ، ثم بدلا عن القصر الأبلق للسلطان ظاهر بيبرس والذي تهدّم في زمن تيمور لنك ، وقد بُنيت التكية في دمشق على غِرار التكية

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ١٧٧ ، ج ٢ ، ص ٤٦١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٤ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٦١ .

(٣) ابن طولون ، القلائد الجوهرية ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، مفاكهة الخلان ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ / انظر : كرد علي ، خطط الشام ، ج٦، ص ١٣٥ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٥) ن م ، ص ٢٦١ ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ .

(٦) ن م ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٦٧ .

السليمانية في اسطنبول ، ولبنائها في دمشق حكاية ساقها نجم الدين الغزي على لسان السلطان سليمان نفسه مفادُها :" أنه رأى الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - في منامِه فأشار إليه بتعمير مسجد جامع به ، وأراه مكانا ، فلما استيقظ من منامه اقتطع جانبا من سراياه ، وعمره مسجدا عظيما شيّد بناءه ، ووسّع فضاءه ، قيل وُضع محرابه في الموضع الذي أشار إليه رسول الله في منامه ، وعمّر إلى جانبها المدارس العظيمة أعظمها دار الحديث السليمانية" [١] .

وكان مدرّسو هذه التكية وغيرها من التكايا الأخرى ونظارها يُعينون من العاصمة اسطنبول ، ومنهم : أحمد أفندي ابن سنان أحد كتّابها ، وخطيبها سليمان القادري المتوفى سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م، ومدرّسها الشيخ عثمان القطان ، و محمد العمادي [٢]، ونظرا لتعرّض دمشق لعدد من الزلازل في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، تأثرت التكية ومسجدها ، فسقطت منارَتا التكية ، حتى تم إصلاحهما وإعادة ترميمهما في سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م " فأعيدتا أحسن مما كانتا " [٣] ، وكان فيها من الأحجار والآلات والرّخام الصّافي والملوّن ما يُحيّر الناظر ، ويسرّ الخاطر ، واعتبرت هذه التكية من أجمل آثار العثمانيين ، وأنه لم يحصل الانتفاع بها ، مع أنها جاءت غاية في الحُسن والهندسة [٤] .

أما الزّوايا : فهي تشكل أمكنة للمتصوّفة ، وهي أماكن للذكر والتهليل والتسبيح لله تعالى ، وتقام فيها الأوراد والأذكار [٥] ،وهي مرتبطة بالأمور الدينية وفي بعض منها يرتبط أو يُلحق بالمدارس [٦] ، وقد يكون لكل طريقة صوفية زاويتها الخاصة بها ، والفرق بينها وبين

(١) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ٣ ، ص ١٤٠ ، بدران ، منادمة الأطلال ، ص ٣٧٨ .

(٢)) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٦٦ ،٨٤ ، ١٥٠ ، ٢٩١ .

(٣) الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ، ص ٨٠ .

(٤) كرد علي ، خطط الشام ، ج٦ ، ص ١٣٩ .

(٥) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣٧٨ ، بدران ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

(٦) أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٥٣ .

التكايا : أنها تبنى بجهود فردية من المشايخ وأصحاب الطرق وأهل الخير الموسرين ، على العكس من الخانقاوات والتكايا التي تشرف على بنائها الدولة ، فمصطلح الزاوية من مفهوم المستشرقة الألمانية (أنا شميل) تطلق على الوحدة الصغيرة كمقرّ منعزل يسكنه أحد المشايخ (١) ، وفي الغالب نجد أن تلك الزوايا يُضاف لها الترب والتي تختص بأصحابها وموقفيها ، وقد ذكر ابن طولون الذي عاش في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي عددا من الزوايا في دمشق ، والتي وصلت إلى ستٍ و أربعين زاوية ، بعض منها بقيَ في عهده ، وبعضها الآخر تعرّض للهدم (٢) .

وقد تناقص عدد الزوايا في دمشق خلال فترة دراستنا عن العصور السابقة ، وذلك بفعل سوء الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وقد وصف تلك الحالة ابن كنان عندما قال : " أما الزوايا فيه مما لا يحصى ، والآن كلها خراب " (٣) .

وفيما يلي جدول يوضّح الزوايا التي ذكرها ابن كنان في مؤلفاته :

*** جدول رقم (٣١) الزوايا التي ذكرها ابن كنان و أحوالها في عصره :**

الرقم	الزاوية	المؤسس	الملحوظات	المصدر	الجزء/الصفحة
١	زاوية الشيخ أبو بكر العرودكي	أبو بكر العرودكي٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م	وهي من الزوايا التي استمرت في زمن ابن كنان وتُقام بها الأوراد ، ويتولى أمرها ذرّيّة الشيخ العرودكي	*المروج السندسية * الحوادث اليومية *المواكب الاسلامية	* ص ٥١. *ج١،ص١٧٩ *ج٢،ص٣٧٨
٢	العجميّة	للشيخ العجمي	وهي خاربة في زمن ابن كنان	* المروج السندسية *المواكب الاسلامية	*ص٥٠ . *ج٢،ص٣٧٨
٣	الداوديّة	عبد الرحمن الداودي سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م	ضريحه موجود بها ويُزار، وتُقام بها الأوراد ، وهي باقية زمن ابن كنان	*المروج السندسية *الحوادث اليومية	* ص٤٨ . *ج١،ص٢٩ .

(١) شيمل ، الأبعاد الصوفية ، ص ٢٤٣ .

(٢) ابن طولون ، القلائد الجوهرية ، ص ١٩٢ .

(٣) ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ج١ ، ص ٣٧٩ .

٤	العمادية	عماد الدين المقدسي الصالحي(ت٦٨٨هـ/١٢٨٩م	ونعرف بالزاوية الشيبانية وهي موقوفة على بني تغلب في الصالحية وكانت سابقا تُقام بها الأوراد ، لكن توقف ذلك زمن ابن كنان	*المروج السندسية *الحوادث اليومية	*ص ٥١،٥٢ *ج١ ، ص ١٣١ ، ٣٠٨
٥	الخوارزمية	وهي منسوبة للشيخ الخوارزمي ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣	بناها الشيخ عتيق الحسيني (ت ٩١٥هـ/١٥٠٩م)عن روح الشيخ الخوارزمي	*المروج السندسية *المواكب الاسلامية	*ص٥٠ . *ج٢،ص٣٧٨.
٦	الإيجيّة	منسوبة للشيخ محمد الإيجي الصوفي	وهي موقوفة لذريته الصوفيين	*المروج السندسية *الحوادث اليومية *المواكب الاسلامية	*ص٥٠ . *ج١،ص٦٢ *ج٢،ص٣٧٨.
٧	الصوابية	للأمير صواب الطواشي(ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م	مكان نزيه مطل غرب الصالحية بسفح قاسيون	*الحوادث اليومية	*ج٢، ص ٤٢٢،٤٤٠، ٤٨٧ .
٨	القواميّة	منسوبة للشيخ أبي بكر بن قوام البالسي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)	ولها قباب ومئذنة استمرت زمن ابن كنان، وهي بسفح قاسيون ، وبها ضريح الشيخ القوامي	*المروج السندسية	*ص٥٠ .
٩	العفيفية	وتنسب للشيخ العفيف الرمادي	وهي عامرة زمن ابن كنان وتقام بها الصلوات الخمس	*المروج السندسية	*ص٥٢ .

أما الترب في دمشق : فهي تختص بالأسر وحدها ولا يُدفن بها أحد من غير تلك الأسرة ، وهي بذلك تختلف عن المقابر ، ومن التُرب بدمشق التي ذكرها ابن كنان : تربة الداودية (١) ، تربة الشيخ أرسلان (٢) ، تربة الشيخ محمد الزغبي (٣) ، تربة

(١) وهي وقف للأمير مقبل الدوادار (ت٨٣٦هـ/١٤٣٢م)، النعيمي ، الدارس ، ج١،ص ٢٣١ ،ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٢) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٠ ، ج ٢ ، ص ٣٧١، ٣٨٨، ٤١٤، ٤٥٣

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ١٠١، ٥٧ ، ١٣٢ .

الحاجب (١) تربة الفراديس (٢) ، تربة أبي عمر المقدسي (٣) ، تربة الدحداح وتسمى بمقبرة الغرباء (٤) ، تربة الشيخ أبي السعود البغدادي (٥) ، تربة النارنج(٦) ، تربة المحيوي ابن عربي (٧) ، تربة بني عجلان (٨) ، تربة محمد باشا التذكرجي الناشفي (٩) ، تربة بني سعد الدين (١٠) ، التربة الأيدمرية (١١) ، تربة بني الزكي (١٢) ، تربة أبي عمر (١٣) ، الباب الصغير (١٤) .

وعادة ما يلحق بهذه الترب مدارس لتعليم القرآن والحديث ، بالإضافة لمساجد مصحوبة بعدد من الأئمة والمؤذنين (١٥) ، مثل التربة العادلية وارتباطها بمدرسة العادلية ، كما يرتبط بها موظفين كالمقرئ والمعيد (١٦) ، وبعض أوقافها قد تكون دكاكين وحمامات (١٧) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(٢) ن م ، ج ١ ، ص ٦٣ ،٦٤ ،٦٥ ، ٨٤ ، ١٢٠ ، ج٢ ، ٣٨٢ ،٣٨٧ ،٣٩١ ، ٤٧٦ .

(٣) ن م ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٤) ن م ، ص ٣٨ ، ١٣٠ ، ١٠٧ ، ج٢ ، ص ٣٥٠،٣٦٨،٣٧٧ ، ٣٨٤،٣٩٨ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧١.

(٥) ن م ، ص ١٢٦ .

(٦) ن م ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٧) ن م ، ص ٢٤٢ ، ٣١٦ .

(٨) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ص ١٥٤ ،ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

(٩) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ ، ٤٢٨ .

(١٠) ن م ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(١١) ن م ، ص ٢٣٧ .

(١٢) ن م ، ص ٢٥٦ .

(١٣) ن م ، ص ٢٦١ .

(١٤) ن م ، ص ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ج٢،ص ٣٧٢،٣٧٦ ، ٣٨٧ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ ، ٤٢٦.

(١٥) النعيمي ، الدارس ، ج٢، ص ١٧٥- ٢٢٥، الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، ٣٠٩ .

(١٦) النعيمي ،المصدر السابق ، ج٢، ص ١٨٠ ، ٢٠٠، ٢٣٠ ، العموش ، النعيمي ومنهجه ،ص ٢٣٥ .

(١٧) النعيمي ، المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ١٨٧ ، ١٨٥، ١٩٢ .

- **أصحاب الكرامات والأولياء الصالحين والمجاذيب وأحوالهم :**

يعتقد كثير من الصوفية بمشايخهم ، ويستمعون إليهم ، ولا يخالفونهم في الرأي أو في الطريقة ، وهي مِن الآداب التي يظهرها المُريد لشيخه ، وهذا الاعتقاد بشيوخ الصوفية قد يصل إلى حدّ الإيمان الكامل بهم ، والتي تستمر إلى ما بعد وفاتهم ، ووراثتهم لهم ، ويتبرّكون بهم ، وهم في حياتهم ، قد يصلون إلى مرتبة الولاية الصالحة ،فيقصدونهم الناس من أجل التبرّك بهم ، وسؤالهم عن أمور غيبيّة ، أو من أجل الدّعاء لهم بخير ، وعقب وفاتهم تكون أضرحتهم أماكن للزيارات ، وتسُتجاب عندها الدعوات ، وأماكن للإجابات ، مِثل اعتقادهم بالشيخ ابن عربي المحيوي والذي يُزار قبره في الصالحية ، والأولياء فإنهم إذا ظهر لهم من كرامات الله شيء ؛ ازدادوا لله تذللا وخضوعا وخِشية وازدراءً بنفوسهم ، وإيجابا لحق الله عليهم ، فيكون ذلك زيادة لهم في أمورهم ، وقوة على مجاهداتهم ، وشكرا لله تعالى على ما أعطاهم (١) ، فكرامات الأولياء حق بكتاب الله تعالى وذلك بإجماع أهل السنة والجماعة ، وهو مثبت بالقرآن الكريم سواء الآية التي تناولت السيدة مريم العذراء عندما كان يأتيها الطعام وهي في المِحراب ، وهي قوله تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " (٢) ، وكذلك أحوال أصحاب الكهف ، وتقلبهم من جنب إلى جنب ، بقوله تعالى : " ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد " (٣) ، فهي خوارق وكرامات وليست بمعجزات ، كما وصفها بذلك صاحب (نفحات الأنس) (٤) ، كما أن كرامة الوليّ في حياته ، فإنها تكن معه كذلك بعد الموت ، تكريما له من الله تعالى وإعلاءً لشأنه (٥) .

---

(١) الكلاباذي ، محمد بن أبي اسحق الحنفي(ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ط ، د. ت ، ص ٧٣ .

(٢) آل عمران ، آية رقم ٣٧ .

(٣) سورة الكهف ، آية رقم ١٨ .

(٤) الجامي ، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٨٩٨هـ/١٤٩٢م) ، نفحات الأنس من حضرات القدس ، ترجمه عن الفارسية : تاج الدين محمد بن زكريا ، مكتبة شيخ الأزهر ، د. ط ، ١٩٨٩م ، ص ٤٣ ،٤٤ .

(٥) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

والأولياء الصالحون ، لهم ما يميزهم عن غيرهم من البشر ، وإن كرامتهم بمثابة الأمر الخارق المنوط بالتقوى ، والعبادة ، والطاعة الكاملة (١) ، فهم يُعرفون بلطافة اللسان ، وكذلك حُسن الأخلاق ، وطراوة الوجه ، وسخاء النفس ، وقلة الاعتراض ، وقبول العذر ، والشفقة على جميع الخلائق أخيارهم وأشرارهم (٢) ، وهناك من الدّواعي والأسباب التي ساعدت على الإيمان بأن الشيخ الصوفي الوليّ له قوّة خارقة بإظهار كراماته ، ومنها مثلا : أكل الحيّات ، والدخول في النار والخروج منها سالما ، أو معالجتهم لمن أصابه الجنون ، أو إزالة الخوف من نفس الخائف ، أو فتح الأبواب المُحكمة الإغلاق والقاسية من خلال نقرة بسيطة من رأسه(٣) ، وتلك القدرات أو الخوارق التي تظهر عند الأولياء الصالحين تسمّى الكرامات ، وهي بطبيعة الحّال تختلف كثيرا عن تلك الخوارق التي تأتي مع الأنبياء ، وهي تسمّى المعجزات (٤) ، وهو ما يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله .

وقد أعطتنا يوميات ابن كنان صورة واضحة عن هؤلاء الأولياء ودورهم في الحياة الدمشقية ، ومن تلك القصص التي وردت عند ابن كنان : كرامة الشيخ محمد العباسي الخلوتي مع تلميذه يوسف أفندي ، حيث رأى يوسف شيخه العباسي المتوفى في منامه وهو ينصحه بأن يأخذ الطريقة الخلوتية عن خليفته الشيخ عيسى بن محمود والد محمّد بن كنّان ، وكانت صورة شيخه في المنام بأنه كان يضع يديه على ركبتيه (وهي طريقة الشيخ محمد العباسي عندما كان يُعطي دروسه) ، فامتثل يوسف أفندي لطلب شيخه ، وذهب إلى عيسى بن كنان وبايعه ، فعادت الرؤيا في الليلة التالية ، وبشّره الشيخ العباسي بأن(يسعده الله) ، نظراً لقبوله طلبه وامتثاله لأمره في الأخذ عن عيسى بن محمود الصالحي ، وهذه البُشرى تحققت في حياة يوسف أفندي عندما ذهب فقيرا لبلاد الروم ، وتولّى المناصب فيها ، فأصبح خجّا (مؤدبا ومدرّسا) لأبناء الذوات هناك ، ثم ترقّى حتى تولّى منصب القضاء ، واجتمعت بين يديه الثروة ، وقد وصف يوسف أفندي أحواله تلك بأنّها : " ببركة سيدي

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ص ٢٧٤ .

(٢) شيميل ، الأبعاد الصوفية ، ص ٢٢٩ .

(٣) ابن كنان ، المصدر السابق ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) شيمل ، المرجع السابق، ص ٢٣٥ .

السيد محمد العباسي الذي دعاه " [١] .

وقد كانت الدولة العثمانية تحترم أولئك الأولياء ، وتسعى دائما إلى كسب رضاهم ، والتودد لهم ، وذلك لما يحظون به من مكانة عند عامة الناس ، فكانت تعاقب كل من يحاول التعرض لهم بسوء ، ومثال ذلك : ما قام به باشا الشام بسجن الدفتردار ، وتغريمه ثمانين كيسا وتعزيره ، وكان يريد قتله ، فاكتفى بإرساله إلى القلعة ، وذلك لما عُرف عنه بأذيته للأولياء [٢] ، حتى أن الدولة كثيرا ما كانت تستغل الأرباب وأصحاب الأحوال في إقامة الاحتفالات التي يحضرها أكابر الدولة في دمشق كالباشا والقضاة وغيرهم من الخواص والعوام ، في الفرجة على بعض الكرامات ، ومنها : الاحتفال الذي كان يسمى الدّوسة ، وهو أن يقوم الناس بالنوم على وجوههم ، وتدوس الخيول عليهم ، وببركة الأولياء فإنه لا يتأذى أحد منهم ، ولا يحدث لهم ارتياب ، وهي تختص بآل تغلب [٣] .

ومن المآثر الأخرى التي تدلل دلالة واضحة على بركة هؤلاء الأشخاص وصدق ولايتهم ، قصّة الحاج خطاب الميداني والذي كانت عنده - عزة نفس - والذي ضمن بستانه لبعض العسكر بمبلغ من المال يساوي ١٢٠ قرشا، وعند موسم القطاف قام المتحصّل بقطف ما يزيد على ذلك المبلغ ، بمعنى أن الحاج خطاب خسر نصف المحصول وهو من العنب ، ويتابع ابن كنان تلك السيرة : بأن الناس أرادوا تعويضه فلم يقبل من أحد ، عندئذ أرسل الشيخ محمد بن عبد الهادي وهو من الأولياء المباركين مع خادمه قرشا ، ليشتري له من مزرعة الحاج خطاب عنبا ، فأبى الخطاب المبلغ ووزن للشيخ عبد الهادي ما يقرب من ستين رطلا ، دون ثمن ، فعوّضه الله في اليوم التالي ببركة الشيخ عبد الهادي ستين قنطارا وأربعة عشر رطلا ، وهذا لِما أظهره الخطاب من محبة لأولياء الله تعالى [٤] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) ن م ، ص ٢٥٨ .

(٣) ن م ، ص ١١٨ ، ج٢،ص٤٦٢ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج٤ ، ص ٢٢١ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

ومن الكرامات والخوارق الأخرى ما حصل مع تربة الشيخ محمود الكردي الخلوتي والتي كان بجنبها عين ماء وشجرة زعرور ، وعندما حصلت زلزلة في بلاد الأكراد انتقلت التربة وعين الماء والشجرة إلى موضع آخر ، ولم تلحقها أيّة أذيّة من ذلك الخّسف [١] .

ولا تخلو حياة الناس من المتاعب والمشاق والضراء ، والتي لا تكن بحسبان الكثيرين ، عندها يلجأون لطلب العون من الله تعالى كي يخلّصهم من أهوالها ، ويخفف عليهم محنتهم ، وبعض من الناس من يرشدهم تفكيرهم لأولئك المباركين الصلحاء ، والذين يسومون بهم كل الخير ، والأخذ بهم نحو الفلاح ، وهذا الأمر حصل مع الشيخ محمد بن علي الكاملي الشافعي من أهالي دمشق ، عندما كان حاجّا ، وهو في طريقه إلى الحجاز وجد جملا باركا ، لا يقدر على النهوض ، وعرف صاحبه ، لكنه لم يجده ، وتأخر بسبب ذلك الجمل عن الحجاج الآخرين ، فلم يجد بُدّا ، إلاّ أن يتوجه بوجهه نحو مدفن الولي (عبد القادر الكيلاني) في المدينة المنورة ، مستنجدا به ، وعقب ذلك جاءه عبدٌ أسود ، وأخذ يمسك رَسَن الجمل ، فنهض ، ولحِق ببقيّة الحجّاج ، واختفى ذلك العبد ، وأعطى الجمل لصاحبه [٢] .

وقد يُستفاد من كراماتهم أيضا في العثور على ما يفتقده الناس من أمتعة لهم ، سواء مال ، أو غير ذلك من المتاع ، وببركتهم يعثرون عليها ، وهم مجرّبون بذلك ، وكان من بينهم : الشيخ الولي أبو البقاء توبة التكريتي(ت ٦٩٨هـ / ١٢٩٩ م) ، حيث حصلت تلك الواقعة مع محمد بن كنان نفسه ، عندما افتقد شيئا من متاعه (لم يُسمّه) ، وبقيَ يبحث عنه عدة أيام دون جدوى ، عندها قرأ الفاتحة على روح الشيخ التكريتي فعثر على حاجته ، وذلك ببركة منه [٣] ، وعندما تحضر الوفاة لأي من الأولياء المباركين ، فإنه من المعتاد ومن الطقوس أن تخرج جنائزهم من المساجد مصحوبة بالأعلام الخضراء ، والتي تمثل راية النبي -عليه السلام وآل بيته الكرام- ، ومثال ذلك جنازة الشيخ الولي وصاحب الأحوال عمر ابن الشيخ رسلان التغلبي (ت ١١١٣هـ/ ١٧٠١م) [٤] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

(٢) ن م ، ص ، ٢٧٤ .

(٣) ن م ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ .

(٤) ن م ، ج١ ، ص ٥٣ .

وكان ممّا عُرف عنهم أيضا : ميلهم إلى وضع القلائد والتمائم للمرضى والمصابين ، فينفعهم الله بها ، فلا يتردّد الخواص أو العوام من زيارتهم ، والتبرّك بهم ، على أمل الحصول على الشفاء مما قد يصيبهم من السّقم والمرض ، وهذا ما عُرف به الشيخ تقي الدين ابن الشيخ عمر الدومي التغلبي الحنبلي (ت ١١٣٥هـ/١٧٢٢م) ، والذي عُرف عنه أنه لا يُحبّ مُجالسة الحُكّام أو التردّد إليهم (١) .

ـ المجاذيب وأحوالهم :

لا تخلو الحياة الدمشقية المليئة بالمتصوفين وأماكنهم ، من جماعات لها سلوكياتهم الخاصة بهم ، وعرفوا بها ، فشكلوا ظاهرة في المجتمع الدمشقي ، وكانت تصرفاتهم وطرقهم تختلف كثيرا عن تصرفات غيرهم من الناس ، فهي تصرفات أقرب ما تكون إلى الجنون ، فاقدي العقل ، الذين لا يمكن محاسبتهم عما يصدرونه من أفعال ، فالمجذوب كما وصفه صاحب (عوارف المعارف) بأنه يرفع عن قلبه شيئا من الحجاب ، ولا يؤخذ في طريق المعاملة (٢) ، وهؤلاء يحظون باهتمام من قبل الدولة ، من خلال متابعة أحوالهم المعيشية ، واستحقاقاتهم من العطاء ، وأحوالهم تلك تجذب إليهم بعض الناس الذين يقصدونهم بالتبرك ، واعتبارهم من الأولياء الصلحاء .

وقد أشارت المصادر إلى بعض السلوكيات التي ظهرت عند هؤلاء المجاذيب ، والتي لا تحظى بقبول من غالبية المجتمعات ، وهي تصرفات منكرة ، تتنافى مع الحياة العامة والطبيعية للمجتمع ،فضلا عن رفضها من قبل رجال الدولة وموظفيها الرسميين ، ومن تصرفاتهم تلك : اصطحابهم للحيوانات للمساجد والحمامات ، ويحملون العُصيّ ذات الخشاخيش والتي تصدر أصواتا عالية ، يعرفهم الناس من خلالها ، وتصدر منهم أقوالا قاسية بذيئة لكل من يحاول زجرهم عن تصرفاتهم ، ولا يخافون من أحد مهما علت وسمت مرتبته ومكانته بين الناس (٣) ، وبعض منهم من كان يفقد الوعي لفترة من الوقت ثم يصحو ، وكثيرا

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج٢ ، ص ٣٤٩ ، المردي ، سلك الدرر ، ج ٣ ، ٥٨ ،٥٩ .

(٢) السهروردي ،عوارف المعارف ، ج ١ ، ص ٢٤٢، انظر :أبو علي، نبيل خالد، الرثاء بين العصرين المملوكي والعثماني، مجلة الدراسات الاسلامية، الجامعة الاسلامية ، غزة، م١٧ ، العدد الثاني عشر ، ٢٠٠٩م ، ص ٢.

(٣) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج١ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

ما كان يحصل لديهم النسيان ، وغياب الذاكرة ، وخصوصا في صلواتهم ، فلا يتذكرون الركعات التي ركعوها أثناء صلاتهم ، والتي هي عندهم تمثل أدبا من الآداب التي لا غِنى عن ممارستها ، وأنها من النِعم الإلهية ، وعندما تصيب الصوفي المجذوب الجذبة ، وتتسبب بغيابه عن حضور الصلاة لأيام أو أسابيع ؛ فإن الصلاة تسقط عنه (١) .

ومن المظاهر التي عُرفوا بها ، لِبْس بعضهم للخواتم الكثيرة بكل إصبع ، وما يزيد من تلك الخواتم توضع في سوار للمعصم في اليدّ ، وغالبا ما يكون كل خاتم منها يدل على بلد ما ، دون أن يكون بالضرورة أن يتنقل المجذوب لتلك البلدان ، وإنما قد يحصل عليها من التجار الوافدين إلى دمشق َعلى سبيل الهدايا ، ويطلق عامّة الناس على هؤلاء أسماء تختص بلباسهم أو طرقهم ، مثل : الولي الشيخ عثمان الصالحي والذي أطلق عليه لقب "أبو الخواتم " (٢) ، وغالبية المجذوبين يميلون إلى حياة التقشف والزهد ، ويرضون بالقليل ، ويتركون الكثير ، وبعضهم من يقبل بقطعة من الخبز على الدراهم والذهب ، التي قد يحصلون بواسطتها على ما تشتهيه أنفسهم ، لكن تلك هي أحوالهم ، ولا يستطيع أحدٌ أن ينكر عليهم ذلك ، ومنهم : بدر المجذوب الذي أعطاه باشا الشام وكافلها سليمان العظم ذهباً ، فرماه ولم يقبل به ، فطلب الأكل ، فأعطاه خبزا فأخذه (٣) .

وقد تصل كرامات هؤلاء المجذوبين إلى شفاء الناس من الأمراض ، حتى يذيع صيتهم في البلدان ، ومنهم : عبد الرحمن بن محمد الجقمقي (ت١١٢١هـ/ ١٧٠٩م) ، فالمريض الذي يدخل عليه يُشفى ، والذي يمتنع عن الدخول عنده قد يصيبه الموت ، ومما عرف عن كراماته أيضا ؛ ما أورده المرادي صاحب الدرر بقوله عنه : " أن الشيخ إبراهيم السعدي الجباوي خرج عليه في بعض الأسفار بعض من الأعراب ، قاصدين له وبه إيقاع الضرر – أي أن الأعراب أرادوا ضربه والتعدّي عليه - فرآه الشيخ عبد الرحمن الجقمقي على أحد تلال هناك ، يقول له : يا إبراهيم لا تخف ، وغاب عنه ، فلم يمكّن الله تعالى أولئك الأشرار من أذيّته " (٤) - أي أنه ببركة الشيخ عُمِيَ على أبصارهم فكان بينهم وبينه حجاب وغشاوة

---

(١) شيمل ، الأبعاد الصوفية ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(٣) ن م ، ص ١١٨ .

(٤) ن م ، ص ١٥٨ ، المرادي ، سلك الدرر ، ج ٢، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

وممّا عُرف عن قدرة هؤلاء المجذوبين أيضاً أنهم يستطيعون معالجة المرأة التي انقطع حليبها أو قلّ ، وبمجرد ما إن وضع المجذوب الولي يده فوق ثياب المرأة على صدرها حتى عاد الحليب إلى صدرها بانسكاب (١)، ومنهم الشيخ مصطفى الشيباني (ت١١٣٢هـ/١٧١٩م)، والذي كان قبره من المزارات التي يتبرّك بها العوام وخاصة من الفقراء ، وبعضهم مَن كان يجدُ عند رأسه ذهبا ، فيسدّون بها جوعهم (٢) .

ومن أحوالهم التي ذكرها ابن كنان عن بعضهم : ميلهم للعُري والمشي بالأسواق على تلك الحالة طوال العام صيفا وشتاءً ، واستخدامهم للكتابات غير المفهومة كحجب وطلاسم ، وأن تلك الحجب قد تفيد في دفع الشرّ أو تجلب الخير والنفع ، أو تستخدم للشفاء من الأمراض (٣).

وقد رصدت تلك المصادر حالات كانت قد وقعت من هؤلاء المجذوبين مع قُضاة دمشق ، والتي صدرت منهم بقصد أو من غير قصد ، وغالبا ما يكون الضحيّة فيها القضاة أنفسهم ، فمن هؤلاء القضاة مَن لا يتحمّل أذاهم وتصرفاتهم ، ويطفح الكيل بهم ، فقد يشتمون المجذوبين بعبارات قاسية ، فذكر الغزي الحادثة التي حصلت في القاهرة ما بين المجذوب أبو الخير الكليباتي مع قاضيها ، عندما زجره القاضي عن اصطحابه للكلاب للمساجد ، فأجابه المجذوب: " هم أوْلى بالجلوس في المسجد منك ، فإنهم لا يأكلون حراما ، ولا يشهدون زورا ، ولا يستغيبون أحدا ، ولا يدّخرون عندهم شيئا من الدنيا ، ويأكلون الرّمم التي تضرّ رائحتها الناس " (٤) ، ومن تصرفاتهم مع القضاة أيضا ؛ ما صدر عن عبد الرحمن الجقمقي حيث دخل إلى قاضي دمشق ووضع يده على إحدى عينيه ، وأراد من تصرفه هذا تقليد ذلك القاضي ، على اعتبار أن القاضي كان أعورا ، فضربه القاضي تسعة أسواط ، ممّا ترتب عليه عزله عن منصبه ، ورُجم ، وشارف على الهلاك لولا لطف الله به (٥) .

---

(١) المرادي ، سلك الدرر، ج ٤ ، ص ٢٢٢ .

(٢) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

(٣) ن م ، ص ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٣٧ ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٤) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٥) المرادي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

ثالثا : الحياة المذهبيّة في دمشق :

تكوّن المجتمع الدمشقي المسلم من فرقتين (السنيّة ، والشيعيّة) ، وهذا التمازج بينهما لم يكن يخلو من التمايز والحدّة بين الحين والآخر ،وقد تسمّى الشيعة باسم (الروافض) في المصادر المملوكية [(١)] فتظهر عند معظم أرباب الدولة في دمشق ميلهم للسنة وأهلها ، ويظهرون بغضهم وكرههم للروافض المفسدين الغلاة [(٢)] ، ذلك أن أولئك الروافض الباطنية ومنهم الإسماعيلية [(٣)]، كانوا يؤمنون بمعتقدات تخالف الشّرع والعقل على حد سواء ، فمنهم مَن كان يدّعي الألوهية والربوبية ، ومنهم من كان يؤمن بالحلول والتناسخ والإبدال [(٤)] ، ومن عجائب أقوالهم أيضا بأن روح الإله حلّت في علي بن أبي طالب ، وأن هذه الروح أخذت تنتقل إلى أولاده واحدا بعد واحد ، وعلى الأرجح أن تكون تلك الأفكار قد انتقلت بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، إلى أصقاع أخرى ، ويبدو أن هذه الاعتقادات بدأت تنتشر في الشام عامة ، ودمشق خاصة ، من خلال استغلال الفقر الذي كان يعيش فيه الأهالي ، وبساطة عقولهم ، وإغرائهم بالأموال ، فظهر لهم الأتباع والمناصرين [(٥)] ، وتطور الأمر إلى أن أصبح من المتصوفة شيعة وروافض وقويت الصلة

---

(١) ابن طوق ، التعليق ، ج ٢ ، ص ٧٧٧

(٢) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٣) وهي من فرق الشيعة ، وتنسب إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق الذي ظهر زمن خلافة هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ/٨٠٩م)، وانبثق منها القرامطة والحشاشون والدروز ، وهو مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ، الطوسي ، الحسن نظام الملك (ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩١م) ، سياست نامه ، ترجمة يوسف بكار ، وزارة الثقافة ،الأردن ، ط ٣ ، ٢٠٠٧م ، ص ٢٤٧ ، وسيشار إليه لاحقا : الطوسي ، سياست نامه / الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م) ، فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، د . ط ، د . ت ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) الإبدال عند الصوفية يحتمل معان عدة ، منها : الجماعات الذين بدلوا الصفات الذميمة بالحميدة وليس عددهم محصور ، أو أن الصوفي الذي يرحل يترك محله للذي يليه في الرتبة . / ورد اللفظ عند الغزي ، لطف السمر ، ج١ ، ص ٢٦٠ / انظر معناه : التهانوي ، محمد علي (ت١١٩١هـ/١٧٧٧م)، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج و رفيق العجم ، ٢ج ،مكتبة لبنان ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، ج١ ، ص ٨٧ .

(٥) المحبي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

بينهما وتعاظمت ، ويبدو أن هذه الصلة بين التشيع والتصوف كان أساسها وحدة الوجود التي نادى بها (يحيى ابن عربي) [١] ، بالرغم أن محقق كتاب عوارف المعارف أكّد في مقدمة تحقيقه للكتاب أن : التصوّف قد جعله الله من خصائص أهل السنة ، ليس لغيرهم فيه نصيب [٢] ، واستدلّ بذلك على صاحب كتاب (التبصّر في الدين) ، وكان قوله عما امتاز به أهل السنة عن غيرهم بقوله : " إن علم التصوف والإشارات وما لهم فيها – أي أهل السنة – من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ ، بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة ..." [٣] .

وكان بين السنة والروافض صراعات فكرية خفية ظهرت معالمها في دمشق منذ زمن المماليك في قضية (باب جيرون عند زاوية اليهود) ، وتعرّض الباب للخراب والدمار عند استيلاء التتار على دمشق سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠ م ، وقررت السلطة إعادة عمارته من جديد ، وعندما بُدئَ ببنائه ؛ إدّعى الروافض وجود حجر في مكان الباب منقوش عليه اسم امرأة من أولاد علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه - واسمها (ملكة) ، وتكريما لهما قاموا ببناء مسجد في مكان الباب ، فرفضت السلطة البناء بحجة أنّ المنحوت غير صحيح و مُستحدث ، وجاء رفضها بعد جلسات طويلة عُقدت بحضور الفقهاء والقضاة والمشايخ ، وشغلت قضية (باب جيرون) مجالس المجتمع الدمشقي ، حتى صدر القرار السلطاني بوقف البناء ، وإرجاع الباب إلى صورته القديمة التي كان عليها (طريقا للمارّة) ، وكان موقف الشافعية متشددا في هذه القضية على عكس المالكية والحنابلة الذين وقفوا على الحِياد ولم يتدخّلوا [٤] ، كما حاولت السلطنة المملوكية بواسطة شيخ الإسلام التضييق على الشيعة بمنعهم من زيارة الأماكن المخصصة لهم في مناسباتهم وطقوسهم كزيارتهم لقبر (السيدة زينب)، واعتبرت زيارة تلك الأمكنة من المحرّمات [٥]

---

(١) الشيبي ، كامل مصطفى ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ٢ ج ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢م ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٢) السهروردي ، عوارف المعارف ، ج١ ، ص ١٧ . والمحقق هو عبد الحليم محمود .

(٣) الأسفراييني ، طاهر بن محمد (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م) ، التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تحقيق كمال يوسف ، عالم الكتب ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ص ١٩٢ .

(٤) ابن طوق ، التعليق ، ج ١، ص ١١٢ ، ٥٠٩- ٥٣٤ ، ج٢ ، ٧١٨، ٧٢٣، ٧٢٨ ،٧٧٦ ، ٨٤١ ، انظر أبو الشعر ، مجتمع دمشق ، ص ٢٣٩ – ٢٤٧ .

(٥) ابن طوق، المصدر السابق ،ج ١، ص ٦٧٢،٦٧٣ .

وحاز الشيعة في زمن السلطنة العثمانية على مناصب في دمشق ، فمنهم من شغل منصبا إداريا ككتبة في المحاكم والتوريق ، ووجدوا قبولا واستحسانا من ممثلي السلطنة ، مثل (عبد الكريم بن محمود البعلي) المتوفى سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م (١) .

ومما كان يُعرف به الشيعة المتصوّفة بدمشق عن غيرهم هو : لبسهم للخرقة ، وهي التي تعكس الفقر والزهد والتقشّف ، ولبسها يعني ارتباط بين الشيخ وبين المُريد ، وأنها تجعل من الشيخ حكيما للمُريد ، ودلالتها تكون المبايعة ، وهي عتبة الدخول في الصُحبة (٢) .

وفي طريقة ارتداء هؤلاء للخلعة ، نجد أن صاحب المقدمة (ابن خلدون) يصفهم بقوله :

" توغلوا في الديانة حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرقة أن عليا - رضي الله عنه - ألبسها الحسن البصري ، وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة ، واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم " (٣) ، ثم علّق ابن خلدون أيضا بقوله : " وفي تخصيص هذا بعلي دونهم – دون الصحابة – رائحة من التشيع قويّة ، يُفهم مِنها ومن غيرها دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه "(٤) ، ويبدو أن هذه الخِرقة على ما يعتقد بدأت تحلّ محلّ لبس الصوف الذي كان يلبسه المتصوفون الأوائل ، وقد دلّ على ذلك الإشارات الكثيرة عند قراءة كتاب الحوادث اليومية لابن كنان ، حيث أن لبس الخرقة تعني وراثة المُريد لشيخه في الطريقة (٥) .

ويتضح من مؤلفات ابن كنان ، أن الشيعة كانوا يسكنون الجبال والقرى مثل :الدروز في جبال العرب ، وآل حرفوش في بعلبك ، وأن الشيعة الروافض في تلك المناطق كانت لهم شوكة بالمُطلق ، وكانت تصدُر منهم تصرفات قاسية بحق الأقليات من أهل السنة ، فيرفضون الزواج من السنة ، فكان الشيعي إذا ما أحبّ فتاة سنية ، فإنه يُجبر على تركها

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٢) السهروردي ، عوارف المعارف ، ج٢ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٣) ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، مقدمة ابن خلدون ، ٢ ج ، تحقيق عبد الله الدرويش ، دار يعرب ، د . م ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٤) ن م ، ص ٣٢٣ .

(٥) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٧٩ ، ٣١٧ .

رغماً عنه [١] ، ومما يؤخذ عنهم أيضا ، شتمهم للصحابة ولعنهم وعدم احترامهم لصحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- [٢] ، فقد شاع في دمشق وفي العاصمة اسطنبول أن شيخ

الإسلام فيض الله أفندي بدت عليه ملامح التشيع ، وكأنه كان يظهر للدولة ما لا يخفيه ويبطنه (وهو ما يعرف عن الشيعة باسم : التقية [٣])، ومما لاحظوه عليه ؛ توصيته للأشراف وغيرهم بتقديم الترضي على علي بن أبي طالب ، قبل الترضي على أبي بكر الصديق ، الأمر الذي أحدث فتنة عظيمة في الدولة العثمانية في سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م ، كانت نتيجتها ، أن الناس ألقوا القبض على شيخ الإسلام ، وعذبوه أشد العذاب ، وقد وصف ابن كنان تعذيب الناس لشيخ الإسلام بقوله : " تسلّموا شيخ الإسلام وبدّعوا فيه كثيراً وعذبوه بأنواع العذاب ما ينبغي ألّا يُحكى ، حتى قيل ، والعهدة على الناقل ، خلعوا أصابعه واحدة بعد واحدة ، ووضعوا له الفلقة ، وربطوا كفيه بإحدى أنثييه ، والحاصل برّحوا فيه التباريح ، ثم قطعوا رأسه وأعطوه اليهود والنصارى يجرجروه في الأزقة ، ولم يُعلم أين دُفن " ، ومن نتائج هذه الفتنة أيضا عزل السلطان مصطفى عن الحكم بحجّة أنه كان ضعيفا أمام شيخ الإسلام الذي ولّى أبناءه وأقرباءه في مناصبَ كثيرةٍ في الدولة [٤] .

أما موقف الدولة العثمانية الحنفية إزاء أولئك الروافض الغلاة في تلك البقاع ، فإنها كانت في حالة صراع وحروب واقتتال طويلة متقطعة معهم خلال قرنين كاملين من الزمن (الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) ، وتمكنت الدولة من إنشاء على ما يقرب من مائة قرية سنية في البلاد التي كان الروافض يقطنوها ، وتعمير أربع مدارس تكون مخصّصة لتدريس وقراءة العلوم الدينية ، ولا سيما الحديث والسنة [٥] .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ .

(٣) الطوسي ، سياست نامه ، ص ٢٢٧ ، القفازي ، ناصر بن عبد الله ، أصول مذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية ، ٣ ج ، د . ن ، د . م ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٤) ابن كنان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

(٥) ن م ، ص ٧٥ .

وقد وردت إشارات عند ابن كنان توضّح المزارات في دمشق والتي اقترنت بالتشيع ، ومنها : مزار السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (١) ، و تربة السيدة رقية بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (٢) ، ويبدو أن التشيّع بدمشق كان له تأثير واضح عند الأهالي ، فكثيرا ما كانوا يردّدون أقوالا تعود إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه – ، ولم يغفل ابن كنان عن ذكرها ، وقد ساعده على ذلك فكرُه الخلوتي ، وقد تناولها بالترتيب حسب الأحرف الهجائية ، بدايةً من حرف الألف حتى حرف (اللام وألف) ، وهي لا تخلو من الحكم والوصايا ، ومن بينها ، نذكر الأقوال التالية :

- حرف الألف :

" إيمان المرء يعرف بإيمانه . أخوك من واساك في الشدة . إظهار الغنى من الشكر . أدب المرء خير من ذهبه . أداء الدّين من الدّين . أدّب عيالك تنفعهم . أحسن إلى المسيء تسده . إخوان هذا الزمان جواسيس . استراحة الناس في الياس . إخفاء الشدايد من المروءة " (٣) .

- حرف السين :

" سوء الظن من الحزم . سرورك بالدنيا غرور . سوء الخلق وحشة . سيرة المرء سريرته . سلامة الإنسان حفظ اللسان . سموّ المرء في التواضع " (٤) .

- حرف الميم :

" من علت همته كثرت محبته . من كثر كلامه ما خلا ملامه . مطل الغني ظلم . ما ندم من حمد . من ملك لسانه أمن من فرط كلامه . مجالسة الأحداث مظنة الفساد " (٥) .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ١٠٩ .

(٢) ن م ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ .

(٣) ن م ، ص ، ٤٨٩ .

(٤) ن م ، ص ، ٤٩١ .

(٥) ن م ، ص ، ٤٩٣ / للمزيد انظر المصدر السابق ،ج ٢ ، من ص (٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣ ، ٤٩٤).

يتضح مما ورد سابقا علاقات الصراع الفكري بين المذهبين السني والشيعي منذ وفاة علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه- (٤٠هـ/٦٦٠م) ، واستمراره زمن الدولة العثمانية ، وقد حاولت هذه السلطنة نشر المذهب الحنفي في بلاد البقاع ذات المذهب الشيعي من خلال استحداث القرى والمدارس وصبغها بمذهب السلطنة الرسمي ، والتضييق على الشيعة ومصادرة ممتلكاتهم ومحاصيلهم كنوع من أموال الجزية المفروضة عليهم .

- أثار ابن كنان مسألة النذور للأولياء بعد الموت ، ونظرة الفقهاء والشرع والمذاهب لهذه المسألة الشرعية ، فالأحناف يرون أنه لا ينعقد النذر للولي بعد موته ، أما الشافعية فكان رأيهم أن النذر للولي المتوفى يصح ، لكن مع الأخذ أن يصرف المنذور على فقراء الناس ، في حين إذا كان النذر على شاكلة الزيت (وقود للاشتعال) والشمع فلا يصح إذا اشترط أن توضع عند مرقدهم للإضاءة ، وإنما تكون صحيحة إذا كان القصد منها أن توضع على جنبات الطريق الواصلة إلى مرقدهم ، فالنذور بشكل عام واجبة التنفيذ ، وعلى الناذر أن يتقيّد بنذره ، ما لم يكن مخالفا للشرع ، ومن لم يستطع تأدية نذره ، عندئذ وجب عليه كفارة اليمين ، أما رأي أتباع مذهب الإمام أحمد ابن حنبل فإن النذر الذي يستحيل معه التحقيق (أي أنه من المُحال) مثل قول أحدهم : والله لا تطلع الشمس غدا ، فهذا النذر لا ينعقد ، واعتبره الأحناف يمينا غموسا ، فالنظرة العامة للفقهاء أنه لا تجوز إشعال المقابر والترب مطلقا ، على اعتبار أنه لا فائدة ترجى منها ، إلاّ إذا استخدمت لإنارة الطريق المؤدية إلى كل منها(١).

أما قضيّة أن يتوسّل الناس بالأنبياء وأولياء الله الصالحين بالاقتران بالله تعالى ؛ فابن كنان أجازه بدليل : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان قد توسّل بعمّ النبي محمد -عليه الصلاة والسلام -العباس بن عبد المطلب حين استسقى ، أما أن يتوسل المرء بالأماكن فهي لا تجوز(٢) ، وهذه القضايا التي طرحها ابن كنان ، يبدو أنها كانت موجودة بزمانه ، وكان بعض الناس يقعون بها ، فأراد ابن كنان أن يُعالج هذه المسائل وتوضيح رأي الشرع وأصحاب المذاهب المختلفة منها، كما أن جلسات العلم لا تكاد تفارق بيوتات العلم في دمشق ومتنزهاتها ، وكان الجالسون يطرحون مواضيع فقهية ودينية ، ويحللونها ، ويذكرون أسبابها

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

(٢) ن م ، ص ٢٧٥ .

بالحجّة والبرهان ، ومنها : المسألة التي تتعلق بالحكمة ، وهي : أن درهم الحسنة يساوي عشرة أمثالها ، بينما درهم القرض يساوي ثمانية عشر حسنة ، فخطر الجواب عند الجالسين أن الحكمة فيها : بُشارة ومكتوبة على باب الجنة ، وأن أبواب الجنة ثمانية فزيدت ، فأصبحت (ثمانية + عشرة) ، وكان دليلهم وحجتهم في ذلك قول الرسول الكريم : " فتفتح له أبواب الجنة الثمانية " (١) ، و نصّ الحديث الكامل هو : " ما منكم من أحد يتوضأ ، أو فيسبغ ، الوضوء ثم يقول :أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ، إلاّ فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيّها شاء " (٢) .

يتضح مما أورده ابن كنان من القضايا الفكرية التي استعرضها بأنّ معظمها يرتبط بقضايا دينية وفقهية ، تحتاج إلى رأي الشرع بها بواسطة المفتين ، ومسألة النذور للأولياء بعد وفاتهم تدل على طبيعة الفكر السائد في مجتمع دمشق المليء بأصحاب الطرق الصوفية ، وتدل على كثرة أولياء الله الصالحين في الشام ، واهتمام الناس بهم والتقرب منهم ، ويعتبرون إرضاءهم في حياتهم وبعد مماتهم وسيلة للتكفير عن ذنوبهم ، والتقرب من الله ، وابن كنان عندما يجيز التوسل بالأنبياء والرسل ، فإنّ ذلك يعني فكر الطريقة الخلوتية التي يمثلها .

---

(١) ابن كنان ، الحوادث اليومية ، ج ١، ص ١٦٩ .

(٢) النيسابوري ، صحيح مسلم ، باب الطهارة ، ج١ ، ص ٢٠٩.

الخاتمة

بعد دراستنا لأبرز مؤلّفات محمّد بن عيسى بن كنّان الصّالحي ، وجدنا أنّه شاهِد عِيَان لأحداث عصره ، استطاع أن يسجّل أحوالَ دمشق كما شاهدَها ، أو كما سَمِعَ عنها ، وأعطى صورةً واقعيّة عن طبيعة الأحوال الاجتماعيّة والفكريّة والاقتصادية للقرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ، وتبيّن لنا حالة الضعف والتراجع التي لحِقت ببعض المؤسسات في تلك الفترة ، وإهمال السّلطنة العثمانيّة لها ، ولا سيّما النواحي التعليميّة التي اتّسمت بندرة ما أنشِئَ من المدارس أو غياب الرّقابة على القائمين عليها وإهمالهم ، عدا ما أصاب بعض الجوامع والمساجد مِن الخراب ، كما أعطتْنا مؤلّفاته أسماءَ عدد من المدارس والمساجد والزّوايا والتّكايا والتُرب والقصور والمتنزّهات والحمّامات التي كانت تملأ دمشق وضواحيها من الحّارات والقرى ، تعرّض بعضها للهدم والتعطيل في زمانه ، ورسمت مؤلفاته طابعاً عامّاً لأحوال النّاس الاجتماعيّة وعلاقتهم ببعضهم بعضا ، وعلاقة الدّمشقيين مع كل ما يطرأ على السّلطنة في العّاصمة إسطنبول سواء انتصاراتها على الأوروبيين والفرس واحتلالها للقلاع الأعجميّة ، أو أوضاعها الدّاخليّة المرتبطة بتولية السلاطين وعزلهم ، وما تعكسه تلك الأحوال على الجوانب الاقتصادية من حيث ارتفاع الأسعار وزيادة حجم الضرائب وسوء جبايتها ، وأثرها في انتشار الفسوق والفجور والرذيلة في المجتمع الدّمشقي ، وأحوال السّلع والمنتجات على اختلافها وما طرأ عليها من ارتفاع في الأسعار ، كما استطعنا من خلال مؤلّفاته تسليط الضوء على أحوال المجاذيب وأصحاب الكرامات والأولياء الصّالحين وأصحاب الطرق الصوفيّة ، واعتقاد النّاس بهم والتبرّك بأضرحتهم ، وعلاقة السلطة القائمة بدمشق بهذه الفئة ودورها بتوفير ما يلزم لخدمة مقاماتهم كتجديد عمارتها وتعيين الخُدّام لها ، وذلك بُغية كسب ودّ الأهالي والتقرّب منهم ، إضافةً إلى ما تحققه في استيعاب الطريقة الخلوتيّة وما اقترن بها من الطقوس والتهاليل والأذكار والأماكن التي كانت تُقام بها ، وقد دلّت أسماء شيوخ الخلوتيّة التي ذكرها ابن كنّان والتي لم تقل عن خمسين شيخاً على أهميّة هذه الطريقة وانتشارها بدمشق وبلاد الشّام .

والخلاصة ؛ أنّ مؤلّفات ابن كنّان تُعتبر من المصادر التاريخيّة التي توثّق لدمشق من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي .

قائمة المصادر والمراجع

أوّلاً : المصادر :

١- القرآن الكريم .

٢- النيسابوري ، مسلم بن الحجّاج (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) ، صحيح مسلم ، ٥ ج، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٣- الأزدي ، يحيى بن إبراهيم بن أحمد (ت ٥٥٠هـ/١١٥٥م) ، منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، تحقيق محمود بن عبد الرحمن قدح ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .

٤- الأسفراييني ، طاهر بن محمّد (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م) ، التبصير في الدّين وتمييز الفرقة الناجية عن الفِرق الهالكين ، تحقيق كمال يوسف ، عالم الكتب ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٣م .

٥- ابن إياس ، محمّد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدّهور ، المطبعة الكبرى ببولاق ، مصر ، ط ١ ، ١٨٩٣ م .

٦- البابانى ، إسماعيل بن محمّد أمين البغدادي(ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) ، هدية العارفين بأسماء المؤلّفين وآثار المصنفين ، ٢ج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ط ، ١٩٥١ م .

٧- بدران ، عبد القادر أحمد (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥ م .

٨- البدري ، أبو البقاء عبد الله بن محمّد (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م) ، نزهة الأنام في محاسن الشّام ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٢٢م .

٩- البوريني ، الحسن بن محمّد (ت١٠٢٤هـ/١٦١٥م) ، تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، ٢ ج ، تحقيق صلاح الدّين المنجد ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، د . ط ، ١٩٥٩ م .

١٠- البيطار ، عبد الرزاق (١٣٣٥هـ/١٩١٦م) ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، ٣ ج ، تحقيق محمّد بهجت البيطار ، دار صادر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٣ م .

١١- التركماني ، يوسف بن عمر بن علي الغسّاني (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) ، المعتمد في الأدوية المفردة ، تحقيق محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

١٢- - تقي الدّين ، عبد الباقي بن عبد الباقي الدّمشقي (ت ١٠٧١هـ/١٦٦٠م)، العيْن والأثر في عقائد أهل الأثر ، تحقيق عصام رواس قلعجي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٦م .

١٣- التهانوي ، محمد علي (ت ١١٩١هـ/١٧٧٧م) ، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ٢ ج ، تحقيق علي دحروج و رفيق العجم ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م .

١٤- الجامي ، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م) ، نفحات الأنس من حضرات القدس ، ترجمة تاج الدّين محمّد بن زكريا ، مكتبة شيخ الأزهر ، د . ط ، ١٩٨٩م .

١٥- ابن جبير ، محمّد بن أحمد الكنّاني الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) ، رحلة ابن جبير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .

١٦- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ٢ ج ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د . ط ، ١٩٤١م .

١٧- الحصني ، محمّد أديب (ت ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م) ، منتخبات التواريخ لدمشق ، ٣ ج ، المطبعة الحديثة ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٢٧ م .

١٨- الحلاق ، أحمد البُديري (ت ١١٧٥هـ/١٧٦٢م) ، حوادث دمشق اليومية ١١٥٤هـ/١١٧٥ هـ ، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

١٩- الحلبي ، محمد ابن أجا (ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م) ، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٦م .

٢٠- حليم ، إبراهيم بك ، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليّة ، مطبعة ديوان عموم الأوقاف ، د . م ، ط ١ ، ١٩٠٥م .

٢١- ابن الحمصي ، أحمد بن محمّد الأنصاري (ت ٩٢٤هـ/١٥٢٧م) ، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ، ٣ ج ، تحقيق عبد العزيز حرفوش ، دار النفائس ، بيروت ،ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

٢٢- الحموي ، شهاب الدّين بن عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، ٧ ج ، دار صادر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥م .

٢٣- الحميري ، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ، الرّوض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عبّاس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠م .

٢٤- ابن الحنبلي ، رضي الدّين محمّد بن إبراهيم (ت ٩٧١هـ/١٥٦٣م) ، درّ الحبَب في تاريخ أعيان حلب ، ٢ ج ، تحقيق محمود الفاخوري و يحيى عبّارة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، د . ط ، ١٩٧٢ م .

٢٥- ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمّد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، مقدمة ابن خلدون ، ٢ ج ، تحقيق عبد الله الدرويش ، دار يعرب ، د . م ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .

٢٦- ابن خلكان ، أحمد بن محمّد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٦ ج ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٤٨ م .

٢٧- دارفيو ، الفارس (ت ١١١٣هـ/١٧٠٢م) ، وصف دمشق في القرن السابع عشر ١٦٦٠-١٧٠١م ، تعليق أحمد أيبش ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٢ م .

٢٨- الدّمشقيّ ، ميخائيل (ت ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م) تاريخ حوادث الشّام ولبنان ، دار قتيبة ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٢م .

٢٩- الذهبي ، شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) ، سِيَر أعلام النبلاء ، ٢٥ ج ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥م .

٣٠- الرّازي ، زين الدّين محمّد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧ م) ، مختار الصحاح ، تحقيق يوسف الشيخ محمّد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٩٩م .

٣١- السهروردي ، شهاب الدّين (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) ، عوارف المعارف ، تحقيق عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف ، مطبعة السّادة ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٧م .

٣٢- ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ٣ج، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، د . ط ، ١٩٥٦م .

٣٣- ابن شدياق ، طنوس (ت ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م) ، أخبار الأعيان في جبل لبنان ، ٢ ج ، نشر فؤاد أفرام البستاني ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦٩ م .

٣٤- الشعراني ، عبد الوهاب بن أحمد (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، الطبقات الكبرى ، ٢ ج ، مكتبة محمد المليحي الكنبي ، القاهرة ، د . ط ، ١٨٩٧ م .

٣٥- الشهابي ، حيدر أحمد (١٢٥١هـ/١٨٣٥م)، الغرر الحِسان في أخبار أبناء الزمان ، ٣ ج ، نشر أسد رستم و فؤاد البستاني ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦٩ م .

٣٦- الصباغ ، عبود، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر ، تحقيق محمّد محافظة و عصام هزايمة ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن ، إربد ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .

٣٧- الصباغ ، ميخائيل ، (ت ١٢٣١هـ /١٨١٦م) ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد الصفد ، نشر قسطنطين الباشا ، مطبعة القديس يوسف ، لبنان ، د . ط ، ١٩٣٥ م.

٣٨- - ابن الصديق ، حسن (ت ١١٨٦هـ/١٧٧٢م) ، غرائب البدائع وعجائب الوقائع في ما وقع بين الثائرين وعثمان باشا والي الشام ، تحقيق يوسف نعيسة ، دار المعرفة ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .

٣٩- الصفدي ، أحمد الخالدي(ت ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م) ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني ، نشر أسد رستم و فؤاد البستاني ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦٩ م .

٤٠- صلاح الدين ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤م .

٤١- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ١١ ج ، دار التراث ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م .

٤٢- الطوسي ، الحسن نظام الملك (ت ٤٨٥هـ/١٠٩١م) ، سياست نامه ، ترجمة يوسف بكار ، وزارة الثقافة ، الأردن ، ط ٣ ، ٢٠٠٧ م .

٤٣- الطوسي ، أبي نصر السراج (ت ٣٧٨ هـ/ ٩٨٨م) ، اللّمع ، تحقيق عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، د . ط ، ١٩٦٠ م .

٤٤- ابن طوق ، شهاب الدين أحمد بن محمّد (ت ٩١٥هـ/١٥٠٩م) ، التعليق ، ٤ ج ، تحقيق جعفر المهاجر ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، د . ط ، ٢٠٠٠ م .

٤٥- ابن طولون ، شمس الدين محمّد (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

٤٦- ــــــــــــــــــ ، أعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمّد أحمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .

٤٧- ــــــــــــــــــ ، القلائد الجوهرية في تلخيص تاريخ الصالحية ، تحقيق محمّد أحمد دهمان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م .

٤٨- الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م) ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تدقيق بولس راويس ، المطبعة الجمهورية ، باريس ، د . ط ، ١٨٩٤ م .

٤٩- العبد ، حسن آغا (ت ١٢٤١هـ/١٨٢٦م) ، حوادث بلاد الشام والامبراطورية العثمانية ، تحقيق يوسف نعيسة ، دار دمشق للطباعة والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٦م .

٥٠- ابن عبد الهادي ، يوسف (ت ٩٠٩ هـ/ ١٥٠٣م) ، ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، تحقيق محمد أسعد أطلس ، المعهد الفرنسي بدمشق ، د . ط ، بيروت ، ١٩٤٣م .

٥١- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) ، تاريخ دمشق ، ٧٤ ج ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، دمشق ، د . ط ، ١٩٩٥م .

٥٢- العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٦ ج ، تحقيق محمّد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، د . م ، ط ٢ ، د . ت .

٥٣- ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب ، ١١ ج ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .

٥٤- الغزالي ، أبو حامد محمّد بن محمّد (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) ، إحياء علوم الدّين ، ٤ ج ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٥٥- ـــــــــــــــــ ، فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، د . ط ، د . ت .

٥٦- الغزّي ، نجم الدّين محمّد (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م) ، الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة ، ٣ ج ، نشر محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

٥٧- ـــــــــــــــــ ، لطف السّمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ، ٢ج ، تحقيق محمود الشيخ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، د . ط ، د . ت .

٥٨- فريد بك ، محمّد (ت ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م) ، تاريخ الدولة العليّة العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م .

٥٩- القاسمي ، محمّد سعيد (ت ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، قاموس الصناعات الشامية ، ٢ ج ، تحقيق ظافر القاسمي ، دار طلاس للدراسات والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .

٦٠- القزويني ، أبو عبد الله بن زكريا بن محمّد (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٦١- القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم النيسابوري (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م) ، الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٨٩ م .

٦٢- القلقشندي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨ م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٥ ج، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩١٨ م .

٦٣- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، ١٥ ج ، دار الفكر ، دمشق ، د . ط ، ١٩٨٦ م .

٦٤- الكلاباذي ، محمّد بن أبي إسحق الحنفي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠ م) ، التعرّف لمذهب أهل التصوّف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٦٥- ابن كنّان ، محمّد بن عيسى الصّالحي (١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) ، الحوادث اليومية من سنة إحدى عشر وألف وميّه ، ٢ ج ، تحقيق أكرم حسن العلبي ، د . ن ، د . م ، د . ط ، د . ت.

٦٦- ـــــــــــــــــ ، المروج السندسية الفيحية في تلخيص تاريخ الصالحية ، تحقيق محمّد أحمد دهمان ، مطبعة مديرية الآثار القديمة ، دمشق ، د . ط ، ١٩٤٧ م .

٦٧- ـــــــــــــــــ ، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، تحقيق عباس صباغ ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١م .

٦٨- ـــــــــــــــــ ، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ٢ ج ، تحقيق حكمت إسماعيل ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، د . ط ، ١٩٩٢ م .

٦٩- المُحبّي ، محمّد بن فضل الله (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٤ ج ، تحقيق ليلى الصباغ ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٧٠- ـــــــــــــــــ ، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٦٨ م .

٧١- ـــــــــــــــــ ، ذيل نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧١ م .

٧٢- المُرادي ، محمّد خليل بن علي (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) ، مخطوط سلك الدّرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ٤ ج ، د . ن ، د . م ، د . ط ، د . ت .

٧٣- ـــــــــــــــــ ، عرف البشام فيمن ولـِيَ فتوى دمشق الشّام ، تحقيق محمّد مطيع الحّافظ و رياض مراد ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م .

٧٤- ابن منظور ، جمال الدّين محمّد (ت ٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، ١٥ ج ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

٧٥- النابلسي ، عبد الغني (ت ١١٤٣هـ/١٧٣٠ م)، الصلح بين الإخوان في إباحة الدخان ، دار الكتب الظاهرية ، دمشق ، د . ط ، د . ت .

٧٦- ابن النديم ، أبو الفرج محمّد بن إسحق البغدادي (ت ٤٣٨هـ/١٠٤٧م) ، الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧ م .

٧٧- النعيمي ، عبد القادر بن محمّد الدّمشقي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠ م) ، الدّارس في تاريخ المدارس ، ٢ ج ، تحقيق إبراهيم شمس الدّين ، دار الكتب العلمية ، د . م ، ط ١ ، ١٩٩٠ م.

٧٨- ابن النفيس ، علاء الدّين علي (ت ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) ، الشامل في الصناعة الطبية ، ٢ ج ، تحقيق يوسف زيدان ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

٧٩- الهجويري ، أبو الحسن علي بن عثمان (ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) ، كشف المحجوب ، تعليق إسعاد عبد الهادي قنديل ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، د . ط ، ١٩٧٤م .

٨٠- ابن الوردي ، سراج الدّين أبو حفص (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق أنور محمود زناتي ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٨م .

ثانياً : المراجع :

١- إبراهيم ، رجب عبد الجواد ، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص من الجاهلية حتى العصر الحديث ، دار الآفاق العربية ، د . م ، ط ١ ، ٢٠٠٢م.

٢- الباشا ، حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، الدّار الفنيّة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .

٣- بركات ، مصطفى ، الألقاب والوظائف العثمانية ، دار غريب ، القاهرة ، د . ط ، ٢٠٠٠م .

٤- برهوم ، محمود ، خروب ، محمّد ، قاموس القرى الفلسطينية إبّان الانتداب البريطاني ، ١٩ ج ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمّان ، د . ط ، ١٩٨٩ م .

٥- بيات ، فاضل ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .

٦- بيومي ، زكريا سليمان ، الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .

٧- جب و بون ، هاملتون وهارولد ، المجتمع الإسلامي والغرب وأثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي ، ٢ ج ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، مصر ، ط ١ ، ١٩٨٩م .

٨- الحمود ، نوفان رجا ، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م .

٩- الحنفي ، عبد المنعم ، الفِرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، دار الرشد ، د . م ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .

١٠- الخطيب ، مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د . ط ، ١٩٩٦ م .

١١- دائرة المعارف الإسلامية ، ١٥ ج، دار المعرفة ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

١٢- دهمان ، محمّد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

١٣- ــــــــــــــــ ، ولاة دمشق في عهد المماليك ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٤م.

١٤- الدّوري ، عبد العزيز ، مقدّمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م .

١٥- دياب ، كوكب ، المعجم المفصّل في الأشجار والنباتات في لِسان العرَب ، ٢ ج ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .

١٦- رافق ، عبد الكريم ، بلاد الشام ومصر ، د . ن ، د . م ، د . ط ، ١٩٦٨ م .

١٧- ــــــــــــــــ ، العرب والعثمانيون ١٥١٦- ١٩١٦ م ، مكتبة أطلس ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٩٣ م .

١٨- الزّركلي ، خير الدّين بن محمود ، الأعلام ، ٨ ج ، دار العلم للملايين ، دمشق ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢ م .

١٩- زكريا ، أحمد وصفي ، عشائر الشام ، ٢ ج ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٣م.

٢٠- زيادة ، نقولا ، دمشق في عصر المماليك ، المكتبة الأهلية للنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

٢١- السامرائي ، قصي عبد المجيد ، مبادئ الطقس والمُناخ ، دار اليازوري العلمية ، عمّان ، د . ط ، ٢٠٠٨ م .

٢٢- سمارة ، يوسف ، سوريا ملتقى الحضارات ، دار الفكر ، دمشق ، د . ط ، د . ت .

٢٣- الشاهين ، شامل ، معجم المنتقى من الخطأ والصواب في اللغة العربية ، دار غار حراء ، د . م ، د . ط ، د . ت .

٢٤- شراب ، محمّد محمّد حسن ، معجم بلدان فلسطين ، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط ٢ ، ١٩٩٦م .

٢٥- أبو الشعر ، هند غسّان ، مجتمع دمشق أواخر أيام الدولة المملوكية ، جامعة آل البيت ، المفرق ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .

٢٦- ـــــــــــــــــــ ، إربد وجوارها (ناحية بني عبيد) ١٨٥٠- ١٩٢٨م، دائرة المكتبة الوطنية ، الأردن ، د . ط ، ١٩٩٥م .

٢٧- الشيبي ، كامل مصطفى ، الصلة بين التصوّف والتشيّع ، ٢ج ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢م .

٢٨- شيمل ، آنا ماري ، الأبعاد الصوفيّة في الإسلام وتاريخ التصوّف ، منشورات الجمل ، كولونيا – ألمانيا - ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

٢٩- صابان ، سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، د . ط ، ٢٠٠٠ م .

٣٠- عانوتي ، أسامة ، الحركة الأدبية في بلاد الشام ومصر خلال القرن الثامن عشر ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٠ م .

٣١- عبد الرحمن ، عبد الوهاب أحمد، تاريخ العرب الحديث ، دار الفكر ، بيروت، ط ٢ ، ٢٠٠١ م .

٣٢- العثيمين ، محمّد بن صالح ، مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأغاريب ، مكتبة الرشد ، د . م ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

٣٣- العلاف ، أحمد حلمي ، دمشق في مطلع القرن العشرين ، تحقيق علي جميل ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٧٦ م .

٣٤- العلبي ، أكرم حسن ، خطط دمشق لدور القرآن والحديث والمدارس ، دار الطباع ، دمشق ، ط ١، ١٩٨٩م .

٣٥- عماد ، عبد الغني ، السلطة في بلاد الشام ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .

٣٦- العموش ، أنس نايف ، النعيمي ومنهجه في كتابه الدارس في تاريخ المدارس ، دار جليس الزمان ، عمّان ، ط ١، ٢٠١٥ م .

٣٧- غانم ، رياض ، المقاطعات اللبنانية في ظل الأمير بشير الشهابي الثاني ١٧٨٨-١٨٦١م، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

٣٨- القفازي ، ناصر بن عبد الله ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ، ٣ ج ، د . ن ، د . م ، ط ١ ، ١٩٩٣م .

٣٩- كرد علي ، محمّد ، خطط الشام ، ٦ ج ، مكتبة النوري ، دمشق ، ط ٣ ، ١٩٨٣م .

٤٠- الكرملي ، أسنتاس ماري ، رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م .

٤١- كيال ، منير ، الحمّامات الدّمشقيّة وتقاليدها ، د . ن ، د . م ، د . ط ، ١٩٦٤م .

٤٢- لويس ، برنارد ، إستنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تعريب سيد رضوان علي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م .

٤٣- مانتران ، روبير ، تاريخ الدولة العثمانية ، ٢ ج ، ترجمة بشير السباعي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٨٩ م .

٤٤- المعجم الوسيط ، ٢ ج ، دار الدعوة ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٤٥- المنجد ، صلاح الدين ، ولاة دمشق في العهد العثماني ، د . ن ، د . م ، د . ط ، ١٩٤٩م .

٤٦- نعيسة ، يوسف جميل ، مجتمع مدينة دمشق ، ٢ ج ، دار طلاس ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٩٤م .

٤٧- هريدي ، محمّد عبد اللطيف ، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الرياض ، د . ط ، ١٩٨٩ م .

٤٨- هنتس ، فالتر ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمّان ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م .

٤٩- وجدي ، محمّد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، ١٠ ج ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، د . ت .

ثالثاً : البحوث و المجلات المُحكمة :

١- خليل ، ساحلي أوغلو ، "دخل وصرف الخزنة في العهد العثماني "، المجلة التاريخية المغربية ، العدد الخامس والعشرون ، ١٩٨٢ م .

٢- دوزي ، رينهارت ، "المعجم المُفصّل بأسماء الملابس عند العرب "، ترجمة أكرم فاضل ، مجلة اللسان العربي ، م ٩ ، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ، الرباط ، د. ت .

٣- رافق ، عبد الكريم ، "مظاهر التنظيم الحِرفي في بلاد الشام في العهد العثماني "، مجلة دراسات تاريخية ، دمشق ، العدد الرابع ، ١٩٨١ م .

٤- الزيات ، حبيب ، "ضرب الحوطة في جميع قرى الغوطة" ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، م ٢١ ، العدد الثاني ، ١٩٢١ م .

٥- أبو علي ، نبيل خالد ، "الرثاء بين العصرين المملوكي والعثماني "، مجلة الدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، م ١٧ ، العدد الثاني عشر ، ٢٠٠٩ م .

٦- مبيضين ، مهند ، "مظاهر من الحياة الاقتصادية في دمشق وجوارها خلال القرن الثامن عشر" ، مجلة المنارة ، م ١٤ ، العدد الثاني ، ٢٠٠٨ م .

رابعا : الرسائل الجامعيّة :

١- زاهر ، إيهاب ، الحياة الاجتماعية والفكرية في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي من خلال تراجم نجم الدين الغزي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، المفرق ، ٢٠١٤ م .

٢- السرحان ، خضر عيد ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في دمشق من خلال كتب الرحلات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، المفرق ، ٢٠٠٩ م .

٣- شديفات ، محمّد خير ، شمس الدين بن علي بن طولون الصالحي مؤرّخا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، المفرق ، ٢٠١٤ م .

٤- مبيضين ، مهند أحمد ، أهل القلم ودورهم في الحياة الثقافية في مدينة دمشق خلال الفترة ١١٢١- ١١٧٢هـ / ١٧٠٨ – ١٧٥٨م ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ، المفرق ، ١٩٩٩م .

الملحق رقم (١) أوجه الشبه والاختلاف في العّادات والوظائف بين السلطنة المملوكيّة والسلطنة العثمانيّة من خلال كتاب حدائق الياسمين :

الرقم	الشبه	الاختلاف إن وجد	رقم الصفحة
١	كان من عادة المماليك اللعب بما يسمى الأكرة	بطلت هذه اللعبة زمن العثمانيين ، وكانوا مولعين بممارسة الصيد حتى آخر عهد السلطان محمد الفاتح (ت٨٨٦هـ/١٤٨٢م)	٨٨ .
٢	اشتمل موكب السلطان المملوكي أثناء زياراته وأسفاره على الأمراء والأكابر المحسوبين على السلطنة	اشتمل موكب السلطان العثماني أثناء زياراته وأسفاره عدا عن الأمراء والأكابر على قاضي عسكر الروملي و قاضي العسكر الأناضولي والمفتي والكُتّاب والأئمة	٩٣ .
٣	أثناء سفر السلطان المملوكي وترحاله فإنّه يتوفّر له كل ما يحتاج إليه من الأدوية والأشربة والأطباء والكحّالين والجرايحية والمجبّرين .	استمرت تلك العادة زمن السلطنة العثمانية ،لكن أضيف إليها وجود الأطعمة المطبوخة والجاهزة والتي يحرص القائمون عليها أن تكون ساخنة حسب نوع الطعام ، وذلك لتكون بين يدي السلطان متى شاء .	٩٤ .
٤	يحصل أصحاب الوظائف في السلطنة المملوكية على أجورهم على شكل أرزاق تُصرف لهم يوميّا كاللحم والأرز والسّمن والشمع والعسل والكسوة والتوابل والخبز .	بينما في زمن السلطنة العثمانية نجد أنّ الموظفين يحصلون على أجورهم من خلال ما يُصرف لهم من الأموال حسب والوظيفة والمرتبة التي يشغلونها .	٩٦ ، ١٠٩.
٥	كان السلطان المملوكي يحرص على تشريف كبار موظفي سلطنته من الأمراء والقضاة وقادة الجند بالخلع وهي تختلف بحسب مكانة الرّجل ومنصبه وهي على الأغلب تكون من الفرو المستخلص من السناجب والمرصّع بالجواهر والزجاج الملوّن ،ويكون على طرفيه شاش من الحرير الأبيض المختوم باسم السلطان ، وقد يُعطى سيفا وفرسا مسروجة من الذهب	بينما في زمن السلطنة العثمانية كانت تلك الخُلع تقتصر على الفرو السمور غالي الثمن المتميّز باللين ، وتُعطى لوزراء الشّام والقضاة وخطباء الجامع الأموي والمؤذنين فقط .	٩٧، ٩٨ .

٦	يحرص السلطان المملوكي بالإنعام على الأشخاص الوافدين من المناطق والأقاليم البعيدة من أصحاب التجارات والأرزاق ، فإذا نفق لأحدهم في سفره فرس أو طير أو ضاع له متاع أو تعرّض للسلب ؛فإن السلطان يعوّضه بقدر ثمنه وزيادة.	استمرّت تلك العّادة في زمن العثمانيين دون تغيير .	١٠١ .
٧	حرص السلطان المملوكي على اتخاذ عصبة له من الأشخاص يلازمونه بأوقات فراغه وهم الخواصكيّة ، ولم يزدْ عددهم عن ٢٤ خاصكيّا .	استمرت تلك العّادة زمن السلطنة العثمانية ، لكن طرأت على أعدادهم زيادة كبيرة وصلت حوالي الألف وأكثر ، وكان هؤلاء الخواصكية يتميّزون عن غيرهم بالمهمّات الموكلة لهم ولباسهم .	١٠٩ .
٨	حرص المماليك على الاهتمام بالغلمان من أسرى الحروب ويعلمونهم القرآن الكريم وأمور الشريعة الإسلاميّة	استمر الاهتمام بهؤلاء الجلبان وتعليمهم وتنشئتهم نشأة إسلامية في زمن السلطنة العثمانية ، وقلّ ذلك بعض الشيء في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.	١١٠ .
٩	كان يستخدم لقب نائب الغيبة أو النائب الكافل للشخص الذي ينوب عن السلطان المملوكي في فترة غيابه عن مصر ،وقد انفصلت هذه التسمية سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م ، وأسندت إلى رجل يحمل لقب الداوادار ،ولم يعد نائب الغيبة كافلا ، وخسر كثيرا من صلاحياته فلا يستطيع مثلا أن يعزل أحدا من منصبه إلا بمرسوم سلطاني .	تغيّرت تلك التسمية زمن السلطنة العثمانية ، وأصبح يُطلق على نائب الغيبة اسم القائم مقام في مصر	١١٣ .
١٠	في زمن السلطنة المملوكية أطلق لقب (أمير كبير) على أكبر الأمراء مكانة ممّن يستشيره السلطان بأمور سلطنته وغيرها .	بطل هذا اللقب في زمن السلطنة العثمانية وأهمل	١١٤ .
١١	في زمن السلطنة المملوكية أطلق لقب (أمير رأس نوبة الأمراء)	أهمِل هذا اللقب في زمن السلطنة العثمانية ولم يعُد موجودا .	١١٤، ١١٥.

	على كبير الأمراء الذي يحكم فيما بينهم ويجلس إلى جنب السلطان من جهة اليسار .		
١٢	في زمن السلطنة المملوكية أطلق لقب(أمير المجلس) وهو المسؤول عن أرباب الصنائع من الأطباء والكحالين والجرايحية والمجبّرين ، ويأتي بالمرتبة الثالثة بعد الأمير الكبير .	أهمِل هذا اللقب في زمن السلطنة العثمانية ولم يعُد موجودا .	١١٥ .
١٣	في زمن السلطنة المملوكية أطلق لقب(أمير رأس نوبة النوب) على الأمير الذي يحق له بالدخول إلى عند السلطان وله النظر على الخانقاوات بمصر كالخانقاه الشيخونية والصرعتمشية ، كما يتولّى مسؤولية معالجة التخاصمات التي تقع من طرف المماليك الغلمان	أهمل هذا اللقب في زمن السلطنة العثمانية ولم يعد موجودا	١١٨ ، ١٤٤، ١٤٥ .
١٤	في زمن السلطنة المملوكية أطلق لقب (حاجب الحجّاب أو أمير الحجّاب) على كل مَن توكل إليه مسؤولية التوفيق وحل الخصومات بين الأمراء والجند ، وكان مسؤولا عن الصندوق السلطاني ،ويفرّق منه على الفقراء والأرامل.	بطلت هذه الوظيفة منذ سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٠م، (أي أنها بطلت في العهد المملوكي) ولا أثر له في زمن السلطنة العثمانية .	١١٩ .
١٥	في زمن السلطنة المملوكية أستخدِم لقب (الأستدار) وهو لفظ فارسي ويعني (المتولي لأخذ المال) ، وهو المسؤول عن الأموال المستحقة على البيوت والأملاك والذخيرة .	بطل ذلك في زمن السلطنة العثمانية وحلّ بدلا منه (الناظر) .	١٢١، ١٢٣ .
١٦	في زمن السلطنة المملوكية ، كان المسؤول عن سلامة أسوار القلعة بالقاهرة وعن سلامة أبراجها	استمرت هذه التسمية وهذه الوظيفة في زمن السلطنة العثمانية ، ولكن يقيم في قلعة دمشق التي يسكنها جنود القابي قوُل .	١٢٨ .

	ومنافذها هو من يحمل لقب (نائب القلعة) .		
١٧	في زمن السلطنة المملوكية أستخدِم لقب (أمير جندار) وهي لفظة تتكون من كلمتين ، إحداهما تركية وهي (جان) وتعني الروح ، والأخرى فارسية وهي (دار) وتعني مسك ، (ماسك الروح) وكان السلطان إذا أمرَ بقتل أحد فلا بد وأن يكون بحضوره .	بطل ذلك في زمن السلطنة العثمانية ولم يعُد موجودا .	١٣٠ .
١٨	أستخدِم في زمن السلطنة المملوكية لقب (الجاشنكير) ، وهي لفظة تتكوّن من كلمتين (جاشا : وتعني الأكل) و(كير:وتعني تعاطي) أي تعاطي الأكل وهو المسؤول عن طعام السلطان وشرابه .	في زمن السلطنة العثمانية أصبح المسؤول عن طعام السلطان هو من أولاد السرايا فقط .	١٣٢ .
١٩	في زمن السلطنة المملوكية كانت هناك وظيفة (مقدّم البريدية) وهو المسؤول عن عمّال البريد ، فلا يتصرّفون بشيء دون علمه ، وكان تحت يده سبعة مقدّمين بعدد أيّام الأسبوع .	بطل ذلك في زمن السلطنة العثمانية ولم يعُد موجودا .	١٣٣ .
٢٠	في زمن السلطنة المملوكية كانت هناك وظيفة يحمل صاحبها لقب (أمير شوي) وهو المسؤول عمّا يُطبخ للسلطان من الطيور بغرض الشويّ .	لم تعُد هذه الوظيفة موجودة في زمن السلطنة العثمانية .	١٣٥ .
٢١	في زمن السلطنة المملوكية كانت هناك وظيفة أخرى يتولّى صاحبها مسؤولية حمْل نِعال السلطان ويلقب (البجمق دار)	لم تعُد هذه الوظيفة موجودة في زمن العثمانيين .	١٣٩ .
٢٢	كانت الخُلع في زمن السلطنة المملوكية محصورة على أتباع	في زمن السلطنة العثمانية كانت تلك الخُلع محصورة على أتباع المذهب الحنفي فقط ،	١٤٣ .

	المذهب الشافعي فقط ، سواء من القضاة أو من المفتين .	وهو مذهب السلطنة الرسمي .	
٢٣	عند صلاة الجُمَعة أو الأعياد والتي يحرص السلطان المملوكي على حضورها ؛ فإنّه لا يتولّى مهمّة الخطابة في مصر سوى خطيب قلعة مصر ، ثم تحوّل الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي	في زمن السلطنة العثمانية فإنّه لا يتولّى الخطابة سوى خطيب الخطباء ، ولا يكون ذلك إلاّ في العاصمة اسطنبول بناءً على القانون العثماني .	١٥٧ ، ١٥٨.
٢٤	كان للسلطان المملوكي في قصره أكثر من إمام واحد .	كان للسلطان العثماني في قصره إمام واحد فقط	١٥٨ .
٢٥	إنّ أموال الجزية التي تُجبى من أهل الذمة (اليهود والنصارى) من طرف ناظر الجوالي كان يُصرف قسم كبير منها في زمن السلطنة المملوكية على العلماء والفقراء .	بينما كانت تلك الأموال تُحفظ في قصر السلطان العثماني ، ولا يُصرف منها إلاّ ما ندّر .	١٦٠ .
٢٦	في زمن السلطنة المملوكية كانت هناك وظيفة يتولّى صاحبها مسؤولية الحفاظ على الأسلحة وآلات الحرب وجمعها في الخزائن الكائنة بقلعة مصر أو عند السلطان وهي وظيفة (ناظر الخزائن).	وفي السلطنة العثمانية تبدّلت الوظيفة ، وأصبح يُطلق عليها اسم (ناظر خزينة البارود) وهو المسؤول عن عمّال المدافع والمكاحل .	١٦٢ .
٢٧	لم يكن لصاحب الوزارة شأن عظيم في سلطنة المماليك ، وقد جُرّد كثيرا من صلاحياته التي كانت تمنح له مثل العزل والتولية ، وكان ذلك نتيجة لاستحداث منصب نائب السلطان أو القائم مقام .	أمّا منصب الوزارة في السلطنة العثمانية فكان من أعظم المناصب ، ولم يكن لقائم مقام سوى الاسم فقط .	١٧٣ .
٢٨	من أعلى مناصب الطب بالسلطنة المملوكية ما يسمّى (رئيس الأطباء) ،ولا يزاولون مهامهم إلاّ بموجب تواقيع من السلطان نفسه ، وتوكل إلى بعض منهم مهمة مداواة السلطان والإقامة بالقصر .	اختلفت التسمية في زمن السلطنة العثمانية فأصبح (الحكيم باشي) هو مَن يتولّى مهمّة مداواة السلطان .	١٧٩ ، ١٨٠ .

الملحق رقم (٢) الألفاظ التي وردت في كتابيْ الحوادث اليومية و المواكب الإسلاميّة ومعناها :

الرقم	اللفظ	الجزء/ الصفحة	المعنى	التوثيق
١	الأغا	الحوادث اليومية ، ج١،ص ٢٣،٢٥، ج٢، ص٣٩٠ .	كلمة تركية وتعني كبار الضباط ، وتأتي بمعنى السيّد .	دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٨ .
٢	أغا البنات	الحوادث اليومية ، ج١،ص٣١، ٢٨٤ ج٢،ص ٣٥٩.	هو أكبر موظفي القصر السلطاني ومسؤول عن الجناح الذي تسكنه النساء ويطلق عليه اسم قيزلار أغاسي	دهمان ، المرجع السابق، ص١٢٣. رافق،بلاد الشام ومصر ،ص٦٥.
٣	الأفندي	الحوادث اليومية ، ج١،ص٢٩، ٣١، ج٢،ص ٤١٥ .	بدأ استعمال هذا اللقب لدى العثمانيين في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، ويدلّ على الإنسان المتعلّم والمثقّف وتستخدم للضباط من رتبة ملازم حتى رتبة البكباشي	صابان ،المرجع السابق ،ص٣٤.
٤	الأوضة	الحوادث اليومية ، ج١ ،ص١٢٣،٤٠.	لفظة تركية وتعني الغرفة	دهمان ، المرجع السابق، ص ٢٤.
٥	جلبي	الحوادث اليومية ، ج٢،ص٤٣٩،٤٤١.	لفظ شائع بين الأتراك ويعني السيّد ذوي الأصول النبيلة	دهمان ، المرجع السابق،ص٥٣،٥٤ .
٦	خان	الحوادث اليومية ، ج١ ،ص٨٧ .	لقب يطلق على الملوك الأتراك والعثمانيين منذ القرنين الأول والثاني الهجريين ، بمعنى الرئيس .	صابان ، المرجع السابق، ص ٩٥، بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية، ص٢١.
٧	الخط الشريف	الحوادث اليومية ، ج١،ص٢٥،١١٧، ٢٨٨، ج٢،ص٥١٩.	لفظة تطلق على الأوامر السلطانيّة التي تُكتب بيده ، وهي موقّعة بيده وليس بخاتمه .	دهمان ، المرجع السابق ، ص٦٩.

٨	الخِلعة	الحوادث اليومية ، ج١،ص١٩١ ،٢٢٢، ج٢، ص٤٢٨، ٥١٤	هي لفظة عربية ، وبالتركية تسمّى ققتان ، وهو نوع من الملابس الخارجية الذي كان السلطان يكسيه على موظفيه وولاته ووزرائه إعراباً عن رضائه عنهم .	صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ،ص ١٠٣
٩	الخمسينية	الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٢٥.	لفظة تُطلق على الأيّام الخمسين التي تبدأ مع نهاية أربعينيّة الشتاء	صابان ، المرجع السابق ، ص ٢٨
١٠	الخنكار	الحوادث اليومية ، ج١،ص ٢٤٨، ج٢،ص٤٣٦،٣٦٤.	كلمة فارسية وتعني السلطان ومشتقة من خدا وندكار	دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص٦٩ ، ١٥٣.
١١	الخواجا	الحوادث اليومية ، ج١،ص١٨، ٣٧، ٢٢٨، ج٢،ص٣٩٥.	كلمة فارسية معناها السيّد وربّ البيت والتاجر الغني ،وقد استخدمت في العصر المملوكي كلقب من ألقاب أكابر التجار الفرس.	بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية ، ص ٢٥٠ .
١٢	دده	الحوادث اليومية ، ج١،ص٦٤ .	كلمة تركية معناها الجدّ أبو الأب وأبو الزوجة .	بركات ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩.
١٣	زهر النسرين	المواكب الإسلامية ج ٢،ص ١٥٧.	هو نوع من أنواع الرياحين	دياب ، المعجم المفصّل في الأشجار ،ج١،ص ٢٤٧ .
١٤	السّفرْجَل	المواكب الإسلامية، ج٢، ص٢٩٠ ،٢٩٢	هو شجر معروف له ثمر ، وواحدته سفرْجلة، والجمع سفارج ، وهو كثير في بلاد العرب .	دياب ، المرجع السابق ، ج١،ص ١٢٠ .
١٥	الشطرنج	الحوادث اليومية ، ج ٢، ص ٤٧٥ .	هي لعبة هنديّة تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعا ، وتمثّل دولتين متحاربتين باثنتين وثلاثين قطعة ، تمثّل الملكين والوزيرين والخيّالة والقِلاع والفيَلة والجنود .	المعجم الوسيط ، ج١ ، ص ٤٨٢ .

١٦	الشنك	الحوادث اليومية ، ج١،ص٣٠٠ ،ج٢، ص٣٦٨، ٥١٥ .	لفظة تركية وتطلق على المناسبات التي يستخدم فيها المدافع والنيران الملوّنة	دهمان ، المرجع السابق، ص ٩٩ .
١٧	شيخ الإسلام	الحوادث اليومية ، ج١،ص١١ ، ٣٧، ٢٢٨، ٦٧ ،٧٤ .	أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية ومسؤول عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس،وقد استخدم في القرن السابع عشر الميلادي .	صابان، المرجع السابق ، ص ١٤٢
١٨	الصوباشي	الحوادث اليومية ، ج١،ص١٠٧، ٢١٥.	رئيس فرقة من السباهية ، وهو قائد الشرطة.	دهمان ، المرجع السابق، ص ١٠٣
١٩	العُصبة	الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٢٤٤.	طرحة من الحرير مربّعة الشكل ويُلفّ بها الرأس، وتستخدمها النساء.	دوزي ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ،ص ١٥٨ .
٢٠	العلوفة	الحوادث اليومية ،ج١ ، ص ١٣، ٧٣،٤٢٨،٤٣٠ .	ويُقصد بها الرواتب التي تعطى لموظفي الدولة من المدنيين والعسكريين ، وكانت تُصرف لهم كل ثلاثة أشهر	دهمان،معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١١٤ .
٢١	الغّار	المواكب الإسلامية ، ج ٢،ص ٢٦٦ .	شجر له ورق طويل وثمره أصغر من حجم حبّة البندق، ولونه أسود ، وله لبّ ينفع في الدّواء ، وورقُه طيّب الرائحة ويُستخدم في العطور ، وواحدته غَارَة .	دياب ، المعجم المفصّل في الأشجار ،ج١،ص ١٨٦ .
٢٢	القبجي	الحوادث اليومية ،ج١ ، ص ١٦، ٢٨٥،ج٢،ص٣٦٤.	هو البوّاب الذي يحرس البّاب في الدّيوان ، يفتحه ويغلقه ويستقبل القادمين إليه،وله مهمات أخرى .	دهمان ، المرجع السابق، ص ١٢٠ ،١٢١.
٢٣	القرش الأسدي	الحوادث اليومية ، ج١ ، ص ٣١٠ ،٦٤.	نقد هولندي منقوش عليه صورة أسد ، وتساوي ١٢٠ أقجة ، وبدأ تداولها في الدولة العثمانية منذ القرن السابع	صابان ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ،ص٣٠

			عشر الميلادي.	
٢٤	الكافل	الحوادث اليومية ، ج١،ص٨٧،ج٢، ص ٣٩١، ٣٩٥ .	وهو لقب منذ زمن دولة المماليك ،وهو من ألقاب كبار النوّاب كنائب دمشق .	بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية ،ص ٩٣ .
٢٥	الكيخيّة	الحوادث اليومية ، ج١، ص ١٤ ، ٢٥ ، ٤٢٢، ٤٣٠ .	بمعنى صاحب أو ربّ وهو المسؤول عن القرى وعن القصر وجمعها كواخي .	دهمان ، المرجع السابق ، ص ١٢٩.
٢٦	لالا	الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٩٤ .	اسم يُطلق على مدرّسي الأمراء أو مَن يشتغل بتربية الأمراء وأولاد السلاطين وتعليمهم .	صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ،ص١٩٦.
٢٧	اللغم	الحوادث اليومية ، ج١، ص ٢٥٦ .	لفظ يوناني بمعنى السرداب ، واللغميّون طائفة من الجند يحفرون السراديب تحت القلاع وشحنها بالبارود من أجل نسف القلعة وتدميرها .	دهمان ، المرجع السابق ، ص١٣٣.
٢٨	المِئزرْ	الحوادث اليومية ، ج١ ، ص٩٣ .	هو زوج من السراويل يستخدمه الرجل عند دخوله إلى الحمّام كي يستر به عَوْرته	دوزي، المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب ، ج١ ، ص٤١ .
٢٩	المُباشر	الحوادث اليومية ، ج١، ص٨، ١١ .	هو الموظف المُنادي لأصحاب العلاقة للوقوف أمام القاضي في قاعة المحكمة وهي وظيفة إداريّة .	دهمان ، المرجع السابق ،ص١٣٤ .
٣٠	متولي الجوالي	الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٨ .	الموظف الذي يتولى جمع المال من أهل الذمة	دهمان ، المرجع السابق ،ص٥٦.
٣١	محيي الدّين بن عربي	الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ٦١ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٢٨ ،	محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي (ت ٦٣٨ هـ	ابن طولون ، القلائد الجوهرية ، ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ / الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ١ ،

		١٤١ ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ .	/ ١٢٤٠م) ، وهو من أهل الأندلس ، وطاف بلاد الشام ، ودخل بلاد الروم ، صحب الصوفية ، وسلك الفقه ،وله كتب عدة ، اختلف الناس في ابن عربي ، فظهر فريق منهم من يعتقد به وبولايته ويقصدونه بالزيارة ، وفريق آخر ينعته بالضلال ومن أصحاب البدع ، وقبره موجود في تربة قاضي القضاة ابن الزكي الشافعي في دمشق ، وبنى عليه الملك المظفر سليم خان بن عثمان قبة وجعل عليه سردابا وتابوتا بثوب.	ص ٢٧٤ .
٣٢	المربعانيّة	الحوادث اليومية ، ج١،ص٢٠،ج٢،ص ٣٦٦ .	وهي لفظة تُطلق على الأربعين يوماً البّاردة التي تقع بين ٢٢/كانون الأوّل و ٣١/ كانون الثاني .	صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ،ص ٢٨ .
٣٣	المشدّ	الحوادث اليومية ،ج٢ ، ص ٤٧٦ .	هو رئيس الجند الذي يراقبهم ويشدّ مِن هِممهم في العمل والسّير للقتال ، ويحثّ الموظفين على الجدّ والنشاط .	دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٣٩ .
٣٤	المُلا	الحوادث اليومية ، ج١،ص١١٩،١٢،٩ ،ج٢،ص٤٥٦،٣٧٢.	وأصلها المنلا ، وتعني العالِم أو السيّد أو الشيخ .	دهمان ، المرجع السابق،ص ١٤٦ .
٣٥	الوجاق	الحوادث اليومية ،ج١ ،ص٢٦٨، ج٢، ص ٥١٧ .	لفظة تركية ، وتُطلق على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد ، وتُطلق أيضاً على الصنف من الجند .	دهمان ، المرجع السابق،ص ١٥٤ .
٣٦	الوطاق	الحوادث اليومية،ج١ ، ص١١٣ .	لفظة مملوكية وتعني الخيمة الكبيرة الفخمة .	دهمان ، المرجع السابق،ص٢٦، ١٥٥.

الملحق رقم (٣) الأزياء الوظيفيّة العثمانيّة

نقلا عن : نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق





قول أوغلي باش جاوشي

باش شاويش عبيد السلطان الذين هم في الأصل من أبناء الأعاجم وكان يكلف بالإشراف على انضباطهم.

تكه لي

من ضباط الأوجاق كا... يعمل في دائرة شيخ الإسلام.

باش جاويش

هو أحد ضباط الإنكشارية يحت إمرة الآغا ويشرف على المراسم في دائرته.

يكجيري آغاسي

آغا الإنكشارية.

اغاجاعي

تابع للآغا الإنكشارية ويترأس عدداً من الشواش.

قلقه جي باشي

رئيس مفرزة ترافق الصدر الأعظم وتحرسه وتنزل العقوبة بمن يريد.

أزياء ضباط الانكشارية



علوفة كورن يكجيري

هو فرد مهمته تأمين متطلبات الجيش من المال وتوزيع الرواتب على الجند.

صولاق

هو فرد من المشاة من حرس السلطان الشخصي الذين كانوا يرافقونه أثناء السلم والحرب.

كيجه لي يكجيري (سلاملق اليسي)

فرد من وحدة التشريفات السلطانية.

سلام دبرن يكجيري

جند من الانكشارية مهمتهم تقديم التحية والتعظيم للسلطان العثماني ووزرائه ولهم تقاليدهم الخاصة.

حربه جي

فرد من بلوكات الإنكشارية رافق الآغا وحرس الصدر الأعظم وكلف بمهام خاصة.

أزياء عسكرية



مصيبي أجرا أولوب خلعت إكسا سيله عودت إيدن خواجكان
الخلع التي توزع على من سيسلمون المناصب العلمية

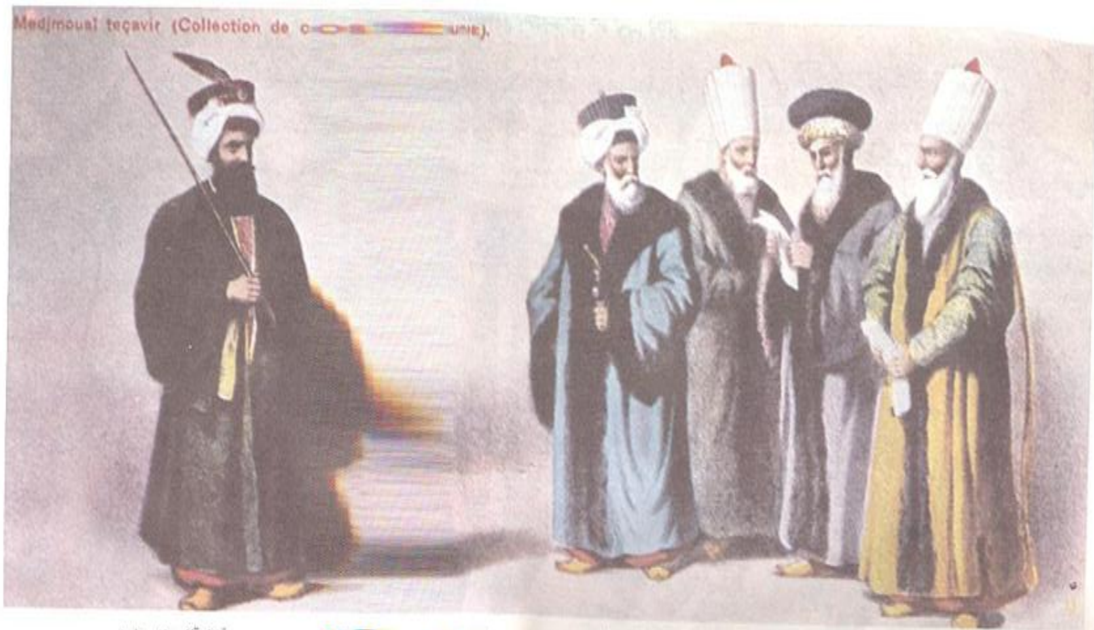
منصب أوله جد خواجكان خلعت إكسا إيديرلمس
الخلع التي كانت تقدم لضباط من قبل السلطان .

تشريفات خليفة سي أفندي
أفندي التشريفات السلطانية .

دولة كتخدا بك أفندي حضرتلري
وكيل الصدر الأعظم .

تشريفاتجي أفندي
مدير المراسم .

توزيع الخلع من قبل مندوب السلطان .



بيوك تذكره جي أفندي — مدير المكتب العالي.

امدي أفندي — مقرر المجلس (الديوان)

بكلكجي أفندي — رئيس موظفي لدى الصدر الأعظم.

جاويشرالي... — آغا الشواش في ديوان الهمايوني.

... (الديوان)

بأغالي آلاي باش جاويشي — رئيس شواش الباب العالي (الجيش الهمايوني).

ازياء أصحاب المراتب العلمية والادارية



آشجي أوسنة سي

هو معلم العشية وكان للعشية زي موحد إلا أن زيهم يختلف عن زي عشية الأورطة رقم (٣٠)

قره قوللقجي

أوتوز ايكينك آشجي أوسنة سي

هو رئيس عشية الأورطة رقم (٣٢) وهو من ضباط الإنكشارية ، فهو زي تميز عن بقية العشية .

قره قوللقجي

برنجي أورتة نك آشجي أوسنة سي

هم عناصر عشية الأورطة الأولى في أوجاق الإنكشارية وكان برأسهم (أسطة العشية) .

أزياء رسمية

especially those lessons that were held in the Umayyad Mosque. Furthermore, there is the conditions of the libraries that were established in a number of them along with what has been associated with the intellectual life of certain topics such as the matter of Vows to Awlya after Death, or begging the prophets, messengers and the righteous guardians of God, and the views of Fuqaha thereof. This also includes a look at the owners, dignities, Majaveb and what has been linked to some with regards to conditions and behaviors. Additionally, it includes the paranormal that made them more advantaged than others, such as their ability to cure diseases, or reclaim baggage and money that were lost by the owners. The importance of these compositions were clear by undertaking the Shiie ideas and its impact on the community of Damascus and coupled with the Shia shrines of the Shiies, which indicated their deployment in the city of Damascus.

Finally, the credibility of Mohammed bin Kinan as a historian, appeared in his literature that documented the social, economic and intellectual history of Damascus in this period. The subsequent sources supported important historical source irreplaceable in the study of the conditions of Damascus in the twelfth century AH / eighteenth AD, as al-Badri, Barber Diaries have confirmed when compared with the literature of Ibn Kinan, the sincerity of the news and information they narrated by Ibn Kinan.

includes the fertility of the soil and its ability for agricultural production. This impacts the living conditions of the people in terms of vacillation in prices, either increase, decline or stability in prices followed by monitoring the various forms of precipitation and the abundance or scarcity, its accompanying strong winds, and what has resulted from the horrors and risks caused deaths, the superiority of their poultry, and demolishing their farms, orchards, their property and crop damage, or plagues and pests such as locusts creep, and the emergence of epidemic rinderpest from time to time, in addition to the effects left by the pilgrim caravans. Many of them drowned in the pond and the floods that stormed their way during their journey to the Holy Lands and back. Those compositions have also reflected the magnitude of the suffering that the people of Damascus have been fed up with a result of the tax they had to pay for the state. Furthermore, this includes the losses suffered by the traders and salesmen at the time of the riots and dissension led by terror and the military, where shops were closed, and buying and selling are stopped in addition to what may accompany these events including infringement markets looting, theft and arson, in addition to greed that appears when trade employers and some with positions such as resorting to monopolize goods with the aim of raising the price and restrictions on the physical conditions of the people. Moreover, the researcher benefited from the literature of Ibn Kinan in recording the number of plants, flowers and trees that both have economic and medical benefits.

As for the intellectual life; it has been shown for the researcher through the writings of Ibn Kinan that the Ottoman Empire were not very interested in the establishment of educational facilities such as schools, gatherings, Hospices and Gorges, which were places used by Sufis to practice their rituals and habits associated with leaving the lower desires and orientation to request the afterlife worship, Althalal and supplications, and the type of relationship that was based on the appreciation and respect between the authority and the Mutasawifeen. This includes detecting some of their methods, particularly the Khalawati method, and recording the names of their seniors. Furthermore, the researcher benefited from knowing the types of science and books, which were taught in schools in Damascus as well as the differences between them in terms of endowments and wages of its employees, and its economic importance,

and such events. He discussed issues regarding interpretation, Fiqh, Hadith and syntax and so on, which contributed to the refinement of his personality as a teacher in Almrushdih and Almardanih school in Damascus.

The literature of Ibn Kinan formed an important and rich source of the information that benefited researchers and were documented for an articulated period of the Ottoman presence in Damascus especially if we knew that the twelfth century AH / eighteenth century AD which represents the beginning of weakness and decline of the Sultanate rule. In terms of social life, those compositions gave us a view of the combination of the Damascus society and its manifestations, and the nature of the social relations gave us those compositions of Damascus and manifestations and the nature of community relations based on religious occasions such as the celebration of Ramadan, Eids, celebrating the birth of the Prophet and the night of Sha'ban, or other occasions such as marriage, female and male genital mutilation, and completing the memorization of the Koran by their children, as well as their involvement with all that occurs in the Ottoman Empire, either the news that comes from the capital Istanbul and associated with the victories over the Europeans and the Persians, and the occupation of some castles there, or whatever of it was linked to the inauguration of the sultans or their marriage, as well as to describe the processions of governors and judges when they come to Damascus and practicing their duties after they are removed from their royal positions. The researcher was keen to record names of towns and villages, the problems facing their inhabitants and negative phenomena caused by bad manners, appearances deviation and homosexuality, or to identify the places where the people of Damascus went out for strolls, or to monitor the health and diseases, moreover the researcher’s recording of natural astronomical phenomena, such as earthquakes and floods, stars and comets movement, and lunar eclipse or eclipse of the sun. Furthermore, the researcher benefited from the literature of Ibn Kinan to know the relationship between the state, the military and dignitaries of Damascus such as scientists, Aghas and supervision as local forces that played a major role in the lives of the people.

At the level of economic life in Damascus, the researcher has been tracking the weather, climate and their impact on economic activities of man such as agriculture, industry and the availability of water and rivers size. This also

The Social, Intellectual And Economic Life in Damascus During The 11th And 12th H.D / 17th And 18th A.D (Mohammad Ibn Isa Ibn Kinnan AL – Dimashqi AL- Salhi , Died in 1153 H.D / 1740 A.D) As A Resourc .

Mohammad Audatalleh Ahmad Al – Khaza'leh

Supervisor

Prof . Doc . Hind Ghassan Abu Al sha'ar

Abstract

This study addresses the social, economic and intellectual life in Damascus in the tenth and twelfth AH centuries /seventeenth and eighteenth centuries through the literature works of Mohammed bin Kinan Aldemashqi. The study was divided into an Introduction, five chapters and a conclusion.

The author is Mohammed bin Isa bin Mahmoud bin Kinan Al Salhi Aldemashqi who died in the year of 1153 H.D / 1740 AD. His fame is due to the Sufi Khlwata religious directions his father follows. Although most of the sources pointed that the doctrine of Mohammed bin Kinan is the Hanbali school widely followed in his town "Alsalihia", but as a result of the research and exploration in his writings it is clear to us that he has shifted away from the Hanabili doctrine of his family towards that of Imam Abu Hanifa Alnuman, which is the doctrine of the ruling Ottoman Empire that had held the high positions of the followers of this doctrine. His doctrine has appeared through the large group of sources from which he benefited in his history of the conditions of the Damascus public and mentioned in his writings, and which reveal his passionate personality in reading and discussion with his seniors and students in science meetings, and the narrations of his poetry when addressing the specific aspects and which increased the richness of its culture. Additionally, this has increased the richness of his culture as well as his constant attendants of the seminars which were held in the schools, gatherings,